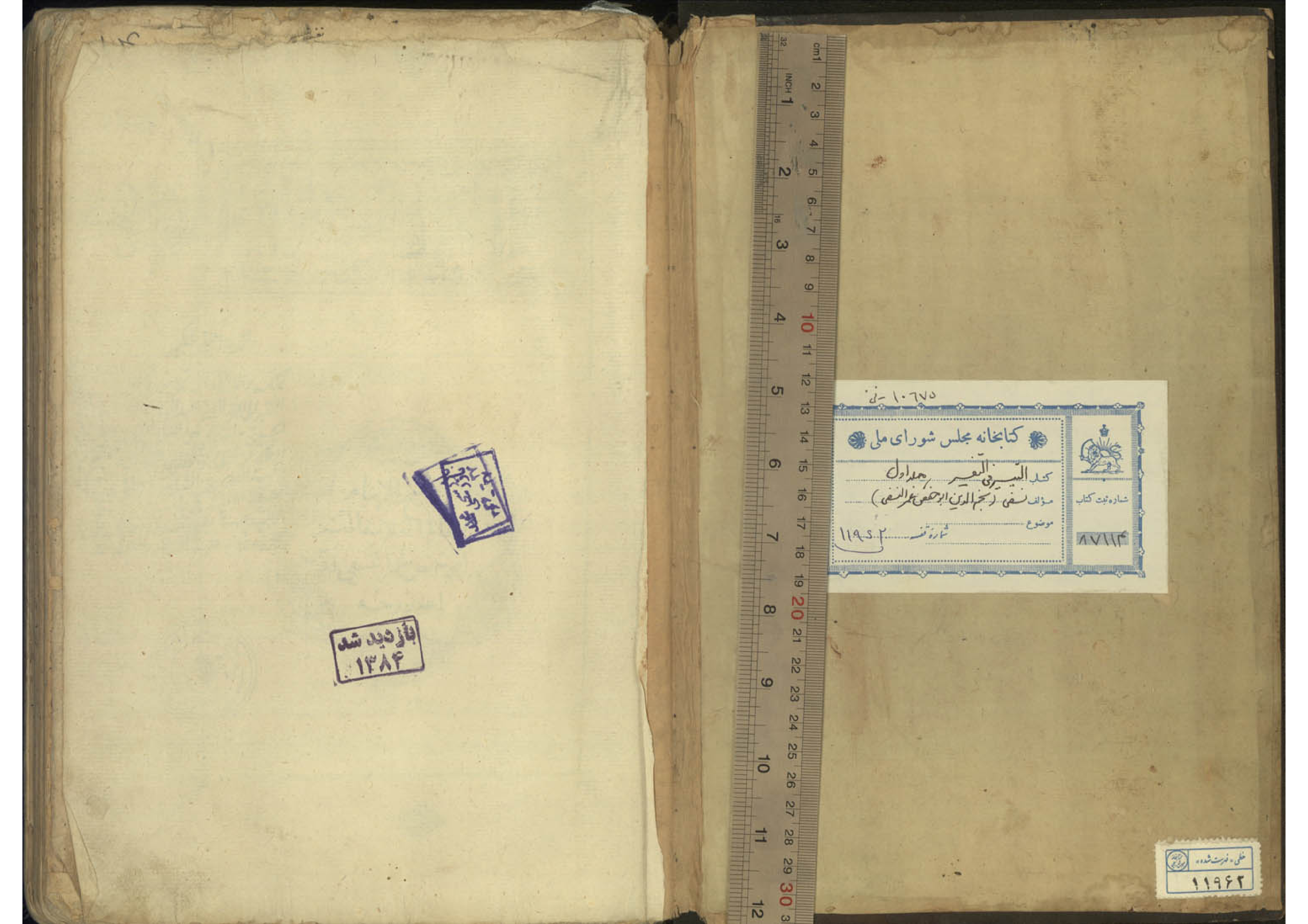
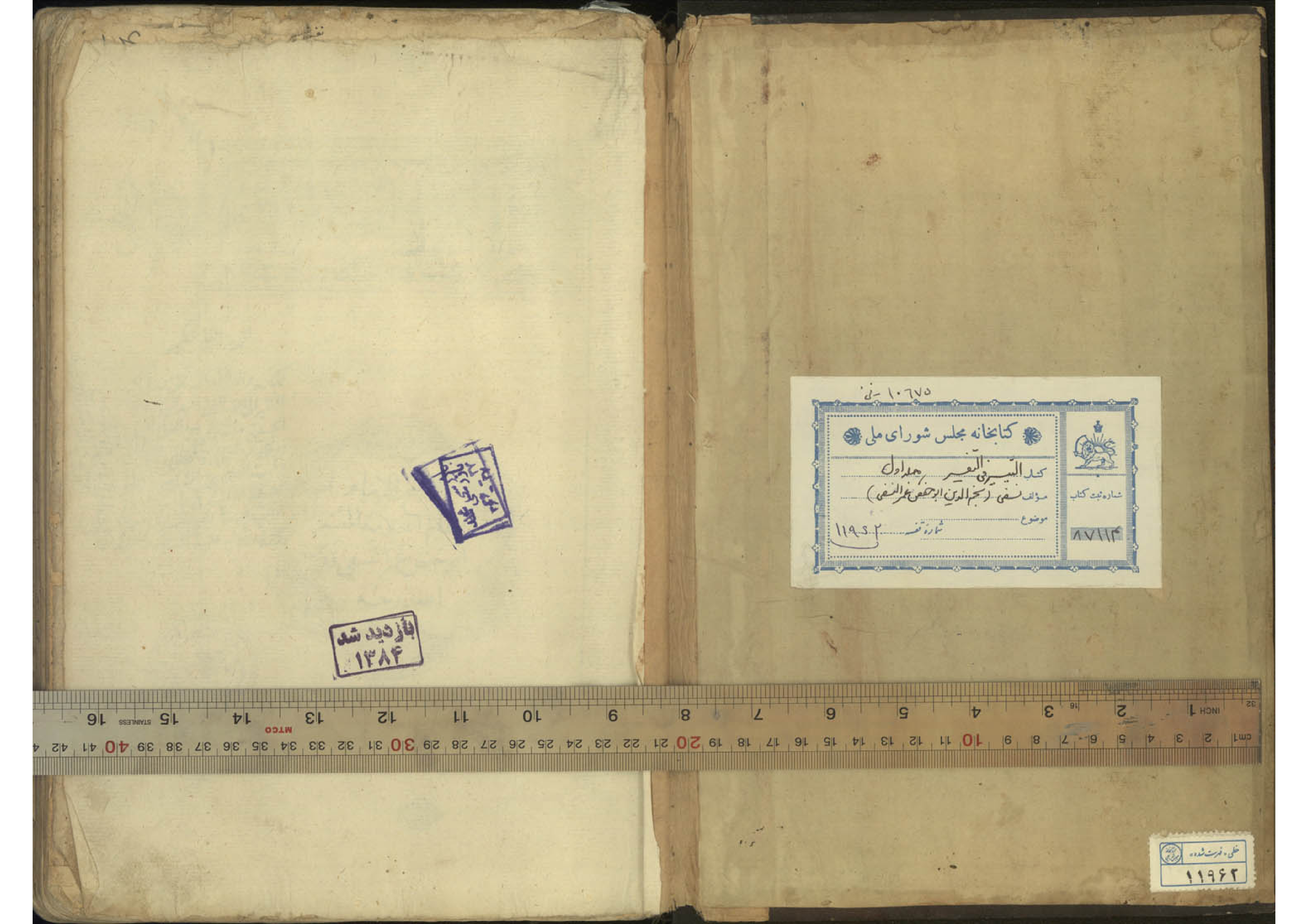


بازدید شد
۱۳۸۴
١٠٦٧٥ - ن
کتابخانه مجلس شورای ملی
کتاب التیسیر فی التفسیر، جلد اول
مؤلف نسفی (نجم الدین ابو حفص عمر النسفی)
موضوع
شماره قفسه ١١٩٥٢
شماره ثبت کتاب
٨٧١١٣
خطی ـ فهرست شده
١١٩٦٣


کتابخانه مجلس شورای ملی
کتاب التیسیر فی التفسیر جلد اول
مؤلف نسفی (نجم الدین ابوحفص عمر النسفی)
موضوع
شماره ثبت کتاب ۸۷۱۱۴
۱۰۶۷۵
۱۱۹۰۲
بازدید شد ۱۳۸۴
خطی ، فهرست شده
۱۱۹۶۲



الجزء الاول من تفسير القرآن العظيم

للشيخ الامام العالم العلامه المفسر ابو حفص عمر النسفی قدس الله روحه

الحمد لله العلي الكبير

تملكه والافتقار سنة بعده العبد الفقير الى الله الغني عبد الوهاب الشري الحسيني وفقه الله للجمع بين العلم والعمل ووقاه عن الخطا والخطل والزلل بالهبة الصحيحة الشرعية والعطية الصريحة المرعية في خامس شهر رجب المرجب سنة تسع وخمسين وثمانمائة هجرية نبوية عليه السلام والتحية

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأتمم يا كريم

الحمد لله الذي أنزل القرآن شفاءً ورحمةً وفضلاً ونعمةً وحكماً وحكمةً وبياناً
وبينةً وتخويفاً وموعظةً وميراثاً ووصيةً وبصائر وتبصرةً وتذكيراً
وتذكرةً وذكرى ومبشراً وبشرى وهادياً وهدى وكتاباً وقرآناً
وحديثاً وفرقاناً وحجةً وبرهاناً وبلاغاً وتبياناً ونبأً وقسماً وكلاماً
وكلماً ومستقيماً وقيماً ومتشابهاً ومحكماً وقولاً وقيلاً ومفصلاً وتفصيلاً
ومنزلاً وتنزيلاً وصراطاً وسبيلاً ومبشراً وموصلاً وأمثالاً ومثلاً
ونجوماً ونجماً ومعلماً وعلماً وقصصاً وحبلاً وأمراً ونهياً ووحياً ونوراً
ومتلواً ومسطوراً وخبراً وحقاً وفضلاً وصدقاً وعدلاً ومكتوباً
ومحفوظاً ومكنوناً ومجيداً وعظيماً وحكيماً وعزيزاً وكريماً وبشيراً ونذيراً
ومنادياً ومنيراً ومبيناً ومبيناً ومصدقاً ومهيمناً وإماماً ومتبوعاً ومعقولاً
ومسموعاً ومباركاً وطيباً وتاماً وصيباً وعربياً وعجباً وآيات بينات ومبيناً
ومثاني وكلمات وحروفاً ومقطعات مثل نون وقاف وحم عسق وص والمص
وكهيعص وطه والر والمر ويس وطس وطسم وحم والم تنبيهاً باسم القرآن
لما فيه الذكر والبيان بما كلها سماه وإلى عبده المصطفى ورسوله المجتبى
محمد خير الورى أوحاه جمع له فيه العلوم وفهمه الحكم منه والمكتوم وعلى
أسراره أوقفه وببيانه لأمته كلفه وأبرز بدعائه لهم باستنباط
أعلام الصدر الأول ويسر به إلى الغوص في بحار غرره واستخراج درره
سبيل من فسر بعدهم وأول فلله الحمد على تظاهر نعمه علينا في الدنيا
والدين والصلاة على المصطفى محمد وآله وأصحابه وتفكه عليه إلى يوم الدين
قال العبد الضعيف عمر بن محمد بن أحمد النسفي ستر الله عيبه ورحم شيبه
قال ما سألتموني معاشر أهل العلم أنالكم الله سؤلكم وسهل إلى المرادات
وصولكم جمع كتاب في تفسير القرآن سهل ممتنع وجيز مستجمع شغفاً منكم بكلامي حباً منكم
واستعذاباً

الشيخ الإمام الأجل الزاهد الأستاذ الحاج نجم الدين ... رحمه الله صح

واستعذاباً لنظامي وثقةً باختياري ورضاً بإيرادي وإصداري
موحداً ثم مثنياً بأعذاري وثالثاً على حذاري واعتلالاً بأن الكلام
في كتاب الله شديد والأمد في انتهائه بعيد والذهن في
الكبر كليل والخاطر على ترادف العلل عليل والشغل
بوظائف الخاصة وحوادث العامة آناء الليل والنهار غير قليل
وخطب تفرق القلب بكثرة العيال وقلة المال جليل
ثم رغبات الملتمسين في قدر ذلك الكتاب وكيفيته مختلفة
والشهوات على نمط واحد منه غير مؤتلفة وإرضاء الجميع ممتنع
والاجتماع منقطع وهذا التعليل على هذا التطويل لم
يعقل حدكم ولم يقلل جدكم بل ابتليتم من الإجابة بدءاً وعوداً
والإيجاب إرادة وورودا فاسترسلت لكم بعد الجماح واستشعرت
خفض الجناح واستخرت الله تعالى في إسعافكم بمرادكم واستعنته
على مساعدتكم وإسعادكم وشرعت فيه مستعيذاً بالله ومستجيراً
وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً فأقول وبالله التوفيق والهداية
إلى سواء الطريق الناس في معنى التفسير والتأويل بين التقصير
والتطويل ولنا على التوسط التعويل فنقول التفسير
علم نزول الآية وشأنها وقصتها والأسباب التي نزلت فيها
والأقوام الذين أريد وابها والتأويل صرف الآية إلى معنى
تحتمله موافق لما قبلها أي ما بعدها فأما مأخذهما فقد قال
ثعلب التفسير مأخوذ من قول العرب فسرت الفرس إذا
ركضتها لينطلق حصرها فالتفسير كشف ظاهر الآية ليظهر
مرادها وقال الزجاج أصله من التفسرة وهي الدليل من
ماء العليل الذي ينظر فيه الأطباء فكما أن الطبيب بالنظر في الماء

يكشف عن حال العلة فكذا المفسر بالنظر في الدليل يكشف عن مراد
الآية وقال صاحب المجمل الفسر البيان والفسر نظر الطبيب في
الماء والتفسرة كذلك وقيل هو تفعيل من فسر وهو مقلوب من
سفر وهو كقولهم جذب وجبذ أي مد وبض وصب أي سال
وقد سفرت المرأة عن وجهها أي كشفت وأسفر الصبح أي أضاء ووجوه يومئذ
مسفرة أي مضيئة وسفر الأرض أي كنسها فأظهر وجهها والسفر
الكتاب المبين والسفر يكشف عن أخلاق الناس والسفرة تكشف
ليتناول ما فيها فعلى هذا يكون التفسير هو كشف المنغلق المستور من
المراد بالظاهر المذكور والتأويل من الأول وهو الرجوع يقال
أولته فآل أي صرفته فانصرف فكان المراد بالتأويل هو صرف
الآية إلى ما تحتمله من المعنى بالدليل وقال النضر بن شميل أصله من الإيالة
وهي السياسة يقال آل وإيل علينا أي سسنا وساسنا غيرنا فكأن
المأول سائس الكلام والقادر عليه وواضعه مواضعه
وعلى هذا يكون قوله آل متعديا ويكون تشديده لترديده ولا لتعديته
بتشديده ومعناه أنه تتبع آية بعد آية وسورة بعد سورة فالتفسير
هو علم النزول لا يتكلم فيه إلا بالسماع والتأويل سائغ بالاستنباط
بشروط موافقة النص والإجماع ولأهل العلم فيهما عبارات
قيل التفسير كشف ظاهر الكلام والتأويل كشف باطنه وبالفارسية
تفسير روشن كردن سخن است وتاويل پيدا كردن معنى سخن است وقيل
التفسير بيان أول الكلام والتأويل بيان آخره وبالفارسية تفسير
سر هاش را وتاويل سر نماش را وقيل التفسير للمحكمات والتأويل
للمتشابهات وقيل علم التفسير للخلق وعلم التأويل للحق قال الله تعالى
وما يعلم تأويله إلا الله وهو فيما يرجع إلى الغيب الذي أبهمه كالساعة

متى

(هامش: معناه ايضاح ظاهر الكلام — معناه اظهار معنى الكلام — معناه بيان الكلام — معناه اظهار آخر الكلام — حـ المأول — بلغ — حـ إنه تتبع آية وسورة بعد سورة 2 — دوى مـ — مع — الله عـ)

متى وقوعها وأشراطها متى ظهورها وقيل التفسير ما لا يختلف فيه والتأويل
ما اختلف فيه ثم اختلف الناس في جواز الخوض فيهما فقال قوم لا يجوز
تفسير القرآن بشيء إلا أن يرد فيه نقل صحيح لرواية ابن عباس رضي
الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال في القرآن
برأيه فليتبوأ مقعده من النار ومن قال في القرآن برأيه فأصاب
فقد أخطأ وسئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن تفسير قوله
وفاكهة وأبا فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت
في كتاب الله ما لا علم لي وفي رواية إذا قلت في آية من كتاب الله تعالى
بغير ما أراد الله بها وقال أبي بن كعب ما استبان لك فاعمل
به وانتفع به وما اشتبه عليك فآمن به وكله إلى عالمه وعامة
أهل العلم على جوازه لقوله ﷻ تعالى أفلا يتدبرون القرآن
وهو حث على التأمل فيه والوقوف على معانيه وقال تعالى
لتبين للناس ما نزل إليهم وقال تبيانا لكل شيء وقال النبي صلى الله
عليه وسلم أول ما يرفع من الأرض العلم قالوا يا رسول الله يرفع
القرآن قال لا ولكن يموت من يعلم تأويله ويبقى قوم يتأولونه
على أهوائهم وقال ابن مسعود رضي الله عنه من أراد العلم فليثور
القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين وقال الحسن ما أنزل
الله تعالى آية إلا والله تعالى يحب أن يعلم العباد ما عنى بها وقال
علي رضي الله عنه ما من شيء إلا وعلمه في القرآن ولكن رأي الرجال
يعجز عنه وقال الحسن أنزل الله تعالى مائة وأربعة كتب من السماء
أودع علومها أربعة منها التوراة والإنجيل والزبور والفرقان
ثم أودع علوم هذه الأربعة الفرقان ثم أودع علوم الفرقان
المفصل ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب فمن علم تفسيرها

(هامش: حـ وقال عليه السلام — قال مـ — 2 يقول الله تعالى — حـ عليه السلام)

كان كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة. وقال الحسين بن الفضل البجلي
المفسر. قرأت كتاب الله تعالى من أوله إلى آخره ثمانيا وعشرين
ألف مرة متدبرا مستفكرا ما منها من مرة إلا وعثرت على نوع
جديد من العلم. ورأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال
لي يا أبا علي إنك تعيش مائة وثلاثين سنة. قال فعاش مائة
وثلاثين سنة. وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه فقوله
ذلول له وجهان أحدهما أنه تمكن القراءة ينطق به جميع
الألسنة. والثاني أنه واضح المعاني حتى لا يقصر عنه أفهام المجتهدين
فيه. وقوله ذو وجوه له وجهان أحدهما أن نظم كلماته يحتمل
من التأويل وجوها متناسبة لإعجازه والثاني أنه يجمع وجوها
من الأمر والنهي والوعد والوعيد والتحريم والتحليل. وقوله
فاحملوه على أحسن وجوهه له وجهان أحدهما أن احملوا تأويله
على أحسن معانيه والثاني أن اعملوا بأحسن ما فيه من العزائم
دون الرخص والعفو دون الانتصاف. وهذا كله دليل جواز
الاستنباط. وقال ابن عباس التفسير على أربعة أوجه وجه
تعرفه العرب بكلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير
يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله. قالوا فالأول قال هو حقائق
اللغة وموضوع الكلام والثاني هو التوحيد وأصول الشرع
والثالث فروع الأحكام وتأويل المجملات. والرابع الغيوب
من وقت قيام الساعة ووقت ظهور آياتها. وما لا يعذر أحد بجهله فهو
فرض عين وما اختص به العلماء فرض كفاية. فأما الجواب عن احتجاجهم
بقوله صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برأيه فمعناه من حمله
على ما

عليه السلام
رضي الله عنهما
رضي الله عنهما
عليه السلام

على ما يشير إليه بخاطره ولم يحمل على شواهد ألفاظه بدلائله فأصاب
الحق فقد أخطأ الدليل. وقيل الرأي نوعان رأي يتراءى
من هاجس نفس وهو الظن والحسبان وذلك هو المزجور
عنه المحجور في القرآن ورأي ينشأ من عقل كامل وعلم باهر
وتأييد من الله ظاهر وهو الاستنباط المعهود والرأي المحمود
وقال الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله أنكر بعض السلف
ثبوت هذا الحكم فقد ثبت من الأئمة تفسير القرآن والقول فيه
وللناس حاجة إلى معرفته والذين أقروا بصحته اختلفوا في تأويله.
قال بعضهم التفسير بالرأي هو أن يحمله المرء على ما يراه بقلبه
دون الفحص عنه بالخوض على الدليل. قال. وقيل هذا الوعيد
في حق من يقطع القول بصحة ما أداه إليه اجتهاده وقد يبدو
له فيرجع فأما من قال يحتمل هذا فيقول إن كان خطأ فمني وإن
كان صوابا فمن الله تعالى فهذا لا بأس به. قال. وقيل هو أن يجعل
رأيه رعيا لما جاء في القرآن يبني عليه مذهبه. قال رضي الله عنه
وهو كحمل المعتزلة النظر في قوله تعالى إلى ربها ناظرة على انتظار الكرامة
دون الرؤية به وحملهم الإضلال المذكور من الله تعالى على التسمية
دون الإيجاد. قال وقيل هو في المتشابه الذي ليس بالناس حاجة
إلى معرفة ما فيه. قال وقيل النهي عن التفسير دون التأويل
وبينهما فرق فالتفسير هو الإخبار عن شأن من نزل فيه وعن
سبب نزوله وذلك علم من شهد ذلك فهو يقول فيه بالعلم
وغيره بالرأي. والتأويل هو تبيين ما يحتمله اللفظ من المعاني
وقد جعل الله القرآن أصلا لجميع ما يقع به البلوى من النوازل
إلى قيام الساعة. قال وجميع ما جاء عن الأئمة وبنى الفقهاء عليه فهو

الحسبان بالكسر هو الظن وبالضم من الحساب
الأئمة
بعقله
ويقول
منه
[illegible]

تأويل لا تفسير قال والتفسير تبيين حقيقة ذلك والتأويل المقصود
فيه فإنه في اللغة صرف الكلام إلى ما إليه يؤول والتفسير يكون ذا وجه
والتأويل ذو وجوه وهذا كله مختصر كلام الإمام أبي منصور رحمه
الله قال رضي الله عنه ونذكر مثالا واحدا لهما قالوا في قوله
وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا هما الأوس والخزرج وفي قوله ستدعون
إلى قوم أولي بأس شديد وهم فارس وأهل اليمامة وفي قوله
ومن الناس من يعجبك قوله هو الأخنس بن شريق وفي قوله ومن
الناس من يشري نفسه وهو صهيب فهذا ونحوه من التفسير ولا يتكلم
فيه إلا بالسماع وقوله انفروا خفافا وثقالا قال بعضهم أي شبابا
وشيوخا وقال آخرون أي فقراء وأغنياء وقال قوم أي عزابا
ومتأهلين وقال جماعة أي أصحاء ومرضى وقالت طائفة أي نشاطا
وغير نشاط فهذا من التأويل وكله جائز مقبول ولا بأس بالقول به
بما وافق الأصول ولم يخالف المعقول الكلام في قولنا قبل قراءة
القرآن العظيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال أهل المعرفة
هذه الكلمة وسيلة المتقربين واعتصام الخائفين وعتق المجرمين ورجاء
الهاربين ومباسطة المحبين وهو امتثال قول رب العالمين فإذا
قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولما كان
عند إلقاء الشيطان في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ما قص الله
تعالى في كتابه وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا
تمنى ألقى الشيطان في أمنيته وسيأتيكم بيانه في موضعه إن شاء الله
تعالى وبالله العصمة والتوفيق ومعنى أعوذ ألتجي وقيل أستعصم
وقيل أستجير وقيل أستعين وقيل أستغيث وفارسيته
بي ابرخشم وپناه مي خواهم ونگاه داشت مي خواهم وامان مي خواهم
وباري هميخواهم

وباري مي خواهم ومرا دمي خواهم والعوذ والعياذ مصدران كاللوذ
واللياذ والصوم والصيام وقيل هو الاستجارة بذي منعة وقيل
هو الاستغاثة عن خضوع وقيل هو مأخوذ من العوذ بضم العين
وتشديد الواو وهو كل نبت في أصل شجرة يستتر بها قال
الشاعر خليلي لم يسق حبها من القلب إلا عوذا سينالها فعلى هذا
العوذ هو التستر بستر الله الجميل والتبوء في ظل حمايته الظليل
وقيل هو من العوذ بهذه الصيغة وهو اللحم الذي لصق بالعظم
يقال أطيب اللحم عوذه فعلى هذا العوذ هو الانقطاع عن غير
الله تعالى والاتصال بالله وقول القائل أعوذ إخبار عن فعله
وهو في التقدير سؤال الله عز وجل من فضله أي أعذني يا رب
كما يقول القائل أستغفر الله أي اغفر لي يا رب هو وهو احترام
واستعظام لا انبساط واحتكام ولو لا سبق الأمر به لم يتيسر إلا
ثم هذا الأمر عند بعض الناس يقتضي وجوب الاستعاذة بعد
الفراغ من القراءة فإن الفاء للتعقيب وعند عامة المسلمين هو قبل
القراءة ومعنى قوله فإذا قرأت القرآن فإذا أردت قراءة
القرآن كقوله تعالى إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وقوله
إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وهذا إضمار ثابت بالبديهة
فإن الاستعاذة للتحرز عن وسوسة الشيطان عند قراءة
القرآن وذلك بالتقديم لا بالتأخير وهذا سائغ في اللغة قال
الشاعر إذا طحنت فابدأي بالميمنة وذلك متقدم لا متوخى
وقال بعض أهل الإلحاد إنكم رويتم عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال إن الشيطان ليهرب من البيت الذي يقرأ فيه القرآن
فأي حاجة إلى الاستعاذة منه قلنا عنه أجوبة أنا تعبدنا به فلا عدول

عنده بمثل هذا والثاني أن هذا الوعد في حق من قرأه وعمل به
فعند قال صلى الله عليه وسلم إذا لم ينهك القرآن فلست تقرأه
وفي العمل به خلل فلا يثق بنيله ولا يستغني عن سؤاله والثالث أن
الشيطان يجتهد في أن يمنع القارئ عن هذه العزيمة فيدفعه بالاستعاذة
وأسعى ما يكون الشيطان في إفساد حال الإنسان عند قصده مكالمة
الرحمن فيجتهد في دفع شره بالاستعاذة الآن والرابع أن
الغرض به ما قال جعفر الصادق به التعوذ تطهير الفم عن الكذب
والغيبة والبهتان تعظيما لقراءة القرآن أو هو الاستيذان
لمكالمة الله بالقرآن وقالوا أيضا إذا عذتم بالله من الشيطان
عند قراءة القرآن فلم وقوع الخطأ والنسيان والابتلاء بالعصيان
قلنا حفظ الله عند العياذ بالله يعود على التقوى والتذكر والإبصار
قال الله تعالى إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا
فإذا هم مبصرون ونصح أخاك بهذه البشر وظلم بينك هذا الموعود
ومثال من استعاذ بالله من الشيطان ثم اتبعه إذا دعاه إلى
العصيان مثال التاجر يخرج إلى السفر بمال خطير ويلتجي بحفظه
بخفير حقير ثم يستفيش دهاة السراق من أقاصي الآفاق ألا ترى
أن الذين وفوا بالشرط نالوا بما قالوا قال نوح صلوات الله
عليه رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وقال موسى
صلوات الله عليه وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون وقال
يوسف صلوات الله عليه معاذ الله إنه ربي وقالت امرأة عمران
وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وقالت مريم
إني أعوذ بالرحمن منك وقال إبراهيم صلوات الله عليه حين ألقي
في النار على ما ورد في الأخبار أعوذ بالذي خلقني بهذا الخير ستر

من عصاه

من عصاه فآواني وقال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأمر الله
تعالى رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب
أن يحضرون وقال أعوذ برب الفلق السورة وقال أعوذ
برب الناس السورة وقال أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ
برضاك من سخطك وأعوذ بك منك فنال نوح السلامة وموسى
الكرامة ويوسف العصمة وامرأة عمران الإعاذة ومريم
البشارة وإبراهيم الخلة والمصطفى الشفاعة وقالوا أيضا في
الاستعاذة من الشيطان إظهار الخوف من غير الله تعالى وهو
مخل بالعبودية قلنا اتخاذ العدو عدوا تحقيق للمحبة والفرار
من غير الله إلى الله تتميم للعبودية والائتمار بأمره تقديم
للطاعة والخوف ممن لا يخاف الله إظهار للمسكنة والالتجاء به تأكيد
للمباسطة وقيل التعوذ للتبعد والتوحش وهي كلمة استيحاش
عند بعضهم والتبعد عن المبعد لا يكون لخوف فيه بل يكون وفاقا
لمن بعده ألا ترى أن الإنسان يتبرأ ممن يبعده السلطان
لا خوفا من ذلك الإنسان بل وفاقا للسلطان على ما كان
كأنه يقول أي إبليس [illegible]
ألا ترى أن السامري لما بعده الله من رحمته أمره موسى أن
يدوم على قوله لا مساس في جميع مدة عمره يبعد الناس بذلك عن
صحبته وقيل هو التبري عن الحول والقوة كأنه يقول هلك
الشيطان بالنظر إلى أصله وفعله وأنا أتبرأ إلى الله من مثله وقيل
هو استعاذة بالله من حال إبليس وماله لا على كيده وإذلاله
وإضلاله وقيل هو تملق لله تعالى يحب المتملقين وكما أن الأب
يحب من ولده أن يتعلق به فالله تعالى يحب من عبده أن يتملق به وقيل

مثل العبد إذا خطر ببا[له] حال إبليس فعاذ منه بالله كمثل صيد قصده
سبع فعدا إلى الحرم فدخله فأمن فرجع السبع خاسئًا وكمثل عبد هارب
من مولاه تلقاه لص فأراد نهبه فهرب منه إلى مولاه فآواه فبقي اللص
خاسرًا والعبد إذا عاذ بالله من الشيطان الرجيم خسأ الشيطان خاسئًا
وقولنا بالله الباء صلة وهي لمعان وها هنا للإلصاق وهو وصل الفعل
اللازم بالاسم الذي يقع الفعل عليه والله اسم الله الأعظم وتفسيره
القادر على الاختراع وقيل هو المستحق لأوصاف العلو وقيل
هو من له الخلق والأمر وقيل هو المعبود وقيل هو المستحق للعبادة
واختلف في أنه مشتق أو غير مشتق قال الخليل بن أحمد من أهل
اللغة والزجاج من أهل النحو والحسين بن الفضل البجلي من أهل
التفسير ومحمد بن الحسن من أئمة الفقه والشافعي من أهل الحديث
وجماعة هو غير مشتق وهو اسم تفرد الله به فهو اسم له
خاص قال تعالى هل تعلم له سميا جاء في التفسير أن معناه
هل تعرف أحدًا يسمى الله وقال آخرون هو مشتق ثم منهم
من قال اشتقاقه من وله يوله ولهًا إذا فزع ولجأ قال
الشاعر ولهت إليكم في بلايا تنوبني فألفيتكم فيها كريمًا ممجدًا فمعناه
أن الخلق يلجأون به ويفزعون إليه في حوائجهم ومنهم من جعله
من الوله الذي هو التحير والواله المتحير لفقد الولد ونحوه
والوله شدة الشوق أيضًا قال الشاعر ولهت نفسي الطروب
إليكم ولهًا حال دون طعم الطاعم ومعنى الاسم أن الخلق متحيرون
في عظمته والهون من شوق رؤيته فعلى هذين أصل الاسم ولاه أبدلت
الواو همزة كما قالوا وشاح وإشاح فقيل إله ثم دخلته الألف واللام
فقيل الإله ثم حذفت الهمزة تخفيفًا فقيل الله ومنهم من جعل الاسم من أله

باله

يأله أي دام وثبت يقال أله بالمكان أي دام وأقام قال الشاعر
ألهنا بدار ما تبين رسومها كأن بقاياها وشام على اليد ومعنى الاسم
أنه القديم الأزلي الدائم الأبدي ومنهم من جعله من أله يأله إلاهة أي
عبد وفي قراءة بعضهم ويذرك وإلاهتك أي عبادتك قال الشاعر
وإله إلهك واحدًا متعددًا وما له تألهًا أي تعبدًا قال الشاعر
سبحن واسترجعن من تألهي ومعنى الاسم أنه يحق له العبادة ومنهم
من جعله من قولهم أله إلى فلان أي رجع إليه واعتمد عليه قال
الشاعر ألهت إليها والركائب وقف ومعنى الاسم أن رجوع الخلق إليه
وتوكلهم عليه ومنهم من جعله من الإله الذي هو التحير قال
الشاعر ببيداء تيه تأله العين وسطها مخفقة غبراء صحصاحًا سملق
ومعناه ما قلنا في الوله ومنهم من جعله من قولهم ألهت إليه أي
سكنت إليه قال الشاعر ألهت إليها والحوادث جمة ومعنى الاسم
أن قلوب الخلق تسكن بذكره قال تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب
ومنهم من جعله من أله أي ارتفع والعرب تسمي الشمس إلاهة لرفعتها
قال الشاعر وأعجلنا الإلاهة أن تؤوبا ومعنى الاسم أنه العلي
العظيم فعلى هذه الوجوه إله يقال على أصل الكلمة من غير إبدال
همزة عن واو ثم حذفت الهمزة مع الألف واللام لما مر ومنهم
من لاه يلوه لوهًا إذا احتجب قال الشاعر لاهت فما عرفت
يومًا بخارجة يا ليتها خرجت حتى رأيناها ومعناه أنه محتجب أبصار أهل
الدنيا عن رؤيته ووعد المؤمنين لقاءه وهم في جنته فعلى هذين الوجهين
قولنا الله هو على الأصل من غير حذف وقد ورد أيضًا بهذه الصيغة
مما ليس في أوله ألف ولام قال الشاعر يتبعها لاهه الكبار وقال
آخر شعر في الندا لاهم أن جرهمًا عبادك الناس طرف وهم تلادك

نحو عشرة أوجه في الاشتقاق وبقي وجه لطيف غريب. قيل كان أصله
ها الكناية وذلك أنهم أشاروا إليه بما وضع في نفوسهم من دلالة العقل
إذ لم يعلموا له اسماً سمعوا عالماً ثم أدخلوا عليه لام الملك فصار له يعنون أن له الخلق
والأمر ثم مدوا بها أصواتهم تعظيماً. فقالوا لاه ثم وصلوه بالألف
واللام للتفخيم فصار الله ومن النحويين من قال أدخلت الألف واللام
فيه بدلاً من الهمزة المحذوفة منه فلزمتا الكلمة لزوم تلك الهمزة
ولهذا لم تسقطا عند النداء يا الله كما سقطتا عن غيره من الأسماء
يا رحمن يا رحيم ونحوه. عن كعب الأحبار قال كان داود عليه السلام
إلهاً ألوهاً أي مولعاً بمعنا لي في كل أحواله إلهي إلهي. وقال جعفر الصادق
في هذا الاسم أبرزه الله من غيبه إلى قوله ومن قوله إلى قلمه ومن قلمه
إلى لوحه ومن لوحه إلى وحيه ومن وحيه إلى أنبيائه سكينة لقلوب
أوليائه. وقولنا من الشيطان كلمة من في اللغة للأشياء وهاهنا تكون
لأحد معان ثلاثة إما للابتداء كما في قوله تعالى ثم أفيضوا من حيث أفاض
الناس. وإما للانتقال كما في قوله وما هم بخارجين منها وإما للتعدية
فإن وقوع هذا الفعل على الاسم المذكور بعده مختص بهذه الكلمة لغة
وتحقيق المعنى الأول. والثاني أن العوذ يبتدأ بالانفصال من الشيطان
ويتم بالاتصال بالله. وهو انتقال من غير الله تعالى إلى الله. والشيطان هو
إبليس وفي اشتقاقه عشرة أقاويل أحدها أنه من الشطون وهو البعد
قال الشاعر فأضحت بعدما وصلت بدار. شطون لا تعاد ولا تعود
ومعناه المبعد من الرحمة. والثاني أنه من قولهم شاط يشيط أي هلك
قال الأعشى قد نطعن العير في مكنون فائله وقد يشيط على أرماحنا البطل
ومعناه الهالك في الدارين. والثالث أنه من قولهم شاط يشيط أي هلك
قال الأعشى يشيط قد نطعن العير أي أحرقه واستشاط غضباً أي احترق

ومعناه

الحرقة

ومعناه المحترق في الدنيا بنار الفرقة وغداً بنار العقوبة. والرابع أنه من قولهم
فرس شطون أي جموح ومرح. ومعناه العاصي الأبي. والخامس أنه من الشطن
وهو الحبل الطويل المديد. ومعناه المتمادي في الطغيان الممتد إلى العصيان
والسادس أنه من قولهم فرس شيطان أي مرح نشيط. ومعناه المتكبر
المترفع. والسابع أن الشيطان هو العاتي المتمرد من كل جنس ولذلك
تسمى الحية شيطاناً. قال تعالى طلعها كأنه رؤوس الشياطين أي الحيات
وقال جرير أيام يدعونني الشيطان من غزلي. وهن يهوينني إذ كنت
شيطاناً. والثامن أنه من قولهم شيط اللحم أي دخنه ولم ينضجه
ومعناه أنه مفسد كل شيء وما به صلاح شيء. والتاسع أنه من قولهم
فرس مشياط أي ممتلئ سمناً ومعناه أنه ممتلئ خبثاً ونكراً وشراً
ومكراً. والعاشر أنه من قولهم شاط أي بطل. ومعناه أنه الباطل عمله
الخائب أمله. وإذا جعل اشتقاقه من الشطون والشطن فهو فيعال
وإذا جعلته من الشيط والتشييط والمشياط فهو فعلان والأصح الأول
لأن الشاعر أخرجه على لفظ الفاعل بالنون فقال أيما شاطن عصاه
عكاه ورماه في القيد والأغلال. وقولنا الرجيم قال الكلبي هو
المشؤوم من قوله ولولا رهطك لرجمناك. وقيل هو المهلك بأقبح وجه
مأخوذ من الرجم بالحجارة لأنه أقبح الهلاك. وقيل هو من الرجم وهو
الرمي قال الله تعالى رجماً بالغيب أي رمياً. ثم هو فعيل بمعنى الفاعل
عند بعضهم ومعناه أنه رامي بني آدم بالدواهي والبلايا. وبمعنى المفعول عند
آخرين. ومعناه أنه مرجوم من السماوات بالقاء الملائكة حين لعن. وقيل إنه
المرمي بشهب السماء إذا قصدها قال تعالى وجعلناها رجوماً للشياطين
ثم هذه صفة مذمومة للشيطان وله في القرآن أسماء مذمومة وصفات مذمومة
وهي إبليس والشيطان والغرور في قوله لا يغرنكم بالله الغرور والوسواس

والخناس والكافر وكان من الكافرين والصاغر فاخرج إنك من الصاغرين
والمارد من كل شيطان مارد والمريد الا شيطانا مريدا والطائف طائف
من الشيطان والفاتن لا يفتننكم الشيطان والملعون وان عليك لعنتي
والمذموم والمدحور قال اخرج منها مذءوما مدحورا والمقذوف
ويقذفون من كل جانب والكفور وكان الشيطان لربه كفورا والخذول
وكان الشيطان للانسان خذولا والعصي وكان للرحمن عصيا والعدو
وإن الشيطان لكم عدو والمضل انه عدو مضل مبين ومن صفاتهم
وأبى واستكبر قال أنا خير منه قال لم أكن لأسجد فأزلهما
الشيطان إنما استزلهم الشيطان ففسق عن أمر ربه فوسوس لهما
فدلاهما بغرور كما أخرج أبويكم من الجنة فأنساه الشيطان وما أنسانيه
إلا الشيطان أني مسني الشيطان بنصب وعذاب ألقى الشيطان في أمنيته
نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن الشيطان ينزغ بينهم استحوذ عليهم الشيطان
وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم الشيطان سول لهم وأملى لهم إنما
يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر
ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن
تقولوا على الله ما لا تعلمون الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء إنما
يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير يتخبطه الشيطان من المس كالذي
استهوته الشياطين من همزات الشياطين لأقعدن لهم صراطك المستقيم
لأحتنكن ذريته لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ولأمنينهم
ولآمرنهم فبعزتك لأغوينهم ثم اجمع الأسماء المحاذية وما في به
هو الرجيم فإنه لو جعل بمعنى الراجم كان جامعا لجميع ما يقع منه الجنايات
ولو جعل بمعنى المرجوم كان شاملا لجميع ما وقع عليه من العقوبات فلذلك ذكر
في الاستعاذة هذا الاسم دون غيره من الأسماء والصفات ثم هذه الأربعة

اوجه

أوجه الاستعاذات وللناس فيها اختيارات وورد بها روايات
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول أعوذ بعفو الله العظيم من
عذاب الله الأليم ومن همزات الشياطين إن الله هو السميع العليم وروي
عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يقول أعوذ بالله الواحد الماجد
من كل عدو وحاسد ومن كل شيطان مارد إن الله هو السميع العليم
وعن عمر الفاروق رضي الله عنه أنه كان يقول أعوذ بالله المعين من
من الشيطان اللعين إلى يوم الدين وعن عثمان ذي النورين رضي الله
عنه أنه كان يقول أعوذ بالله من الشيطان والكفر والطغيان وهو
المنعم المستعان وعن علي المرتضى رضي الله عنه أنه كان يقول أعوذ
بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وكان
الحسن والحسين وأبو ذر وأسامة وعمار رضي الله عنهم يقولون أعوذ
بالله العظيم من الشيطان الرجيم وكان نعيم بن الحجمية رضي الله عنه يقول
أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول
أعوذ بالله الجبار المتكبر من الشيطان المستكبر إن الله هو السميع العليم ومن
القراء السبعة من يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
إن الله هو السميع العليم ومنهم من يقول أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم
ومنهم من يجمع بين العظيم والسميع العليم ومنهم من يقول أستعيذ بالله
ومنهم من يقول نستعيذ بالله والمختار قول الجمهور أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
قال يعني المصنف ولي فيه حديث مسلسل ينتهي إلى عاصم عن زر عن
ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن
ميكائيل عن إسرافيل أنه أخذه من اللوح المحفوظ هكذا ثم التعوذ به
افتتاح قراءة القرآن وبالمعوذتين ختم سور القرآن فيه يجتمع بركة
حفظ ما بينهما وفي أخذ الميثاق خاطب الله تعالى العبد بقوله ألست بربكم

وعند النزع خاطبه بقوله يا أيتها النفس المطمئنة فيرجى بذلك عفوهما
بينهما والنبي صلى الله عليه وسلم يقول في حق هذه الأمة أنا
قائدها وعيسى سائقها فيرجى بذلك نجاة ما بينهما وبقي التعوذ
والتسمية وهي بسم الله الرحمن الرحيم وانتظام هذه بذلك أن التعوذ
بالله هو التحفظ بعد كرامة ولذلك ورد الخبر باستحباب هذا التعوذ
أعوذ بكلمات الله التامة ومنها هذه الأسماء الثلاثة العظيمة وقيل
الجامع بينهما كأنه يقول في التقدير أعوذ بالله وأنا موسوم
بسمة الله وهي فطرة الله وصبغة الله وهما التكوين والتلوين
ما يمان بالمخلوق والله منزه عنهما [illegible]
[illegible] وجامع آخر بينهما قال ابن عباس
رضي الله عنهما لجلال القرآن أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومفتاح
القرآن بسم الله الرحمن الرحيم وقال النبي صلى الله عليه وسلم
مفتاح القرآن التسمية وروي أن أول ما جرى به القلم
في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم وأنه أول ما أنزل على آدم
وأنه أمان أهل السموات والأرضين وأنه كلمة جواز من الله
وأنه خاتم الله لعباده الموحدين وروي عن ابن عباس رضي الله
عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن المعلم إذا قال
للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله تعالى براءة للصبي وبراءة
لأبويه وبراءة للمعلم من النار وعن جابر قال لما نزلت
بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم إلى المشرق وسكنت الرياح
وهاج البحر وأصغت البهائم بآذانها ورجمت الشياطين
من السماء وحلف الله عز وعلا بعزته لا يسمى اسمه على
شيء إلا شفاه ولا يسمى اسمه على شيء إلا بارك عليه ومن قرأ

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم دخل الجنة وقال ابن مسعود من أراد أن ينجيه
الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم
فإنها تسعة عشر حرفا ليجعل الله بكل حرف منها جنة له من
كل واحد منهم وقال بعض أهل المعرفة التسمية كلمة
قدسية من كنز الهداية وخلعة ربوبية من خلع الولاية
ووصلة قربية لأهل العناية ورحمة خاصية لأصحاب
الجناية وقوله بسم الله الباء حرف تضمين وإلصاق ولها وجوه
خمسة أحدها أنه يتصل بما تقدم أعوذ بالله أعوذ بسم الله
والثاني أنه يتصل بأمر مضمر أو إخبار مضمر الأمر ابدأ
للواحد وابدأوا للجمع والإخبار أبدأ أنا أو نبدأ نحن والإخبار
أولى ليوافق ما قبله أعوذ وأبدأ والثالث أن معناه أتيمن
وأتبرك وأستعين وأستغيث ببسم الله والرابع بسم الله كان ما كان
ما يكون ويكون ما يكون وحكي عن جعفر الصادق أنه قال
أودع الله تعالى علوم كل الكتب القرآن وأودع علوم القرآن
الفاتحة وأودع علوم الفاتحة التسمية وأودع علوم التسمية
الباء أي بي كان ما كان وبي يكون ما يكون وقيل كشفه بالهيبة
عرفه العارفون وبعطفه ارتزق العاملون وبرحمته نجا
المذنبون وقيل كشفه بالله سلبت قلوب أولياء الله عما ليس
فيه رضا الله وبالرحمن سعدت نفوس عباد الله في خدمة الله
وبالرحيم تخلصت أرواح أصفياء الله عما يوجب سخط الله والخامس
أنه خبر مبتدأ مضمر أي هذا بسم الله كقوله سورة أنزلناها
أي هذه سورة كتاب أنزلناه أي هذا كتاب ثم اللطيفة في أن
هذه الوجوه التي بيناها أضمارها لم تظهر وبذكر تلك الكلمات

لم تبدأ ان تكون البداية باسم الله فلا يكون افتتاح كلام القارئ
بذكر نفسه بل باسم ربه. فلا يستفتح باحسن من اسم الله كلام
ولا يستفتح باعظم من فضله مرام. تبارك الله ذو الجلال والاكرام
وقيل معناه بقوة اسم الله قدرت اي بدأت وهو معنى قولنا
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم. وقال ابو بكر الوراق
بدأ الله تعالى كتابه بذكر بسم الله والحمد لله كأنه قال الاشياء
به وجودها وله ملكها. ثم انما طولت هذه الباء دون الباءات
لوجوه ثلاثة. احدها انه عليه السلام امر بذلك فيما روي
لنا باسناد عن مكحول الشامي قال قال معاوية كنت اكتب
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاوية
الق الدواة وحرف القلم. وانصب الباء وفرق السين. ولا تعور
الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم. والثاني ما قاله
القتبي انهم لم يريدوا ان يفتتحوا كتاب الله الا بحرف مفخم معظم
والثالث انهم لما اسقطوا الالف من الاسم ترددوا وطولوا الالف
على الباء ليكون دلالة على سقوط الالف منه. وانما اسقطوها
هاهنا. لكثرة دورها على الالسنة. وفي الكتابة طلبا للخفة وفي
اقرأ باسم ربك وقوله فسبح باسم ربك العظيم لم يوجد هذا
فلم تحذف الالف ولم تطول الباء ثم انما كسرت الباء مع انها
حرف واحد والحروف المفردة كالتاء والفاء والكاف واللام
واللام لانها لا تمال. ولا يلزم عليه التاء انها تمال ومع ذلك تفتح
في قولك تالله لانها بدل الواو القسم والواو مفتوحة في قولك
والله لو كسرت فقيل تالله اشتبهت بفي الله ففتحت ليزول الاشتباه
والثاني قول سيبويه انها لا عمل لها الا الكسر فكسرت لذلك

كما بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر فعل نفسه حيث قال إن الله معنا لا كما قال موسى عليه السلام ان معي ربي

بخلاف الكاف لانها اذا كانت للخطاب لم تكن كاسرة. وكذلك
التاء واما اللام فكثير من اللامات ليست بكاسرة وكذلك الواو
والفاء والثالث قول المبرد واصلها الياء فانك تقول بيت اي
كنت الباء ولا كذلك سائر الحروف فاذا رددتها الى الياء كسرتها
لان الياء اخت الكسرة. وبعد الباء اسم وفيه اربع لغات اسم بكسر
الالف واسم بضمها وسم بكسر السين وسم بضمها قال الشاعر
والله سماك سما مباركا آثرك الله به ايثاركا وقال آخر
بسم الذي في كل سورة سمه قد انزلت على طريق تعلمه وقال
آخر وعامنا اعجبنا مقدمه يدعى ابا السمح وقرضاب سمه
واشتقاقه من سما يسمو سموا وسمى يسمي سميا اي علا
اسم بالضم بني على صيغة الامر من الواوي منه. وقولهم
اسم بالكسر بني على صيغة الامر من اليائي منه لقولهم
امش على صيغة الامر من مشى يمشي. والاسماء المبنية على صيغة
الفعل كثيرة كقولهم يشكر ويزيد وتغلب وتعلى. ومعنى
الاسم من هذا الماخذ ان المسمى يعلو بتسميته وذاكر الله
يعلو درجته بذكر الله ومدحته. ومن قال ان اشتقاقه من
وسم يسم فقد اخطأ لان الفعل منه سمى يسمي وتسمى يتسمى
وجمع الاسم الاسماء والاسامي وتصغيره السمي وحذفت العلة
في آخره ولو كان من الوسم لم يكن كذلك والالف في اوله
مدرجة تذهب عند الوصل لانها ادخلت في اوله زائدة
بعد حذف آخره تخفيفا والف ابن وابنة كذلك كما في الابن
والابنة والاثنين والفات الامر من الافعال الثلاثية
والافعال المتشعبة ثم تكلموا في ادخال كلمة اسم هاهنا قال ابو عبيدة

هو صلة وزيادة ومعناه بالله كما في قوله ويذكر فيها اسمه اي يذكر هو وقوله تبارك اسم ربك اي تبارك ربك كما قال تبارك الله وقال لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر وقالوا في القران اربع كلمات هن صلاة وهي الاسم وا الوجه وكاد وطفق واذكر اسم ربك ويبقى وجه ربك لم يكد يراها وطفقا يخصفان وتكلموا في معنى الزيادة قال الاخفش هو للتبرك ولو قيل بالله لظنوه قسما فازيل الاشتباه بذكر هذه الزيادة وقال قطرب انه لاجلال ذكر الله ليقع بها الفرق بين ذكره وبين ذكر خلقه في مثل قولهم تبركت بفلان والاكثر على ان الحكمة مقصودة غير زائدة ومعنا البداية بذكر اساميه التي سمى نفسه بها والتبرك بها قال الله تعالى ولله الاسما الحسنى فادعوه بها وفيه تعليم الثناء على الله بها واستنجاح الحوائج بذكرها قال علي رضي الله عنه كلمة بسم الله مسهلة للوعور مجنبة للشرور وشفا لما في الصدور وامان يوم النشور وقول الله مرا الكلام فيه في التعوذ وقوله الرحمن الرحيم هما اسمان مشتقان من الرحمة ورحمة الله هي ارادته الخير باهله وقيل هي اعطا الله العبد ما لا يستحقه من المثوبة ودفع ما يستوجبه من العقوبة وقيل هي ترك عقوبة من يستحق العقوبة وقيل هي المنة على المحتاج وقيل هي العطف وكثرت اقاويل السلف والخلف في تفسيرهما وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ان عيسى صلوات الله عليه قال الرحمن رحمان الدنيا والرحيم رحيم الاخرة ويرجع الى ذلك قول مجاهد الرحمن باهل الدنيا والرحيم باهل الاخرة وقول يحيى بن معاذ

الرازي

الرازي الرحمن لمصالح معاشهم والرحيم بمصالح معادهم وقول بكر بن عبد الله المزني الرحمن بنعم الدنيا والرحيم بنعم الدين وقول الحارث بن اسد الرحمن برحمة النفوس والرحيم برحمة القلوب وقال ابو بكر الوراق الرحمان بالنعماء والرحيم بالالاء فالنعماء ما اعطا وحبا والالاء ما صرف وزوى وقال محمد بن علي الترمذي الرحمن بالانقاذ من النيران والرحيم بالادخال في الجنان وقال السري بن مغلس الرحمن بكشف الكروب والرحيم بغفران الذنوب وقال عبد الله بن الجراح الرحمن بتبيين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق وقال ابن عباس الرحمن العاطف على البر والفاجر بالرزق والرحيم بالمومنين خاصة وقال مقاتل بن سليمان الرحمن العطوف على كل عباده بتفضله والرحيم الرفيق باهل طاعته لم يكلفهم ما لا يطيقون واوجب لهم من الرحمة ما لا يستحقون وقال خارجة بن مصعب الرحمن بكل خلقه الرحيم باوليائه وقال السري بن مغلس الرحمن العاطف على عباده يرزقهم من حيث لا يحتسبون ويدفع عنهم من حيث لا يعلمون والرحيم بالمومنين يغفر لهم ما يذنبون وقال الضحاك الرحمن باهل السموات حين اسكنهم السموات وطوقهم الطاعات والهمهم بغير به وايمنهم على قحبه وجنبهم الافات ووضع عنهم الشهوات وانطق السنتهم بانواع التسبيح وكساهم ملابس النور الرحيم باهل الارض ارسل اليهم الرسل وانزل عليهم الكتب واعذر اليهم وصرف البلايا عنهم وقال ابن المبارك الرحمن الذي اذا سئل اعطى والرحيم الذي اذا لم يسئل غضب وقال دثام بن عبد الله العراقي الرحمن باهل الطاعة حين قبل منهم

الطاعات وإن كن غير صائبات الرحيم بأهل معصيته إذا تابوا محا
عنهم السيئات وأبدل لها حسنات وقال مطر الوراق الرحمن بغفران
السيئات والرحيم بقبول الطاعات وقال أبو بكر الوراق الرحمن
بمن جحده والرحيم بمن وحده وقيل الرحمن بمن كفره والرحيم
بمن شكره وقيل الرحمن بالفطرة والرحيم بالدعوة وروى الكلبي
عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال الرحمن والرحيم اسمان رقيقان أحدهما
أرق من الآخر قال الحسين بن الفضل البجلي هذا وهم من الراوي
لأن الرقة ليست من صفات الله تعالى وتفسيرها الشفقة الناشئة
من رقة القلب وإنما هما رفيقان والرفق من صفات الله تعالى
قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على
الرفق ما لا يعطي على العنف وكثير من العلماء صححوا رواية القاف وفسروا
الرقة باللطف وكان العطف مجازا مأخوذا من رقة قلوب العباد
على أجنبيهم وهو كمال عطفهم ورحمتهم واختلفوا بعد ذلك في المراد بهذا
الحديث على أربعة أقاويل فقال بعضهم معناه أن أحد الاسمين أدل على
زيادة لطف لا يفهم ذلك من الاسم الآخر وقالوا لا نعرف ذلك الاسم
على التعيين لوجود الإبهام وعدم التبيين وقال سعيد بن جبير هو
الرحمن لأنه يعم الكافر والمؤمن جميعا قال الله تعالى ورحمتي وسعت
كل شيء وقال ومن كفر فأمتعه قليلا وقال وكيع بن الجراح هو
الرحيم لأنه يشمل المؤمن في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فظاهر
وأما في الآخرة فغفران ذنوبه وإدخاله الجنة قال الله تعالى وكان
بالمؤمنين رحيما وقال وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا وقال
قائلون معناه أن كل واحد منهما أرق من الآخر على معنى أن في كل واحد
من الاسمين معنى يفهم منه لا يفهم ذلك من الآخر فيكون لا يمكن تفضيل أحدهما

يبدل الله سيئاتهم حسنات

على

على الآخر وذلك فيما حكيناه من الأقاويل وقال ثعلب الرحمن
أمدح من الرحيم والرحيم أرق من الرحمن وقال جعفر بن محمد الصادق
الرحمن خاص في التسمية عام في الفعل والرحيم عام في التسمية خاص
في الفعل وخصوص الرحمن في التسمية أنه لا يتسمى به أحد غيره وعمومه
في الفعل أنه يرحم البر والفاجر وعموم الرحيم في التسمية أنه يجوز أن
يتسمى به غيره قال الله تعالى في حق نبيه عليه السلام بالمؤمنين رؤوف
رحيم وقال في حق أصحابه رحماء بينهم وخصوصه في الفعل أنه يرحم
المؤمن دون الكافر وقال أبو عبيدة الرحمن ذو الرحمة كالعطشان
هو ذو العطش والريان هو ذو الري والرحيم هو الراحم كالقدير
هو القادر والعليم هو العالم فالأول إثبات صفة والثاني إثبات
فعل وقيل الرحمن على وزن الفعلان وهو مبالغة في الصفة فإن
الغضبان هو الممتلئ غضبا والسكران هو الممتلئ سكرا والرحيم
هو دائم الرحمة والراحم هو الذي وجدت منه الرحمة وقيل
الرحمن من له الرحمة كالغضبان من له الغضب والرحيم من يرحم
كالسميع ثم معنى الجمع بين الاسمين مع أنهما من صفة واحدة
وجوه أربعة أحدها الإشباع كقوله تعالى أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم
ونجواهم والرحمن والرحيم كالندمان والنديم واللهفان واللهيف
والجمع بينهما كالجمع بين قولهم جاد مجد والثاني قول ثعلب أن الرحمن
عبراني الأصل فقرن به الرحيم الذي هو مفهوم العرب والثالث
أن معنى الاسمين مختلف كما مر من الأقاويل فلم يكن تكرارا والرابع
أنه بدأ باسم الله وهو دلالة الهيبة ثم ذكر بعده اسمين مشتقين
من الرحمة يبشرهم أنه يوصل إلى عباده آثار رحمته أكثر مما يوصل
إليهم آثار هيبته ثم معنى تقديم اسم الرحمن على الرحيم أنه اسم خاص

بلغ

لله تعالى فقدم على الرحيم الذي قد يسمى به غيره ولأن الرحمن
ابلغ في المدح فكان أولى بالسبق • ولأن معناه الرازق ومعنى الرحيم
الغافر وانّ ذلك اسبق وصولاً إلى العبد فسبق في الذكر • ومعنى
البداية في التسمية بسم الله ثم بالرحمن • ثم بالرحيم إن الناس
عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم كانوا على ثلاثة مستويات العرب
وكانوا يعرفون اسم الله قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله
وما كانوا يعرفون الرحمن • قال تعالى وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن
قالوا وما الرحمن واليهود وكانوا يعرفون اسم الرحمن • قال عبد الله
بن سلام لما أسلم يا رسول الله لا أرى في كتابكم ذكر الرحمن فنزل
قوله • قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن والنصارى وكانوا يعرفون اسم
الرحيم فوقعت البداية في خطاب القوم بذكر هذه الاسما الثلاثة
لمعرفة المخاطبين بها ولأن كل عبد له ثلاثة أشيا قلب ونفس
وروح • وعلى القلب بهذه التسمية سمة المعرفة والإيمان • وعلى
النفس سمة الرزق والإحسان • وعلى الروح سمة العفو والغفران
ولأن الله اسم ممتنع اللفظ والمعنى • والرحمن ممتنع اللفظ مطلق
المعنى والرحيم مطلق اللفظ والمعنى فكانت البداية باسم الله أولى ثم
بالرحمن ثم بالرحيم ولأن احوال العبد ثلاثة سابقته وحالته
وخاتمته • فرتبت هذه الأسما الثلاثة يعلمك أن الله الذي اصلح سابقتك
والرحمن الذي هيا حالتك والرحيم الذي يحسن عاقبتك الله الذي
خلقك والرحمن الذي رزقك والرحيم الذي يغفر لك • وقالوا لله تعالى
ثلاثة آلاف اسم ألف عرفها الملائكة لا غير والألف عرفها الانبيا
لا غير وثلثماية في الانجيل وثلثماية في الزبور وتسعة وتسعون في القرآن
وواحد استاثر الله به • ثم معنى هذه ثلاثة آلاف في هذه الأسما

الثلثة

الثلاثة ممن علمها وقالها فكأنما ذكر الله تعالى بكل اسمائه وفي القرآن
تسعة وتسعون اسما فإذا جعلت على الاثلاث فكل ثلث ثلاثة وثلاثون
والأمة ثلاثة اصناف سابقون ومقتصدون وظالمون فثلاثة وثلاثون
على نصيب السابقين ومثلها على نصيب المقتصدين ومثلها على نصيب
الظالمين • وهذه الأسما الثلاثة تضمن معاني الجميع الله يتضمن معاني
ثلاثة وثلثين اسما والرحمن كذلك والرحيم كذلك وجمعت هذه
الاسما في التسمية وضمنت معاني الجملة أي سابقان الله نيم بيدار
باشيداي مقتصدان رحمان نيم هشيار باشيداي ظالمان رحيم
نيم بيدار باشيد الظالم ستبار والمقتصد دوار والسابق طلبند
وكليم انت الظالم نفسك والمقتصد قلبك والسابق سرك نفس محراب
دونده است دل در ملكوت كرديده است • قال رضي الله عنه وكان
شيخنا الامام الخطيب الاستاذ ابو محمد اسماعيل بن محمد النوخي الشيبي • روى
لنا عن بعض أولاد علي رضي الله عنه أن الله تعالى لما خلق القلم • قال
له اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فسماع اسمه الله ولد القلم وانشق
بشقين موضع راسه على اللوح كذلك مشقوقا الى عام حتى رحمه الرب
تعالى فاستمعه الاسمين الرحمن الرحيم فالتام احد الشقين بسماع
احد الاسمين والتام الشق الآخر بسماع الاسم الآخر • وقالوا في
حذف الألف في الكتابة • وصارت هذه السقطة نقطة وكرة لاهل
الكتابة • وقالوا اوجد الله الأشيا بالتسمية وامسكها برحمته فما من
نعمة على الأولين ولا على الآخرين ولا في الدنيا ولا في الآخرة الا برحمته
كان غفران آدم وحوا برحمته • قال تعالى خبرا عنهما وان لم
تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين • وكذا في حق نوح صلوات
الله عليه فانه قال والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين •

وكذا في حق موسى وهارون فانه قال وأدخلنا في رحمتك وكانت
نجاة الانبياء والمؤمنين برحمته وقال في حق نوح لا عاصم اليوم من
أمر الله إلا من رحم وقال في حق هود ونجينا هودا والذين آمنوا
معه برحمة منا وقال في حق شعيب ونجينا شعيبا والذين آمنوا معه
برحمة منا وكان الوحي إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم برحمته قال
وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك وكان
بعثه كذلك قال وما أرسلناك إلا رحمة وكان لينه مع أمته
برحمته قال فبما رحمة من الله لنت لهم وكان حفظه عن اضلال
المنافقين برحمته قال ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة
منهم أن يضلوك وامطار السحاب علينا وإنبات الأرزاق بجار برحمته
قال تعالى يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وتزيين العالم في الربيع لنا
برحمته قال فانظر إلى أثر رحمة الله ومنافع الليل والنهار لنا برحمته قال
ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار وسد يأجوج ومأجوج ودفع ضررهم
عنا برحمته قال هذا رحمة من ربي وتوسيع الرزق علينا برحمته
قال تعالى قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي واعطاء الخصب لنا برحمته قال
ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ودوام العافية لنا برحمته
قال أو أرادني برحمة والالفة بين الزوجين برحمته قال وجعل
بينكم مودة ورحمة وارسال الرسل الينا برحمته قال أهم يقسمون
رحمة ربك وإنزال القرآن برحمته قال وننزل من القرآن ما
هو شفاء ورحمة واعطاء الايمان برحمته قال يدخل من يشاء في رحمته
والعصمة من الهوى والبدعة والثبت على السنة والجماعة برحمته
قال ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك وصلاح العبد وورعه
برحمته قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ومخالفة
الهوى

الهوى والنفس برحمته قال إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي
ومخالفة الشيطان برحمته قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم
الشيطان والتوبة بعد الوقوع في المخالفة برحمته قال ولولا
فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم وكل شيء نائله
بسعة رحمته قال ورحمتي وسعت كل شيء والخصوص من هذا
العموم برحمته قال ورحمتي وسعت كل شيء يختص برحمته
من يشاء ومن أهل الخصوص المحسنون قال إن رحمة الله قريب من
المحسنين والمطيعون قال ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم
الله والمتقون قال اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين
من رحمته والمجاهدون قال وفضل الله المجاهدين على القاعدين
أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وجواز العفو عن
القاتل واخذ الدية بالصلح برحمته قال ذلك تخفيف من ربكم
ورحمة وأمان مؤذي المسلمين بلسانه عن المؤاخذة للحال برحمته
قال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة قال ولولا فضل الله
عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب
عظيم وامهال الكفار برحمته قال وربك الغفور ذو
الرحمة لو يؤاخذهم الآية فما ينبغي للعبد أن يقنط من رحمته
قال لا تقنطوا من رحمة الله فالكافر هو الذي ييأس من
رحمته قال أولئك يئسوا من رحمتي والمؤمن راجي رحمته
قال أولئك يرجون رحمة الله وقد ضل من قنط من رحمته
قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون وتخلص المؤمن
يوم القيامة برحمته قال وكان بالمؤمنين رحيما والجمع
يوم القيامة برحمته قال كتب ربكم على نفسه الرحمة ليجمعنكم
الآية

ومغفرة الذنوب برحمته قال وربك الغفور ذو الرحمة وشفاعة
النبي للأمة برحمته قال وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وصرف
العقوبة برحمته قال من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه ودخول
الجنة برحمته قال ففي رحمة الله هم فيها خالدون وإعطاء الشهوات
الشهوات فيها برحمته قال ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم
فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم والبشارة برحمته قال
يبشرهم ربهم برحمة منه والسلام والرؤية برحمته قال سلام
قولا من رب رحيم ثم التسمية عند مالك آية من رأس كل سورة
وعند الشافعي آية من رأس الفاتحة وعن محمد أنها آية أنزلت
للفصل بين السور وظاهر مذهب أصحابنا أنها ذكر يبتدأ به
القراءة تيمنا وليست بآية تامة في القرآن أن لا يكون الجنب
والحائض والنفساء ممنوعين عنه عند كل أمر ذي بال كالشاهدين
لم يجمعا في موضع لئلا يتم آية وربما يختصر الجنب ونحوه فلا يمكنه
التكلم بهما عند ختم عمله وبالله التوفيق

تفسير سورة الحمد

وانتظام قوله الحمد لله بالتسمية ما مر أن الأشياء بالله وجودها
وله ملكها وقوته أحق بدأت بسم الله بحول الله فالحمد لله وحده
آخر بسم الله الموصوف بالرحمة وهي أجل نعمة فله الحمد
على نعمه جملة ثم هذه السورة ثماني آيات في قول الحسن
البصري وست آيات في قول الحسين الجعفي وسبع آيات
في قول الجمهور من أهل العلم فالحسن عد التسمية وأنعمت عليهم
آيتين وتركهما الجعفي والباقون اتفقوا على أنها سبع لكن
أصحابنا رحمة الله عليهم عدوا أنعمت عليهم آية وقالوا ليست
التسمية من الفاتحة والشافعي جعلها من الفاتحة ولم يجعل
انعمت

أنعمت عليهم آية وهي خمس وعشرون كلمة وهي مائة وثلاث
وعشرون حرفا اثنان وعشرون ألفا وثلاث تاءات وثلاث حاءات
وأربع دالات وذال واحدة وست راءات وسينان وصادان
وضادان وطاءان وست عينات وقاف واحدة وثلاث كافات
وست عشرة لاما واثنتا عشرة ميما وعشر نونات وأربع واوات
وأربع هاءات ولام ألف واحدة وثلاث عشرة ياء ثم الحروف
المعجمة منها اثنان وعشرون وأعوام النبي صلى الله عليه وسلم
بعد الوحي اثنان وعشرون وهذه السورة مشتملة على جميع
معاني ما أوحى الله تعالى إليه فيها وليست فيها سبعة أحرف
الثاء والجيم والخاء والزاء والشين والظاء والفاء وفي بعض
الكتب أن الحكمة فيها أن الثاء من الثبور والجيم من الجحيم
والخاء من الخوف والزاء من الزقوم والشين من الشقاوة والظاء
من الظلمة والفاء من الفراق ومعتقد هذه السورة وقاريها
على التعظيم والحرمة آمن من هذه الأشياء السبعة ثم هذه
السورة التي آياتها سبع يشتمل على أعداد من الواحد إلى السبع
ففي سورة واحدة وهي نصفان وفي نور ولها ثلاثة أقاويل
وأقسامها أربعة وأسماء الله تعالى فيها خمسة والأشياء التي
يظهر العبد فيها من نفسه ستة وأسماؤها سبعة أما الأول
فهذه السورة واحدة وإلهنا إله واحد وهذه الأمة أمة
واحدة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا بواحدة
وما خلقنا ولا بعثنا إلا كنفس واحدة وآياتها ظاهرة وأما قولنا
نصفان فنصفها ثناء ونصفها دعاء وذلك فيما روى أبو هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى قسمت

الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين
قال الله تعالى حمدني عبدي واذا قال العبد الرحمن الرحيم
قال الله جل جلاله اثنى علي عبدي واذا قال العبد مالك يوم
الدين قال الله تعالى مجدني عبدي واذا قال العبد اياك
نعبد واياك نستعين قال الله تعالى هذا بيني وبين عبدي نصفان
واذا قال العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله عز وجل
هذا لعبدي ولعبدي ما سأل چون بنده همه اول خواند خداى
عز وجل گويد بنده من من است مرکه نوبت گويى وچون همه اخر
سورة خواند خداى عز وجل گويد بنده من من دهم که
نوبت خود. واما قولنا في نزولها ثلاثة اقاويل فقد قال
علي وابن عباس وابي بن كعب ومقاتل وقتادة والضحاك بن
مزاحم ومحمد بن الحنفية وابو العالية والربيع بن انس وعمرو
بن شرحبيل وعطاء الخراساني وعلي بن الحسين بن واقد وجماعة
انها مكية ودليل ذلك قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من
المثاني وهي الفاتحة وهي في سورة الحجر وهي مكية وروى
الواحدي في تفسيره باسناده عن ابي ميسرة قال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا برز سمع مناديا يناديه يا محمد
فاذا سمع الصوت انطلق هاربا فقال له ورقة بن نوفل اذا سمعت
النداء فاثبت حتى تسمع ما يقول لك فلما برز سمع النداء يا محمد
قال لبيك قال قل اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
ثم قال قل الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين
حتى فرغ من فاتحة الكتاب فدل الحديث ان الفاتحة مكية وانها

اول

اول ما انزل وان السبعة ليست باية منها وقال مجاهد وجماعة هي
مدنية وقالوا هذه هفوة منه ولا تبطل ان النبي صلى الله عليه
وسلم مكث بمكة ثلاث عشرة سنة يصلي فيها بغير فاتحة الكتاب
هذا مما لا تقبله العقول وقال جماعة وفيه تلفيق بين هذين
القولين هي مكية مدنية اي نزلت بمكة مرة وبالمدينة مرة تفضيلا
لهذه السورة على غيرها ولهذا سميت مثاني لتثنية نزولها واما
قولنا اقسامها على اربعة فهي ذكر الله تعالى فيها باسمائه الحسنى و
اظهار العبد من نفسه العبادة والاستعانة ومدح الموافقين
وذم المخالفين واما قولنا اسماء الله تعالى فيها خمسة فهي الله والرب
والرحمن والرحيم والمالك واما قولنا الاشيا التي يظهر العبد
منها من نفسه ستة فهي اخلاص العبادة وسؤال المعونة
واستدامة الهداية وموافقة اهل الرسالة ومخالفة اهل
اليهودية والنصرانية ومفارقة اهل البدعة والضلالة واما
قولنا اساميها سبعة فهي الفاتحة وام الكتاب والسبع المثاني وسورة
الحمد واساس القرآن وسورة الشفاء وسورة الصلاة فاما الفاتحة
فلان الافتتاح هو الابتدا وبها يبتدأ كتابة المصاحف وبها
يفتتح قراءة القرآن في الصلاة وبها افتتح الوحي الى النبي
صلى الله عليه وسلم على ما روينا وكذا كتب في اللوح المحفوظ
ولانها فاتحة ابواب الفتوح في الدنيا وفاتحة ابواب الجنان
في العقبى ولان الفتح هو النصر والاستفتاح الاستنصار
ولهذا يدعى هذه السورة الظفر والنصرة والاستنصار واما
ام الكتاب فلان الام هي الاصل والوالدة ام الولد اي اصله
ومكة ام القرى اي اصل سائر البقاع لانها اول ما خلقت
ومنها دحيت البلاد واللوح المحفوظ ام الكتاب وهو اصل كتب

بعد الكاينات الى يوم القيامة. وهذه السورة ام الكتاب. وام القرآن
وهي اصل المذكورات في ساير السور والمشتملة عليها فان جميع ما
ذكر في القرآن من التحميد والتمجيد. والتسبيح والتقديس. والتهليل
والتكبير. والذكر والثنا والشكر. والدعا فهو تحت كلمة الحمد. وجميع
ما ذكر فيه من اسما الله تعالى الحسنى. وصفاته العلى وما ذكر من
ربوبيته والهيته ووحدانيته وفردانيته فهو تحت كلمة لله رب.
وجميع ما فيه من ذكر السما والارض. والانس والجن. والنبيين
والمرسلين. والمومنين والكافرين والملايكة المقربين واهل الملكوت
اجمعين والجن والشياطين. وطيور الهوا. وحيوانات الما. ووحوش
الصحرا. وحشرات الارض وذكر ساير المخلوقات. والموجودات
والمكونات. والمحدثات. فهو تحت كلمة رب العالمين. وجميع ما ذكر
فيه من الترزيق والايعام والتربية والاكرام والانظار والامهال
والاحسان. والاجمال. فهو تحت كلمة الرحمن. وجميع ما ذكر فيه
من ذكر عفو الاجرام. ومحو الاثام. وغفران العصيان. والتجاوز عن
الطغيان. واعتاق العصاة والرحمة على الجناة. فهو تحت كلمة
الرحيم. وجميع ما فيه من ذكر القيامة. واسمايها. وصفاتها وافزاعها
ومواقفها. ومقاماتها وعقباتها وعقوباتها وشدايدها وصعوباتها
واشراطها. واهوالها وحسابها. وسوالها واختلاف احوالها.
والنار ودركاتها والجنة ودرجاتها. والصراط وخطره. والحشر
ونشره. فهو تحت قوله مالك يوم الدين. وجميع ما فيه من ذكر الطاعة
والخدمة. والعمل. والعبادة. والخضوع. والخشوع. والقيام
والركوع. والسجود. والقعود. والصلاة. والزكاة. والصيام والقيام
والحج. والغزو والايتمار. والانزجار. فهو تحت قوله اياك
نعبد. وجميع ما فيه من سوال المعونة. وطلب النصرة والتماس

الرس

التوفيق والعصمة وارادة اللطف وابتغا الفضل. ورجا الكفاية وامل
الحماية فهو تحت قوله. واياك نستعين وجميع ما فيه من سوال الهداية
وخوف الخاتمة واغتنام المعرفة. ومدح الاسلام. والشريعة
وبيان السنة والجماعة فهو تحت قوله اهدنا الصراط المستقيم.
وجميع ما فيه من ذكر الانبياء والاوليا والملايكة الاصفياء
والصديقين والشهدا والعباد والزهاد والاتقيا فهو تحت
قوله صراط الذين انعمت عليهم وجميع ما فيه من ذكر المشركين
والكافرين واليهود والنصارى والصابيين والمجوس والثنويين
والضالين والمبتدعين. فهو تحت قوله غير المغضوب عليهم
ولا الضالين. وقيل انما سميت بذلك لانها تجمع اقسام كل القرآن
فان اقسام القرآن كلها هذا الامر والنهي والوعد والوعيد
والقصص والامثال والناسخ والمنسوخ وهذه السورة تشتمل
على ذلك كله. فان قوله الحمد لله معناه قولوا الحمد لله. وهذا امر
بالحمد ونهي عن تركه. وقوله رب العالمين قصص عن ايجاد
الخلايق اجمعين. وقوله مالك يوم الدين فيه وعد ووعيد
وتنبيه وتسمية الدين صراطا مثل. وقوله الذين انعمت عليهم
هم هذه الامة وشريعتهم ناسخة. وقوله غير المغضوب عليهم
ولا الضالين هم اليهود والنصارى. وشريعتهم منسوخة. وقيل
معنى ام الكتاب ان الام هي الراية ينصبها العسكر. قال البعيث
امنا معقل اليه التجا القوم في الكتايب حين حر القتال فام
الكتاب اليها مفزع البشر كالراية هي مفزع العسكر. وقيل
الام الامام فالسورة امام اهل الاسلام. وام القرى مقصد
الانام وجهنم قيل لها فامه هاوية لان الكافر له اليها المرجع

والمقام والإمام ام الرأس وكل رأس به القيام فأم القرآن يقوم
بها هذه المعاني العظام. واما السبع المثاني فهي السبع الآيات
وتثنى قراءتها في كل صلاة. وقيل هي من الثناء وفيها اثنية الله تعالى
وقال ابن عباس سميت مثاني لان الله تعالى استثناها لهذه الامة
وذخرها لهم فلم يعطها غيرهم. وقيل لانها نزلت مرتين مرة
بمكة ومرة بالمدينة ثم شيعها سبعمائة الف ملك. وقيل لان اهل
السماء يصلون بها واهل الارض كذلك. وقيل لان نصفها ثناء الرب
ونصفها سؤال العبد. وقيل لانها اشتملت على حقين حق الله
تعالى وحق العبد. وقيل لانها تضمن معاني على المثاني ذكر
الربوبية والعبودية والخالق والمخلوق والعمل والتوفيق
والهدى والضلال والولي والعدو. وقيل تتضمن كلمات مثاني
في معنى واحد الله رب الرحمن الرحيم اياك واياك الصراط
صراط عليهم عليهم. غير ولا المغضوب عليهم الضالين وقيل
سميت بها لان اسماء الله جل جلاله وصفاته على قسمين قسم يدل
على العظمة والجبروت والكبرياء والسلطان. وقسم يدل على الرحمة
والرأفة واللطف والعطف والاحسان. وقد اشتمل ذكر الله
والرحمن والرحيم على القسمين. والحمد على قسمين حمد على ذاته
وصفاته وحمد على آلائه ونعمائه. وقد اشتمل قوله رب العالمين
على الوجهين والعالم يتنوع نوعين عالم للفناء وعالم للبقاء
وقد اشتمل قوله رب العالمين على نوعين. والرحمة على ضربين
رحمة في الدنيا ورحمة في الآخرة. او يقال رحمة عامة ورحمة
خاصة وذلك الرحمن الرحيم على الضربين والدين الجزاء وهو
على شيئين. والطاعة صنفان عبادة وعبودية. وذلك قوله اياك
نعبد

نعبد على الصنفين والاستعانة تكون على امرين على تحصيل الخير وعلى
ترك الشر وذلك قوله واياك نستعين على الامرين والفرق الضالة
فرقتان جبرية وقدرية وذلك قوله اياك نعبد واياك نستعين
على رد الفريقين والهدى بيان وارشاد وذلك قوله اهدنا الصراط
الصراط المستقيم على الفريقين والمهتدون فريقان الانبياء والاولياء
وذلك قوله الذين انعمت عليهم على الفريقين والمخالفون كفار
ومبتدعون وذلك قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين على الحزبين
وبالفاتحة تامة مثاني ازدواجية معاني حمد ورب صفات
سرا وبرا الآخرة ودنيا وعالم ذو عالم فنا وعالم بقا واثر رحمته ذو
بدنيا وبعقبي وجزاه ذو بروفا وبرجفا وعبادت ذو بوشيده وبيدا
واستعانت بره براداء امر وتحمل قضا وهدايت ذو ثبات وابتدا
وصراط ذو راه سعدا وراه اشقيا واشقيا ذو يهود ونصارى وقال
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب اني لارجوا ان لا تخرج
من باب المسجد حتى تعلم سورة ما انزلت في التوراة ولا في الانجيل
ولا في القرآن مثلها قال ابي فجعلت ابطئ في المشي رجاء ذلك
ثم قلت يا رسول الله السورة التي وعدتني قال كيف تقرأ اذا
افتتحت الصلاة فقرأت عليه الحمد لله رب العالمين فقال النبي عليه
السلام هي هذه السورة وهي السبع المثاني والقرآن العظيم
الذي اعطيت وروي ان عيرا قدمت من الشام لابي جهل بمال
عظيم وهي سبع قرى ورسول الله واصحابه ينظرون اليها واكثر
الصحابة بهم جوع وعري فخطر ببال النبي صلى الله عليه وسلم شيء
لحاجة اصحابه فنزل قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني اي مكان
سبع قوافل لابي جهل والقرآن العظيم. لا تمدن عينيك الى ما متعنا

بِهِ أي هذا أبو جهل ألا تنظر إلى ما أعطيناك مع جلالة هذه العطية فلم
تنظر إلى ما أعطيته وهو متاع الدنيا الدنية وعلم الله تعالى أن تمنيه
لم يكن لنفسه بل لأصحابه فقال ولا تحزن عليهم وأمره بما يزيد
نفعه على نفع المال فقال واخفض جناحك للمؤمنين فإن تواضعك
أطيب لقلوبهم من ظفرهم بمحبوبهم وأما سورة الحمد فلأنها افتتحت
بالحمد وفيها أمر بالحمد وتعليم كيفية الحمد وبيان أن الله تعالى
مستحق الحمد وبداية القرآن بالحمد وختم كلام أهل الجنة بالحمد
والحمد المذكور في القرآن على سبعة في الدنيا وعلى سبعة في العقبى
أما التي في الدنيا فالحمد على الدين والهداية الحمد لله رب العالمين الرحمن
الرحيم وعلى البيان والدلالة الحمد لله الذي خلق السموات والأرض
وعلى الوحي والرسالة الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وعلى
المصالح والنعمة الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وعلى
النقصان والزيادة الحمد لله فاطر السموات والأرض وعلى إهلاك
الظلمة الأمة فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وعلى
حفظ العالم والمملكة ولله الحمد رب السموات ورب الأرض وأما
في الآخرة فإن أهل القبور إذا بعثوا وبقوا بما في القبر ثمانية
سنة قد ألجمهم العرق ثم دعوا إلى الحساب حمدوا قال تعالى
وله الحمد في الآخرة والثاني إذا فرغوا من الحساب حمدوا قال
وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين والثالث إذا ميز
عند الطريقين أهل السعادة من أهل الشقاوة حمدوا فقالوا الحمد لله
الذي نجانا من القوم الظالمين والرابع إذا مدوا على الصراط
ووجدوا رائحة الجنة ونظروا إليها قالوا الحمد لله الذي هدانا
لهذا والخامس إذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده والسادس

اذا صعدوا

إذا صعدوا على الدرجات وأمنوا الحزن قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن
والسابع إذا رأوا ربهم عز وجل بغير كيف حمدوا وقال الله تعالى
وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وأما أساس القرآن فقد روي
أن رجلا أتى الشعبي فشكا إليه وجع الخاصرة فقال عليك بأساس القرآن
قال وما أساس القرآن قال فاتحة الكتاب سمعت عبد الله بن عباس
غير مرة يقول إن لكل شيء أساسا فأساس الدنيا مكة لأن منها
دحيت الأرض وأساس السموات عريبا وهي السماء السابعة العليا
وأساس الأرض عجيبا وهي الأرض السابعة السفلى وأساس الجنان جنة
عدن وهي سرة الجنان عليها أسست الجنان وأساس النار جهنم وهي
الدركة السابعة السفلى عليها أسست الدركات وأساس الخلق
آدم وأساس الأنبياء نوح وأساس بني إسرائيل يعقوب صلوات الله عليهم
وأساس الكتب القرآن وأساس القرآن فاتحة الكتاب وأساس الفاتحة
بسم الله الرحمن الرحيم فإذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالأساس
تشف بإذن الله تعالى وأما سورة الشفا فلهذا قال النبي صلى الله عليه
وسلم إن في سورة الفاتحة سبعين شفا وروى أبو سعيد الخدري
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فاتحة الكتاب شفا من كل سم
وفي رواية من كل داء إلا السام وهو الموت وحديث قراءة النبي صلى الله
عليه وسلم الفاتحة على مقطوع اليد وبرؤ يده مشهور وحديث قراءة
جماعة من الصحابة على مجنون هذه السورة وإفاقته وهبة قومه لهم
غنما كثيرة معروف وأما سورة الصلاة فلقول النبي صلى الله عليه وسلم
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين وقد رويناه وتسميتها صلاة
لوجوه أحدها أن الصلاة هي القراءة قال الله تعالى ولا تجهر بصلاتك
ولا تخافت بها فمعنى قوله قسمت الصلاة أي قراءة هذه السورة والثاني

أن الصلاة هي الثنا قال الله تعالى يصلون على النبي وهي الدعا ايضا

قال تعالى وصل عليهم وهذه السورة ثنا ودعا والثالث أن جميع

الصلاة وكمالها بهذه السورة فسميت هذه السورة صلاة كأنها كلها

هي تعظيمها وفي فضل هذه السورة احاديث كثيرة منها قوله

صلى الله عليه وسلم هذه السورة لو كانت في التوراة لما تهود قوم

موسى ولو كانت في الانجيل ما تنصر قوم عيسى ولو كانت في الزبور

ما مسخ قوم داود وايما مسلم قرأها اعطاه الله جل جلاله من

الاجر كأنما قرأ القرآن كله وكأنما تصدق على كل مؤمن

ومؤمنة ثم هذه السورة سبع آيات وابواب جهنم سبعة من

قرأها اغلقت عنه ابوابها السبعة وكل باب منها عرضه كعرض السماء

والسموات سبع وبساط هذا البنا الارضون السبع واهلها بنو آدم وتاراتهم

سبع خلقوا من سلالة من طين ثم هي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم

عظام ثم لحم ثم ينشأ خلقا آخر واذا ولد الانسان فهو طفل ثم

صبي ثم مراهق ثم بالغ ثم شباب ثم كهل ثم شيخ وردته

في هذه الاحوال من سبع قال تعالى فلينظر الانسان الى طعامه

الى قوله حبا وعنبا الاية وهو مأمور بأن يقول كلمات الشهادة

وهي سبع لا اله الا الله محمد رسول الله وهي اقرار بربوبيته من

اوجد الاشيا واخبر عن وجودها بسبعة احرف كن فيكون وجعل

مضي عمرهم على سبعة ايام وهي ايام الجمعة وجعل مدة ايام الدنيا

سبعة الاف سنة فمن قرأ معتقدا معظما هذه الآيات السبع اعتق

جوارحه السبع عن عقوبات الدركات السبع واعطي حسنات ملك

السموات السبع والارضين السبع ووصلت بركته الى اهل الاقاليم

السبعة وحفظ في احواله السبع وثبته الله تعالى على كلمات السبع ووصل

الى السعادة

إلى السعادة الابدية عند مضي هذه الادوار السبعة وامن من الاخطار

السبعة وهي خطر عاقبت كه برلفر بود يا بر سلماني وخطر كور كه

نور انى يا ظلماني وخطر بعث كه روئيت يا سپيد بود يا سياه انى

وخطر حساب كه سلامت يابي يا درماني وخطر وزن اعمال كه بكفة طاعت

يا سبكي بود يا باكراني وخطر دو راه كه جهنمي شوى يا جناني جون

اين آيات با تعظيم برخواني خويشتن را ازين اخطار برهاني وقالوا احيانا

المسلمين سبعة اصناف الحامدون والراجون والخايفون والمخلصون

والمتوكلون والمستقيمون والعارفون وفي هذه السورة نصيب

لكلهم فقوله الحمد لله رب العالمين على نصيب الحامدين وقوله الرحمن

الرحيم على نصيب الراجين وقوله مالك يوم الدين على نصيب الخائفين

وقوله اياك نعبد على نصيب المخلصين وقوله واياك نستعين على

نصيب المتوكلين وقوله اهدنا الصراط المستقيم على نصيب المستقيمين

وبقية السورة على نصيب العارفين قوله تعالى الحمد لله قال

ابن عباس اي الشكر لله بما صنع الى خلقه وفي رواية قال

اي الشكر لله بما صنع الى خلقه ايضا اي الذي جاد على العباد بسوابغ

النعم ومواهب القسم وقال ابي بن كعب اي الشكر لله على الاشيا

كلها وقال مجاهد اي الشكر لله على جميع نعمايه دينا ودنيا وقال

عطا اي على نعمايه ظاهرة وباطنة وقال ابو عبيدة الحمد لله

اي الثنا لله وقال ابن الانباري الحمد مقلوب المدح وقيل الحمد

الثنا بالجميل والاعتراف للمنعم وقيل الحمد معرفة الاحسان

ونشره والكلام الجامع فيه ان الحمد يذكر لمعان اربعة احدها

الثنا بالافعال الحسنة يقال حمدته على فعل كذا فمعنى الحمد لله

على هذا اي الثنا عليه في كل ما فعل اماتت واحيى افقر واغنى

أعزّ وأذلّ، أكثر وأقلّ، أبلى أو ابتلى، أبهج وأشجى. ولذا يجب فإنّ جميع ما يفعله عدل وحكمة، وعاقبته حميدة. والثاني الحمد بمعنى الشكر يقال حمدته على إنعامه. فمعنى الحمد لله على هذا أي الشكر لله على نعمه التي لا تحصى ومننه التي لا تنسى منه. فقد قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله، وقد قال وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها وكلّ النعم منه. والثالث الحمد بمعنى الرضى يقال حمدت سيرة فلان ومذهبه. ومعنى الحمد لله على هذا أي رضيت بحكمه وقضيته وتقديره وقسمته فلا اعتراض على فعله ولا إعراض عن حكمه كيف وقد قال من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليطلب ربّاً سوائي. والرابع الحمد بمعنى المدح بالصفات الحسنى يقال حمدت فلاناً على فضله وعلمه ووفائه وحلمه وجوده وسماحته وبأسه وشجاعته. ومعنى الحمد لله على هذا أي المدح لله على صفاته الحسنى فهو الله الرحمن الرحيم العليّ العظيم العزيز الحليم القدير القديم الغنيّ الكريم الستّار الحليم إلى تمام أسمائه. والكلام في الحمد لاستغراق الجنس فيصير على مجموع المعاني الأربعة. كأنّ العبد يقول أثني على الله بكلّ فعاله فهي جميلة والشكر له على كلّ نعمائه فهي جليلة وأرضى بكلّ أقضيته فهي حميدة وأحمده بكلّ صفاته فهي جليلة. ثنا خداي را سزد كه هرچه كند حكمت است شكر وى را واجب شود كه أزوي نه شمار نعمت است رضا بقضاي وى بايد كه ور انفاد مشيّت است ستايش وى را بايد كه صفات وى سزاي حمد ومدحت است ثنا كوى تا ثنا يابى شكر كوى تا عطا يابى رضا ده تا رضا يابى ور استنا كى تا ور يابى

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله احتمل أن يكون الله تعالى حمد نفسه

الحسنى والأربعة

من لازم على ثنائه بمجازه لله تعالى بالثناء عليه ومن واجب على الشكر بتجدد العطا ومن الرضى منه مطلقاً رضي الله عنه ومن استقام في محبته بحاله على أفعاله محبته ومعرفته بلا كيف

ليعلم

ليعلم الخلق استحقاقه الحمد بذاته فيحمدوه. ويحتمل أن يكون على إضمار الأمر أي قولوا الحمد لله وهو أمر بتوجيه الشكر إليه لأنّ النعم منه وذلك يتضمّن الأمر أيضاً بكلّ الممكن من الطاعات على ما روي عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنّه صلّى حتّى تورّمت قدماه فقيل له قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر قال أفلا أكون عبداً شكوراً فصيّر أنواع الطاعات شكراً له. وتكلّموا في قوله الحمد لله أنّه على الأمر به أو على الإخبار أو على الابتداء. قال بعضهم هو على الأمر أي قولوا الحمد لله وإضمار القول ثابت في كثير من الآيات قال الله تعالى وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربّنا أي قالا ربّنا. وقال والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب سلام عليكم طبتم أي يقولون سلام عليكم طبتم. وقال فأمّا الذين اسودّت وجوههم أكفرتم ويدلّ على هذا الإضمار قوله إيّاك نعبد وإيّاك نستعين ولا بدّ ههنا من إضمار قولوا وقد أظهر ذلك في قوله وقل الحمد لله وهذا تعليم من الله عزّ وجلّ لعباده كيفية حمده وثنائه. وقال بعضهم هو على الإخبار ومعناه أنّ حمد جميع الحامدين ومدح جميع المادحين وشكر جميع الشاكرين وذكر جميع الذاكرين لله عزّ وجلّ. وبالفارسية حمد خداي را بايد وحمد خداي را سزد وجز ورا نسزد وذلك لأنّ المنعم هو الله تعالى فالشكر له قال الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ومن أنعم عليكم من خلقه فبتوفيقه وعونه. وأمّا الابتداء الحمد من الله تعالى لنفسه لأنّه يحبّ الحمد قال النبي صلّى الله عليه وسلّم لا أحد أحبّ إليه المدح من الله فلذلك مدح نفسه فقال الحمد لله ربّ العالمين. وقال أصحاب المعاني حمد الله تعالى

ابتداء لعبارة الكفرتم بعد ايمانكم

ونعوذ

الحمد لله إنّا يلين ويصلح للأفعال ولا يليق للغير ولا يصلح له

نفسه فقال الحمد لله، واستحمد من خلقه فقال وسبحوه، وشهد بوحدانيته
فقال شهد الله انه لا اله الا هو، واستشهد من خلقه فقال قل هو
الله احد، واظهر بذلك محبته الحمد والتنزيه والشهادة ولانه لما خلق
الخلق ورباهم وفهمهم وهداهم وجب عليهم شكره بذلك وسائر
نعمه، وعلم عجزهم عن شكره على الكمال اتم الافضال بان حمد نفسه
بنفسه، وناب عنهم في شكره على الكمال اتم الافضال بقوله الحمد لله
وهذا كما خاطب الملوك المنازعين له في ملكه بعد فناء خلقه لمن الملك
اليوم فتعالى وتعلم اولياؤه لو كانوا احياء لاجابوا فنوب عنهم
بقوله لله الواحد القهار، ولانه اظهر لخلقه ان الحمد الذي هو له على
الكمال هو الحمد الذي حمد به نفسه لا حمدهم اياه فانهم محدثون
عاجزون لم يكونوا فكانوا ولا يكونون بعدما كانوا فكيف يكون
حمدهم كفاء حقه ولا تخلو حمدهم معلول فانهم يطلبون به ادامة
الموجود ووجود المفقود فلا يخلص له، والله تعالى حمد نفسه في الازل
وهو حق وحمده حق، وامر عباده ان يحمدوه ليصير حمدهم الحادث
المجازي بالحمد الازلي الحقيقي صالحا مرضيا مقبولا وهذا كما شهد
بوحدانيته في الازل وامر عباده بان يشهدوا له بالوحدانية
وجعل شهادتهم الحادثة الموقتة بشهادته الازلية الدائمة صالحة
مرضية مقبولة ووعدهم عليها ثواب الابد مع انها منهم
موقتة لانها شهادة الله بما شهد هو بها لنفسه وهي ازلية دائمة
على الابد فلذلك وعدهم عليها ثواب الابد وعلى ان حمد الملائكة
لا وجه لامتناعك عن الحمد بحال فانه ان حمل على الامر فعليك الايتمار
وان حمل على الاستحباب عن استحقاقه الحمد فعليك الدوام عليه
والاستحباب، وان حمل على الابتداء وهو حمده نفسه فلا وجه
للمخالفة

للمخالفة والاستحباب وان حمل على الابتداء وهو حمده نفسه وكيف
تخلي ساعة من عمرك عن حمده وشكره، ولا تخلو لحظة عن انعامه وبره
فان قيل لم حمد الله جل جلاله نفسه ومثله في الخلق غير محمود فجوابه
ما قال الامام ابو منصور رحمه الله له وجهان احدهما انه استحق
الحمد بذاته لا باحد فيكون في ذلك نعوت الخلق ما يزينهم لذلك ليثنوا
عليه بما اثنى على نفسه وغيره، انما يكون له ذلك بالله تعالى فعليه
توجيه الحمد اليه لا الى نفسه والثاني ان الله تعالى حقيق لذلك
اذ لا عيب يمسه ولا افة تحل به فيدخل نقصان في ذلك ولا
هو ما موت بشيء والعبد لا يخلو عن عيوب وافات ويمدح بالايثار
ويذم بالترك، ويتمكن به فيه النقصان وحق لمثله الفزع الى الله
تعالى ليتغمده برحمته وعلى ذلك البكر بحمده الله تعالى، ولا يحمد به
غيره اذ ليس للعبد معنى يستقيم لذلك تكبره اذ هم جميعا اكفاء من طريق
الخلقة والمحنة وما ادرك واحد منهم من فضيلة او رفعة فبالله
ادركه لا بنفسه فعليه تنزيه الرب تعالى والفزع اليه بالشكر
لا بالتكبر على امثاله، والله تعالى عن هذا الوصف متعال وتكلموا
في الفرق بين الحمد والشكر، قيل الحمد بالقول، قال تعالى وقل
الحمد لله والشكر بالعمل، قال تعالى اعملوا آل داود شكرا وقيل
الحمد باللسان والشكر بالجنان وتحقيق الشكر بالاركان، وقيل
الحمد لله على وجوده، والشكر له على جوده، وقيل الحمد الثناء عليه
بما هو به والشكر الثناء عليه بما هو منه، وقيل الحمد على الجلال
والجمال، والشكر على الانعام والافضال، وقيل الحمد على ما حبا
وهو النعماء، والشكر على ما زوى وهو اللأواء، وقيل الحمد على النعم
الظاهرة، والشكر على النعم الباطنة، وقيل الحمد ابتداء والشكر

جزاءً وقيل الحمد بصفاته الحسنى والشكر بصنايعه الكبرى وقيل الحمد مقلوب المدح والشكر مقلوب الكشر وهو انفتاح الشفتين بالضحك حتى تبدو الاسنان والشكر انكشاف الغطا عن القلب حتى يعرف المنة من المنان وقيل الحمد هو الثنا بعموم النعمة والشكر هو الثنا بخصوص النعمة وقيل الحمد اخص من الشكر لفظا واعم معنى والشكر هو اعم منه لفظا واخص معنى فانك تقول الحمد لله ولا تقول الحمد لفلان فهذا خصوص اللفظ وتقول الشكر لله والشكر لفلان فهذا عموم اللفظ ثم الحمد يوضع موضع الشكر فيقال حمدته على صفاته الجليلة وحمدته ايضا على صنايعه الجزيلة والشكر لا يوضع موضع الحمد فيقال شكرته على الايه ونعمايه ولا يقال شكرت له على علايه ولكن بابه فكان كل شكر حمدا ولم يكن كل حمد شكرا وبالفارسية الحمد لله ستايش همه ستا يندكان ورا بي منتهى والشكر لله سپاس همه سپاس دارندكان ورا بر حكم منتها

وقال قتادة ان الله افتتح الحمد حين خلق السموات والارض فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختم بالحمد فقال وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فجعل ابتدا العالم وانتهاوه بالحمد ثم قراة العامة الحمد لله على الابتداء واللام بالكسر على الاصل وقرا هرون بن موسى العتكي الاعور ورويه بن العجاج بنصب الدال على المصدر وهو على الاضمار بطريق الاغرا وقرا الحسن البصري رحمه الله الحمد لله بخفض الدال اتباعا لكسرة اللام وقرا ابراهيم بن ابي عبلة الشامي برفع الدال وضم اللام اتباعا للدال ويجوز في الوقف الحمد لله الصمد وهو حذف الالف التي بين اللام والعا قال الشاعر اقبل سيل جا من امر الله يحرد حرد الجنة المغله ونبات

الالف

الالف افصح وافصح قوله تعالى رب العالمين قال بن عباس رضي الله عنهما اي سيد العالمين وهو كقوله اذكرني عند ربك اي سيدك وقيل معناه المالك كما يقال رب الدار اي مالكها وقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل ارب ابل انت ام رب مال وغنم قال من كل اتاني الله تعالى وقيل هو المصلح المدبر ومنه ربة البيت ومنه الربانيون وهم العلما المصلحون امور الناس بعلمهم والمدبرون لامورهم وقال الشاعر كانوا كسالئة حمقا اذ حقنت سلاها في اديم غير مربوب اي غير مصلح وقيل هو مربي الخلق ومنه قوله وربايبكم ومنه قوله الم نربك فينا وليدا وقد ربيته وربته وربابه ورببته فمنهم من تقول رباه اصله ربّبه جعلت احدي الباات يا كما في قوله تمطى اصله تمطط اي تمدد ومنهم من يقول هو فعله من ربا يربو اي ازداد فالتربية اثبات الربا وزيادة في المربي وقال الحسين بن الفضل البجلي الرب الثابت الدايم من قولهم بالمكان رب العالمين وارب اي اقام وكذلك لب والب قال عليه السلام اعوذ بالله من فقر مُبِبّ وزوج مُلِبّ وضرع الى غير محب وقال الامام ابو منصور رحمه الله التوجيه الى المالك اقرب منه الى السيد او يستقيم ان يقال رب السموات والارض ولا يقال هو سيد الا في بني ادم خاصة فانه تعالى رب العالمين اي مالك الخلايق اجمعين له الملك وهو مالك الخلق والامر وهو سيدهم اي مالكهم الواجب عليهم طاعته وسيد العبد مالكه وعليه طاعته ولا يقال سيد الدار لانه لا يمكن تحقيق معنى وجوب الطاعة فيها وهو مصلح امورهم ومهيئ معايشهم ومعادهم اصلح قلوب المؤمنين بالمعرفة

وألسنتهم بالشهادة وانفسهم بالخدمة واصلح طاعاتهم على كثرة
تقصيرهم فيها بالقبول واصلح معاصيهم على كثرتها بالعفو
قال الله تعالى يصلح لكم اعمالكم وهو مربي الظواهر بالنعمة
وهي النفوس ومربي البواطن بالرحمة وهي القلوب والرب
على الاطلاق لله تعالى على الخصوص ويطلق على المخلوق بالاضافة
فيقال رب الدار وعن ابي الدرداء وابن عباس رضي الله عنهم
انهما قالا هو اسم الله الاعظم وقيل لا لأن ذلك كل اسم
تقلبته بطل معناه الا الرب فان مقلوبه البر وهو اسم الله
الاعظم واشار الخضر عليه السلام اليه في المسجد الحرام في حكاية
وانه قال اسم الله الاعظم هو ما دعا به كل نبي وكل ولي وكل عدو
واشار الى دعوات الانبياء ربنا ظلمنا انفسنا رب اني دعوت
قومي رب انهم عصوني رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا رب اغفر لي ولوالدي الاية رب اجعل هذا البلد
امنا ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد ربنا انك تعلم ما
نخفي وما نعلن رب اجعلني مقيم الصلاة ربنا وتقبل دعاء
رب اغفر لي ولوالدي رب السجن احب الي رب قد اتيتني
من الملك رب اني ظلمت نفسي رب اشرح لي صدري رب
اغفر لي ولاخي رب ارني انظر اليك رب اغفر لي وهب لي
ملكا رب اوزعني ان اشكر نعمتك رب لا تذرني فردا رب
اني وهن العظم مني ربنا انزل علينا مائدة من السماء ربنا لا تؤاخذنا
الى اخر السورة وفي كتب الصحابة الاربعة ربنا ما خلقت هذا
باطلا ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ربنا اننا سمعنا مناديا
ربنا واتنا ما وعدتنا وقال الاعداء رب انظرني الى يوم
يبعثون

يبعثون ربنا ابصرنا وسمعنا ربنا غلبت علينا شقوتنا ربنا اخرجنا
منها ثم ان الله جل جلاله اضاف هذا الاسم الى العالمين على العموم
فقال رب العالمين ثم خص السموات والارض وما بينهما فقال
رب السموات والارض وما بينهما ثم خص السماء والارض فقال
هو رب السماء والارض ثم خص المشارق والمغارب فقال
فلا اقسم برب المشارق والمغارب ثم خص المشرقين والمغربين
فقال رب المشرقين ورب المغربين ثم خص المشرق والمغرب
ثم خص من الارض بيته فقال فليعبدوا رب هذا البيت واضاف
هذا الاسم ايضا الى كل الناس فقال قل اعوذ برب الناس
ثم خص رسوله فقال فوربك وخص امته ايضا فقال
وقال ربكم ادعوني استجب لكم واما قوله العالمين فقد قال
ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الكلبي هم كل ذي روح
يدب على وجه الارض لانهم هم الذين يعقلون التربية وروى
سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هم الجن
والانس من قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا وقال قتادة
هم الجن والانس والملائكة والشياطين وهم المخاطبون وقال
الحسين بن الفضل البجلي هم الانس من قوله اتاتون الذكران
من العالمين وقال الحسن البصري رحمه الله هم الخلائق اجمع
وقال جعفر بن محمد الصادق هم اهل الجنة والنار وقال
مقاتل بن سليمان لو فسرت العالمين لاحتجت الى الف مجلد كل
مجلد الف ورقة وقال ابو حذيفة العالمون ستة الملائكة عالم
والجن من بني الجان وذريته عالم والشياطين ابليس وذريته
عالم والانس عالم والبهائم عالم والدواب عالم والطيور عالم

والله ربهم خالقهم ورازقهم. وقال عطاء بن أبي رباح العالمون عشرة
أصناف الملائكة والبشر والجن والشياطين والوحوش والسباع.
والهوام والبهائم ودواب البحر والطيور. وقال وهب بن منبه
هم ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منها وما العمران في الخراب
إلا كفسطاط في البحر. وقال الضحاك هم ثلثمائة وستون عالما ثلثمائة
وستون منهم حفاة عراة لا يعرفون خالقهم وهم حشو جهنم. وستون
عالما يلبسون الثياب مر بهم ذو القرنين وكلمهم. وقال سعيد
بن جبير هم ألف عالم ستمائة في البحر وأربعمائة على الأرض. وقال
علي بن الحسين بن واقد العالمون ألف أمة. قال الله تعالى وما من دابة
في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم. وقال مقاتل بن
حيان العالمون ثمانون ألف عالم أربعون ألفا في البر وأربعون
ألفا في البحر. وقال كعب الأحبار لا يحصي عدد العالمين أحد من
الخلق قال تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو. وعن أبي هريرة
رضي الله عنه قال إن الله تعالى خلق الخلق حين خلقهم وهم أربعة
أصناف الملائكة والشياطين والجن والإنس. ثم جعل هؤلاء عشرة
أجزاء فتسعة منهم الملائكة وجزء واحد الشياطين والجن
والإنس ثم جعل هؤلاء الثلاثة عشرة أجزاء فتسعة منهم الشياطين
وجزء واحد الجن والإنس ثم جعل الإنس والجن عشرة أجزاء
فتسعة منهم الجن وجزء واحد الإنس. ثم جعل الإنس مائة
وخمسة وعشرين جزءا فجعل منهم مائة جزء في بلاد الهند. منهم
ساطوخ. وهم أناس رؤوسهم مثل رؤوس الكلاب. ومالوخ وهم
أناس أعينهم على صدورهم. وماسوخ وهم أناس آذانهم كآذان
الفيلة. ومالوقا وهم أناس لا انطاق [illegible]. وان خلقهم عشرون يسمون

دوالباي

دوالباي ومصيرهم كلهم إلى النار. وجعل اثني عشر جزءا في بلاد الروم
النسطورية والملكانية والإسرائيلية مصيرهم جميعا إلى النار. وجعل
ستة أجزاء منهم في المشرق. يأجوج ومأجوج. وترك خاقان. وترك
خلخ وترك خرخيز وكلهم من أهل النار. وجعل ستة أجزاء منهم في
المغرب الزنج. والزط والحبشة. والنوبة. والبربر. وسائر كفار العرب
ومصيرهم إلى النار. وبقي من الإنس من أهل التوحيد جزء واحد
فجزأهم ثلاثة وسبعين جزءا اثنان وسبعون على خطر. وهم أهل
البدع والضلال. وفرقة ناجية وهم أهل السنة والجماعة وحسابهم
على الله تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء. فهذا تفسير رب العالمين.
والعالمون في القرآن على عشرة أوجه أحدها الإنس والجن قال
الله تعالى ليكون للعالمين نذيرا. والثاني الناس قال تعالى ونجيناه
ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين. والثالث من كان بعد
نوح إلى قيام الساعة. قال تعالى سلام على نوح في العالمين. والرابع
من كان في زمن موسى من بني إسرائيل. قال تعالى وأني فضلتكم
على العالمين. والخامس أهل الكتاب. والخامس من كان في زمن لوط
قال تعالى أولم ننهك عن العالمين أتأتون الذكران من العالمين.
والسادس الغرباء قال تعالى قالوا أولم ننهك عن العالمين. والسابع
أهل الكتاب. قال تعالى ولله على الناس حج البيت إلى قوله غني
عن العالمين. والثامن المؤمنون قال تعالى ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين.
والتاسع المنافقون قال تعالى أوليس الله بأعلم بما في صدور
العالمين. أضاف سبحانه إلى كل المخلوقات ملكا وملكا وأضاف هنا
الاسم إلينا لطفا وعطفا. قال فذلكم الله ربكم. ففي الأول

والعاشر الخلائق قال الحمد لله رب العالمين

تعظيم تشبيه وفي الثاني تعظيم اجابة كأنه قال يا اعظمني والعالمون
لي ويا اعظمكم اجابني وانا لكم. ثم العالم جمع لا واحد له من لفظه
كالانام والرهط والجيش وهو مأخوذ من العلم والعلامة وهو على
وزن فاعل بالفتح كالخاتم والطابع والخاتم ما ختم به والطابع ما
يطبع فالعالم هو ما يعلم به اي يستدل به على الصانع فوجود
المخلوقات دليل على وجود الخالق واتحاده وحده وشهاده دليل على
قدمه وبقاؤها على هيئة دليل على وحدانيته ووجودها على هيئة
مخصوصة مع جواز غيرها دليل على حكمته واجابة دعاء الداعين دليل على
سمعه واجابته وعجز الخلايق عن رد قضائه دليل على جلاله وعظمته
ونقض العزايم وفسخ الهمم دليل على ارادته ومشيئته وحرمان
المجتهدين دليل على قبضه وقدرته وسعة العاجزين عن الكسب دليل
على بسطه ومنته وامهال المغترين على الله دليل على حلمه ورحمته
وافتقار الخلق دليل على غنيته وعجزهم دليل على قدرته وضعفهم
دليل على قوته وانقيادهم دليل على قهره ومملكته ثم اضافة
الرب الى العالمين بيان انه رب للجميع ليس كارباب الاشياء المخصوصة
واتضاح انه مستحق حمد الكل اذ هو خالقهم ومربيهم وما لهم
وليس وجود ربوبيته بوجودهم فقد كان رب العالمين قبل ان
يكونوا ويكون رب العالمين بعد ان يبيدوا وقد كان خالقا قبل وجود
المخلوقات صانعا قبل وجود المصنوعات قادرا قبل وجود المقدورات
قاهرا قبل وجود المقهورات رازقا قبل وجود المرزوقين راحما
قبل وجود المرحومين مذكورا قبل وجود الذاكرين مشكورا قبل وجود
الشاكرين محمودا قبل وجود الحامدين معبودا قبل وجود العابدين
مجيبا قبل دعوات السائلين غنيا قبل وجود المملكة والمملوكين باقيا
بعد

بعد فناء الخلق اجمعين يقول الله جل جلاله بعد فناء ملك الخلق لمن
الملك اليوم ويقول لله الواحد القهار سبحان الله هو العزيز الغفار
ثم قوله رب العالمين قراءة العامة بخفض الباء على النعت وقراءة
زيد بن علي بنصبها على المدح او على النداء وقرأ شقيق بن سلمة بالرفع
على الابتداء وكذا الرحمن الرحيم على هذه الوجوه وقوله تعالى الرحمن
الرحيم من تفسيرها في التسمية فان قالوا لم كررهما مع انه في
التسمية ذكرهما قلنا عنه اجوبة خمسة احدها ليعلم ان التسمية
ليست من الفاتحة ولو كانت منها لما اعادهما لخلو الاعادة عن
الافادة والثاني انه يرغب العباد الى كثرة الذكر فان من علامة
حب الله حب ذكر الله وفي الحديث من احب شيئا اكثر من ذكره
والثالث انه ذكر انه رب العالمين فبين ان رب العالمين هو الرحمن
الرحيم الذي يرزقهم في الدنيا الرحيم الذي يغفر لهم في العقبى
ولذلك ذكر بعده مالك يوم الدين والرابع انه ذكر الحمد والحمد
ينال بالرحمة فان اول من حمد الله تعالى من البشر آدم عطس
فقال الحمد لله واجيب للحال يرحمك ربك ولذلك خلقتك فعلم
خلقه الحمد وبين انهم ينالون رحمته بالحمد والخامس ان قوله رب
العالمين ترهيب وقوله الرحمن الرحيم ترغيب فجمع بين الرهبة والرغبة
ليكون ذلك اعون للناس على طاعته وامنع من معصيته ونزيد في الفائدة
هاهنا بذكر مقالات لم نذكرها في التسمية في تفسير الاسمين
قال الامام القشيري عبد الكريم بن هوازن الرحمن بما روّح والرحيم
بما لوّح فالترويح بالمبار والتلويح بالانوار بكشف تجليه والرحيم بلطف
توليه الرحمن بما يوفق والرحيم بما يحقق فالتوفيق للمعاملات والتحقيق للمواصلات
فالمعاملات للقاصدين والمواصلات للواجدين الرحمن بما يصنع والرحيم بما يدفع فالصنع

تجميل الرعاية والدفع بحسن العناية وقوله تعالى مالك يوم الدين قرئ
هذا على سبعة أوجه مالك بالألف وخفض الكاف صفة لله وهي على
النعت ومالك بالألف ونصب الكاف وملك بكسر اللام ونصب الكاف
وهذان على النداء وملك بفتح الميم واللام ونصب الكاف على الفعل
الماضي ويوم الدين بالنصب على المفعول ومالك يوم الدين بالألف
ورفع الكاف وأما مالك بالألف وخفض الكاف فقد روي ذلك
عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الخلفاء الراشدين الأربعة وعن
جماعة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وهو اختيار عاصم والكسائي
والأعمش وجماعة وأما ملك بكسر اللام وخفض الكاف فعن النبي
صلى الله عليه وسلم في رواية وعن عثمان وعن علي وزيد بن ثابت
وابن عمر وأبي الدرداء وهو اختيار نافع وابن كثير وأبي عمرو و
حمزة وابن عامر وأما ملك بسكون اللام فعن أبي عمرو ورواه
عبد الوارث بن سعيد وأما مالك بنصب الكاف فعن أبي هريرة
وعمر بن عبد العزيز والأعمش وأما ملك بغير ألف والنصب فعن
أبي حيوة وشريح بن يزيد وأما مالك بالرفع فعن بعض أهل الشام سمع عن
يحيى بن يعمر مالك بإضجاع بليغ وعن أيوب السختياني بإشمام وتكلم المتأخرون
في أولى هذه القراءات فقيل أولاها مالك بالألف لأن فيه زيادة
حرف وبزيادة ثواب يحكى عن عبد الله البلخي أنه قال كان من عادتي
قراءة مالك يوم الدين فذكر لي بعض الأدباء أن ملك أبلغ في المدح والأكثر
وأكثر في الثواب فتركت عادتي فكنت أقرأ ملك يوم الدين حتى
رأيت في المنام إنسانا يقول لي لم نقصت من حسناتك عشرة أما
سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن كتب له بكل حرف
عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ورفعت له عشر درجات

فانتبهت

وملك بغير الألف بكسر اللام وخفض الكاف وملك بسكون اللام وخفض الكاف صح

وأما ملك على صيغة الفعل الماضي فعن يحيى بن معمر صح

فانتبهت

فلم أترك عادتي حتى رأيت ثانيا في المنام أنه قيل لم لا تترك هذه العادة
أما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم اقرءوا القرآن فخما مفخما أي
عظيما معظما فانتبهت فتطيرت وسألته عن الفرق بين المالك والملك فقال
الملك الذي يملك شيئا من الدنيا والمالك الذي يملك الملوك وقيل
لا ترجيح بزيادة حرف فقد اختلفت الصحابة رضوان الله عليهم في فرهين
وفارهين وحمئة وحامية ونخرة وناخرة فلم يحتج أحدهم على صاحبه بزيادة
الحرف وإنما يحتجوا بزيادة المعنى فينا أن ننظر أيهما أبلغ فإنه يقال
في المعنى قال أبو عبيدة والأصمعي وأبو حاتم والأخفش مالك أبلغ فإنه يقال
مالك كل شيء ولا يقال ملك كل شيء وإنما يقال ملك الناس ولأنه
يضاف إلى الفعل والذات يقال مالك العبد ومالك التصرف
ولأنه لا يقال مالك الشيء إلا وهو يملكه وقد يكون ملك شيء وهو
لا يملكه يقال فلان ملك العرب وملك العجم وملك الهند وملك
الروم وملك الترك ولأن المالك من الملك والملك من الملك والمالك
يدل عليهما يقال مالك الملك ولا يقال ملك الملك ولأنه أضاف
إلى يوم الدين وذكر في آية لا تملك نفس لنفس شيئا فنفى الملك عن الخلق فثبت
ذلك لله وقال أبو عبيدة وعاصم الجحدري والمبرد وأبو عمرو
والزجاج وجماعة ملك أبلغ وأوفق للقرآن قال تعالى فتعالى
الله الملك الحق وقال تعالى ملك الناس وقال الله عز وعلا الملك
القدوس وقال في صفة القيامة الملك يومئذ لله وقال تعالى لمن
الملك اليوم وقال الله جل جلاله له ملك السماوات والأرض وقال
تبارك وتعالى تبارك الذي بيده الملك وقال له الملك وله الحمد
ولأن المالك قد لا يكون ملكا ولا يكون ملك إلا ويكون مالكا ولأنه
المالك لا يذكر إلا مضافا فيقال مالك كذا والملك يذكر غير مضاف

تعالى هو الملك ومدح الذات بما هو اسمه من غير إضافة أبلغ من
مدحه بالإضافة إلى غيره وقد تأخذ الاسم في اللغة من قولهم ملكت
العجين وملكت بالطعن اليمين وأملكت بين الحر وحين وحاصله الشد والربط
والشدة والقوة فمعنى الاسم في الحقيقة لله فله القوة الكاملة والولاية
التامة والتصرف الماضي والحكم الجاري وهو للعباد مجازه فله
الملك والملك والملكوت والعزة والجبروت وهو الحي الذي
لا يموت ومن ملك من العباد فلملكه بداية ونهاية وحد وغاية
وهو على البعض لا على الكل وعلى الجسم لا على العرض وعلى النفس
لا على النفس وعلى الظاهر لا على الباطن وعلى الحاضر لا على الغائب
وعلى الحي لا على الميت وملك الله تعالى بلا بداية ولا نهاية ولا
حد ولا غاية وعلى الكل وعلى النفوس والأنفاس وعلى الظواهر
والبواطن وعلى الفطرات والفكرات والهيئات والهمات وهو
الملك الذي لم يزل ولا يزال كل ملك وإليه الأملاك وكل ملك
باطل إلا ملكه ليس لملكه زوال ولا لملكه انتقال وقال الإمام
أبو منصور الماتريدي رحمه الله عليه في الآية دلالة وصف الرب
بملك لم ليس بموجود وقت الوصف بملكه وهو يوم الدين ثبت أن الله
بجميع ما يستحق الوصف به يستحقه بنفسه لا بغيره ولذلك قلنا نحن هو
خالق لم يزل ورحيم لم يزل وجواد لم يزل وسميع لم يزل
وإن كان ما عليه وبعد لك لم يكن وكذلك تقول هو رب كل شيء
وإله كل شيء في الأزل وإن كانت الأشياء حادثة كما قال مالك
مالك يوم الدين اليوم وإن كان اليوم بعد غير حادث ثم قوله
مالك يوم الدين كما قرئ بالنصب فقد قرأ زيد بن علي رب العالمين
الرحمن الرحيم بالنصب وهذا على المدح أو على النداء وقراءة العامة
بالخفض

بالخفض على النعت وقرأ شقيق بن سلمة بالرفع على الابتداء وقوله تعالى
يوم الدين وإنما أضاف الملك والملك إلى يوم الدين على الخصوص
لأنه قد أعطى اليوم الخلق ملكا وملكا والملاك يجورون في ملكهم
والملوك يجورون في ملكهم فإذا كان يوم الدين نزع الملك عن كل مالك
والملك عن كل ملك فيبقى الملك والملك له على الخصوص فلا يبقى ظلم
ولا جور بل يجود في ملكه ويعدل في ملكه وهو وعد ووعيد يقول
للأولياء أنا الملك والمالك أعزكم بملكي وأغنيكم بملكي فلا يمنعني مانع
ويقول للأعداء أنا الملك وأنا المالك عن ما تملكوني به وأقدر على
ما أتيكم فلا فرار لكم عني ولا بد فع العذاب عنكم دافع وفي
تفسير الدين أقاويل سبعة قال ابن عباس وابن مسعود والحسن
البصري والسدي ومقاتل هو الحساب كما في قوله ذلك الدين
القيم أي الحساب المستقيم والله محاسب العباد يوم القيامة قال
تعالى إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم وقال مجاهد والضحاك
وقتادة هو الجزاء كما في قوله فلولا إن كنتم غير مدينين أي غير
مجزيين وقال يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق أي جزاءهم والله
يجزي العباد يومئذ بأعمالهم كما قال تعالى اليوم تجزى كل نفس
بما كسبت وقال جماعة هو القضاء كما في قوله ما كان ليأخذ أخاه
في دين الملك أي قضائه والله تعالى يقضي بين خلقه يومئذ كما قال
عز وعلا وقضي بينهم بالحق وقال محمد بن كعب القرظي هو التوحيد
كما في قوله ألا لله الدين الخالص والعز والكرامة يومئذ لأهل
التوحيد قال تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم
بين أيديهم الآية وقيل الدين الطاعة قال زهير شعر
لئن حللت بواد في بني أسد في دين عمرو وحالت بيننا فدك

اي هو يوم لا ينفع فيه الا الطاعة. قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون
الا من اتى الله بقلب سليم. وقال تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي
تقربكم عندنا زلفى الا من امن وعمل صالحا. وقال الحسين بن الفضل
البجلي رحمه الله هو الخضوع. قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي طالب
اني ادعوك الى كلمة لو قلتها دانت لك العرب اي خضعت. ويوم القيامة
يوم خضوع الخلق. قال تعالى وعنت الوجوه للحي القيوم. وقال
وخشعت الاصوات للرحمن. وقال تعالى ان ربك هو القهار جميعا والعلبة
تقول العرب دنته فدان اي قهرته فخضع قال الاعشى فيما دان ...
الرباب اذ كرهوا الدين دراكا بغزوة وصيال. ويوم القيامة يوم قهر
الجبارين. قال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون الاية
وقال الفراء هو العادة وقال المثقب العبدي يقول اذا درأت
لها وضيني اهذا دينه ابدا وديني ويوم القيامة يوم يبعث فيه كل
احد على عادته فالكافر المنكر يبعث على انكاره يقول الله تعالى
خبرا عنهم انهم يقولون. والله ربنا ما كنا مشركين وقوله تعالى اياك
قولوا اياك ولابد من هذا الاضمار دان حمل قوله الحمد لله على
الابتداء او على الاخبار. وان حمل على الامر واضمر قولوا هناك الحمد لله
كان هذا عطفا على ذلك من غير اضمار ثان. واياك فيها كلام من جهة
القراءة واللغة والاعراب والمعنى اما القراءة فقراءة العامة
كسر الالف وتشديد الياء وقراءة الفضل الرقاشي بفتح الالف
وتشديد الياء وقراءة عبيد بن عمير اياك بمد الالف وتحقيق الياء
وقراءة عمرو بن فايد بكسر الالف وتخفيف الياء وقال ابن مجاهد
ما ادري ما هي ويشبه ان يكون خطا او لغة قال رضي الله عنه ووجه
الغلط انهم قالوا اياة الشمس عينها فكانه يقول شمسك نعبد واعبدك
كو

كفروا القراءة به خطا وهي للقلة تشديد وفي حد اللغة ان تخفيف المشدد
مسموع ايضا كما في قوله ربما وربما وقد قرئ ربما يود الذين كفروا
بهما جميعا قالوا ويجوز هياك بالهاء بدلا عن الهمزة كما في قولهم هنهات
وايهات واما اللغة فقد قيل اصله اوياك وهي من قولهم اليه واواه
مكانه يقول اليك انقطع بالعبادة والاستعانة وهذه الكلمة ضمير
مكنى لا يكون الا في موضع نصب ولا تضاف الا الى كناية وقد وردت
اضافتها الى الصريح شاذا اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياها الشواب
وقال الشاعر دعني وايا خالد فلا قطعن عرى نياطه وقال
في الكلام الشايع وفي ايات القرآن الاضافة الى الكناية واكثر
او اياكم من قبل واياي يرزقهم واياكم منك من تدعون الا اياه ولا
يؤتى بها الا مقدمة على الفعل ولا يؤخر الا متصلا بالا استثناء
او العطف الا ذكرا الحكاية ما عنيت الا اياك ودعيتك واياه ادعوك
اياك واما الاعراب فقد قال الخليل بن احمد اياك اسم والكاف نصب
اي هي كناية مقدمة ولو اخرت قلت نعبدك فاذا قدمت لم يمكن التلفظ
بحرف واحد فزادوا اياك ليتمكن منه اللسان لان الكاف وحدها اذا
تقدمت شابهت كاف التشبيه فان الوا الاشتباه بهذا وقال الفراء
اياك نصب بوقوع الفعل عليه والكاف خفض بالاضافة وبيانه ان هذا
بمنزلة قولك نفسك نعبد واما المعنى ففي زيادة وهذه الكلمة معنى
بليغ فانك لو قلت نعبدك ونستعينك وان كان اوجز لكن في هذا
النظم فوايد فوايد موافقة رؤس الاي وبقي العبادة والاستعانة
عن غير الله تعالى والبداية بذكر الله دون نفسه وهو نظر من الله
تعالى الى العبادة لا من العبادة الى الله تعالى وبهذا اظهر علو درجة
نبينا محمد عليه السلام على موسى صلوات الله عليه بقوله ان الله معنا وقال

آوي

موسى صلوات الله عليه إن معي ربي وهو تعبير لطيف وعلم
شريف ولا يقال لم كرر إياك ولو اكتفى بالأول صح قلنا لأن
إياك في أول الكلام كالخطاب في آخره ولو قال نعبدك ونستعينك
احتيج إلى تكرار الخطاب فكذا إياك ولأن تكراره تحقيق لكل واحد
منهما منفردا أي نعبدك لا غير ونستعين بك لا غير وقوله تعالى
نعبد والعبادة في اللغة لمعاني أحدها التذليل والقهر
قال تعالى أن عبدت بني إسرائيل أي ذللتهم وقهرتهم ومنه
قولهم طريق معبد أي مذلل بكثرة الوطي قال الشاعر
تباري عتاقا ناجيات وأتبعت وظيفا وظيفا فوق مور معبد
وبعير معبد أي مطلي بالقطران قال [illegible] إلى أن
تحامتني العشيرة كلها وأفردت إفراد البعير المعبد فالعبادة من
العبد هي التذلل لله تعالى والثاني الإكرام والإعزاز يقال
بعير معبد أي مكرم قال حاتم يقول ألا أمسك عليك فإنني
أرى المال عند الباخلين معبدا فالعابد على هذا هو المكرم بالإذن
في الخدمة والثالث الأنفة والاستنكاف قال تعالى قل إن كان
للرحمن ولد فأنا أول العابدين على قراءة حذف الألف وقال
الشاعر أولئك آبائي فجئني بمثلهم وأعبد أن تهجى كليب بدارم
فالعابد على هذا هو الذي يأنف من خدمة غير مولاه ويستنكف
عن التعلق بسواه ولا يعبد ولا يستعين إلا إياه والرابع التكليف
بالأمر والنهي يقال تعبده واستعبده إذا كلفه أمره ونهيه
قال الشاعر تعبدني نمر بن سعد وقد أرى ونمر بن سعد لي مطيع
ومهطع فالعبد هو المكلف أمر الله ونهيه والعابد هو المؤتمر والمنتهي
وأما تفسيره فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه إياك نوحد
عكرمة

عكرمة جميع ما ذكر في القرآن من العبادة فالمراد بها التوحيد
وجميع ما ذكر فيه من القنوت فالمراد به الطاعة وجميع ما ذكر
فيه من الأرائك فهي السرر التي فوقها الحجلة وجميع ما ذكر
فيه من الكأس فهي القدح مع الشراب وجميع ما ذكر فيه من
الرياح فهي رياح الرحمة وجميع ما ذكر فيه من الريح فهي ريح العقوبة
وقال سفيان بن عيينة وجماعة معناه لك نخشع ونخضع أي بالطاعة
وقال الحسن البصري معناه إياك نطيع وروى الضحاك عن ابن
عباس رضي الله عنهما أن جبريل صلوات الله عليه قال للنبي
صلى الله عليه وسلم قل يا محمد إياك نعبد أي إياك نوحد ونرجو
ربنا لا غيرك وهذا وجه لو ثبتت روايته لم نحتج إلى تأويل
سواه وعن الضحاك إياك نرجو ونخاف وهو أهل لذلك قال
تعالى هو أهل التقوى وأهل المغفرة وقال في مدح الأنبياء صلوات
الله عليهم ويدعوننا رغبا ورهبا وقال في حق القانت يحذر
الآخرة ويرجو رحمة ربه وأمر فقال وادعوه خوفا وطمعا
وقال بعض أهل المعرفة العبادة شغلك كلك به وهو شغل القلب
بمعرفته وشغل الروح بمشاهدته وشغل النفس بخدمته وشغل
اللسان بمدحته وقيل العبادة إجلال الرب وإذلال النفس
وقيل هي الرضا بالقضاء والصبر على البلاء والشكر على النعماء وقيل
تصديق الله تعالى فيما أخبر والانقياد له فيما قدر والطاعة
له فيما نهى وأمر والاعتماد بما رغب وحذر ثم قوله نعبد من
العبادة ومن العبودة عبادت بندگی کردن وعبودت بنده بودن
عبادت موقت است وآن کردن طاعتست وعبودت مؤبد است
وآن ماندن معصیت است راست گفتی عبادت است همه اوردن برتوی

وجميع ما ذكر فيه من التسبيح فالمراد به الصلاة

دروغ ناكتن عبودتست همه اوردن هيچ دروغ كفتن روا بي عادت
كردن انجخدا پسنلا عبودتست بدن انجخدا احدالكد عبادت دادن
مال بطريق زكوة وصدقة عبودتست خوش بودن بركرفتن مال بغارت
وسرقة وثواب اي بيش از ثواب آن • روى ابو امامة الباهلي رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم • انه قال درهم واحد باجذه الشلطان
ظلما واعبد احب الي من ان يتصدق بثلثمائة الف درهم وصاحب العبادة عابد
وجمعه عباد • وقد مدح الله تعالى الملائكة والنبيين والمؤمنين بها
فقال في حق الملائكة في صفة العبادة لا يستكبرون عن عبادته وقال
في صفة العبودة بل عباد مكرمون وقال في عبادة الانبياء وكانوا
لنا عابدين وذكرى للعابدين • وقال في عبودتهم انه كان
عبدا شكورا انا نحن عبدنا انه من عبادنا المؤمنين واذكر
عبدنا واذكر عبادنا واذكر عبدنا نعم العبد قال اني عبد الله
نزل الفرقان على عبده اسرى بعبده فاوحى الى عبده
وقال في حق المؤمنين في صفة العبادة التائبون العابدون
وقال في صفة العبودة يا عبادي فمن العباد الصلاة بلا
غفلة والصوم بلا غيبة • والصدقة بلا منة والحج بلا اراءة
والغزو بلا سمعة والعتق بلا اذية • والذكر بلا ملالة وسائر الطاعات
بلا آفة ومن العبودة الرضا بلا خصومة والصبر بلا شكاية
واليقين بلا شبهة والشهود بلا غيبة والاقبال بلا رجعة والايصال
بلا قطيعة • وقيل حقيقة العبودة ترك الدعوى واحتمال الاذى
وحب المولى وقيل هي ان لا يكون عندك للدنيا خطر ولا للدنيا
في قلبك اثر • وقيل هي حفظ الحدود والوفاء بالعهود • والرضا
بالموجود وترك طلب المفقود • وقال شقيق هي تركه الدنيا لاهلها

وصاحب العبودة عبد وجمعه عباد

وطلب

وطلب الآخرة بحقها وان تعمل موافقا لرضاء الله تعالى ورضاه والاء
للموت والقيامة • وقيل علامتها ان لا تزيد في رفعتك الا زدت في التواضع
ولا تزيد في مالك الا زدت في السخاوة ولا تزيد في عمرك الا زدت
في الطاعة • وقيل هي رؤية المنة وجهد الخدمة وخوف الخاتمة
فالاول للخليل حيث قال الذي خلقني فهو يهدين الآيات • والثاني
للحبيب حيث قال رحيق توزمت قدماه والثالث ليوسف الصديق
حيث قال توفني مسلما والحقني بالصالحين • ثم العبادة امر
خلق الله تعالى الجن والانس ليأمرهم بها فقال وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون • وامر بها الناس على العموم فقال يا ايها الناس
اعبدوا ربكم • وخص بها الانبياء فقال وما ارسلنا من قبلك من
رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون • وخص من بينهم
موسى • فقال انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني • وقال في حق الامم
ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله • وقال في قصة كل نبي
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره • وقال في بني اسرائيل
واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله • وقال في حق قوم
عيسى وان الله ربي وربكم فاعبدوه • وقال في حق هذه الامة ان
هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون • وقال تعالى واعبدوا
الله ولا تشركوا به شيئا • وقال واعبدوه واشكروا له • وقال
واياي فاعبدون وخص به المصطفى • فقال فاعبده وتوكل
عليه • وقال واعبد ربك حتى يأتيك اليقين • وقال فاعبده
واصطبر لعبادته • وقال تعالى بل الله فاعبد وكن من الشاكرين
وامره ان يقول ذلك باللسان ايضا • فقال قل الله اعبد مخلصا
له ديني وامرنا به ايضا ان نقول اياك نعبد وقوله تعالى واياك نستعين

أي نطلب العون ونسأله فإن سين الاستفعال للطلب والسؤال
وقال بعض أهل المعرفة هي طلب العون أي نسألك أن تجعلنا نعبدك
كأننا نعاينك فقد ثبت في الحديث أن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه
فإن لم تكن تراه فإنه يراك وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه
وإياك نستعين على عبادتك وقال السدي وإياك نستعين على
ما خلقتنا له من عبادتك وقال ابن عيينة وإياك نستعين على
عبادتك وقال مقاتل بن سليمان أي بك نستعين في أمورنا على
ما يصلحنا في ديننا ودنيانا والجامع للأقاويل نسألك أن تعيننا
على أداء الحقوق وإقامة الفروض وتحمل المكاره وطلب المصالح
فإن قالوا المعونة إنما تطلب قبل العمل فهلا قال إياك
نستعين قبل قوله إياك نعبد فجوابه من وجوه أحدها
أن الواو لمطلق الجمع لا للترتيب فمعناه أنه يأتي بهما ولا يتركهما
وآخر أن معناه إياك نوحد وإياك نستعين على الثبات
على التوحيد وآخر أن معناه إياك نستعين على أداء الطاعات
بعد التوحيد وآخر أن معناه إياك نعبد في الحال وإياك
نستعين على ذلك في الاستقبال وآخر أن معناه إياك نعبد
بظواهرنا فهي التي في وسعنا وإياك نستعين على حفظ بواطننا
فأنت الذي تقلبها كيف تشاء وآخر إياك نعبد على الرجاء وإياك
نستعين على الخوف وآخر إياك نعبد على الشكر وإياك نستعين
على الصبر وقال أبو بكر الوراق إياك نعبد لأنك خلقتنا وإياك
نستعين لأنك هديتنا وقال محمد بن علي الترمذي إياك نعبد
فاقبل عبادتنا وإن كانت غير صافية وإياك نستعين فأعنا
وإن كنا غير مستحقين للإعانة وقال أبو الحسن القناد إياك

لعبد

نعبد لأنك الصانع وإياك نستعين لأن المصنوع لا غناء له عن
الصانع وقيل إياك نعبد لأنا عبيد وإياك نستعين لأنك كريم
مجيد وقيل إياك نعبد لأنك المعبود بالحقيقة وإياك نستعين
على لزوم هذه الطريقة وقيل إياك نعبد وهذا إقرار لك في
الظاهر وإياك نستعين على أن تعلم قلوبنا أنه نعتزي في الحقيقة
والباطن وقد قال قائلهم وإذا تذللت الرقاب تقربا منا إليك
فعزها في ذلها ثم الجمع بين الكلمتين للافتخار والافتقار فقوله
نعبد افتخار بكونه عبدا لله عابدا له وقوله تعالى نستعين افتقار
إلى معونته واحتياج إلى توفيقه وعصمته كأنه يقول بناز
وسرور اركه بنده مني وبزار وسرفكنده كه بي معونت من بو هيچ نه
أي وقالوا هما لتعليم بذل المجهود وتلقين سؤال العطاء والجود ثم
تحقيق هذين اللفظين من العبد أن لا يخدم غير الله ولا يسأل
غير الله بعد ما أظهر هذا من نفسه أنه إياه يعبد وإياه يستعين
وقد حكي عن سفيان الثوري أنه أم قوما في صلاة المغرب
فلما قال إياك نعبد وإياك نستعين خر مغشيا عليه فلما أفاق
قيل له في ذلك فقال خفت أن يقال لي فلم تذهب إلى أبواب
الأطباء والسلاطين ثم في مجموع الكلمتين تحقيق مذهب السنة
والجماعة وهو إثبات الفعل من العبد والتوفيق من الله
تعالى وفيه رد الجبرية والقدرية فالجبرية ينفون الفعل من العبد
وقوله إياك نعبد يرد ذلك عليهم وأهل السنة والجماعة
يقولون من العبد الفعل واختيار الفعل ومن الله تعالى خلق
ذلك الفعل ومشيئة ذلك الفعل والآية تدل على ذلك كله
وقال الإمام أبو منصور رحمه الله في قوله إياك نعبد هو

على الاضمار الامر اى قل هذا ثم لم يجعل له ان يستثنى في القول به بل الزمه القول به فيجب ان لا يستثنى والله تعالى يقول انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال ايمان لا شك فيه قال وقوله واياك نستعين فيه ابطال قول المعتزلة لان الاستعانة لا تصح على قولهم لان تلك المعونة على اداء ما كلف قد اعطى للعبد ذلك اذ على قولهم لا يجوز ان يكون مكلفا وقد بقي شيء مما به اداء ما كلف به عند الله وطلب ما اعطى كتمان العطية وهو كفران فيصير كان الله تعالى ان يكفر نعمة ويكتمها ويطلبها منه تعنتا وظن مثله بالله كفر لا يخلوا من ان يكون عند الله تعالى ما يطلب فلم يعط التمام اذا او ليس عنده فيكون طلبه استهزاء به اذ من طلب الى اخر ما يعلم انه ليس عنده فهو هازئ به ولان الذي يطلب اما ان يكون لله ان لا يعطيه مع التكليف فيبطل قولهم انه لا يجوز ان يكلف وعنده ما به الصلاح في الدين فلا يعطي او ليس له ان لا يعطي فكانه قال اللهم لا تجر ومن هذا علمه بربه ما لا سلام اولى به ثم قوله اياك نعبد واياك نستعين وان اضمر فيه الامر بالقول وفي اول السورة كذلك فان الاول مغايبة وهذا مخاطبة وكذا قوله اهدنا فكيف جمع بينهما وجوابه انه شائع في كلام العرب وارد في القرآن قال الله تعالى وسقاهم ربهم ثم قال ان هذا كان لكم جزاء وقال فوربك لنحشرنهم ثم لنحضرنهم ثم قال وان منكم الا واردها وقال تعالى وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها ثم قال خالصة لك وهذا كله مغايبة ثم مخاطبة وقد وردت المغايبة بعد المخاطبة

ايضا

في التوحيد فان نزل كفر / فيه معنى شكر استعانة / تفسيره التيسي

اصرح

ايضا قال تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقال النابغة يا دارمية بالعلياء فالسند اقوت وطال عليها سالف الابد رجع في هذا من المخاطبة الى المغايبة وقال آخر ورجع من المغايبة الى المخاطبة بانوح تمشي كان جدة خالد وبياض وجهك للتراب الاعفر ثم اللطيفة ها هنا ان المحب اذا ابتدا غائب فاذا انبسط خاطب ومنهم من جعل ابتداء هذه المخاطبة من قوله مالك يوم الدين على قراءة من نصب الكاف على الابتداء ومن قرأ رب العالمين على النصب جعل الابتداء من ذلك ومن جعلهما نصبا على المدح او على القطع كان على المغايبة بناء على افتتاح السورة وقوله عليه السلام في خبر القسمة هذه بيني وبين عبدي نصفين اشار الامام ابو منصور رحمه الله الى معنيين فيه احدهما ان يكون كل واحد منهما بين الله وعبده العبادة من العبد وهي لله تعالى والاستعانة فعل العبد وهي طلبه من الله تعالى والثاني ان العبادة من العبد لله تعالى والمعونة من الله تعالى للعبد وهذا اظهر لانه قال في بقية السورة هذا لعبدي ولعبدي ما سأل لما كان نفع الهداية للعبد جعله للعبد فكذلك نفع المعونة ثم دلت هذه القسمة على ان التسمية ليست من الفاتحة فانه جعل السورة نصفين ثم جعل هذه الآية المتوسطة نصفين وقبلها ثلاث آيات بدون التسمية فيصير مع نصف هذه الآية نصف السورة ونصف هذه الآية مع الثلاث الآيات التي بعدها نصف السورة وهي سبع آيات وانه لم يعد البسملة في تقسيمها بل بدا بقوله فاذا قال العبد الحمد لله قال الله تعالى حمدني عبدي وهذا قول قراء المدينة والبصرة وفقهاء الكوفة على ذلك دلت الاخبار

فيه ح

ح الندا

وَآثَارِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ • وَوَجْهُ تَعَلُّقِ اهْدِنَا وَانْتِظَامِهِ بِمَا قَبْلَهُ أَنَّ قَوْلَهُ
إِيَّاكَ نَعْبُدُ إِظْهَارُ التَّوْحِيدِ مِنْ نَفْسِهِ • وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ طَلَبُ الْعَوْنِ مِنْ
رَبِّهِ وَقَوْلُهُ اهْدِنَا سُؤَالُ الثَّبَاتِ عَلَى دِينِهِ • وَهُوَ تَحْقِيقُ عِبَادَتِهِ
وَاسْتِعَانَتِهِ • وَفِي تَفْسِيرِ الْكَلِمَةِ أَقَاوِيلُ أَحَدُهَا وَهُوَ الْمُجْمَعُ عَلَى صِحَّتِهِ
قَوْلُ عَلِيٍّ وَأُبَيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اهْدِنَا أَيْ ثَبِّتْنَا عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ
الْمُسْتَقِيمِ • وَهَذَا كَمَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ كُلْ وَهُوَ يَأْكُلُ وَاقْرَأْ وَهُوَ
يَقْرَأُ أَيْ دُمْ عَلَى ذَلِكَ وَاثْبُتْ عَلَيْهِ وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ • رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ • وَهُوَ دُعَاءُ اسْتِدَامَةٍ وَاسْتِثْبَاتٍ
وَبِذَلِكَ خَاطَبَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ الْمُؤْمِنِينَ • فَقَالَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ
وَرَسُولِهِ وَالثَّانِي قَوْلُ مُقَاتِلٍ • وَالسُّدِّيِّ • اهْدِنَا أَيْ أَرْشِدْنَا
وَهُوَ طَلَبُ إِعْطَاءِ الرُّشْدِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ
كَيْلَا يَزُوغَ عَنْهُ لَحْظَةً فِعْلًا وَلَا قَوْلًا وَلَا نِيَّةً وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مَعْنَاهُ أَرْشِدْنَا إِلَى الطَّاعَاتِ • وَالثَّالِثُ قَوْلُ
بَعْضِ الْمُفَسِّرِينَ إِنَّهُ طَلَبُ الزِّيَادَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي قَوْلِهِ وَالَّذِينَ
اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى • وَهُوَ الْيَقِينُ وَالنُّورُ أَيْ زِدْنَا الْيَقِينَ الصَّائِبَ
وَالنُّورَ الثَّاقِبَ • حَتَّى نَزْدَادَ كُلَّ يَوْمٍ اسْتِضَاءَةً وَعَلَى الدِّينِ
الْحَقِّ ثَبَاتًا وَقَرَارًا • وَالرَّابِعُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ مَعْنَاهُ وَفِّقْنَا قَالَ
تَعَالَى وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أَيْ لَا يُوَفِّقُهُمْ • وَقَالَ وَالَّذِينَ
جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا • أَيْ لَنُوَفِّقَنَّهُمْ لِسُلُوكِ سُبُلِنَا •
وَقَالَ الشَّاعِرُ فَلَا تَعْجَلَنِّي هَدَاكَ الْمَلِيكُ • فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالَا •
وَالْخَامِسُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ لَا تُوَفِّقْنَا مَعْنَاهُ قَدِّمْنَا فِي طَرِيقِ الْجَنَّةِ •
قَالَ تَعَالَى فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ • أَيْ قَدِّمُوهُمْ • وَهُوَ مِنْ
قَوْلِهِمْ أَقْبَلَتْ هَوَادِي الْخَيْلِ • أَيْ مُتَقَدِّمَاتُهَا • وَهُوَ أَدَّى الْجَبَالِ

وجوهها

وُجُوهُهَا وَأَعْنَاقُهَا وَهَادِيَةُ الْإِبِلِ الْعَنْزُ الْمُتَقَدِّمَةُ عَلَيْهَا وَأَصْلُ
الْكَلِمَةِ الْإِمَالَةُ وَأَغْلَبُ اسْتِعْمَالِهَا فِي الْإِرْشَادِ وَالدَّلَالَةِ يُقَالُ هَدَاهُ
هِدَايَةً لِكَذَا وَإِلَى كَذَا وَتُلُوُّهَا فِي الْقُرْآنِ اهْدِنَا الصِّرَاطَ يَهْدِي اللهُ
لِنُورِهِ • وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • وَالدَّلَالَةُ إِمَالَةٌ
وَهَدْيُ الْعَرُوسِ إِلَى زَوْجِهَا • وَهُوَ زِفَافُهَا كَذَلِكَ وَإِهْدَاءُ الْهَدِيَّةِ
إِلَى الصَّدِيقِ • كَذَلِكَ وَإِهْدَاءُ الْهَدْيِ إِلَى الْحَرَمِ كَذَلِكَ وَتَهَادِي الْقَوْمِ
فِي الْمَشْيِ إِذَا تَمَايَلُوا وَخَرَجَ فُلَانٌ يُهَادَى بَيْنَ اثْنَيْنِ مِنْ ذَلِكَ وَالْهَادِي
الْعُنُقُ وَالْعَصَا وَالسَّابِقُ مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا • وَالْهُدَى الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ
وَإِنْ ذُكِرَتْ وُجُوهُهُ • زَائِدَةً عَلَى الْعَشَرَةِ فَحَاصِلُهُ شَيْئَانِ أَحَدُهُمَا
الْبَيَانُ كَمَا فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَعَلَا وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ • وَالثَّانِي خَلْقُ فِعْلِ
الِاهْتِدَاءِ فِي الْعَبْدِ كَمَا فِي قَوْلِهِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَقَدْ يَجِيءُ ثَالِثٌ وَهُوَ
الْإِثْبَاتُ عَلَى الِاهْتِدَاءِ • وَهُوَ عَيْنُ الثَّانِي لِأَنَّهُ تَجَدُّدُهُ فِيهِ فَعَلَى هَذَا
قَوْلُهُ اهْدِنَا • لَيْسَ هُوَ سُؤَالَ الْبَيَانِ فَإِنَّهُ سَابِقٌ • وَلَا ابْتِدَاءَ الْإِيجَادِ
فَإِنَّهُ قَدْ أَعْطَاهُ لَكِنَّهُ سُؤَالُ التَّثْبِيتِ • وَهُوَ تَجْدِيدُهُ فِيهِ سَاعَةً
بَعْدَ سَاعَةٍ • فَأَمَّا وُجُوهُهُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْقُرْآنِ فَقَدْ ذُكِرَ لِلْبَيَانِ
وَذُكِرَ لِخَلْقِ فِعْلِ الِاهْتِدَاءِ • وَقَدْ تَلَوْنَا الْآيَتَيْنِ وَلِلتَّثْبِيتِ اهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ • وَلِلدَّعْوَةِ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ وَلِلدَّلَالَةِ عَسَى
رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ وَلِلْإِصْلَاحِ • وَاللهُ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ
وَلِلْإِلْهَامِ • وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى أَيْ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ثُمَّ أَلْهَمَهُمَا
كَيْفَ يَأْتِيهَا وَتَأْتِيهِ • وَلِلدِّينِ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى • وَلِلْيَقِينِ
وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَلِلتَّوْحِيدِ أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى وَلِلرُّسُلِ
وَالْكُتُبِ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى وَلِلْأَنْبِيَاءِ خَاصَّةً يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا
مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى وَلِلْقُرْآنِ خَاصَّةً • وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى

وكلنا

صلى الله عليه وسلم

وللتوراة خاصة. ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى وذكرى
الاهتداء الى وجوه المعرفة طرق الاشياء وبالنجم هم يهتدون وللاسترجاع
وأولئك هم المهتدون. وللاستنان بسنن الماضين. وانا على آثارهم
مقتدون. وللسلوك مذهب السنة والجماعة. واني لغفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى. ولبعض اهل التحقيق. في قوله اهدنا
كلمات مليحة وهو الامام القشيري. قال اهدنا اي مل بنا اليك واجعل
اقبالنا عليك كن علينا دليلنا ويسر اليك سبيلنا اقطع اسرارنا
عن شهود الاغيار. ولوح في قلوبنا طوالع الانوار وافرد قصودنا
اليك عن دنس الآثار ورقنا عن منازل الاستدلال الى ساحات
القرب والوصال وحل بيننا وبين مساكنة الامثال والاشكال
بما نكاشفنا به من شهود الحال والجلال ازل عنا ظلمات احوالنا
لنستضيء بانوار قدسك وارفع عنا ظل جهدنا لنستبصر بنجوم جودك
احفظنا عن النزغات والوساوس والخطرات والهواجس كيلا تشهدنا
آفة. من تشبيه او هوادة بشري او طبع او عادة او كسل او ضعف ارادة
او طمع مال. واستزادة وقال الامام ابو منصور رحمه الله قالت
المعتزلة المراد من هذه الآية هاهنا البيان فانهم لا يرون
من الله عز وجل خلق فعل الاهتداء. فلو كان كما قالوا فهم والمغضوب
عليهم والضالون في ذلك سواء لانه قد بين لكل ثم في هذه
الكلمة فوائد منها ان الله تعالى امر عباده بهذا السؤال
لانه اهم حوائجهم وهو الذي سأله الانبياء والاولياء قال يوسف صلوات
الله عليه توفني مسلما. وقال سحرة فرعون لما كشف لهم آيات الله وتوفنا
مسلمين. وقالت الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين. وتوفنا مع الابرار
وما ينبغي ان تعتمد على ظاهر الحال فتغتر في المآل وعبر بابليس وبرصيصا

وبلعم

وبلعم وثعلبة. ومنها انه علم كيفية الدعاء وهي البداية بالثناء. وقد قال
عليه السلام من بدأ بالدعاء قبل الثناء فمن الاستجابة له. ومنها انه امر بهذا
الدعاء ولو لم يرد الاجابة لما امر به. وقد حقق ذلك. فيما رويناه هذا لعبدي
ولعبدي ما سأل. وهذا اثبات المباسطة. وهو حقيقة المحبة. وما روي
ان المصلي يناجي ربه فقد قيل. وهو في هذا وفي اثبات هذه المناجات اثبات
المحبة والقربة. والخصوصية. فلا مناجاة الا بين اهل المحبة ولا تبعد بل القربة
ولا عند ظهور الخصوصية. ومنها ان قوله تعالى اهدنا على الجمع يكون
لنفسه ولعامة المسلمين وهو اثبات محل الشفاعة له. ويقول ربنا آتنا
في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة يشفع لهم في سؤال مصالح الدنيا والآخرة
وفي القيام بقوله اهدنا وكثر اسواك لنفسه. ولهم الثبات على الايمان
والمعرفة وانه اعظم الشفاعة ولما ثبتت الشفاعة لكل مؤمن في
حق كل اهل الايمان فما ظنك بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في حق
اهل العصيان. قوله تعالى الصراط. فقد قرأ نافع. واهل العراق والعامة
بالصاد. وقرأ ابن عباس بالسين. وبه قرأ ابن كثير. وقرأ حمزة باشمام
الزاي قليلا فالصاد لغة بني قيس. والزاي لغة بني عذرة. والصراط
هو السبيل. وقيل هو الطريق السوي وقيل هو الطريق الواضح.
وقيل هو لغة الروم وقال ابو عبيدة ليس في القرآن غير العربية
وقيل لما تكلمت العرب به صارت عربية ايضا. وقيل هو من الاستراط
وهو الابتلاع سمي به لانه يبتلع سالكيه. وقيل ان المسترط ممر
الطعام والطريق ممر الانام وصارت السين صادا لمطابقة الطاء
وكذا الضعيف يقوى باتصاله بالاقوياء. واختلف في المراد به هاهنا
قال ابن عباس وجابر وابن الحنفية والضحاك ومقاتل وابن جريج
هو الاسلام. قال تعالى خبرا عن ابليس لاقعدن لهم صراطك

ويقول في آخر الصلوة اغفر للمؤمنين والمؤمنات فيشفع لهم في طريق المغفرة

المستقيم اي لا اضلنّهم عن دينك. وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك
لتدعوهم الى صراط مستقيم. وقال علي بن مسعود هو كتاب الله تعالى
قال تعالى فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم. وقال الحسن
البصري رحمه الله وابو العالية الرياحي هو طريق النبي صلى الله عليه
وسلم وصاحبيه ابي بكر وعمر رضي الله عنهما. قال تعالى في حق النبي
صلى الله عليه وسلم ويهديك صراطا مستقيما. وقال في حق اصحابه
لقد رضي الله عن المؤمنين الى قوله ويهديكم صراطا مستقيما. وعن
بكر بن عبد الله المزني قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام
فسألته عن الصراط المستقيم فقال سنتي وسنة الخلفاء الراشدين
من بعدي. وقال ابو سليمان الداراني هو طريق العبودية التي ذكرها
قبله اياك نعبد قال الله تعالى فاعبدوني هذا صراط مستقيم. وقال
السدي هو طريق الجنة فالطريق طريقان طريق الجحيم قال فاهدوهم
الى صراط الجحيم وطريق الجنة قال اهدنا الصراط المستقيم. ثم انما
سمي الدين صراطا لان من كان له مقصود او مقصد فانما يصل اليه
بعد قطع الطريق وسلوك سواء السبيل. والله تعالى متعال عن الامكنة
لكن العبد الطالب صاحب المكان فلا بد له من قطع المسافات
ومس الآفات وتحمل المخافات ليكرم بالوصول والموافقات. وقيل
لبعض الكبراء ما الطريق الى الله تعالى فقال خطوتين وقد وصلت
خطوة اولى تنبذ الدنيا وراء ظهرك وخطوة ثانية تنبذ العقبى وراء
ظهرك وقد وصلت. قوله تعالى المستقيم اي المستوي. يقال اقامه
فاستقام كما يقال اوسعه فاتسع وازجاه فاسترجى واللازم
يجي من ثلاثة ابواب من الانفعال كالانقطاع ومن الافتعال كالاختلاط
ومن الاستفعال كالاسترسال. ثم وصف الطريق به له معنيان

احدهما

احدهما انه مستو بنفسه غير معوج. والثاني ان سالكه مستقيم فيه
كقوله تعالى والنهار مبصرا اي يبصر فيه وكقوله نهر جار اي الماء جار
فيه ونظيره في القرآن فاذا عزم الامر اي عزموا فيه. وقوله
فما ربحت تجارتهم اي ما ربحوا فيها. وقوله قالوا تلك اذا كرة خاسرة
وقال بعض اهل التفسير هو المستوي الذي لا يميل بسالكه الى
خطاء. وقال بعضهم هو الذي يفضي بسالكه الى الجنة. وقال
الامام ابو منصور رحمه الله هو القائم اي الثابت بالبراهين الذي
لا يزيله شيء ولا ينقض حجته كيد. وقال الامام القشيري رحمه الله هو ما عليه
من الكتاب والسنة دليل وليس للبدعة اليه سبيل. وقال ايضا
هو ما درج عليه سلف الامة ونطق بصوابه دلائل العبرة. وقال
ايضا هو ما شهد بصحته دلائل التوحيد ونبه عليه شواهد التحقيق.
قال نجم الدين رضي الله عنه. وانا اقول هو ما ليس عليه ظلام النكرة
ولا غبار البدعة. هو ما لا يضل سالكه ولا يهتدي تاركه. هو ما لا
يخاف فيه قطع الطريق بتمرد سالكه بيد رتبة العصمة والتوفيق. هو
ما يسلك الى المقصد والمقصود ووصول قصاده والله تعالى بمرصاده
قوله تعالى صراط الذين هو بدل عن قوله اهدنا الصراط وهو
كالتنبيه والبدل يتبع المبدل في اعرابه لانه هو وهو كقوله
وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله فاتبع الخفض الخفض وههنا
اتبع النصب النصب وهذا كقوله لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة. وقوله
تعالى لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف. هذا كله عند
الخليل يسمى البدل. وعند الاخفش يسمى عطف البيان وعند الكسائي
يسمى الاتباع. وعند الفراء يسمى المترجم. وقوله الذين هو جمع الذي
وهو اسم موصول لا يتم الا بصلته. ولا يذكر بدونها وتأنيثه

الّتي وتثنية الذي اللذان وتثنية التي اللتان وجمع الذي الذين وجمع
التي اللاتي واللواتي واللائي وقوله تعالى انعمت عليهم اى مننت عليهم
والاسم منه النعمة بالكسر وبالفتح التنعم وبالضم المسرة واختلف
في هؤلاء المنعم عليهم من هم وفي هذا الانعام الذي عليهم ما هو
قال مجاهد وابو روق هم النبيون ودليله قوله في سورة مريم
بعد ذكر الانبياء اولئك الذين انعم الله عليهم وقال ابن كيسان
هم الانبياء والصديقون وقال الحسن وعبد الرحمن بن زيد
هم الانبياء واتباعهم وقال مقاتل هم الانبياء والصديقون والشهدا
والصالحون وقال السدي هم الانبياء والمؤمنون وهذه الاقاويل
الاربعة متقاربة ودليلها كلها قوله فاولئك مع الذين انعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقال
ابن عباس رضي الله عنهما هم اصحاب موسى صلوات الله عليهم قبل ان
تبدلوا ان يغيروا نعمة الله عليهم ودليل ذلك قوله يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم وقال الضحاك وابن جريج ووكيع هم المؤمنون
ودليله قوله واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم
فاصبحتم بنعمته اخوانا وقال سعيد بن المسيب هم جميع من انعم
الله عليهم بالسنة وذلك دليله قوله تعالى اولئك هم الراشدون
فضلا من الله ونعمة وقال محمد بن علي هم الذين انعم الله عليهم
بشكر ما انعم عليهم وذلك لان النعمة انما تبقى لمن شكر لا لمن كفر
فاذا الشكر فكانها لم تكن وقال علي بن الحسين بن واقد هم الذين
انعم الله عليهم بالشكر على السراء والصبر على الضراء لان الشكر
لا يتم الا بالصبر وقال الحسن هم الصحابة الاربع ودليله فاولئك
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الاية وهي نزلت فيهم وقال

الامام

بالهداية والطاعة وقال سهل بن عبد الله التستري هم الذين انعم الله عليهم

الامام القشيري رحمه الله هم الذين انعم الله عليهم بالهداية الى
الصراط المستقيم لانها هي المذكورة قبله وهم الانبياء والاصفياء
وقال الحسين بن الفضل هم الذين اتم الله عليهم النعمة بختمهم
على الاسلام لانه هو النعمة الحقيقية هذه اقاويل المفسرين وفيه
اقاويل للمحققين قال جعفر بن محمد الصادق الذين انعمت عليهم بالعلم
بك والفهم عنك وقال محمد بن علي الترمذي الذين زينت جوارحهم
بالهيبة عند الخدمة وقال ابو العباس بن عطا هم طبقات فالعارفون
انعم عليهم بالعلم بك والفهم عنك بالمعرفة والاولياء انعم عليهم
بالصدق والرضا واليقين والقنوع والابرار انعم عليهم بالحلم
والرافة والمريدون انعم عليهم بحلاوة الطاعة والمؤمنون انعم
عليهم بالاستقامة وقال ابو عثمان الحيري الذين انعمت عليهم
بان عرفتهم مهالك الصراط ومكايد الشيطان وخيانة النفس
وقال محمد بن الفضل الذين انعمت عليهم بالاعانة على الاستعانة
في طريق مناجاتك وقال بعض البغداديين صراط من اغنيته
عن النظر الى النعمة بدوام التنعم بقربك وموانستك وقيل
صراط الذين انعمت عليهم بالنظر الى جريان ما جرى عليهم في الازل
فلم يشغلهم كشف ذلك عن الشغل بك وقيل انعمت عليهم بالايمان
والهداية والتوفيق والرعاية والمراقبة والكلاية وقيل انعمت
عليهم بفناء حظوظهم وبقائهم معك بحسن الادب وقيل انعمت عليهم
بمشاهدة المنعم دون النعمة وقيل انعمت عليهم بان الدخلاء
الاكوان عن سرائرهم وطهرت ارواحهم بنور قدسك تشاهدوك
بهمهم ولم يشاهدوا معك سواك وقيل انعمت عليهم بعبادتك
على المشاهدة حتى عبدوك كانهم يرونك وقيل اي انعمت عليهم

بأن أذنت لهم في سؤالك ودعائك وقيل أي أنعمت عليهم بالوصول
فلم يقفوا في الطريق وقيل أي أنعمت عليهم بالقيام بحقوقك دون
التعريج على استجلاب حظوظهم وهو قول القشيري وقال أيضا صراط
من طهرتهم عن آثارهم حتى وصلوا إليك بك وقال أيضا أي حفظت
عليهم آداب الشريعة عند غلبات واردات الحقيقة حتى لم يخرجوا
عن حد العلم ولم يخلوا بشيء من أحكام الشرع وقيل أي أهلتهم لإنعامك
وأهلتهم لإكرامك وقيل أي أنعمت عليهم في البداية بالعناية
وفي الحال بالهداية وفي النهاية بالحماية قال الله تعالى إن الذين
سبقت لهم منا الحسنى وهذا في البداية وقال تعالى أن هداكم
للإيمان وهذا في الحال وقال تعالى يثبت الله الذين آمنوا وهذا
في النهاية وقال الإمام أبو منصور رحمه الله وعلى قول المعتزلة
ليس لله تعالى على أحد من المؤمنين نعمة ليست على المغضوب عليهم
ولا الضالين إذ لا نعمة من الله تعالى على أحد إلا الأصلح في الدين والبيان
للسبيل المرضي وتلك قد كانت على جميع الكفرة فيبطل على قولهم
التخصيص وبالله العصمة وقوله تعالى غير المغضوب عليهم كلمة غير تجيء على ثلاثة
أوجه بمعنى المغايرة [illegible] وقال تعالى لتفتري علينا غيره
وبمعنى لا [illegible] قال تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد أي
لا باغيا ولا عاديا وبمعنى إلا [illegible] قال تعالى فما وجدنا
فيها غير بيت من المسلمين ويجوز صرفها هاهنا إلى هذه الوجوه فإن حملت
على الأول فمعناها تثبيتنا على طريق الذين أنعمت عليهم المغايرين
للمغضوب عليهم وإن حملت على الثاني فمعناها على طريق المنعم عليهم
لا المغضوب عليهم وإن حملت على الثالث فمعناها إلا المغضوب عليهم وهذا
على قراءة النصب وقد روى الخليل بن أحمد عن ابن كثير أنه قرأ بالنصب
وللنصب وجوه أحدها الاستثناء وللاستثناء وجهان أحدهما حقيقة الاستثناء

على تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لقوله أنعمت عليهم أنهم بنو إسرائيل لقوله
تعالى يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ويكون هذا سؤال
التثبيت على طريق أهل الكتاب الذين آمنوا بكل الأنبياء وبكل الكتب واستثناء
اليهود والنصارى منهم الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض والثاني أن يكون
استثناء منقطعا بمعنى لكن أي نسألك طريق الأولياء لا طريق الأعداء والوجه
الآخر للنصب أنه على الحال وقال الكسائي هو على القطع وقيل هو على
المدح وتقديره لا مغضوبا عليهم وقراءة الخفض وهي قراءة العامة لما أنه
نعت الذين أنعمت عليهم وذلك مخفوض بالإضافة ويجوز في اللغة الرفع على
الاستئناف بمعنى وهم غير المغضوب عليهم ولم يقرأ به أحد فلا يقرأ به
فأما المغضوب عليهم فالغضب هو نقيض الرضا وقيل هو إرادة الانتقام
وقيل هو تحقيق الوعيد وقيل هو الأخذ الأليم والبطش الشديد
وقيل هو هتك الأستار والتعذيب بالنار ثم الغضب فعل لا يتعدى إلا
بصلة وهي على ويجيء منه المفعول به موصولا بهذه الصلة ثم التثنية
والجمع والتأنيث تدخل الصلة لا الموصول لأن هذه الزيادات تدخل
بعد التمام وتمامه بصلته فيقال رجل مغضوب عليه وامرأة مغضوب
عليها وبخلاف قائمتان مغضوب عليهما ورجال مغضوب عليهم ونساء
مغضوب عليهن وفي عليهم سبع قراءات بكسر الهاء وتسكين الميم وهي قراءة
المدينة والبصرة والكوفة والشام وبضم الهاء وتسكين الميم وهي قراءة
الأعمش وبكسر الهاء وضم الميم مع الواو وهي قراءة ابن كثير وبضم الهاء والميم
مع الواو وهي قراءة عيسى بن عمر وبكسر الميم مع الياء قراءة الحسن وباختلاس
ضمة الهاء وإسكان الميم رواية عبد الوهاب عن أبي عمرو والحسن وبكسر
الهاء والميم بغير ياء قراءة عمرو بن فائد فأما المراد بهم في هذه الآية فقد روى
عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم هم

اليهود والضالون هم النصارى وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما
واستشهد بقوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله
وغضب عليه وذلك انهم كانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا
اي يستنصرون على كفار العرب بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا
به وانه كان يرجون ان يكون محمد من ولد اسحاق وهو ابوهم فلما بعث
محمد صلى الله عليه وسلم وهو من ولد اسمعيل كفروا به حسدا او بغيا
فباءوا بغضب على غضب اي انقلبوا بسخط على سخط ولعنة على لعنة الاولى
بكفرهم بعيسى والثاني بكفرهم بمحمد عليه السلام وكذا اسنده الضحاك ومقاتل
والسدي وعطاء وابن جريج وابن كيسان وفيه كلام كثير نذكره بعد ذكر
الضالين وقوله تعالى ولا الضالين قيل لا صلة نحو لئلا ومعناه غير المغضوب
عليهم والضالين لكن زيدت لا لئلا يظن انه معطوف على الذين انعمت
عليهم وقيل هو بمعنى غير الذي تقدم كانه قال غير المغضوب عليهم
وغير الضالين وانما جاز ان يعطف بلا على غير لانهما جميعا للنفي فتناسبا
يقال هذا غير عاقل وغير عالم وهذا غير عاقل ولا عالم وهذا
لا عاقل ولا عالم وقيل كلمة لا لفائدة زائدة فان قولك ما جاءني
زيد وعمرو وينفي مجيئهما جميعا وذلك كقوله تعالى وقولك ما جاءني
زيد ولا عمرو وينفي مجيئهما جميعا وتفرقة وهذا ابلغ في النفي وكذا في سؤال
التثبيت على طريق المنعم عليهم والعصمة عن طريق الضالين والمغضوب عليهم
فاما قوله الضالين فالضلال نقيض الرشد وهو في القرآن لمعان للغي
والكفر قال تعالى خبرا عن ابليس لعائن الله عليه ولأضلنهم وللزلل
قال تعالى لهمت طائفة منهم ان يضلوك وللخسار قال تعالى وما
كيد الكافرين الا في ضلال وللخطأ قال تعالى خبرا عن اخوة يوسف صلوات
الله عليهم ان ابانا لفي ضلال مبين وللبطلان قال تعالى الذين كفروا وصدوا عن

سبيل الله

نحو كفر والزلل والخسار والخطاء والبطلان والنسيان

عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا وقال في حق اليهود واهل الاسلام بشر من
ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الى ان قال اولئك شر مكانا
واضل عن سواء السبيل وقال في حق النصارى ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا
من قبل واضلوا كثيرا الى ان قال بئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم
وانما خص اليهود بالغضب في هذه الاية والنصارى بالضلال لان وعيد
الغضب فوق الوصف بالضلال لان الغضب هو ارادة الانتقام لا محالة
فحق ذلك لغاية فحش كفرهم وبلوغهم الغاية في التمرد والمعاندة فقد
قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وقالوا يد الله مغلولة غلت ايديهم
بخيل وقالوا ان الله خلق السموات والارض في ستة ايام فلغب فاستراح
يوم السبت وكانوا يعادون جبريل وكانوا يقتلون النبيين بغير الحق
وقصدوا قتل عيسى صلوات الله عليه وقالوا قد قتلناه وقالوا على مريم
بهتانا عظيما وحرفوا التوراة وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فاستحقوا بذلك كله الغضب واما الضلال فهو
الميل عن الطريق المستقيم والنصارى قد عدلوا عنه بعد غاية التبيين فقد
دعاهم موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام بالتوراة والانجيل والقرآن فهم
في غاية الضلال بعد وضوح البيان على الكمال ولا شبهة في غاية الغي والتمادي
في الردى بقولهم ان الله ثالث ثلاثة وان الله هو المسيح بن مريم وذلك
لانهم رأوا يد عيسى يصح المرضى ويحيي الموتى وكذا وكذا وذلك شيء اعطاه
الله عز وعلا معجزة له والله تعالى هو الموجد والمظهر لذلك تعالى من عند
عيسى بنفسه واتخذوه الها واشركوا به معانا انه يأكل ويشرب ويجيء ويذهب
ويستريح ويتعب ولم يكن لهم من الفطنة ما يعلمون ان المضطر المغلوب
المقهور المربوب لا يكون الها فيرجعوا الى ما رجع اليه ابراهيم حيث قال
لا احب الآفلين الى ان قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين

لأن المغضوب عليه لا ينال الرضى أبداً فكذا اليهود لا يسلمون أبداً
فأما الضال فقد يهتدي وقد روي أن عيسى صلوات الله عليه حين
ينزل من السماء في آخر الزمان يدعوا النصارى إلى الإيمان بمحمد فيؤمنون
وبعد الضلال يهتدون وقال بعض المحققين المغضوب عليهم هم المعاندون
من أهل الكتاب والضالون هم المقلدون منهم قال تعالى في
حق المعاندين منهم الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وقال تعالى
يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل وقال وجحدوا بها واستيقنتها
أنفسهم وقال موسى لفرعون لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب
السموات والأرض وقال في حق المقلدين منهم ومنهم أميون لا
يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون وقال قالوا إنا وجدنا
آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون وقال فقال الضعفاء للذين استكبروا
إنا كنا لكم تبعاً ثم الغضب للمعاندين قال تعالى والذين يحاجون في
الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب
والضلال صفة المقلدين قال وقالوا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا
السبيلا ثم في مجموع الكلمتين كلام كثير للسلف قال سهل بن عبد الله التستري
غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة وقيل المغضوب
عليهم المحاربون والضالون المرتابون وقيل المغضوب عليهم المشركون
والضالون المنافقون وقيل المغضوب عليهم أئمة الكفر والضالون أتباعهم
وقيل المغضوب عليهم الكافرون والضالون المبتدعون وقيل المغضوب
عليهم الموقعون في مهاوي الردى والضالون الجائرون عن طريق الهدى
باتباع الهوى وعلى لسان أهل المعرفة غير المغضوب عليهم برؤية الأفعال
ولا الضالين بطلب الأعواض على الأعمال وقيل غير المغضوب عليهم
بترك

حسن الأدب في أوقات القيام بخدمتك ولا الضالين عن
مراعات السنن في أركان العبادات وقيل بترك حسن الأدب في
أوقات بخدمتك ولا الضالين عن مراعات السنن وقيل غير المغضوب
عليهم بأن وكلتهم إلى أنفسهم ولا الضالين بترك اعتصامهم بك وتمسكهم
وقيل غير المغضوب عليهم أي الذين صدمتهم هواجم الخذلان وأدركتهم
مصائب الحرمان وكستهم سطوة الرد وغلبتهم صدمة الصد وقيل غير
المغضوب عليهم بنسيان التوفيق والعصمة ولا الضالين عن شهود سوابق
الاختيار والقسمة وقيل غير المغضوب عليهم لتضييعهم آداب الخدمة
وتضجيعهم في أداء شروط الطاعة وقيل هم الذين يقطعون في مفاوز
الحرمان وتبددت بهم الهموم في أودية وجوه الحسبان وقيل قوله
اهدنا أي ثبتنا على طريق الذين أنعمت عليهم بتوفيقهم لحمدك ورؤيتهم
استحقاق الحمد لك دون غيرك لا على طريق المغضوب عليهم الذين
استحار واحمد غيرك ولا الضالين الذين إذا حمدوك شاهدوا
مثلهم في حمدك وغفلوا عن رؤية منتك في توفيقهم لحمدك وقيل
أي ثبتنا على طريق الذين أنعمت عليهم فقلت تحبهم ويحبونه واعصمنا
عن طريق المغضوب عليهم والضالين الذين قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه
فاجعلنا من أحبابك الذين صح لهم المعنى ولا تجعلنا من أعدائك
الذين قطعتهم عنك كاذب الدعوى وقيل أي ثبتنا على طريق الذين
أنعمت عليهم فرضيت عنهم إذا رضوا عنك بما كان عليهم منك ولا
تجعلنا ممن غضبت عليهم إذا سخطوا عنك بما أصابهم من مكروه
سبق به القضاء منك ولا من الذين ضلوا عن الطريق بأن قصدوا في
سلوك الطريق عين الطريق وإنما أمروا بسلوك الطريق للوصول
إلى من أمرهم بسلوك هذا الطريق فإذا نازلوا الطريق هناك انقطعوا

عن الوصول وحجبوا عن الدخول وليس كل من وصل دخل ولا كل من
دخل قرب ولا كل من قرب خص ولا كل من خص نجى وكم من مقرب
بعد وكم مختص طرد ثم ذكر هاهنا الهدى والصراط واضاف الهدى
إلى نفسه في قوله جل جلاله قل إن هدى الله هو الهدى واضافه
إلى العباد في قوله تعالى على هداهم واضاف الصراط إلى نفسه
في قوله وان هذا صراطي مستقيما وقوله صراط الله واضافه
إلى العباد في قوله صراط الذين انعمت عليهم وكذا اضاف
في الدين أفغير دين الله ثم قال اليوم اكملت لكم دينكم وذلك
لوجوه احدها ان ذلك كله لله شرعا ولنا نفعا هو الذي شرع
ذلك وجعل لنا نفع ذلك ولا نفع له [illegible] واختيارا ولنا
سلوكا واثبا[illegible] ولانه ايضا اضافها إلى نفسه قطعا لعجب العبد
ثم اضافها إلى العبد تسكينا لقلب العبد ولانه اضافها إلى العبد
تشريفا له وتقريبا ثم اضافها إلى نفسه قطعا لطمع ابليس عنه
وتخييبا وهذا كما قيل لما نزل قوله تعالى ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين قال الشيطان اللعين إن لم اقدر على سلب عز الله
وعز رسوله اسلب عز المؤمنين فقال الله جل جلاله فلله
العزة جميعا فقطع طمعه عن ذلك وقول القارئ آمين
بعد تمام السورة فيه لغات أمين بالقصر قال الشاعر
تباعد مني فطحل إذ دعوته أمين فزاد الله ما بيننا بعدا وآمين
بمد الالف قال الشاعر يا رب لا تسلبني حبها ابدا ويرحم
الله عبدا قال آمينا وآمين بالمد [illegible] لغة وهي قراءة [illegible]
ولو قيل آمين بالتشديد فهو خطا في هذا الموضع وذكر شمس
الائمة ابو محمد عبد العزيز بن احمد الحلواني رحمه الله وجها
لهذا

فقرب و

يبغونه

لهذا التصحيحا بكلام العامة وصيانة لصلاتهم عن الفساد ان معناه
ندعوك قاصدين إجابتك فان تفسير الآمين بالتشديد هم
القاصدون قال تعالى ولا آمين البيت الحرام وعن جعفر
بن محمد الصادق انه فسره بما يدل على انه كان يشدده فانه
قال اي قاصدين نحوك وانت اكرم من ان تخيب قاصدك
وكذلك قال الحسين بن الفضل البجلي معناه قصدناك بهذا الدعاء
فاجبه لنا وفي اعرابه وجوه اصحها الفتحة وهي القراءة الظاهرة
ووجهه انه من الادوات وهي مبنية واصلها السكون
وعند التقاء الساكنين يضطر إلى التحريك فيفتح لان الفتحة أخف
الحركات كما في سوف وكيف واين وقد يسكن للوقف وقد
يكسر أيضا لان الساكن إذا حرك كسر وقد قال الشاعر
[illegible] نعيت لنا فان تصبك من الايام جائحة لم نبك منك على
دنيا ولا دين ولا نقول اذا يوما الا بآمين رب العرش آمين
وقد ذكر فيه الرفع ايضا على النداء على تاويل من جعله اسما
لله تعالى كانه قال يا آمين بنا تفسيره فيما رواه ابن عباس
رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم رب افعل وقال ابن
عباس رضي الله عنهما معناه كذلك يكون وقيل اصله فاستجب
ومعناه مهيمن وقال مجاهد هو اسم من اسماء الله تعالى ومعناه
انه آمن من الزوال ومامون من جوره ومؤتمن على كل شيء
ومهيمن اي شهيد وقال زيد بن اسلم آمين كنز من كنوز العرش
لا يعلم تاويله إلا الله واما الفتحة على تفسير من جعله اسما لله
تعالى ومن حقه الرفع لانه نداء اولا [illegible] ندبة واصله يا آميناه
وحذفت الهاء تخفيفا فبقيت النون على الفتحة ثم هي عند مجاهد

من السورة وعند غيره لَيست منها و روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما قرا الفاتحة قال له جبريل قل امين وقال عليه
السلام امين خاتم رب العالمين على عباده وسمع رجلا يدعوا
ليلا فقال عليه السلام اختم بامين وابشر وروي بن عمر
رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الداعي والمومن
شريكان يعني به قوله تعالى قال قد اجيبت دعوتكما وقال
عليه السلام اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا امين فان الامام
يقولها والملائكة يقولها فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر له
ما تقدم من ذنبه وفارسية التعوذ والتسمية والفاتحة
على بسط يأتي على اكثر الاقاويل فيها هذا ي اندخسم وبناه مي
خواهم ونر ياد مي خواهم بخداى كه معبود خلق است واند خسواده
خلق است وواله كننده اهل شوق است وقديم وازلى است وعظيم
وعلي است وعقلها حيران است در عظمة او ودلها با ارام است
در مشاهدة او ديدها محجوب است در ديدار او وديو اوارده بود
ورانده ودر حرقت وهلاكت مانده وبى فرمانى در زمان با عدوان
با طغيان واغاز مى كنم بنام خداى بخشنده بخشاينده دهنده امر
زنده رهاننده رساننده خواننده خواهنده بكوييد سپاس وستايش
مر خداى را سزد حق احبار دارى وسپاس مر خداى راجون ابتدا
دارى وجامع مر معانى حمد را اين بود بنا مر خداى را كه همه ثناها است
وشكر وراين همه نعمتها كه بى حد وبى منتها است ورضا بقضاوى
بدو حكم وپادشاهى وراست وستايشها همه وراكه صفات وى سزاى
مدحت وثنا است افريدكار وپروردكار همه جهانيان است ودر
هر چيزى براويت ونبوبيت ووحدانيت برقدرت او نشان است
روزي

وبنگاه داشت ميخواهم واماز ميخواهم ويارى ميخواهم ح

من الشيطان الرجيم ح

بسم الله الرحمن الرحيم ح

الحمد لله ح

روزى دهنده بندكان است بخشاينده بر عاصيان است پادشاه روز
رستخيز است كه در وي حساب وجزا وحكم وقضا وكرامت مر حدان
ونواخت مطيعان وخضوع جباران وقهر قهاران وجحود كافران است
ترا داينم وترا خوانيم وترا خواهيم برثبات وترا باشيم وترا پرستيم ويارى
از ترا خواهيم برثبات بر ايمان وكزاردن فرمان ومخالفت شيطان
وكشيدن باركران وپنهان داشتن اشكارا ونهان بدار ما را براه
ايمان وموافقت فرمان ومتابعت انبيا وياران وهمت نيكوكاران
وتوفيق ده ما را بر طاعت وبيفزاى ما را بر يقين وثبت وبينش
فرشت ما راد دراه جنت ونكاه دار ما را بر طريق سنت ودور
دار ما را از جهودان وترسايان وراندكان كمراهان وناكرويد
كان وهوا داران وخدمت نا ارندكان ومنت نابيندكان ودو
رفتن راه پراه سبنده كنندكان ودر كرد كار بكار سبنده كننده
كان امين اى انكه تراخوف ثنانى ودر فعل توجور وجفانى ودر قول
تو خلف وخطانى ودر علم تو هيچ چيز را خفانى همين ده كه خواستيم
كه جز تو اجابت كننده دعانى ثم من لطف الله جل جلاله ان
اكرمنا بهذه السورة واتم لطفه علينا بمحمد رسوله نبي الرحمة
فقال في اول هذه السورة الحمد لله وقال في حق نبيه محمد
رسول الله ثم قال هاهنا رب العالمين وقال في حق رسوله
بالمؤمنين رؤف رحيم ثم قال هاهنا مالك يوم الدين
وقال في حق رسوله ليظهره على الدين كله ثم قال هاهنا
اياك نعبد واياك نستعين وقال في حق رسوله بل الله فاعبد
وكن من الشاكرين ثم قال هاهنا اهدنا الصراط المستقيم
وقال في حق رسوله عليه السلام وانك لتهدي الى صراط

صلى الله عليه وسلم ح

رحمة للعالمين ح وقال هاهنا الرحمن الرحيم وقال في حق رسوله

مستقيم ثم قال ها هنا صراط الذين أنعمت عليهم وقال في
حق رسوله ويتم نعمته عليك ثم قال ها هنا غير المغضوب
عليهم ولا الضالين وقال في حق رسوله ما ضل صاحبكم
وما غوى ثم يقول قارئ السورة آمين وهو خاتم رب العالمين
والمصطفى محمد خاتم النبيين والحمد لله رب العالمين

سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم رب وفق ومتع [illegible]
بسم الله الذي أنزل الكتاب بلا ريب الرحمن الذي لطف بالمؤمنين
المتقين بالغيب الرحيم الذي منّ على المقصرين بستر العيب وانتظام
هذه السورة بالفاتحة من سبعة أوجه بواحد واثنين وثلاثة
وأربعة وخمسة وستة وسبعة أما الواحدة فالفاتحة أم الكتاب
وافتتاح هذه السورة بذلك الكتاب ولأن الفاتحة أول سورة
أنزلت بمكة والبقرة أول سورة أنزلت بالمدينة وأما
الاثنان فإن الفاتحة ثمان [illegible] وهذه السورة أولها
ثناء وآخرها دعاء فإن الم فيها أقاويل كثيرة منها أنه اسم الله
الأعظم ومنها أن معناه أنا الله اللطيف ومنها أنا الله أعلم
ومنها أن ذلك ثناء على الله وآخر السورة سؤالات الحاجات من الله
جل جلاله وأما الثلاثة فإن أول الفاتحة باب ألوهية الله تعالى
وربوبيته ورحمته وملكه وفيه تعليم توحيد الله ومعرفته
ووسطها إخبار العبد عن عبادته وعبوديته واستعانته
وهو تعريف العبد سلوك طريق شريعته وحقيقته وآخرها
سؤال الثبات على ذلك والعصمة من مخالفته وفيه تلقين
العبد الرجوع إلى الله تعالى في طلب مصالح دنياه وآخرته وجميع
هذه السورة أقسام هذه السورة فإنه ذكر الإيمان في أولها
وأثنائها

وأثنائها وآخرها فقوله يؤمنون بالغيب قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا
الآية والآيات التي فيها وحدانية الله جل جلاله وإلهكم إله واحد
الله لا إله إلا هو الحي القيوم الآية وذكر نفس العبادة في قوله
اعبدوا ربكم ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وتفاصيل
العبادة من الصلاة واستقبال القبلة فيها والخشوع فيها والصوم
والزكاة وسائر الصدقات والنفقات والحج والعمرة والجهاد
والاعتكاف والوصية وإيتاء المال على حبه وتفاصيل العبودية
من التقوى والصبر والشكر واجتناب الخمر والوفاء بالعهد
وترك الحرام والانقياد للأحكام من القصاص والنكاح والطلاق
والمتعة والإنفاق والعدة والرجعة والرضاع والإيلاء والحيض
والولادة والمبايعات والمداينات والرهون والأمانات في
تعاريف الآيات وذكر الأعوان من آدم في أولها ومن إبراهيم
صلوات الله عليهما في وسطها ومن المؤمنين من سؤال الحسنيين
من بعدها ومن المصطفى صلى الله عليه وسلم والأمة في آخرها
وأما الأربعة فإن الفاتحة لما نزلت أول شيء وقرأها النبي
صلى الله عليه وسلم وسمعها الناس ومعناها دعاء إلى التوحيد
وغير ذلك بما قلنا صار السامعون أربعة أصناف صنف كانوا
عبدة الأصنام فآمنوا به ظاهرا وباطنا وصنف كانوا أهل
الكتاب ومؤمنين بالماضين من الرسل فآمنوا به ظاهرا وباطنا
أيضا وصنف كفروا به وكذبوه ظاهرا وباطنا وصنف خافوا
السيف فآمنوا به ظاهرا وكفروا به باطنا فذكرهم الله تعالى
في أول هذه السورة فإن قوله هدى للمتقين الذين يؤمنون
بالغيب الآية في الصنف الأول وقوله والذين يؤمنون بما أنزل إليك

وما انزل من قبلك في الصنف الثاني وقوله والذين يؤمنون بما
تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم الايتين في الصنف الثالث وقوله
ومن الناس من يقول آمنا بالله في الصنف الرابع واما الخمسة من الافعال
المذكورة في الفاتحة خمسة الحمد والعبادة والاستعانة والاهتدا
والضلالة فالحمد على المنعم وفي هذه السورة تعديدها والعبادة
على وجوه وفي هذه السورة تفصيلها والاستعانة على امور وفي
هذه السورة تبيينها وفي الاهتداء آية مثوبات وفي هذه السورة
تقريرها والضلال عليه عقوبات وفي هذه السورة تكريرها
واما الستة المذكورة في اول آيات الفاتحة العالمون على انه اسم
لاهل الحياة منهم دون الجماد لجمعه بالياء والنون وهم ستة
الملائكة والجن والانس والشياطين والدواب كما حكينا عن ابي حذيفة
وهم كلهم مذكورون في هذه السورة فاما الملائكة فقد قال
واذ قال ربك للملائكة واذ قلنا للملائكة من كان عدوا لله وملائكته
اولئك عليهم لعنة الله والملائكة كل آمن بالله وملائكته واما الجن فقد
ذكر ابليس وذكر في آية انه كان من الجن واما الانس فقد
قال يا ايها الناس اعبدوا ربكم وكرر ذلك واما الشياطين
فقد قال ما تتلوا الشياطين واما الدواب فهي ما يدب على وجه
الارض من السباع والبهائم والهوام البقرة والعجل وما استيسر
من الهدي ومن الهوام الحية وهو في قوله وقلنا اهبطوا بعضكم
لبعض عدو وكان فيهم الحية واما الطيور فقد ذكر منها في قوله
فخذ اربعة من الطير واما السبعة فالفاتحة سبع آيات وكلها
مذكورة في سورة البقرة فالحمد في قوله ونحن نسبح بحمدك والله
في آيات ورب العالمين في قوله قال اسلمت لرب العالمين

والرحمن

الايتين صح

على وجوه

وقد ذكر فيها من السباع الخنزير ومن البهائم

وكلمات ابيات تمام

والرحمن الرحيم في قوله لا اله الا هو الرحمن الرحيم ومالك يوم
الدين فيه ذكر يوم القيامة وفي سورة البقرة واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله وهي آخر آية نزلت وهي ابلغ آية في ذكر يوم القيامة
واياك نعبد في قوله اعبدوا ربكم ونحوه واياك نستعين في
قوله واستعينوا بالصبر والصلاة وقوله اهدنا الصراط المستقيم
في قوله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وقوله صراط الذين
انعمت عليهم في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وقد اريد
به الانبياء صلوات الله عليهم وذكر في سورة البقرة من الانبياء آدم
وابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وموسى
وهارون وداود وسليمان وعيسى وجبرئيل واشمويل
وعزيرا وعلى العموم في قوله فباءوا بغضب على غضب والضلال
في قوله وان كنتم من قبله لمن الضالين وقوله تعالى يضل به
كثيرا ثم هم اليهود والنصارى واكثر صدر السورة في ذكرهم الى
ان قال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم
الآية ثم السورة تدعى سورة البقرة ومن الناس من قال
يقال السورة التي تذكر فيها البقرة ويستقبح اضافة السورة
الى البقرة وكذا سورة النحل ونحوها والصحيح انه لا حاجة الى
هذا التكلف فان المراد من هذه الاضافة هو ما قال انها ذكرت
فيها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم سنام القرآن سورة البقرة
وفي ذلك احاديث تثبت اطلاق هذا الاطلاق ثم هذه
السورة مدنية الا آية منها نزلت يوم النحر بمنى في حجة الوداع
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وهي آخر آية نزلت وقد نزلت
بمكة خمس وثمانون سورة اولها سورة الفاتحة وآخرها ويل للمطففين

ونزلت سايرها بالمدينة وهي تسع وعشرون سورة اولها سورة
البقرة واخرها سورة المايدة وحروف سورة البقرة خمس
وعشرون الفا وستماية وثمانية وخمسون وكلماتها ستة الاف
ومائة وست عشرة كلمة واياتها مايتان واربع وثمانون اية عند اهل الشام
وخمس عند اهل مكة والمدينة وست عند اهل الكوفة وسبع
عند اهل البصرة لاختلافهم في مواضع منها انه تمام الاية او
وسطها وفي بعض الاخبار انها لو كملت بكمالها اية لتكلمت وتعاداة ان السورة
اية على اكثر الاحكام لو كملت والاصول العظام وبقيت عدة احكام
ذكرت في غيرها ولو كانت في هذه السورة لصححت بجميع ما بالناس
اليه حاجة من علوم الدين وفي هذه السورة خمسة عشر مثلا
وخمسماية حكم وفيها اطول اية وهي اية المداينة وهي مائة وثلاثون
كلمة وفيها قريب من عشرين حجا وافتتاح هذه السورة بالحروف
المقطعة وتسع وعشرون من سور القران مفتتحة وفي هذه
الحروف التي افتتحت بها هذه السورة قريب من ثلاثين قولا قال
ابو بكر الصديق رضي الله عنه لله تعالى في كل كتاب سر وسر الله
عز وجل في هذه الحروف التي في اوايل السور وقال علي رضي الله عنه
ان لكل كتاب صفوة وصفوة القران التهجي وقال ابن عباس رضي الله
عنهما هي من المكتوم الذي لا يفسر وقال الضحاك عجزت العلماء عن
تفسير الحروف المقطعة وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية
الف الله لام لطيف ميم مجيد وفي رواية معناه انا الله اعلم وفي المص
انا الله اعلم وافصل والر انا الله ارى وعنه في رواية الالف الله
لام جبرايل ميم محمد اي الله انزل جبرايل على محمد بالكتاب وقال ابن مسعود
رضي الله عنه انها اسم الله الاعظم وقال الحسن وسعيد بن جبير
هو

وقال عمر لكل كتاب زينة وزينة القران حروف التهجي

هذه الحروف اذا الّفت صارت من التاليف كانت اسما لله تعالى وان كنا لا نقف
على تاليفها وذلك لان قوله الر وحم ونون روس ثلث سور واذا جمعت
صارت الرحمن وهو اسم عظيم من اسماء الله تعالى وقال قتادة انها اسماء القران
وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم انها اسماء السور وقال مجاهد
انها فواتح يفتتح الله تعالى بها كتابه وقال سعيد بن المسيب انها
في ذكر الكواين والفتن وقال ابو العالية انها في مدة قوم واجال
اخرين وقال الربيع بن انس ما فيها من حرف الا وهو في ذكر الايه
ونعمايه وقال جماعة الالف افتتاح اسمه الله والاحد والاول
والاخر والامين والسلام افتتاح اسمه اللطيف والميم افتتاح اسمه الملك
والمجيد والمنان وقال محمد بن كعب القرظي الالف الا الله واللام لطفه
والميم مجده وقال ابو فاختة هذه الحروف امارات الكتاب منها استفتح
هذا القران وانزلت مقطعة ليعلم انها من الحروف المعجمة التي نزلت على
ادم عليه السلام مقطعة وقال عبد العزيز بن يحيى معنى هذه الحروف
ان الله تعالى ذكرها فقال اسمعوها مقطعة حتى اذا وردت عليكم
مولفة كنتم عرفتموها قبل ذلك ولذلك يعلم الصبيان اولا مقطعة
فكان الله تعالى اسمعهم مقطعة معرفة ليعرفوها اذا وردت عليهم معرفة
ثم اسمعهم مولفة وقال ابو روق ان الكفار لما قالوا لا تسمعوا لهذا
القران والغوا فيه وتواصوا بالاعراض عنه اراد الله تعالى لما احب
من صلاحهم ونفعهم ان يورد عليهم ما لا يعرفونه ليكون ذلك سببا
لاستكانتهم واستماعهم لما يرد عليهم من القران فانزل هذه الحروف
وكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين اسمعوا الى ما يجي به محمد فاذا اصغوا
واستمعوا هجم عليهم بالقران فاوجبت سماعهم فكان ذلك سببا لاسماعهم
وطريقا لانتفاعهم وقال الحسين بن الفضل هي من المتشابه الذي لا يعلمه

إلا الله وقال عكرمة هي اقسام وقال القتبي يجوز ان يكون الله عز وجل
اقسم بالحروف المقطعة كلها واقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها كما يقول
القائل تعلمت ا ب ت ث وهو يريد كل الحروف ويقول قرأت الحمد
وهو يريد كل السورة وعن ابي العالية قال هذه من الثمانية
والعشرين التي دارت عليها الالسن كلها وليس منها حرف الا وهو
مفتاح اسم من اسماء الله تعالى وفي آلائه ونعمائه وفي مدة قوم وآجالهم
وقيل كل حرف مختصر عن كلمة وهو متعارف في اللسان وانشد الزجاج
شعر ان شئت اشرنا كلانا فدعا الله جهرا ربه فاسمعا بالخير
خيرات وان شرا فا ولا اريد الشر الا ان تا اي ان شرا فشرا
ولا اريد الشر الا ان تريدا وانشد قطرب شعر
جارية قد وعدتني ان تا تدهن راسي وتفلي او تا اي تمسح وانشد سيبويه
نادوهم ان الجموا الا تا قالوا جميعا كلهم الا فا اي الا تركبون فقالوا الا
فاركبوا وقال اخر قلت لها قفي فقالت لي قاف لا تحسبي انا نسينا
الايجاف الاسراع في المشي وقال المبرد ان هذه الحروف احتجاج من
الله تعالى على الكفار لان النبي صلى الله عليه وسلم لما قال لهم فاتوا
فاتوا بعشر سور فاتوا بسورة وعجزوا اعلمه الرسول حلالا له
هذه الحروف اي ان القران من هذه الحروف التي هي لغاتكم فليس
عجزكم عن الاتيان بمثله الا لانه كلام الله تعالى لا مثل له وقيل
اذا جعلت هذه الحروف كلمة فهي الم اي الم تر او الم تعلم انه
ذلك الكتاب وقيل كل حرف من هذه الثلاثة على ما يؤدي
نطقا يطلب من ظاهره معناه وضعا الف هو على وزن علم
من الالفة ومعناه الف لمحمد ولام على وزن نام من اللوم ومعناه
لاما للكفار بيننا على مخالفة الانبياء وميم على وزن بيع من اللوم وهو

البرسام

البرسام وهو المحير المفسد من الاسقام ومعناه بهت الكفار
وارغموا بظهور الحق والهدى وقيل الف انا ولام لي وميم مني
فكانه قال انا الله وانا الملك وانا المليك وانا الرزاق وانا وانا
ولي الملك ولي الحكم ولي ولي ومني الاحسان ومني الامتنان ومني

ولي الملك

الغفران ومني ومني وقيل الف معناه افرد نفسك لي باسقاط العلائق
والاعواض ولام معناه لين جوارحك لعبادتي بلا ملالة ولا اغراض
وميم محو رسومك وصفاتك بالانس بي والمشاهدة لي بلا تحكم ولا
اعتراض وقال بعض العراقيين حير عقول الخلق في ابتداء خطابه وهو
محل الفهم ليعلموا انه لا سبيل لاحد الى معرفة حقوق خطابه الا
بالعجز عن معرفة خطابه وقيل هي رموز سارعها الاولياء فالظواهر
للعوام والرموز والاشارات للخواص قال النبي صلى الله عليه وسلم
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا اي من خفايا في سر الحق الي
وقال صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم واختصر لي اختصارا
وقيل هو تنبيه للعبد ان ينتصب قايما للصلاة كالالف ثم ينحني للركوع
كاللام ثم يخضع في السجود كالميم وقيل بدا الله تعالى الكبرى بالالف وجعله
سابقا لما بعده من معاني منها الاستوا ومنها الانتصاب ومنها الانقطاع
عن ساير الحروف ومنها التجرد عن النقط ومنها الاستغنا عن الاملة
وهي مخارج الحروف فاذا اراد العبد ان يصير سابقا فليستو ظاهرا
وباطنا ولينتصب لخدمة الله ولينقطع عن الخلق وليتجرد عن الاغيار
وليستغن عن الاملة ثم انما سكنت هذه الحروف ولم تعرب لانها
حروف هجا وليست باسماء قال ابو النجم اقبلت من عند زياد كالخرف تخط
رجلاي بخط مختلف تكتبان في الطريق لام الف فان جعلتها اسما وعطفت
بعضها على بعض اعربتها وانشد ابو عبيدة اذا اجتمعوا على الف وواو وياء هاج بينهم القتال

ثم للقراء في هذه الحروف عند الوصل إدغام منها اللام في ميم الميم
والمد وتثقيل الميم ويجوز ترك المد وترك الإدغام وترك التثقيل
وعند الوقف تقطيع لذلك ويجوز ذلك والأحسن إخراج كلها في نفس
واحد ومحل ذلك من الإعراب عند بعضهم أن الم ابتداء وذلك
خبره والكتاب صلة خبره وقد ذكر مقدما على الاسم كقولك عالم
هذا الرجل وقيل لا محل لهذه الأحرف الثلاثة من الإعراب على وجه
التعلق بما بعده وذلك مبتدأ والكتاب خبره والم قسم أو افتتاح
أو اسم للسورة أو اسم وهو تام بنفسه وأما نزولها فقد روى أبو صالح عن
ابن عباس رضي الله عنهما أن رهطا من اليهود لعنهم الله منهم كعب
بن الأشرف وحيي بن أخطب وجدي ابنا أخطب وأبو لبابة وكعب بن
أسيد ومالك بن الصيف دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه
عن الم وقالوا ننشدك الله الذي لا إله إلا هو أحق أنها أتتك من
السماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم كذلك نزلت فقال حيي
لئن كنت صادقا إني أعلم أكل هذه الأمة من السنين ثم نظر حيي إلى
أصحابه فقال كيف ندخل في دين رجل إنما منتهى أكل أمته إحدى
وسبعون سنة فقال له عمر رضي الله عنه وما يدريك أنها كذلك
قال أخذتها من حساب الجمل فالألف واحد واللام ثلاثون والميم
أربعون وضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال حيي هل غير هذا قال
نعم قال وما هو قال المص قال حيي هذه أكثر من الأولى هذه
مائة وإحدى وستون سنة وتدلنا في تشبيه الأولى لا إنه قال
لا ريب فيه هدى للمتقين فنحن المتقون الذين آمنا بالغيب قبل أن يكون
فهل غير هذا قال نعم الر كتاب أحكمت آياته قال حيي هذه
أكثر من الأولى والثانية وقد أحكم فيهن وصل فنحن نشهد لئن كنت
صادقا

كقولك زيد ذلك لا شك وقيل ذلك الكتاب ابتداء وقوله الجنس
صح

صادقا فأما ملك أمتك إلا إحدى وسبعون وما نبايعك حتى تأتي الله ولا
نقول إلا الحق فهل غير هذا قال نعم المر إلى قوله ولكن أكثر
الناس لا يؤمنون قال فنحن نشهد أنا من الذين لا يؤمنون ولا ندري
بأي قولك نأخذ فقال أبو ياسر أما أنا فأشهد بما أنزل على
أنبيائنا أنهما أخبرا عن ملك هذه الأمة ولم يوقتوا لكم كم يكون
فإن كان محمد صادقا فيما يقول إني أراه سيجمع له هذا كله فقام
اليهود وقالوا اشتبه علينا أمرك فلا ندري بالقليل نأخذ أم بالكثير
فذلك قوله هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات
هن أم الكتاب وهي الآيات التي في سورة الأنعام قل تعالوا
إلى ثلاث آيات وأما المتشابهات فالف لام ميم والمص والر
فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه حيي بن أخطب
وأكل هذه الأمة وما يعلم ذلك إلا الله والراسخون في العلم
يعني عبد الله بن سلام وثعلبة بن عمرو وأسد بن كعب وأسيد
بن زيد وسلاما وهم مؤمنوا أهل الكتاب يقولون آمنا به أي
قليله وكثيره فقال لهم حيي وكعب إنما تعرفون الباطل
فيما خلط عليكم فقالوا نعرف الحق ثم قالوا ربنا لا تزغ قلوبنا
الآية فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب الأمثال
لليهود ليعقلوا وكان الله تعالى طبع على قلوبهم فلم يفقهوه فذلك
قوله تعالى إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم
لا يؤمنون **وقوله تعالى** ذلك الكتاب فذلك ثلاثة أحرف ذا اسم
واللام عماد والكاف خطاب وهذه الكلمة في القرآن على
ثلاثة أوجه إشارة إلى الغائب قال تعالى وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون وإشارة إلى الحاضر قال تعالى هل في ذلك قسم

اشكلوا

فالم

واسم لكن لا يوصف بالغيبة والحضرة قال تعالى ذلكم الله ربكم
وقد جاء في الشعر ذلك لهذا اي لخفاف بن ندبة اقول له والرمح
يأطر متنه تأمل خفافا انني انا ذلكا اي هذا او في هذه الآية
تمثل تقديرا لكلمة عطف على الوجوه الثلاثة تجوز ان يكون اسما
اسما للقرآن وهو كلام الله جل جلاله وهو قائم بذات الله
عز وعلا لا يوصف بحضرة ولا غيبة ويجوز ان يكون بمعنى
هذا وهو قول مجاهد ومقاتل بن حيان وابن جريج والكسائي
والاخفش وابي عبيدة ويجوز ان يكون بمعنى الاشارة الى
غائب قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه ذلك الكتاب
الذي اخبرتك اي اوحيت اليك وقال عطاء بن السائب ذلك
الكتاب الذي وعدتك يوم الميثاق وقال يمان بن رياب
ذلك الكتاب الذي ذكرته في التوراة والانجيل وقال الفراء
هذا الكتاب ذلك الذي وعدتك وقال ابن كيسان انزل الله
تعالى قبل البقرة بضع عشرة سورة كذب بها المشركون
ثم انزل البقرة فقال ذلك الكتاب بمعنى ما تقدم منها
وقوله الكتاب ثم انزل البقرة فما لك ذلك الكتاب يعني
ما تقدم منها فاصله اي في اللغة الجمع وسميت الكتيبة بها لاجتماعها ويقال
كتبت البغلة اذا جمعت بين شفريها بحلقة قال الشاعر
لا تأمنن فزاريا خلوت به على قلوصك واكتبها باسيار ومنه
الكتبة وهي الخرزة وجمعها الكتب والكتاب بمعنى المكتوب وهي
في القرآن على عشرين وجها بمعنى الفرض قال تعالى كتابا
موقوتا اي فرضا موقتا وبمعنى البرهان قال تعالى فأتوا
بكتابكم اي برهانكم قاله الكلبي وبمعنى الاجل قال تعالى
وما

وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وبمعنى المقدار قال تعالى
لكل اجل كتاب وبمعنى القضاء قال الله جل وعلا كتاب الله عليكم وبمعنى
مكاتبة العبد قال تعالى والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم
وبمعنى الرخصة والاباحة قال تعالى وابتغوا ما كتب الله لكم وبمعنى اللوح
المحفوظ قال تعالى وانه في ام الكتاب وبمعنى التوراة قال تعالى
ولقد آتينا موسى الكتاب وبمعنى الانجيل قال تعالى اني عبد الله آتاني
الكتاب وبمعنى التوراة والانجيل قال يا اهل الكتاب وبمعنى القرآن
قال تعالى كتاب انزلناه اليك مبارك وبمعنى صحيفة اعمال الناس قال
تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا وبمعنى ما كتب اليهود من عند انفسهم
وادعوا انه كتاب الله قال تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم
وبمعنى رسالة سليمان عليه السلام الى بلقيس قال تعالى قالت يا ايها
الملأ اني القي الي كتاب كريم وبمعنى ما كتب في الزبور قال تعالى
ولقد كتبنا في الزبور وبمعنى ما اقترحه الكفار من نبينا عليه
السلام ان ائته من السماء قال تعالى وقالوا لن نؤمن لرقيك حتى
تنزل علينا كتابا نقرؤه وبمعنى وعد الرحمة قال تعالى كتب
ربكم على نفسه الرحمة وبمعنى اثبات الايمان في قلوب المؤمنين
قال تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وبمعنى الارواح قال
تعالى ان كتاب الابرار لفي عليين كلا ان كتاب الفجار لفي سجين
واما المراد بالكتاب هاهنا فقد قال سعيد بن جبير هو اللوح
المحفوظ وقال عكرمة هو التوراة والانجيل وقال ابن عباس
والضحاك وقتادة هو القرآن وعليه الجمهور وهو الاشهر
الاظهر ثم انما سمي القرآن كتابا لمعنى الجمع الذي دل عليه ماخذ
الاسم من وجوه احدها انه جمع الحروف حتى صارت كلمات وجمع

وجمع الكلمات حتى صارت آيات وجمع الآيات حتى صارت سورا وجمع السور
حتى صارت كتابا مشتملا على كرامات والثاني انه نظام لصنوف الحكم
وقوام لانواع الحجج قال النبي صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم والثالث
انه جمع معاني جميع كتب الله المنزلة قال النبي صلى الله عليه وسلم اوتيت
السبع الطول مكان التوراة والمئين مكان الزبور والمثاني مكان
الانجيل وفضلت بالمفصل والرابع انه جمع لاهله خير الدارين قال
تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا والخامس انه جمع بين اهله
وبين النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في الجنة على ما روي
علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انزل القرآن
ومثلا وحلالا وحراما فمن استبشر ببشيرة وانتذر بنذيره وعمل
بناسخه وآمن بمنسوخه واقتصر على محكمه ورد علم متشابهه الى عالمه
واتعظ بعظته واعتبر بمثله واحل حلاله وحرم حرامه فاولئك هم
المؤمنين حقا لهم الدرجات العلى مع النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن اولئك رفيقا وهو وارثي ووارث الانبياء قبلي
ولا يزال في ضمان الله تعالى وكنفه وحبيبه تلى القرآن غشيته
الرحمة ونزلت عليه السكينة وحشر في زمرتي وتحت لوائي
والسادس انه جمع بين الحبيب والحبيب فانه كتاب الحبيب الى الحبيب وخطاب
الحبيب مع الحبيب وبذكره الحبيب للحبيب قال النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ القرآن فقد كلم الله تعالى وقالوا لما انزل الله تعالى
على موسى التوراة وهي الف سورة كل سورة الف آية قال موسى
عليه السلام يا رب ومن يطيق قراءة هذا الكتاب وحفظه فقال
تعالى اني انزل كتابا اعظم من هذا قال على من يا رب قال على خاتم
النبيين قال وكيف تقرأ امته ولهم اعمار قصيرة قال اني اسيره
عليهم



عليهم حتى يقرأ صبيانهم قال يا رب وكيف تفعل قال اني انزلت من
السماء الى الارض مائة وثلاثة كتب خمسين على شيث عليه السلام
وثلاثين على ادريس وعشرين على ابراهيم والتوراة عليك والزبور
على داود والانجيل على عيسى وذكرت الكائنات في هذه الكتب
فاذكر جميع معاني هذه الكتب في كتاب محمد صلى الله عليه وسلم
واجمع ذلك كله في مائة واربع عشرة سورة واجعل هذه
السور في ثلاثين جزءا والاجزاء في سبعة اسباع ومعنى هذه
الاسباع في سبع آيات الفاتحة ثم معانيها في سبعة احرف
وهي بسم الله ثم ذلك كله في الالف من الم ثم افتتح سورة البقرة
فاقول الم ولما وعد الله تعالى ذلك في التوراة وانزله على محمد
عليه السلام جحدت اليهود عليهم لعاين الله ان يكون هذا ذلك
فقال الله تعالى ذلك الكتاب اي هذا ذلك ثم سماه هاهنا كتابا
وله في القرآن مائة اسم وقد عددناها في صدر هذا الكتاب
ومن فضل الله علينا ان اعزنا بدينه واكرمنا بكتابه وشرفنا بنبيه
وخصنا بتفضيله بان ذكر في القرآن اسماء سمى بها نفسه وكتابه
ورسوله وسمانا ببعضها وهي اكثر من عشرين اسما الحق قال
تعالى ذلك بان الله هو الحق وقال لكتابه حتى جاءهم الحق ورسول
مبين وقال لرسوله قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم
فمن اهتدى وقال لنا اولئك هم المؤمنون حقا والنور قال الله
تعالى الله نور السموات والارض وقال لكتابه واتبعوا النور
وقال لرسوله قد جاءكم من الله نور وكتاب وقال لنا فهو
على نور من ربه والعزيز قال تعالى ان الله لقوي عزيز
وقال لكتابه وانه لكتاب عزيز وقال لرسوله لقد جاءكم رسول

لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز • وقال لنا ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين • والكريم قال تعالى بربك الكريم • وقال لكتابه إنه
لقرآن كريم • وقال لرسوله إنه لقول رسول كريم • وما هو بقول
شاعر • وقال لنا ولقد كرمنا بني آدم • والعظيم • قال تعالى وهو
العلي العظيم • وقال تعالى لكتابه والقرآن العظيم • وقال لرسوله
إنك لعلى خلق عظيم • وقال لنا فقد فاز فوزا عظيما • والشهيد
قال وكفى بالله شهيدا • وقال لكتابه ويتلوه شاهد منه • وقال
لرسوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا • وقال تعالى لنا وتكونوا شهداء
على الناس • والمبين قال تعالى هو الحق المبين • وقال تعالى لكتابه
والكتاب المبين • وقال لرسوله إنما أنا النذير المبين • وقال لنا وأصلحوا
وبينوا • والعلي قال تعالى سبح اسم ربك الأعلى • وقال لكتابه
لعلي حكيم • وقال لرسوله وهو بالأفق الأعلى • وقال لنا وأنتم
الأعلون • والهادي قال تعالى قل إن هدى الله هو الهدى • وقال
لكتابه لا ريب فيه هدى • وقال لرسوله ولقد جاءهم من ربهم
الهدى • وقال لنا وزادهم هدى • والحاكم قال تعالى حتى يحكم
الله بيننا • وقال لكتابه حكما عربيا • وقال لرسوله وأن احكم
بينهم • وقال لنا كونوا قوامين بالقسط • والحكمة قال تعالى حكمة
بالغة • وقال لكتابه ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة • وقال
لرسوله ويعلمهم الكتاب والحكمة • وقال لنا ومن يؤت الحكمة • والرحمة
قال تعالى وربك الغفور ذو الرحمة • وقال لكتابه وننزل من القرآن
ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين • وقال لرسوله وما أرسلناك إلا
رحمة • وقال لنا ففي رحمة الله • والأمر قال الله تعالى إن الله يأمركم
وقال لكتابه كذلك أمر الله أنزله إليكم • وقال لرسوله وأمر أهلك
بالصلاة

بالصلاة • وقال لنا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر • والنذير قال تعالى
فأنذرتكم نارا تلظى • وقال لكتابه بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم • وقال
لرسوله مبشرا ونذيرا • وقال تعالى ولينذروا قومهم إذا رجعوا
إليهم • والطاهر قال تعالى طه طس • وقال لكتابه في صحف مكرمة
مرفوعة مطهرة • وقال لرسوله ويطهركم تطهيرا • وقال لنا ويحب
المطهرين • والطيب قال تعالى كلمة طيبة • وقال لكتابه وهدوا
إلى الطيب من القول • وقال لرسوله والطيبات للطيبين • وقال لنا
تتوفاهم الملائكة طيبين • والداعي قال الله تعالى والله يدعو
إلى دار السلام • وقال لكتابه أجيبوا داعي الله • وقال لرسوله وإنك
لتدعوهم إلى صراط مستقيم • وقال لنا يدعون إلى الخير • والقائم
قال تعالى قائما بالقسط • وقال لكتابه قيما لينذر بأسا شديدا •
وقال لرسوله لما قام عبد الله • وقال لنا وقوموا لله قانتين • والصادق
قال تعالى ومن أصدق من الله حديثا • وقال لكتابه والذي جاء
بالصدق • وقال لرسوله مصدق لما معهم • وقال لنا والصادقين
والخير قال تعالى وأنت خير الراحمين • وقال لكتابه قل بفضل الله
وبرحمته إلى قوله هو خير • وقال لرسوله قل أذن خير لكم • وقال
لنا كنتم خير أمة • والأحسن فتبارك الله أحسن الخالقين • وقال
لكتابه نزل أحسن الحديث • وقال لرسوله لقد خلقنا الإنسان في
أحسن تقويم • وقال تعالى ومن أحسن دينا • والمبارك قال تبارك
اسم ربك • وقال لكتابه وهذا ذكر مبارك • وقال لرسوله من شجرة
مباركة • وقال لنا في ليلة مباركة • وقال تعالى ولو أن أهل القرى
آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض الآية • وقوله تعالى
لا ريب فيه أي لا شك فيه • والريب شك فيه خوف • وهو أخص

من الشك فكل ريب شك وليس كل شك ريبا والريبة التهمة من
ذلك والمريب المتهم ولا كلمة تبرئة وهي اذا دخلت اسما واحدا
بني على الفتح ولم ينون لانهما يصيران كاسم واحد بمنزلة خمسة
عشر فان قولك لا رجل في الدار هو جواب قول السائل هل
من رجل في الدار ومن مع رجل صارا شيئا واحدا في السؤال فصار
هذان ايضا شيئا واحدا في الجواب ومن هي لتعميم السؤال والنفي فانه
سؤال عن الواحد وما زاد عليه ولا رجل نفي الواحد وما زاد ولو
قال هل رجل في الدار فهذا سؤال عن واحد لا غير وقولك
ما في الدار رجل نفي للواحد لا غير ويجوز ان يكون فيه اثنان
واكثر وهذا الكشف ما ذكره الزجاج واجل فان ذكرت بعده اسمين
ففيه اربعة اوجه رفعهما وتنوينهما وفتحهما بغير تنوين مع رفع الاخر
وتنوينه وسيتضح ذلك في قولهم لا حول ولا قوة الا بالله ثم معنى
قوله لا ريب فيه اي لا شك في كونه ذلك الكتاب الموعود
وقيل اي لا شك في كونه هدى وقيل اي لا شك في المذكورات فيه
فهي مبينة غير متهمة فان قالوا ان الجهال شكوا فيه فلم يقروا
بكتاب الله تعالى والمبتدعون من اهل القبلة شكوا في معاني متشابهه
فاجروها على ظواهرها وضلوا بها والعلماء شكوا في وجوهه فلم
يقطعوا القول على وجه منها والعوام شكوا فيه فلم يفهموا معانيه
فما معنى نفي الريب عنه قلنا ثلاثة اجوبة احدها ان هذا نفي الريب
عن الكتاب لا عن الناس والكتاب موصوف بانه لا يمكن فيه ريب
فهو حق صدق معلوم مفهوم شك الناس فيه او لم يشكوا كالصدق
صدق في نفسه وان وصفه الناس بالكذب والكذب كذب وان
وصفه الناس بالصدق فكذا الكتاب ليس مما يلحقه ريب او يمكن فيه
عيب

وقال الزجاج يقولون رابني فلان اذا علمت منه الريبة واربني اذا اوهمني الريبة وانشد
اخوك الذي ان ربته قال انما اربت وان عاتبته لان جانبه
جعل الاول للحقيقة والثاني للوهم ح

ورفع اولهما وتنوينه مع فتح الاخر بغير تنوين وفتح اولهما بغير تنوين ح

عيب والثاني ان هذا نفي الريب عن المتبصر فيه بعد انعام النظر
والتأمل الفكر ممن تعلمه وتحرى فيه ونظر فيه بنصفة فانه
لم يجد فيه تناقضا ولا تعارضا بل وجده يصدق بعضه بعضا
والثالث ان هذا نفي في المعنى وان كان نفيا في الصفة وهو كقوله
فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج فان هذه الكلمات لو حملت
على ظاهر النفي توجه عليه هذا الاشكال فانا نجد من يرفث
فيه ويفسق ويجادل لكنه نهي عن فعل ذلك في الحج فهذا مثله
ونظيره قوله تعالى فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه وقد
انكره الملحدون وشك فيه المشركون لكن وجوهه ثلاثة احدها
انه لا شك في وجوده وتحققه في نفسه والثاني انه لا تجري اموره على
التلبيس والثالث انه نهي عن الارتياب فيه فانه واقع لا محالة م
وقوله تعالى فيه قرئ بكسر الهاء وضمها وسكونها ولكل وجه على
وجهين اما الكسر فللياء التي قبلها واما الضم فهو على الاصل لان اصل
الكناية هو واما التسكين فعلى الوقف ثم الكسرة على وجهين
كسرة غير مشبعة اي لا تعد بها لفظا لانه لا ياء بعدها كتابة وكسرة
مشبعة بالياء لان هاء الكناية اصلها هو بالواو وجعلت هذه الواو
ياء هنا للكسرة المتقدمة والضمة على وجهين ايضا مشبعة بالواو
وهي قراءة الزهري على اصل كلمة هو وضمة لا واو بعدها تخفيفا
على الكناية والتسكين على وجهين على الوقف لتمام الكلام ثم الابتدا
على معنى هو هدى والادغام في رواية ابي حاتم عن ابي عمرو فيه هدى م
وقوله تعالى هدى قد مر الكلام في تفسيرها ونظايرها في قوله
اهدنا ثم هو يصلح مصدرا هاهنا كالتقى والسرى والدجى ويصلح
فاعلا فان اسم المصدر مطلق على الفاعل والمفعول لغة يقال رجل

الشك

عدلٌ اي عادلٌ ورِضيً اي مَرضيٌّ وقد وردت في القرآن الهدى بمعنى الهادي قال تعالى خبرا عن موسى او اجد على النار هدى اي هاديا فان جعل مصدرا فعلى قوله فيه هدى وان جعل فاعلا فعلى قوله ان جعل تقديره هدى للمتقين اي هادٍ واما اعرابه ففي الظاهر لا حركة للياء التي هي حرف الاعراب فانه اسم مقصور وقد سقطت الياء بالتنوين وهذه الصيغة وردت في القرآن في محل النصب والرفع والخفض قال الله تعالى وزادهم هدى هذا منصوب وقال فيه هدى ونور وهذا مرفوع وقال اولئك على هدى وهذا مخفوض وهاهنا قوله هدى للمتقين يصلح ان يكون منصوبا ومرفوعا ولا يحتمل الخفض لعدم الخافض واما النصب فعلى القطع ولِلقطع وجوه احدها من قوله ذلك الكتاب فالكتاب معرفة وهدى نكرة والثاني من قوله ذلك الكتاب وهو معرفة ايضا والثالث من قوله فيه فهو معرفة ايضا ووصف المعرفة بالنكرة لا يستقيم فنصب قطعا كما في قوله هذه ناقة الله لكم اية وقوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية وقيل هو نصب على الحال اي لا ريب في كونه هدى واما الرفع فلوجوه احدها انه خبر قوله ذلك والثاني انه خبر قوله الكتاب والثالث انه خبر فيه والرابع انه خبر مبتدا مضمر اي هو هدى ثم قالها هنا بلا ه اسم الاشارة انه اسم اضافات الصفة

اي ان اضافه الى القرآن وهو من الله تعالى والثاني انه لم يخص هاهنا فقال هدى للمتقين وعمّ في موضع اخر فقال هدى للناس وبينات والثالث انه لم يخص هاهنا فقال المتقين بالهدى وفيه هدى للخلق وهل عد زعم المتقين بهذا اما جواب الاول فاضافة الهدى الى القرآن على وجه التسبيب كما في قوله وانك لتهدي مع قوله انك لا تهدي وكما في اضافة الاضلال الى فرعون بقوله واضل فرعون قومه والى الاصنام بقوله

بقوله انهن اضللن كثيرا من الناس والله تعالى هو الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء قال تعالى ان الهدى هدى الله واما جواب الثاني فهو هدى للناس كلهم بيانا وهدى للمتقين على الخصوص ارشادا وهو كقوله تعالى في حق رسوله على الخصوص انما انت منذر من يخشاها وقال تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب وقال فيه على العموم وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا لكن انذر الكل تبليغا ونفع ذلك اهل الخشية تنبيها بهدايته واما جواب الثالث فهو هدى للمتقين لانهم هم المنتفعون به فكانهم خصوا به ولذلك يقال في كل من انتفع بشيء على الخصوص دون لم يهتد وابه غيره انه لك على الخصوص اي انت المنتفع به وحدك وليس في ان الناس لم يهتدوا به ما يخرجه من ان يكون هدى فالشمس شمس وان لم يرها الضرير والعسل عسل وان لم يجد طعمه الممرور والمسك مسك وان لم يجد ذلك طيبه المأنوف فالحيبة كل الخيبة لمن عطش والبحر زاخر وبقي في الظلمة والبدر زاهر وجنك والطبيب حاضر وذوى والروض ناضر والحسرة كل الحسرة لمن عمي وفسق والقرآن ناه امر ونادب الرهبة والرغبة والوعد متواتر والوعيد متظاهر وكذلك قال جل جلاله وانه لحسرة على الكافرين قوله للمتقين اصل الكلمة من الوقاية وهي الحفظ والتوقي التحفظ والاتقاء الاحتفاظ اي الاحتراز عن الافة وعلى ذلك وقاية الرأس والثوب والكتاب والاسم منه التقوى واصله الوقوى الواو الاولى اصلية والثانية زائدة والياء لام الفعل ووزنه فعول ويقال هي على وزن تفعل فالواو الثانية على هذا لام الفعل والياء الاخيرة زائدة والاوجه هو الاول لان الكلمة يائية فلا تجعل لامها واوا والشكوى والدعوى فانهما واويتان واما

صارت الواو الأولى ياء على صيرورتها تاء في قولك اتقى يتقي لأن
أصله أوتقى فصارت الواو ياء لكسرة الأولى في الثانية طلباً للتلاؤم
وتوقياً عن الثقل ثم بني الاسم على هذا الفعل كما في التخمة من الوخم وأصله
وخمة وكذا التهمة والتجاه والتكلان والتراث والتجاه تو هما اها
اصلية ثم التقوى قسمان أصل وفرع فالأصل الإيمان وهو اتقاء
عن الكفر والفرع هو اتقاء عن الذنوب فبالأول النجاة من العذاب
المؤبد وبالثاني النجاة من العذاب المؤقت أما التقوى التي هي إيمان ففي
مثل قوله وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر
به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون وأما التقوى التي هي ترك
الذنوب بعد تمام الإيمان ففي مثل قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وللناس
في التقوى والمتقي أقاويل تبلغ مائة عددناها في كتابنا الموسوم بحر علوم
التفسير على نحو رسوم التذكير وفي كتاب الله تعالى في تفسيره ما يغني
عن كثير من ذلك فإنه قال ولكن البر من آمن بالله وعد أشياء
ثم قال في آخره وأولئك هم المتقون فهذا هو المتقي المطلق الثابت
بحجة لا ريب فيها والذي يليه في الوضوح قول النبي صلى الله عليه وسلم
جماع التقوى في قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية
والذي يقرب منه في الثقة بصحته أن المتقي المطلق من ائتمر بأمر
التقوى الوارد في القرآن وهي على ثلاثة أوجه للعام والخاص وخاص
الخاص أما العام فباتقوا النار واتقوا النار وأما الخاص فباتقوا يوم
القيامة واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله وأما خاص الخاص فبتقوى الله
عز محله واتقون يا أولي الألباب فالعامة عصاة نحو فيهم بالنار كي
يتركوا المعصية والخاص مطيعون فدعاهم إلى الإخلاص كيلا يتحيروا
في جواب سؤال الصدق يوم القيامة وخاص الخاص لله وبالله فأمرهم

باسامه

تفسير التقوى

بالتقاية وهو أن يكونوا له ويتقوا ملاحظة غيره كيلا يقعوا في الحجبة قال تعالى
فاتقون يا أولي الألباب واللب الخالص أي بإخلاص كونوا لي لا لغيري
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى واتقوا الله حق تقاته
فقال هو أن يطاع ولا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر قال
رضي الله عنه فارسيته مطيع باش عاصي مباش ذاكر باش ناسي مباش شاكر باش نا
سپاسي وقيل التقوى لزم الجوارح وضم الجوانح فلزم الجوارح منع الأذن عن سماع
اللغو ومنع العين عن نظر اللهو ومنع اللسان عن فضول الكلام ومنع الحلق
عن فضول الطعام ومنع القدم عن التخطي إلى الأعياب ومنع النفس عن ملابس
الأقذار وأما ضم الجوانح فهو جمع الهمة عن التفاريق والتفرد عن وجوه
التعاويق والتجرد عن آفات العلائق فمن اتقى ظاهره طهر خلاصه
ومن اتقى باطنه فطن استخلاصه وحظي أذنه بسماع كلام الحق وعينه
برؤية الحق ولسانه بمكالمة الحق ويده بقبض عطايا الحق ورجله
بالوصول إلى مقعد الصدق بتقريب الحق وقلبه بمشاهدة الحق وروحه
بقرب الحق وسره بلطف الحق وصار كله للحق بالحق وقيل تفسير
المتقين فيما ذكر بعده الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما
رزقناهم ينفقون وهو كما قالوا أن تفسير الصمد ما ذكره بعده الذي لم
يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وتفسير الهلوع ما ذكر بعده إذا مسه
الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً وقوله تعالى الذين يؤمنون فالذين
اسم مبهم لازم لدخول الألف واللام فيه وهو موصول لأنه يتم بصلته
وهي يؤمنون وأصله اللذين بلامين أحدهما لام التعريف والثانية
لام له وإنما اكتفي في الكتابة بواحدة تخفيفاً لكثرة الاستعمال ولهذا
كتب في التثنية اللذان بلامين لأنه لم يكثر استعماله وهو غير معرب
لفظاً ولهذا يستوي نصبه ورفعه وخفضه فمعناه الذين علمت ورأيت

من المحبة

الذين علمت ومررت باللذين علمت. وانما لم يعرب لانه موصول
لا يتم الا بصلته فصار لفظه كانه بعض الكلمة ولا اعراب الا بتمام الكلمة
في آخرها فاما اللذان في التثنية فانما اعرب فكان رفعه بالالف
ونصبه وخفضه بالياء لان منع الاعراب كان لالحاقه بالحروف ولا
تثنية للحروف فلم تلحق بها بل لحق فيه بمعنى الاسم فاعرب لذلك
وقوله تعالى الذين يؤمنون تقديره المؤمنين ومحل الذين من الاعراب
على هذا التقدير الخفض لانه نعت للمتقين فيتبعه في اعرابه ويجوز
ان يكون نصبا على المدح ويجوز ان يكون رفعا باضمار كلمة هم. وقوله
يؤمنون فالايمان في اللغة هو التصديق وقد آمن به وله اي
صدقه وآمنه اي اثبت له الايمان. وقيل ان الايمان الذي هو التصديق
ماخوذ من هذا. فان المصدق غيره فيما اخبر به يثبت لنفسه الامن
من اخبار المخبر اياه بالكذب او الخطا. ثم اختلف اهل الاصول في ماهية
الايمان المفترض على العبد قال جهم هو المعرفة وقالت الكرامية
هو مجرد الاقرار. وقال الرقاشي هو الاقرار بشرط وجود المعرفة
في القلب والمعرفة ضرورية توجد لا محالة لكن اذا وجدت هي مع الاقرار
فالايمان هو الاقرار وحده لانه اسم لفعل اكتسابي لا اضطراري. وقال
اهل الحق هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان. وقال الامام ابو
منصور وهو مروي عن ابي حنيفة رحمه الله وهو قول جماعة هو التصديق
فقال مالك والشافعي والاوزاعي واهل الحديث واصحاب الظواهر
الايمان هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان.
وقال الاشعري كل ذلك والبقاء عليه الى الموت. وبيان شبه الخصوم
وحجج اهل الحق يذكر في كتب الكلام ونشير نحن [illegible] هذه الجملة
وفي تفسير الآيات التي في المنافقين من هذه السورة الى ما يقع به الاستغنا
والاكتفا

له

باللسان

والاكتفا ان شاء الله تعالى ثم قوله يؤمنون في قراءة ابي عمرو بن العلاء بغير
همز وللقراء في الهمز وتركه مذاهب وتفاصيل فابو عمرو يترك كل
همزة ساكنة الا ان يعترض احد اربعة اشيا احدها ان يكون
سكونها علامة الجزم نحو قوله تعالى او ننسأها وان نشأ او يتغير
المعنى نحو قوله اثاثا ورئيا او يخرج الى لغة اخرى نحو قوله مؤصدة
او يكون التخفيف اثقل نحو قوله تؤوي اليك. وفي الحاصل هو يهمز
في ثلاثة وثلاثين موضعا من القرآن اولها انبئهم واحدها
انها عليهم مؤصدة. والكسائي يترك الهمزة في مؤصدة ويهمز ما
سواه. وحمزة يترك همز ما يقف عليه ويهمز ما خلاه. وابن كثير
يهمز الكل الا كلمة القرآن. وابن عامر يهمز الكل. وما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن من امن جاره بوائقه
فمعناه والله اعلم المؤمن المستكمل اوصاف اهل الايمان هذا وكذا
قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن هين لين جواد سمح كالجمل الانف
اذا قيد انقاد واذا انيخ على حجر استناخ وقوله المؤمن الف مالوف
حيي ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف. وقوله المؤمن فطن حذر
وقاف متثبت عالم ورع. وقوله المؤمن واه راقع فسعيد من
هلك على رقعه وعلى هذا ما قال اهل الحقيقة في تفسير الايمان
قال رويم الايمان استئصال الكونين عند رؤية المكون فلا
يستنطق فيك وايد ولا يستتر فيك شاهد. وقال فارس الايمان
تحطيم الحقيقة في صون الشريعة. وقال الواسطي اول
قدم في الايمان ان لا تجري عليك التكوين فيما يرد عليك من نعمة
او بلية اذ لا فرق بينهما في الحقيقة. وقال داود الطائي
الايمان ما يورثك النور بعد الظلمة ثم اللين بعد القسوة

يترك الهمز في قوله الذئب ويهمز ما عداها وعاصم

من السنة بعد البدعة ثمرا للتلاذذ بالعبادة بعد المجاهدة • وقال
سهل بن عبد الله التستري الايمان اربعة • اركان التوكل على
الله • والاستسلام لامر الله • والرضا بقضاء الله • والشكر لنعماء الله
عز وعلا • والتقوى باب الايمان واليقين قلب الايمان والصبر
عماد الايمان والاخلاص كمال الايمان • وروى ابو هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم • انه قال الايمان
بضع وستون او بضع وسبعون بابا افضلها لا اله الا الله • وادناها
اماطة الاذى عن الطريق • والحيا شعبة من الايمان • فاهل
الحديث جعلوا هذا كله من الايمان • ونحن نقول هي من خصال اهل
الايمان ولم يرد تعديدها باعيانها في حديث واحد واهل
العلم عدوا ذلك على وجوه واقصى ما بينا وله اهل الحديث
تسعة وسبعون وانا اعدها على ترتيب اختاره • وعلى الاجتهاد مداره
فاقول بداؤه بالتهليل • والذي يليه التكبير • والتسبيح والتحميد
والتمجيد • والتجريد • والتفريد • والتوبة والانابة • والنظافة • والطهارة
والصلاة • والزكاة • والصوم • والقيام • والاعتكاف • والحج والعمرة
والقربان • والصدقة • والعتق • والختن • وقراءة القرآن •
وملازمة الاحسان ومجانبة العصيان وترك الطغيان
وهجر العدوان • وتقوى الجنان • وحفظ اللسان • والثنا والدعا
والخوف • والرجا • والحيا • والصدق • والصفا • والنصح • والوفا والنعم •
والبكا • والاخلاص • والذكا • والحلم • والسخا • والشكر في العطية
والصبر في البلية • والرضا بالقضية • والاستعداد للمنية • واتباع
السنة وموافقة الصحابة • والاقتدا بالائمة • والشفقة • على
العامة • واحترام الخاصة • وتعظيم اهل السنة • والعطف على
صغار

(هامش: والصيام)
(هامش: وتعظيم اهل الشيبة والعطف على صغار البرية ح)

صغار البرية • واداء الامانة واظهار الصيانة • والاطعام • والانعام • وتيم الايتام •
وصلة الارحام • وافشا السلام • وصدق الاستسلام • وتحقق الاستعصام •
والزهد في الدنيا • والرغبة في العقبى • والموافقة للمولى • ومخالفة الهوى
والحذر من لظى • وطلب جنة المأوى • وحب الكرم • وحفظ الحرم • والا
الى الخدم • وطلب التوفيق وحفظ التحقيق • ومراعاة الجار • والرفق
وحسن الملكة في الرفيق • وادناها اماطة الاذى عن الطريق • فمن
استكمل الوفا بشعب الايمان • قال ابو عبد الله كمل الايمان وهو
الذي قال الله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
اولئك لهم الامن وهم مهتدون • وقوله تعالى بالغيب هو في اللغة
نقيض الشهادة وقد غاب فلان عنا غيبة وغابت الشمس اي غربت
غيوبة وغيابة الجب كالطاق في البئر والغيبة ذكر عيوب
الانسان في الغيبة واختلف في تفسيره هاهنا • قال سعيد بن
جبير رضي الله عنه اي يؤمنون بالله • وقال ابن عباس رضي الله
عنهما اي يصدقون الرسل • وقال ابن جريج اي يؤمنون بالوحي
من قوله وما هو على الغيب بظنين معناه على الوحي • وقال
الحسن اي يصدقون بالاخرة • وقال بعضهم اي يؤمنون بالله
ويطيعونه وان غابوا عن المؤمنين لا كالمنافقين كما قال الذين
يخشون ربهم بالغيب • وقال بعضهم اي يؤمنون بقلوبهم
الغائبة مع السنتهم الظاهرة لا كالمنافقين الذين يؤمنون
بالسنتهم الظاهرة دون قلوبهم الغائبة • والجملة ان الغيب
كل ما لا يصل اليه العبد الا بدليل • وهو ما غاب عن الحس مما
يجب الايمان به • وهو ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من
الغائبات بعده في الدنيا • وما بعد الموت من احوال القيامة ،

(هامش: حسان)

والجنة والنار. وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل فيه
بوجهين: يؤمنون بغيب الله ولا يطلبون منه ما طلب الأمم السالفة
من أنبيائهم عليهم السلام، كقول بني إسرائيل لموسى صلوات الله
عليه: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة. والثاني يؤمنون بغيب
القرآن، وبما أخبرهم القرآن من الوعد والوعيد والأمر
والنهي والبعث والجنة والنار والإيمان إنما يكون بالغيب
لأنه تصديق والتصديق والتكذيب إنما يكونان عن الخبر والخبر
إنما يكون عن غيب لا عن مشاهدة. وقال أهل الحقيقة معناه أنهم
بغيب القرآن غابوا غيبة الأخرى، ثم بغيب الغيب شاهدوا الحق
مطلعا عليهم في جميع الأوقات فقاموا باطلاعه عليهم عن مشاهدة
كل شيء سواه فهم قائمون معه مع المشاهدة. ثم الغيب في القرآن
جاء لمعاني: للسر، قال تعالى: أي أعلم غيب السموات والأرض أي سر
أهلهما. وللزوج، قال تعالى: حافظات للغيب. وللكرسي، قال تعالى:
وعنده مفاتح الغيب. وللوح، قال تعالى: أطلع الغيب. وللوحي، قال
تعالى: وما هو على الغيب بضنين. ولما غاب عن العباد، قال تعالى:
عالم الغيب. وللّيل، قال تعالى: وما كنا للغيب حافظين. وللعذاب،
قال تعالى: ولا أعلم الغيب أي متى ينزل العذاب. وللموت، قال
تعالى: ولو كنت أعلم الغيب أي متى أموت. وللشك، قال تعالى: رجما
بالغيب أي قولا بالشك. ولنزول العلامة، قال تعالى: ويقولون
لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله أي علم نزولها.
وبمعنى الغيبة، قال تعالى: ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب. والتلفيق
أن الله تعالى أخبر أنه عالم الغيب ولا يعلم غيره الغيب فإنه قال
لا يعلم من في السموات والأرض الغيب. وذكر أن عنده مفاتح الغيب
وقال

خبرا م

الاسم

وقال لرسوله: قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب. وذكر
أن الجن علموا أنهم لا يعلمون الغيب بقوله تعالى: فلما خر تبينت الجن أن لو
كانوا يعلمون الغيب. وقال: وما كان الله ليطلعكم على الغيب. وأخبر
أنه هو الذي أخبر رسوله بالغيب بقوله تعالى: ذلك من أنباء الغيب.
ووبخ الكفار بقوله: أطلع الغيب، وبقوله: أم عندهم الغيب. وأمر بالثناء
عليه بقوله: قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب. ومدح المؤمنين
بالإيمان بالغيب وبالخوف بالغيب وبالخشية بالغيب وبالنصرة بالغيب
بقوله: يؤمنون بالغيب، ليعلم الله من يخافه بالغيب، من خشي الرحمن
بالغيب، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب. وقال تعالى: قل إن الموت
الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة،
ووعدهم الجنة بالغيب فقال: جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب. وقوله تعالى: ويقيمون الصلاة
الآية. دلت هذه الآية على أن الأعمال ليست من الإيمان، فإنه
ذكر الإيمان وعطف عليه الأعمال والمعطوف غير المعطوف عليه.
وقوله: ويقيمون الصلاة، قال الإمام أبو منصور رحمه الله: هذا
يحتمل وجهين: يحتمل الصلاة المعروفة أي يتمونها بإتمام ركوعها
وسجودها والخشوع والخضوع له فيها وإخلاص القلب والنية له
على ما جاء في الخبر: انظر من تناجي. ويحتمل الحمد لله والثناء عليه، فإن كان
المراد هذا فهو لا يحتمل النسخ ولا الرفع في الدنيا والآخرة ولا هذا
التشبيه بجهد استطاعته أداؤها. قال بعضهم: إقامة الصلاة أداؤها
فإن قول المؤذن: قد قامت الصلاة، معناه أحدوا في أدائها. وقيام
الشيء وجوده، وإقامته من العبد تحصيله. وقال ابن عباس
رضي الله عنهما: إقامتها إتمام ركوعها وسجودها وما يجب فيها، وهو
في معنى التقويم أي التسوية، فلا يدخل نقصا في شيء من أفعالها

وَاَرْكَانِهَا وَلَا خَلَلًا فِي فَرَائِضِهَا وَوَاجِبَاتِهَا وَسُنَنِهَا وَآدَابِهَا وَقِيلَ

لِرِفَاقَتِهَا لِدَاامَتِهَا وَاظْهَارِهَا قَالَ الشَّاعِرُ اَقَامَتْ غَزَالَةُ سُوقَ الضِّرَابِ

حَوْلًا قَمِيطًا اي ادامت امرأة شبيب الخارجي امر الحرب وضرب السيوف

حَوْلًا تَامًّا وَفِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى اِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا اَيْ مُوَاظِبًا

عَلَى التَّقَاضِي وَالرَّابِعُ قَوْلُ ابْنِ كَيْسَانَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ اَيْ يُقِيمُونَ بِالصَّلَاةِ

بُرْهَانِهِمْ عَلَى صِدْقِ دَعْوَاهُمْ فِي الْاِيمَانِ بِالْغَيْبِ وَالْخَامِسُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ

اِقَامَتُهَا مُرَاعَاةُ حُقُوقِهَا وَشَرَائِطِهَا اَيْ شَرَائِطِ الْجَوَازِ وَالْقَبُولِ

وَشَرَائِطُ الْجَوَازِ سِتَّةٌ قَبْلَ الشُّرُوعِ وَسِتَّةٌ بَعْدَهُ وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ

وَشَرَائِطُ الْقَبُولِ سِتَّةٌ بِالظَّاهِرِ وَسِتَّةٌ بِالْبَاطِنِ فَالظَّاهِرُ الْخُشُوعُ

لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالتَّقْوَى لِقَوْلِهِ تَعَالَى اِنَّمَا يَتَقَبَّلُ

اللّٰهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ وَتَرْكُ اَكْلِ الْحَرَامِ وَتَرْكُ اللَّغْوِ وَالْكَسَلِ وَالْاِبْطَاءِ

وَاَمَّا الْبَاطِنُ فَالْاِخْلَاصُ وَالتَّفَكُّرُ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ وَرُؤْيَةُ التَّقْصِيرِ

وَالْمُشَاهَدَةُ وَالسَّادِسُ قَوْلُ الْقُشَيْرِيِّ اِقَامَتُهَا الْقِيَامُ بِاَرْكَانِهَا

وَسُنَنِهَا ثُمَّ الْغَيْبَةُ عَنْ شُهُودِهَا بِرُؤْيَةِ مَنْ يُصَلِّي لَهُ يَقُولُ اللّٰهُ

تَعَالَى اَنَا اَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا وَاَشْرَكَ

فِيهِ غَيْرِي فَهُوَ لَهُ وَاَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَعَنْ اَبِي بَكْرٍ الشِّبْلِيِّ رَحِمَهُ اللّٰهُ

اَنَّهُ قَالَ لَوْ نَظَرْتُ فِي الصَّلَاةِ اِلَى الْعَقِبِ تَوَضَّأْتُ وَلَوْ نَظَرْتُ اِلَى

اِلَى الدُّنْيَا اغْتَسَلْتُ وَقَالَ اللّٰهُ تَعَالَى قَدْ اَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي

صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالْخُشُوعُ سُكُونُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ فَلَا يَصْرِفُ

شَيْئًا مِنْ اَعْضَائِهِ اِلَى غَيْرِ السُّنَّةِ وَلَا شَيْئًا مِنْ بَاطِنِهِ اِلَى غَيْرِ

غَيْرِ الْقُرْبَةِ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَاَى رَجُلًا

يَعْبَثُ بِلِحْيَتِهِ فِي الصَّلَاةِ اَمَا لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هٰذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ

وَقِيلَ اِقَامَةُ الصَّلَاةِ بِالتَّطَهُّرِ اَوَّلًا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَبِالتَّجَمُّلِ بِلِبَاسِ اَهْلِ

الدُّنْيَا

لاهل العراقين

اَهْلِ الدُّنْيَا وَلِبَاسِ اَهْلِ التَّقْوَى وَمُرَاعَاةِ الْوَقْتِ مَعَ اِتْقَانِ الْمَقْتِ وَالْاِفْتِتَاحِ

بِتَكْبِيرٍ عَنْ تَوْقِيرٍ وَالْاِتْيَانِ بِقِيَامٍ عَلَى تَمَامٍ وَالْقِرَاءَةِ عَنْ تَفَكُّرٍ وَتَدَبُّرٍ

وَالْاِسْتِمَاعِ عَنْ اِنْصَاتٍ وَاِخْبَاتٍ وَالْاِنْحِنَاءِ رُكُوعٍ عَنْ خُشُوعٍ وَالْخُرُورِ

لِلسُّجُودِ عَنْ شُهُودٍ وَالتَّكَلُّمِ بِتَسْبِيحٍ عَنْ تَصْحِيحٍ وَالْخَتْمِ بِتَعْدِيدٍ عَنْ عِدَّةٍ

وَتَشَهُّدٍ عَنْ تَعَهُّدٍ وَصَلَوَاتٍ وَدَعَوَاتٍ عَنْ تَحْقِيقٍ وَاِثْبَاتٍ وَتَسْلِيمٍ عَنْ

تَسْلِيمٍ ثُمَّ الدُّعَاءِ عَلَى اِخْلَاصٍ وَالرُّجُوعِ عَلَى اِقْلَاعٍ قوله تعالى الصَّلَاةَ

فَالصَّلَاةُ فِي اللُّغَةِ اسْمٌ لِلدُّعَاءِ وَالثَّنَاءِ وَالْقِرَاءَةِ وَالرَّحْمَةِ قَالَ اللّٰهُ

تَعَالَى وَصَلِّ عَلَيْهِمْ اَيْ ادْعُ لَهُمْ وَقَالَ اِنَّ اللّٰهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى

النَّبِيِّ قِيلَ هِيَ الثَّنَاءُ وَقَالَ تَعَالَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ اَيْ بِقِرَاءَتِكَ

وَقَالَ اُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ اَيْ رَحْمَةٌ وَالصَّلَاةُ الْمَشْرُوعَةُ

الْمَخْصُوصَةُ بِاَفْعَالٍ وَاَذْكَارٍ سُمِّيَتْ بِهَا لِمَا فِي قِيَامِهَا مِنَ الْقِرَاءَةِ وَفِي

قُعُودِهَا مِنَ الثَّنَاءِ وَالدُّعَاءِ وَلِمَا عَلَيْهَا مِنَ الرَّحْمَةِ وَقِيلَ سُمِّيَتِ الصَّلَاةُ

بِهَا مِنْ قَوْلِهِمْ صَلَّيْتُ الْعُودَ بِالنَّارِ اَيْ لَيَّنْتُهُ وَالْمُصَلِّي بِالصَّلَاةِ يَلِينُ

وَيَخْشَعُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَقِيلَ هِيَ مِنَ الصَّلَاةِ وَهِيَ مَغْرِزُ الذَّنَبِ مِنَ الْفَرَسِ

وَالْمُصَلِّي يَنْحَنِي لِلرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ فَيَرْتَفِعُ الصَّلَوَانِ فِي جَانِبَيِ الْكَاهِلِ وَقِيلَ

هِيَ مِنْ قَوْلِهِمْ فَرَسٌ مُصَلٍّ اَيْ تَالٍ لِلسَّابِقِ فِي حَلْبَةِ الرِّهَانِ سُمِّيَتْ

بِهَا لِاَنَّهَا فِي الذِّكْرِ ثَانِيَةُ الْاِيمَانِ فَاِنَّهَا ذُكِرَتْ فِي هٰذِهِ الْآيَةِ بَعْدَ

الْاِيمَانِ بِالْغَيْبِ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةُ

ثَانِيَةُ الْاِيمَانِ ثُمَّ الصَّلَاةُ فِي هٰذِهِ الْآيَةِ اسْمُ الْجِنْسِ وَاُرِيدَ بِهَا

الْجَمْعُ وَاسْمُ الْجِنْسِ يَصْلُحُ لِذٰلِكَ قَالَ تَعَالَى لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا

وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا وَهٰذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى فَبَعَثَ اللّٰهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ

وَمُنْذِرِينَ وَاَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ اَيِ الْكُتُبَ وَهِيَ خَمْسُ صَلَوَاتٍ

مَكْتُوبَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَكَانَتْ خَمْسِينَ عَلَى مَنْ قَبْلَنَا وَكَذَا فُرِضَتْ

والاخلاط النصوح اصلاح الطوية والاستقبال القبلة بالوجه والقلب

علينا ليلة المعراج • ثم حطت الى خمس تخفيفا وثبتت جزاء الخمسين تضعيفا
وتكتب الصلوة بالواو اتباعا لمصحف الامام ثم كتبت فيه الصلاة والزكاة
والحيوة بالواو • وانما كتبوا الصلاة بالواو اشعارا لأن اصلها الواو
فقد قلبنا الفا من الصلاة وهي واوي • ولذلك تقال في تثنية الصلوات
ثم ان الله تعالى سماها صلاة في آيات وسماها تسبيحا في قوله فسبحان الله
حين تمسون وسماها إيمانا في قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم وقرآنا
في قوله وقرآن الفجر وحسنات في قوله • ان الحسنات يذهبن السيئات
وقنوتا في قوله تعالى يا مريم اقنتي لربك • وركوعا في قوله تعالى واركعوا
مع الراكعين • وسجودا في قوله آناء الليل وهم يسجدون • وامانة في قوله
انا عرضنا الامانة وذكرا في قوله رجال لا تلهيهم تجارة ولا
بيع عن ذكر الله واستغفارا في قوله تعالى • والمستغفرين بالاسحار
ثم المذكور في الآية اقامة الصلاة • والله تعالى امر في الصلاة باشياء
باقامتها بقوله واقيموا الصلاة وبالمحافظة عليها وادامتها لقوله تعالى
الذين هم على صلاتهم دائمون • وباداءها في اوقاتها بقوله عز وجل
كانت على المؤمنين كتابا موقوتا • وباداءها في جماعة لقوله تعالى واركعوا
مع الراكعين • وبالخشوع فيها بقوله الذين هم في صلاتهم خاشعون
وبعد هذه الاوامر صار الناس على طبقات خمس طبقة لم يقبلوها •
ورأسهم ابو جهل لعنة الله عليه • فقال تعالى في حقه فلا صدق
ولا صلى وذكر مصيرهم • فقال ما سلككم في سقر قالوا لم نك
من المصلين الى قوله وكنا نكذب بيوم الدين وطبقة قبلوها ولم
يؤدوها • وهم اهل الكتاب قد ذكرهم الله تعالى • فقال فخلف من
بعدهم خلف • قال الكلبي هم اهل الكتاب وقال اضاعوا الصلوة
وذكر مصيرهم • فقال فسوف يلقون غيا وهو دركة في جهنم
هي

بقوله حافظوا على الصلوات ح

هي اهيب موضع فيها تستغيث النار منها كل يوم كذا او كذا مرة • ثم قال
الا من تاب اي من اليهودية والنصرانية وآمن اي آمن بمحمد وعمل
صالحا اي حافظ على الصلوات وطبقة يؤدونها اداء وبعضها ولم يؤدوا
بعضها متكاسلين وهم المنافقون قد ذكرهم الله تعالى ان المنافقين يخادعون
الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وذكر مصيرهم • فقال
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وطبقة يؤدونها لكن بعد
خروج وقتها قد ذكرهم الله تعالى في كتابه فقال فويل للمصلين الذين هم عن
صلاتهم ساهون وذكر مصيرهم وويل هو واد في جهنم لو جعلت فيه
جبال الدنيا لماعت اي سالت • قال النبي صلى الله عليه وسلم من ترك
صلاة حتى مضى • وقتها ثم قضاها عذب في النار حقبا • والحقب
ثمانون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم الف سنة مما
تعدون • وطبقة قبلوها • وهم يراعونها في مواقيتها بشرائطها ورأسهم
المصطفى صلى الله عليه وسلم • قد ذكره الله تعالى بقوله ان ربك يعلم
انك تقوم ادنى من ثلثي الليل الآية • وقال تعالى قل ان صلاتي
ونسكي ومحياي لله رب العالمين الآية واصحابه كذلك قد ذكرهم
تعالى بقوله قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون وذكر
مصيرهم • فقال اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
وهو ارفع موضع في الجنة وابقاه ينال المؤمن فيه مناه وينظر الى مولاه
وقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون فالرزق هو الاعطاء وان اختلف
وجوهه فان الرزق يكون عليكا • قال الله تعالى ومما رزقناهم
اي ملكناهم ويكون غذاء • قال تعالى وما من دابة في الارض الا على
الله رزقها اي غذاؤها ويكون طعاما • قال الله تعالى فليأتكم برزق
منه ويكون مالا • قال الله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء اي المال

ويكون مطعما قال تعالى وما أنزل الله من السماء من رزق ويكون
هبة قال تعالى وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين
فارزقوهم منه هو هبة شيء لغيره إلى ذمته تبرعا أو تصدقا ويكون
أجرا أو وظيفة كرزق القضاة والجنود وكل ذلك راجع إلى الإعطاء ثم
الرزق هو التغذية عندنا وهو عند المعتزلة التمليك فالحرام عندهم
ليس برزق لأنه ليس بملك وهذا أي عابد الغنم منهم وهو
نهاية الضلال فإنه رد كتاب الله تعالى قال عز وعلا وما
من دابة في الأرض إلا على الله رزقها والحيوانات عندهم
ليست تأكل رزق الله تعالى لأنها لا تملك وآكل الحرام عندهم
وكاسبه في جميع عمره لم يأكل من رزق الله ولم يرزقه الله عز
وجل شيئا ثم إنما ذكر الله تعالى هذا الفعل بصيغة الجمع من
نفسه وهو واحد لا شريك له لأنه خطاب الملوك والله تعالى مالك
مالك الملك وملك الملوك فله استحقاقه وسنة الخلافة والمعهود من
كلام الملوك أنهم أوجبوا الأخبار على لفظ الوحدان فعلت كذا وعلى
لفظ الجمع فعلنا كذا وعلى ما لم يسم فاعله رسم لكم كذا وإضافة
الفعل إلى اسمه على وجه المغايبة أمركم سلطانكم بكذا والقرآن
نزل بلغة العرب فجمع الله تعالى فيه هذه الوجوه كلها فيما أخبر عن
نفسه فقال تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا الآية وهذا على صيغة
الواحد وقال تعالى إنا أنزلناه إنا أرسلنا نوحا إنا أعطيناك الكوثر
إنا فتحنا لك فتحا مبينا إنا خلقنا وهذا على صيغة الجمع وقال فيما لم
يسم فاعله كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص كتب عليكم القتال
خلق الإنسان ضعيفا خلق الإنسان من عجل وقال في المغايبة الله
الذي خلقكم الآية أفمن شرح الله صدره للإسلام الله نزل أحسن
الحديث

فلـلة القادم

بلغ نفع لعبده

الحديث هو الذي أرسل رسوله وقوله تعالى ينفقون والإنفاق هو صرف المال إلى الحاجة والإنفاق
في قوله خشية الإنفاق هو الإقتار والنفوق هلاك الدابة والنفاق رواج
السوق والانتفاق خروج اليربوع من النافقاء والنفاق مخالفة السر العلانية
ومرجع ذلك كله إلى الانتهاء والإفناء وتفسيره فيه ستة أقاويل
قال ابن عباس رضي الله عنهما أي من الأموال التي أعطيناهم يؤتون
الزكاة كما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم والوعيد لا يكون إلا بترك
الفرض وقد قرن الله تعالى الصلاة بالزكاة في آيات من كتابه
أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة أقاموا الصلاة
وآتوا الزكاة يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة والنظم بينهما أن الصلاة
حق الله تعالى وصرف الزكاة إلى الفقير حق عباد الله والواجب بكليهما
بأمر الله ومرجع جميع العبادات إلى هذين فالصلاة عبادة بدنية
والزكاة عبادة مالية وجميع العبادات تنقسم إليهما والثاني قول
ابن مسعود رضي الله عنه هو الإنفاق على الأهل قال الله تعالى
لينفق ذو سعة من سعته الآية والثالث قول الضحاك هو التصدق
من أنواع الأموال في الوجوه المختلفة ويتناول ذلك الصرف إلى كل
خير قال الله تعالى أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من
الأرض والرابع قول بعضهم إنه [illegible] القذاب ونظيره أي صفة إلى
الصلاة أنهم يقرؤون القرآن في الصلاة قال الله تعالى تتجافى
جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم
ينفقون أي مما أعطيناهم من القرآن يتلون فليس هذه حالكم إنفاق
المال فإنه صلاة الليل والخامس أنه إنفاق الروح قال تعالى
وأنفقوا في سبيل الله أي بأرواحكم ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة أي إلى

يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة

من الجامع

جزاء الحيوة الباقية الحاصلة بالشهادة، بقوله احياء عند ربهم يرزقون
والسادس اي لا يدخرون عن الله شيئا مما هو لهم فينفقون نفوسهم
في اداب العبودية وينفقون قلوبهم على دوام مشاهدة الربوبية
فانفاق اصحاب الشريعة من حيث الاموال، وانفاق ارباب الحقيقة
من حيث الاحوال، والاجمع ان يقال انفاق الاغنياء من اموالهم
لا يدخرونها عن حقايق المراقبة، وانفاق المحبين من ارواحهم
لا يدخرونها عن مجاري الاقضية والاقصر ان يقال ان انفاق الاغنياء
من النعم وانفاق الفقراء من الهمم، فان انفاق الاغنياء اخراج
المال من الجيب، وانفاق الفقراء من الهم فانفاق المالك اخراج
الاغيار عن القلب والاظهر ان يقال المراد من النفقة هي الزكاة
وزكاة كل شيء من جنسه زكاة مال مواساة بادب وبيان است وزكاة
عز تواضع واحسان است وزكاة سرور نصرت ضعيفان است وزكاة
فرزندان نواختن يتيمان است وزكاة خانه آوردن مهمان است
وزكاة علم تعليم ديگران است وزكوة صحت پرهيز ازگناهان است
وزكاة قوت جهاد باكافران است وزكوة آواز خوش وزكوة آواز
خوش خواندن قرآن است وزكوة تن نا كردن عصيان است وزكوة
زبان ناگفتن بهتان است وزكاة چشم نانگرستن بيگانه زنان است
وزكوة عبوديت نگاه داشتن فرمان است وزكوة ايمان خدمة اركان
است وزكوة اسلام مخالفة شيطان است وزكاة زهد دور بودن
ارسلطان است وزكوة دل تعظيم ايمان است وزكوة سر مراقبت
امر يزدان است وزكاة روح كالي فدا كردن جان است وزكوة محبت ياد كردن
رحمن است وزكاة مروت نواختن غريبان است ثم ذكر في الاية
الايمان وهو بالقلب ثم الصلاة وهي بالبدن ثم الانفاق وهو بالمال وهي
مجموع

عن اهل الحاجة وانفاق العابدين من نفوسهم لا يدخرونها عن وظايف الخدمة وانفاق العارفين من قلوبهم لا يدخرونها ...

العبد عن باب السلطان وزكوة القلب تعظيم الايمان وزكوة السر مراقبة امر الله الصمد وزكوة المحبة ان تفدي روحه في سبيل الله بالجهاد

مجموع كل العبادات ففي الايمان النجاة وفي الصلاة المناجات وفي الانفاق
الدرجات وفي الايمان البشارة وفي الصلاة الكفارة وفي الانفاق
الطهارة، وفي الايمان العزة، وفي الصلاة القربة، وفي الانفاق
الزيادة، وقيل ذكر في هذه الاية، اربعة اشياء التقوى والايمان
بالغيب، واقامة الصلوة والانفاق، وهي صفات الخلفاء الراشدين الاربعة
ففي الاية بيان فضلهم التقوى لابي بكر الصديق رضي الله عنه قال
تعالى فاما من اعطى واتقى والايمان بالغيب لعمر الفاروق رضي الله
عنه قال الله تعالى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين واقامة
الصلاة لعثمان ذي النورين قال تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا
وقائما الاية، والانفاق لعلي المرتضى رضي الله عنه قال تعالى الذين
ينفقون اموالهم بالليل والنهار الاية **وقوله تعالى** والذين يؤمنون
بما انزل اليك والانزال في اللغة لمعان للارسال من علو الى سفل
قال تعالى ربنا انزل علينا مائدة من السماء وللامطار قال
تعالى فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وللاعطاء قال تعالى
وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وللخلق قال تعالى وانزلنا
الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس، وللوضع والشرع قال
تعالى وانزلنا معهم الكتاب والميزان فهو في حق الميزان، وضع وشرع للتقدير
كما قال ووضع الميزان ويكون بمعنى الاعلام قال تعالى كانت لهم جنات
الفردوس نزلا ومنازل الجنة ليست للنزول فيها من علو الى سفل
بل من سفل الى علو، قال تعالى فاولئك لهم الدرجات العلى وفي الحديث
يقال لصاحب القرآن اي قاريه اقرأ وارق ويكون في معنى التوبة
قال تعالى وقل رب انزلني منزلا مباركا، ويكون بمعنى التضييف قال
تعالى وانا خير المنزلين اي المضيفين ويكون في معنى مراعات، الشيء على محله ومنزله

ابو اوحي البك ع

قال النبي صلى الله عليه وسلم انزلوا الناس على منازلهم اي اجعلوهم
على اقدارهم ويكون بمعنى الوحي كما قال في هذه الآية بما انزل اليك
وإن حمل على الانزال الذي هو من العلو الى السفل فمعناه إنزال جبريل
لتبليغه كما قال تعالى نزل به الروح الأمين وانه لتنزيل والتكرير
والتكثير من الإنزال ثم معنى ما أنزل اليك هو القرآن الذي
يتلى والوحي الذي لا يتلى فالمتلو هو هذه السورة والآيات
وغير المتلو ما بين النبي صلى الله عليه وسلم من اعداد الركعات
ونصب الزكوات وحدود الجنايات قال الله وما ينطق عن الهوى
إن هو إلا وحي يوحى قال النبي صلى الله عليه وسلم الا اني اوتيت
القرآن ومثله ثم هذا الانزال هو من الله تعالى واسناد كر
ها هنا على ما لم يسم فاعله لما مر ان خطاب الملوك يقع على
اربعة اوجه وقد ذكرت هذه الوجوه كلها في هذه الكلمة
قال في صيغة الواحد وآمنوا بما انزلت وقال في صيغة
الجمع انا انزلنا اليك الكتاب وقال في ذكر الاسم آمنت بما انزل
الله وقال فيما لم يسم فاعله بما انزل اليك ها هنا قال
بما انزل اليك وقال في آية اخرى اتبعوا ما انزل اليكم فاضاف
الى جميع الامة لان المنزل على الرسول يلزم احكامه جميعهم فكان
خطابه خطابهم وهو ايضا تشريف لهم وجمع في الكرامة بينه
وبينهم وقوله تعالى وما انزل من قبلك اي ويؤمنون بما انزل
من الكتب قبلك على سائر الانبياء ثم الايمان بتلك الكتب مع تنافي
في احكامها من وجهين احدهما التصديق ان كلها من عند الله والثاني
الايمان بما لم ينسخ من احكامها ثم انتظام هذه الآية بما قبلها
بما ذكر انه لما ذكر في مدح المؤمنين بالتقوى والايمان بالغيب
والصلاة

والصلاة والانفاق في الآية الأولى قال اهل التفسير هذا الثنا وهي
اوصاف لما يتصل بقوله والذين يؤمنون بما انزل على محمد كانوا يؤمنون
بما انزل على الانبياء الذين قبله فثبت ذلك وجهم عن ذلك بكفرهم
بما انزل على محمد وعلى هذا يكون قوله والذين نعتا للمذكورين قبله
والواو لا يكون للعطف الذي هو للمغايرة بل يكون ذكر نعوت مترادفة
لمنعوت واحد بالواو كما قال وسيدا وحصورا ونبيا وقال تعالى
غافر الذنب وقابل التوب ويجوز ان يقال فلان عالم زاهد
صادق ويجوز عالم وزاهد وصادق لان الاسم المشتق من الفعل
المطلق على المسمى هو دلالة على الذات وعلى الصفة القائمة به
فباعتبار انه دلالة على الذات هو هو وباعتبار انه دلالة على
صفة قائمة هو غيره فجاز ذكر الصفات بحروف لاتحاد الذات
ومع الواو لتغاير الصفات ويجوز ان يكون هذا ابتداء ويكون جوابه
أولئك على هدى الآية فان قالوا لما ذا كرر ذكر الايمان في هذه
الآية بعد ما ذكره في الآية الاولى والقرآن على الايجاز فجوابه
من وجوه احدها ان التكرير للتأكيد والتقرير متعارف العرب
قال قائلهم كم نعمة كانت لكم كم كم وكم وفي القرآن ويل يومئذ
للمكذبين في سورة المرسلات مرات وفي سورة الرحمن فبأي
آلاء ربكما تكذبان مرات والقرآن نزل بلغة العرب والثاني
ان الثاني رد لقول اهل الكتاب وكان اعادة لحدوث افادة
والثالث ان هذا غير الاول فان الايمان ايمان بالغيب وهو
القيامة وما فيها وهذا ايمان بالقرآن وسائر الكتب ولئن حمل
الغيب المذكور في الآية الأولى على القرآن فهذا على الايمان بالوحي
الذي لا يتلى وسائر الكتب فلم يكن تكرارا وقوله تعالى وبالآخرة هم

يوقنون والآخرة تأنيث الآخر وهو الذي يقابل الأول وهو في المعدودات
اسم للعدد اللاحق والآخر بفتح الخاء هو الذي يلي الأول والآخرة هي
نعت لاسم مضمر واختلف في ذلك أهل التفسير قال بعضهم هي
الدار الآخرة وقد نص عليها في آيات وللدار الآخرة خير وهي
تقابل هذه الدار وهي الدنيا وقد جمع بينهما في آيات فقال تعالى
حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وقال لعلكم تتفكرون في
الدنيا والآخرة وقال تعالى وجيها في الدنيا والآخرة وقيل
هي الحياة الآخرة فقد جمع بينها وبين الحياة الدنيا في آيات فقال
اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة وقال يشترون الحياة الدنيا بالآخرة
وقال أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة وقال تعالى فما متاع
الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل وقال تعالى لهم البشرى في الحياة
وفي الآخرة وقال تعالى يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة وقال
تعالى هي النشأة الآخرة فقد قال ولقد علمتم النشأة الأولى وقال
ثم الله ينشئ النشأة الآخرة وقال تعالى وأن عليه النشأة الأخرى
ثم هذه الكلمة ذكرت في القرآن لأشياء لملة عيسى قال الله تعالى
ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة وللكلمة الآخرة قال الله تعالى
فأخذه الله نكال الآخرة والأولى أي بكلمته الأولى ما علمت لكم
من إله غيري وبكلمته الآخرة أنا ربكم الأعلى وكان بينهما أربعون
سنة ولحالة تأخير الوحي إلى النبي عليه السلام قال تعالى
وللآخرة خير لك من الأولى وللقبر يثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وللبعث بعد الموت
قال تعالى ثم الله ينشئ النشأة الآخرة وللقيامة قال الله تعالى
وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وللثواب قال تعالى يحذر
الآخرة

وأن عليه النشأة الأخرى

الآخرة والجنة قال تعالى والآخرة عند ربك للمتقين وقال تعالى
تلك الدار الآخرة وقوله تعالى هم يوقنون فاليقين نقيض الشك
وقيل هو زوال الشك وقيل هو من قول العرب يقن الماء في الحوض
أي استقر فكان اليقين طمأنينة القلب وسكونه على حقيقة الشيء وقيل
هو وقوع العلم من جهة الاستدلال والأسباب التي تفيدها
العلم ولذلك لا يوصف الله تعالى بالإيقان بالشيء لأنه عالم بعلمه الأزلي
لا بعلم مكتسب وقيل هو التصديق بالشيء بعد العلم به وافتعل منه
أيقن بالشيء وتيقن به واستيقن به كما يقال أقدم وقدم وتقدم
واستقدم فأما تفسيره فقد قيل يوقنون أي يعلمون بخبر ربهم
وليسوا كالذين قالوا إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل أي
وقيل أي يعلمون بما يعملون منه فلا يركنون إلى الدنيا ولا يغفلون
عن الآخرة ولا يعملون بما يعاقبون أو يعاتبون عليه في الآخرة
واليقين المذكور في القرآن جاء لمعان التصديق كما في هذه الآية وللتحقيق
كما في قوله تعالى وما قتلوه يقينا ولكونه متيقنا به في نفسه وإن شك
فيه البعض كما قال في حق القرآن إن هذا لهو حق اليقين وللموت
كما قال واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وللقيامة كما قال ثم لترونها
عين اليقين وللعلم والعمل به كما قال تعالى هذا بصائر للناس
وهدى ورحمة لقوم يوقنون ثم في اليقين ثلاثة أشياء علم اليقين
وعين اليقين وحق اليقين وفي تفسيرها أقاويل قيل علم كل عاقل
بالموت علم اليقين فإذا عاين الملائكة فهو عين اليقين فإذا ذاق
الموت فهو حق اليقين وقيل علم اليقين الإخبار عن الشيء على ما هو به
وعين اليقين معرفته على ما هو به وحق اليقين هو ذلك الشيء وقيل
علم اليقين ما حصل بالخبر والاستدلال وعين اليقين ما وقع بالتعريف

والالهام وحق اليقين هو ذلك الشيء وقيل علم اليقين مجموعهما وقيل
علم اليقين ظاهر الشريعة وعين اليقين الاخلاص فيها وحق اليقين
المشاهدة فيها ثم ثمرة اليقين بالآخرة الاستعداد لها فقد قيل عشرة
من المغرورين من ايقن ان الله خالقه فلا يعبده ومن ايقن ان الله
رازقه فلا يطمئن به ومن ايقن ان الدنيا زائلة فيعتمد عليها ومن
ايقن ان الورثة اعداؤه فيجمع لهم ومن ايقن ان الموت آت فلا يستعد
له ومن ايقن ان القبر منزله فلا يعمره ومن ايقن ان الديان محاسبه
فلا يصحح حجته ومن ايقن ان الصراط ممره فلا يخفف ثقله ومن
ايقن ان النار دار الفجار فلا يهرب منها ومن ايقن ان الجنة دار
الابرار فلا يعمل لها وقيل غاية اليقين اربعة ترك الدنيا قبل
ارتحالك عنها وطلب الآخرة قبل قدومك عليها والاستعداد
للموت قبل نزوله وللكربة وارضاؤك للرب قبل لقائك اياه ثم ذكر
في هذه الآية من المؤمنين الايمان بالآخرة فقال وبالآخرة هم
يوقنون وذكر منهم الظن في اخرى فقال الذين يظنون انهم ملاقوا
ربهم وانهم اليه راجعون فهو لطف من الله تعالى باثبات صفات
لهم تختلف ظواهرها وتتفق معانيها وصفهم بالجهل في قوله تعالى
عملوا السوء بجهالة وبالعلم في قوله تعالى واولوا العلم وبالفقر
في قوله تعالى انتم الفقراء الى الله وبالغنى في قوله تعالى وانه هو اغنى
واقنى وبالضعف في قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وبالقوة في
قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
وبالذلة في قوله تعالى اذلة على المؤمنين وبالعزة في قوله تعالى
اعزة على الكافرين وبالنسيان في قوله تعالى يا ايها الانسان وبالذكر
في قوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وبالعبودية في قوله
تعالى

تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا وبالملك في قوله
تعالى وجعلكم ملوكا وبانه اوجدهم اولا على ملكه فقال الله الذي
خلقكم ثم اخبر بانه اشترى المؤمنين فقال تعالى ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم ثم جعلهم في العمل له كالاجير فقال
فلهم اجرهم بلوفيهم اجورهم فنعم اجر العاملين ثم سماهم اولياءه
فقال الا ان اولياء الله وسمى نفسه وليهم فقال الله ولي الذين
آمنوا والله ولي المؤمنين وذكر محبته اياهم ومحبتهم اياه فقال
يحبهم ويحبونه ووجه ذلك كله ان الظن في ابتدا الحال واليقين
بعد صحة الخبر والاستدلال والجهل بعاقبة المعصية والعلم
بحقيقة الشهادة والفقر باصل الخلقة والغنى بتبديل الخلقة والضعف
بالبنية والقوة بالهمة والذلة بملاحظة الاولياء والعزة لمخاشنة
الاعدا والنسيان بالجبلة والذكر بالمعونة والعبودية بالاصل
والملك بالفضل والاشترا بالحث على بذل النفس والمال لوجه
ذكر الجلال والاجر لتهنية الثواب والولاية والمحبة لمعاملته معنا
معاملة الاوليا والاحباب والله اعلم بالصواب وقوله تعالى
اولئك اي المذكورون قبله وهم المتقون الموصوفون بالايمان بالغيب
وسائر الاوصاف المذكورة بعده على قول من جعل والذين يؤمنون
صفة بلا واو او عطفا عليهم ويبتدي الكلام بقوله تعالى هم يوقنون
ويكون اولئك مبتدأ وقوله تعالى على هدى خبر المبتدا فاما من
جعل الواو للابتداء بقوله اولئك خبر ذلك المبتدا ويرجع على
الخصوص الى المذكورين في قوله عز وجل والذين يؤمنون بما انزل
اليك الآية وقوله على هدى اي على هداية اي على رشد وقيل اي بيان
وحجة وقيل اي صواب وحق وصحة وهذا اثبات فعل العبد وقوله تعالى

جلوكن

من ربهم هذا الباب بتوفيق الله والاول رد على الجبرية والثاني
رد على المعتزلة وهما جميعا دليل اهل السنة والجماعة وهو كقوله
اياك نعبد واياك نستعين والهدى اسم الاسلام والله تعالى سمى
الاسلام باسماء واضاف كل واحد من ذلك الى نفسه هدى الله
صراط الله فطرة الله صبغة الله دين الله نور الله حبل الله كلمة الله
واياتها قال ان الهدى هدى الله صراط الله الذي فطرة الله التي صبغة
الله يدخلون في دين الله افواجا واعتصموا بحبل الله يريدون ان يطفئوا
نور الله وكلمة الله هي العليا وسماه باسماء مفردة كلمة التقوى
والزمهم كلمة التقوى والكلم الطيب اليه يصعد الكلم الطيب وكلمة مثل كلمة
طيبة والقول الطيب وهدوا الى الطيب من القول وقول الصواب
الا من اذن له الرحمن وقال صوابا والقول المرضي ورضي له قولا
وقول الحق ولا تقولوا على الله الا الحق ودعوة الحق له دعوة الحق
وشهادة الحق الا من شهد بالحق والعهد الا من اتخذ عند الرحمن عهدا
والحسنة من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم
في النار والاحسان هل جزاء الاحسان الا الاحسان والايمان
ان هذا اكم الايمان والاسلام ان الدين عند الله الاسلام ولا تقولوا
لمن القى اليكم السلم والسلم ادخلوا في السلم كافة والسبيل انا هديناه
السبيل وسبيل الرشاد اهدكم سبيل الرشاد وسبيل الرشد وان
يروا سبيل الرشد والرشد يهدي الى الرشد والنعمة فضلا من الله ونعمة
والفضل ذلك بفضل الله والعدل ان الله يامر بالعدل قال صاحب
رضي الله عنهما اي بالتوحيد والحق وقل الحق من ربكم والذي جاء بالصدق
وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو المؤمن الذي يقول الصدق وهذا
فرد بمعنى الجمع فقد قال اولئك هم المتقون والبر ولكن البر من آمن
بالله

بالله والبينة قل اني على بينة من ربي والدين مخلصين له الدين ودين
الحق بالهدى ودين الحق ودينا قيما ذلك الدين القيم ودين القيمة وذلك
دين القيمة والطريقة وان لو استقاموا على الطريقة والشريعة
شرع لكم من الدين فهذه اربعون اسما وللمؤمن منها اسماء ومن
الله علينا بذلك فقال يمن عليكم ان هداكم هو سماكم هو اجتباكم
هو مولاكم ثم قال فنعم المولى ونعم النصير وقال للكافرين
يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ثم
قوله تعالى اولئك على هدى مدحهم وقوله من ربهم بيان انه
من عنده حصل لهم وهذا افضل منة عليهم حيث مدحهم وهو الذي
مدحهم وهو كما قال في حق يوسف صلوات الله عليه كذلك لنصرف
عنه السوء والفحشاء وهو بيان المنة بصرفه وعصمته ثم قال انه
من عبادنا المخلصين وهو ثناء عليه باخلاصه وصفوته وقال في حقنا
ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ثم اثنى علينا فقال
اولئك هم الراشدون وقال حبيب العجمي الهي انت تمنح وانت تمدح
ثم مجموع الاية انه قال الاية انه قال للمتقين وهو مدح بترك
كل المخالفات ثم قال ان الذين يؤمنون بالغيب وهو ثناء باساس الطاعات
ثم قال ويقيمون الصلاة وهو مدح بما هو اساس العبادات ثم قال والذين
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وهو التصديق بكل
الرسالات ثم قال وبالآخرة هم يوقنون وهو الاقرار والاعتقاد
بالبعث والجزاء على كلية المعاملات ثم قال اولئك على هدى من
ربهم وهو شهادة لهؤلاء الموصوفين بالهداية في كل الحالات وحق
لمن جمع هذه الصفات ان يوصل لهذه الكلمات ثم في هذه الآية ذكر
الهدى للموصوفين بكل هذه الصفات وفي قوله قولوا آمنا بالله وما

[illegible]

أنزل إلينا إلى قوله تعالى فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وذكر
لهم الهداية بالإقرار والاعتقاد بدون سائر الطاعات بيانا لشرف
الإيمان وجلالة قدره وعلو أمره فإنه إذا قوي لم يبطله نفس المخالفات
بل هو الذي يجلب صاحبه إلى التوبة بعد التمادي في البطالات وكما
هدى القوم إلى الإيمان يهديهم غدا إلى الجنان قال تعالى إن الذين آمنوا
وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم وذلك أن المطيعين يسعى
نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وهم على مراكب طاعاتهم والملائكة
تتلقاهم قال تعالى يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا وقال
عز وعلا وتتلقاهم الملائكة والعصاة مفردين منقطعين في ساحات
القيامة ليس لهم نور الطاعة ولا في خدمتهم استقبال الملائكة فلا
يهتدون السبيل ولا يهديهم دليل فيقول الله لهم يا عبادي إن
أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون إن أهل الجنة من حسن الثواب لا
يتفرغون لكم وأهل النار من شدة العقاب لا يرحمونكم معاشر
المساكين سلام عليكم كيف أنتم إن كان أشكالكم سبقوكم ولم
يهتدوكم فأنا أهديكم إن عاملتكم بما تستوجبون فأين الكرم
واشتد وانحن إذا في الجفا وسلهم إذا هجرناهم كما هجروا **وقوله تعالى**
وأولئك هم المفلحون وأولئك عطف على قوله أولئك فهذا أثبت أمر
وكلمة هم تأكيد وتسمى فصلا وتسمى عمادا والمفلحون خبره أولئك
وقيل هم مبتدأ آخر والمفلحون خبره وهما جميعا خبر أولئك والفلاح
في اللغة لمعان للبقاء قال لبيد نحل بلادا كلها حل قبلنا ونرجوا
الفلاح بعد عاد وحمير وللظفر بالخير قال عدي ثم بعد الفلاح
والملك والنعمة وأرتهم هناك القبور وللظفر وللإصابة بالخير
قال لبيد فاعقلي إن كنت لما تعقلي ولقد أفلح من كان له عقل
وللفوز

بلغ

وللفوز والنجاة قال الشاعر قد أفلح الساكت الصموت وللعيش قال
عبيد بن الأبرص أفلح بما شئت فقد يبلغ بالضعف وقد يخدع الأريب
وأما تفسيره هاهنا فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما أي الناجون
من النار وقال قتادة أي الباقون في الجنة وقال ابن كيسان أي
الذين ظفروا بما طلبوا ونجوا مما منه هربوا وقال أبو عبيدة أي
المصيبون الخير وقال القتبي أي الباقون في النعيم المقيم وقيل
أي الفائزون بقهر الأعداء وهي هوى النفوس وخواطر
القلوب ووساوس الشيطان وحاصله كله يرجع إلى ثلاثة أشياء
أحدها الظفر وبسطه أنهم ظفروا على النفس فقهروها فلم
تجرهم إلى متابعة هواها وعلى الدنيا فهجروها ولم تغرهم زخارف
سواها وعلى الشيطان فخالفوه فلم يفتنهم بالوساوس على غرائم
السوء فتحاموهم ولم يتلبسوا باستعمال المشاقين والثاني النجاة
وبسطه أنهم نجوا من الكفر والضلالة والبدعة والجهالة
وغرور النفوس ووسوسة الشيطان وزوال الإيمان وفقد
الأمان ووحشة القبور وأهوال النشور وزلة الصراط
وسلط الزبانية الشداد الغلاظ وحرمان الجنان وبئسا القطيعة
والهجران والثالث البقاء وبسطه أنهم يبقون في الملك الأبدي
والنعيم السرمدي وقالوا نعيما لا حساب له ولقاء لا حجاب
له فإن قالوا لم قال أولئك على هدى من ربهم وفلاح لاستقام
وكان أوجز في الكلام فلم لم يقل كذلك قلنا لأن الواصل يتفقون
ويتوقفون ما لذي يساوي بهما المفلحون فإن قالوا لم لم يقل أولئك
هم المهتدون المفلحون قلنا لأنه يكون فيه بيان اهتدائهم دون
بيان أنه من ربهم فإن قالوا لم لم يقل وأولئك هم المفلحون

وهو أوجز قلنا في زيادة كلمة منه نوع ثا لبيد وهو أبلغ وفارسيتهما
الجامعة بدنيا واستكاران وبقيا منه رستكاران بدنيا بدرواه
راست وبقيا منه باركاراست **وقوله تعالى** ان الذين كفروا فاصل
الكفر في اللغة الستر والتغطية قال لبيد يعلو طريقة متنها
متواترا في ليلة كفر النجوم غمامها والكافر الليل المظلم لستره الاشيا
بظلمته والكافر الزارع لستره البذر في الارض بزراعته والكافر
الذي لبس فوق درعه ثوبا لستره بدنه بدرعه ودرعه بثوبه
والكافر البحر والنهر الكبير الماء لستره الارض بمائه والكافر
نقيض الشاكر لستره النعمة بكفرانه والكافر المنكر لستره الحق بباطله
والكافر المشرك لستره الايمان بشركه والكفارة مغطية الذنب
ورماد تكفور سفت الريح التراب عليه حتى غطته والكافر في القرآن
على اربعة اوجه احدها نقيض المؤمن قال تعالى الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله والثاني الجاحد قال ومن كفر فان الله غني عن العالمين
اي جحد وجوب الحج والثالث نقيض الشاكر قال تعالى واشكروا لي
ولا تكفرون والرابع المتبري قال تعالى ثم يوم القيامة يكفر بعضكم
ببعض اي يتبرأ بعضكم من بعض ثم معنى المذكور في هذه الآية إن
الذين اشتروا الايمان بالكفر والتوحيد بالشرك والحق بالباطل والنعمة
بالكفران وخبر الله تعالى بالتكذيب ورسالة الرسل بالجحود وامور القيامة
بالانكار واختلفوا في المراد بالآية قال ابن عباس رضي الله عنهما
هم اليهود الذين حول المدينة وقال الربيع بن انس هم قادة الاحزاب
وقال الطبري هم مشركوا اهل الكتاب كلهم وحكى بيان هذه الاقاويل
واقاويل اخر بعد تمام الآية إن شاء الله تعالى **وقوله تعالى** سواء عليهم
اي مستو عندهم الانذار وتركه فهو مصدر أريد به النعت كقولك
رجل

رجل عدل اي عادل لان النعت من اسبه المصادر كالذهاب والفلاح
والفساد ويجوز ان يكون بنا النعت ايضا كقولك سيف كهام وادم
صاح ورجل شحاح وهذه الكلمة ذكرت في القرآن لمعان للعدل في قوله
جل جلاله قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء اي عدل وللوسط
في قوله عز وعلا فاطلع فرآه في سواء الجحيم اي في وسطها وللقصد الطريق
في قوله تعالى عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اي قصد الطريق وللمستوي
كما في قوله تعالى قالوا سواء علينا او عظت ام لم تكن من الواعظين
وللمشاركة كما في ثلاث آيات سواء العاكف فيه والباد ودوا لو تكفرون
كما كفروا فتكونون سواء هل لكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء فيما
رزقناكم فانتم فيه سواء ثم قوله عز وجل سواء عليهم ولم يقل سواء
عليك اي انذارك وترك انذارك ليسا سواء في حقك فانك تثاب على الانذار
وان لم يؤمنوا فاما في حقهم فهما سواء لانهم لا يؤمنون في الحالين وهو
نظير الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر فانه يثاب به الآمر وان لم يعمل به المأمور
وكان هؤلاء القوم كقوم هود الذين قالوا لهود صلوات الله عليه
سواء علينا او عظت ام لم تكن من الواعظين وقال الله عز
وجل في حق هؤلاء سواء عليهم أانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
ويقال لهم في القيامة اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما
تجزون ما كنتم تعملون واخبر عنهم انهم يقولون سواء علينا أجزعنا
ام صبرنا ما لنا من محيص فمن كان الوعظ وتركه لهم سواء وكذا الانذار
وتركه لهم سواء والدعا وتركه لهم سواء كان صبرهم في النار وتركه
سواء وجزعهم فيها وتركه سواء وانت اذا كان عمينا لك في الشباب
والشيب سواء وتماديك في الصحة والمرض سواء واعراضك
في النعمة والمحنة سواء وتماديك في الصحة والمرض سواء واعراضك في النقمة

بيناوبينكم

وقال ايضا سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون

والمهمه و سوىك على القريب والبعيد سوا وزيغك في السر والعلانية سوا اما تخشى ان تكون توبتك عند الموت فاصرارك سوا وعذرك عندا لنزع وشكوتك سوا وريائه الصالحين فتبركك وامتناعهم سوا وقيام الشفعا لمَ بركك النيامة وتركهم سوا وقوله تعالى أأنذرتهم الالف التي تراد في اول الكلمة على صورة الف الاستفهام يجي على ثمانية أوجه للاستخبار كما في قوله قالوا أأنت فعلت هذا وللاستنكار كما في قوله حكاية له أتقولون على الله ما لا تعلمون وللايناس كما في قوله تعالى ألست بربكم وللنفي كما في قوله حكاية له أأنتم اشد خلقا ام السماء بناها وللامر كما في قوله أفلا تتقون وللتمني كما في قوله تعالى أنا نرد ون الناس بالبر وللتحقيق كما في قوله تعالى أتجعل فيها من يفسد فيها وهو تحقيق عند بعضهم وللتسوية اذا كانت الالف في احد شيئين وام في الشيء الآخر كقوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم سواء عليكم أدعوتموهم ام انتم صامتون وفي الاستفهام يدخل للتسوية ايضا في قولك أزيد في الدار ام عمرو وانما تقول ذلك حين استوى علمك فيهما ان احدهما فيها ولذلك يقول في التحقيق علمت ازيد في الدار ام عمرو وقال صاحب النظم وانما ورد هذا بالفا لاستفهام والاستفهام غير محقق وهذا محقق لانه يستقيم ههنا ان يقال سواء عليهم ايهما فعلت الانذار وترك الانذار وكلمة اي في الاصل للاستفهام وهذا في معناه فصلح فيه الاستفهام ثم الانذار هو التخويف وقيل الابلاغ وقيل الاعلام بالعذاب واما قراءته فقد قرا ابو جعفر وشيبة ونافع غير قالون والاعمش بمد وكذا مهموزة واحدة وكذلك ابو عمرو والا ابي عمرو طريق احد في اجتماع الهمزتين فان كانتا متفقتين مضمومتين او مفتوحتين او مكسورتين

حتى

حتى اذا جاء احدهم الموت أولياء أولئك على الهدى ان اردن تحصنا لين الاولى وخفف الثانية فان كانتا مختلفتين كما امن السفهاء الا وبينا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا أأمنتم من في السماء ان يخسف خفف الاولى ولين الثانية واما عاصم وحمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان عن ابن عامر فانهم يثبتون الهمزتين جميعا على الاصل ثم قوله أأنذرتهم خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وكان الانذار منه والانذار المذكور في القرآن من ستة مواضع تعالى فانذرتكم نارا تلظى ومن كتابه قرآنا عربيا الى قوله تعالى بشيرا ونذيرا ومنها بنسا به ولقد ارسلنا فيهم منذرين ومن المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ومن الجن ولوا الى قومهم منذرين ومن الشيب اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير قال الشيب نذير الموت وبريد الموت ورسول الموت ورايد الموت والخبر بمجيء الموت واختلفوا في الذين اريد بهذه الآية قال الكلبي هم رهط من اليهود كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب وجدي بن اخطب وابو ياسر بن اخطب ولبس يا حي حيي وشعبة بن عمرو ومالك بن الضيف وابو لبابة وقد مرت قصتهم عند تفسير الم بتطولها وتفسيرهم المقطعات بتفصيلها ونحوه قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الآية نزلت في شأن اليهود منهم كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب ومالك بن الضيف وكان مالك رأس اليهود وقد جادل النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل وجدت في التوراة ان الله تعالى يبغض الحبر السمين فقال نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم انت منهم فغضب مالك وقال ما انزل الله على بشر من شيء فانزل الله هذه الآية وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب

الذي جاء به موسى فقالت اليهود لمالك ما حملك على هذا الانكار فقال
انه اغضبني فانحسوا كما غضبت كفرت فعزلوه عن الرياسة واقاموا
كعب ابن الاشرف مقامه الى ان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
رهطا من الانصار فقتلوه وكان اليهود امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم
قبل مبعثه وكانوا يستنصرون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا
به وكان سبب كفرهم حب الرياسة واخذ الرشوة قال تعالى
فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا
به ثمنا قليلا وقال مقاتل نزلت الاية في شان عتبة
وشيبة والوليد بن المغيرة وقال الربيع نزلت في الذين قتلوا يوم
بدر وقال ابو الروق نزلت في شان ابي جهل وجماعة معه سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة حتى قال ابو جهل لعنه الله
وكان يسري بالليل فاستقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ايه
على نبوتك والا قتلتك فقال ما تريد قال شق القمر بشقين
فاشار النبي صلى الله عليه وسلم الى القمر وقال ابن مسعود رضي الله
عنه فانشق بشقين فاشار النبي صلى الله عليه وسلم الى القمر فانشق
بشقين فرايت حرا بين شقي القمر فقال اللعين ما اسحرك يا محمد
فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطمع في ايمانهم بعد رؤيتهم
المعجزة وايقانهم فقال الله تعالى ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا
يؤمنون قوله تعالى ام هذه الكلمة في الاعراب على اربعة اوجه
احدها عاطف على مناد خلفه الف الاستفهام ءامنتم من في السماء ان
يخسف بكم الارض ثم قال ام امنتم من في السماء والثاني ابتداء استفهام
كالالف ام لهم نصيب من الملك اي الهم [illegible] بمعنى ام انا خير منه اي

بل انا خير

بل انا خير والرابع بمعنى او من غير استفهام في هذه الاية ثم
قوله تعالى لم كلمة نفي وكلمات النفي لم ولما للماضي لم يلد ولم
يولد ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وليس للحال ليسوا سواء
ولن للمستقبل ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها وما ولا وان الخفيفة
للكل اما ما فيصلح للماضي وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وللحال وما
الحياة الدنيا الا متاع الغرور وللمستقبل وما هم منها بمخرجين
واما لا فيصلح للماضي فلا صدق ولا صلى وللحال لا فارض ولا بكر
وللمستقبل لا يموت فيها ولا يحيى واما ان فيصلح للماضي وان كان مكرهم
وللحال ان الكافرون الا في غرور وللمستقبل بل ان يعد الظالمون م
بعضهم بعضا الا غرورا قوله تعالى تنذرهم مجزوم بلم قوله تعالى
لا يؤمنون قيل ابتداء وجوابان وقيل ان الذين كفروا ابتداء
وقوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ابتداء اخر وجواب
الابتداء الثاني قوله ءانذرتهم اي سواء عليهم انذارك وتركك
الانذار ثم هذا الابتداء وخبره جواب للابتداء الاول وقد
اتصل الاول بالثاني بالهاء العايدة التي في قوله ءانذرتهم وهو كقولك زيد
وجهه حسن ثم قوله لا يؤمنون كلام تام فيه تاكيد لقوله
سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم وبيان له ثم هذا تخفيف على
النبي صلى الله عليه وسلم وتفريغ لقلبه حيث اخبره عن حال
هؤلاء في الابتداء بما اخبر نوحا صلوات الله عليه وساير
الانبياء في الانتهاء فانه قال لنوح بعد طول الزمان ومقاساة
الشدايد والاحزان انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فدعا
بهلاك لهم بعد ذلك وكذلك ساير الانبياء وفي الاية معجزة للنبي
صلى الله عليه وسلم حيث اخبر انهم لا يؤمنون فكان كما اخبر

ءانذرتهم ام لم تنذرهم فالاستفهام
في هذا [illegible] ح
حشه
[illegible]

هو جواب لقوله ان الذين
كفروا وفي الاية تقديم وتاخير
ونظمه ان الذين كفروا لا يؤمنون
سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم
[illegible] ح

وهذا غيب لا يطلع عليه بشر إلا باطلاع الله تعالى والله عز
وعلا لا يطلع على الغيب إلا من اختصه بالرسالة قال تعالى
عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول وفي
الآية إثبات فعل العباد فإنه قال لا يؤمنون وفيه إثبات الاختيار
ونفي الإكراه والإجبار فإنه لم يقل لا يستطيعون بل قال
لا يؤمنون فإن قالوا لم قال لا يؤمنون ونرى بعض
الكفار يؤمنون قلنا ليس هذا في حق كل كافر بل في حق قوم
بأعيانهم وقد بيناهم فإن قالوا لما علم الله أنهم لا يؤمنون فلم أمر
النبي صلى الله عليه وسلم بدعائهم قلنا كان الإنذار للإعذار
قال تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله
حجة بعد الرسل وقال ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا
ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل الآية فإن
قالوا لما أخبر الله تعالى رسوله أنهم لا يؤمنون قلنا لأن النبي صلى
الله عليه وسلم كان رحمة للعالمين كما ورد به الكتاب وقد قال
الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون وقال الإمام القشيري من كان في غطاء وسنة
محجوبا عن شهود حقيقته فسيان عنده قول من دله على الحق وقول من
أعانه على استجلاب الحظ بل هو إلى داعي الغفلة أميل وفي الإصغاء
إليه أرغب وكان الكافر لا يرعوي عن ضلالته لما سبق
من شقاوته كذلك المربوط بأغلال نفسه محجوب عن شهود
غيبه وحقه فهو لا يبصر رشده ولا يسلك قصده وقال أيضا إن
الذي بقي في ظلمات دعاويه سواء عنده نصح الراشدين وتسويلات
المبطلين لأن الله تعالى نزع عن أحواله بركات الإنصاف فلا يصغي

فهلا أهلكهم كما أهلك قوم نوح بعدما أخبر الله أنهم لا يؤمنون ح

بلغ نفع الله به

الداعي

إلى داعي الرشاد كما قيل وعلى النصوح نصيحتي وعلي عصيان النصوح
قوله تعالى ختم الله على قلوبهم انتظامه لما قبله أنه ذكر هؤلاء بصفاتهم
وحالاتهم ثم ألحق به ذكر عقوباتهم والختم في اللغة لثلاثة معان
للطبع ومنه سمي الخاتم لأنه يطبع به وللاختتام وبلوغ الآخر
ومنه ختم القرآن ومنه قوله تعالى في صفة النبي صلى الله عليه وسلم
وخاتم النبيين هو آخر النبيين ومتمم عدة المرسلين وقوله ختامه
مسك أي آخر ما يجد فيه رائحة المسك وللإعلام يقال ختم على
الكتاب وعلى الباب وعلى الشهادة أي أعلم عليها فأما تفسيره هاهنا
فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون
الخير وقال مجاهد هو أن تحف الذنوب بالقلب من كل نواحيه
حتى يلتقي عليه وقال القتبي أي أقفل عليها وأغلقها فلا تعي خيرا
ولا تسمعه والتحقيق على طريق اللغة على الأول أن الله عز وعلا طبع
عليها فجعلها بحيث لا يخرج منها ما فيها من الكفر ولا يدخلها ما ليس فيها
من الإيمان وعلى الثاني أن الله تعالى أتم جحودها وكفرها وعنودها
وجعل ذلك آخر أمرها فلا تزول ولا تحول وعلى الثالث أن الله تعالى
أعلم عليها ووسمها بسمات فيها تعرف وبه توصف وأما معنى هذا
الختم فعلى ثلاثة أوجه لثلاث طوائف من المتكلمين فأما الجبرية فقد
جعلوا ذلك من الله تعالى منعا عن الإسلام والمعرفة وإجبارا
على الكفر والنكرة كما في قوله تعالى اليوم نختم على أفواههم أنه منع
حقيقي وهذا منهم جري على مذهبهم الفاسد في أن العباد مجبورون
ولا فعل لهم اختيارا وفساد كلامهم ظاهر وأما المعتزلة فقد جعلوا
ذلك إعلاما محضا على القلوب بما يطلع الملائكة أنهم كفار فيلعنونهم
ولا يدعون لهم بخير كختم الكتاب أو الباب إعلام عليه بعلامة مجردة

وجعلوا ذلك ايضا مجرد شهادة من قولك كتب فلان شهادة وختم
عليها اي اثبت شهادته تقولون تجاه شهد الله عليها بكفرها
واظهر ذلك للملائكة وهذا ايضا مجرد شهادة منهم جرى على مذهبهم
الفاسد فان افعال العباد ليست مخلوقة لله تعالى ولا هي بقضائه
وتقديره ومشيئته وارادته واما اهل السنة والجماعة فقد
قالوا انه اثبات فعل الكفر وايجاده وحاصل الختم عند اهل
الحق عقوبة من الله تعالى لا يمنع العبد من الايمان جبرا ولا يحمله
على الكفر كرها بل هي زيادة عقوبة له على سوء اختياره وتماديه
في الكفر واصراره حرم بها عن اللطف الذي يستدل به فعل الايمان
وترك العصيان يدل عليه انهم بقوا مخاطبين بالايمان بقوله تعالى
امنوا بالله ورسوله وملومين عن الامتناع عنه لقوله تعالى فما
لهم لا يؤمنون وقوله تعالى وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم
الاخر وهو حجة على الكفر بقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره
اي ما حمله على الكفر ولو صاروا مجبورين وعن الايمان عاجزين
لزال الخطاب وسقط اللوم والعتاب كما في الختم على الافواه
يوم الحساب لما عجزوا به حقيقة عن الكلام لم يبق الخطاب بالكلام
وتحقيق المذهب اثبات فعل العبد وتخليق الله تعالى والمذكور في
هذا المعنى في كتاب الله ثلاثة اشياء الختم والطبع والاكنان وفي
كل واحد منها ذكر فعل نفسه وقال عز وجل ان الذين كفروا
وهذا اثبات فعلهم وقال في الطبع بل طبع الله عليها بكفرهم
وفيه طبع فعله وفيه بكفرهم فعلهم وقال في الاكنان
انا جعلنا على قلوبهم اكنة وقال قبله ومن اظلم ممن ذكر بايات
ربه فاعرض عنها ثم الختم في القرآن على ثلاثة اوجه

> *وفعل العبد اما في الختم فقد قال ختم الله على قلوبهم وهذا اثبات فعل نفسه صح*

للعقوبة

للعقوبة كما في هذه الاية وللكرامة كما في قوله ام يقولون افترى
على الله كذبا فان يشاء الله يختم على قلبك قال مقاتل اي يختم
بالصبر فلا يجد غصة التكذيب وهذا تسهيل عليه بطريق الكرامة
والموعظة كما في قوله تعالى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به قالوا يختم اخذه
اعيانها ويختم اخذه منا فيها مع بقاء صور اعيانها وتقديره ايها
الناس تعلمون ان الاسماع والابصار بتغيير الحق لو اخذ الله تعالى
هذه الاعيان واذهبها فمن ياتي بها وايها الناس تعلمون هذه
الاشياء بالحق لو ان الله ازالها عن الحق فمن الذي يعيدها اليه
فهو تنبيه وعظة بالباطل والحق جميعا ثم سبب هذه العقوبة
الاصرار على الذنوب روى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ان المؤمن اذا اذنب كانت نكتة
سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها
وان زاد زادت حتى تعلو قلبه وقال سهل الخطوط عن هذا
الختم رفع الختم عن الخبيث فلا يسمعه عن حق ووضع الختم على اللسان
فلا ينطقه في باطل وقوله تعالى على قلوبهم هي جمع القلب وهو
الفؤاد وقلب كل شيء خالصه واشرفه وعذبه قلت اي خالص
وقلب النخلة ثاني وسطها وقلب الشيء صرفه وانقلابه انصرافه
والقلب نجم من منازل القمر والقلب والحول بالتشديد الذي يقلب
الامور ويحتال لها فسمي قلب الانسان به لانه اشرف اعضائه
لما فيه من العقل والفهم ونحو ذلك ولانقلابه وكلا صافته كالنجم
ولتقلبه في الامور ولتصريفه الاعضاء والقلب في قوله ان في
ذلك لذكرى لمن كان له قلب قيل اي عقل وقوله تعالى وعلى سمعهم

فالسمع في الأصل السماع وهو مصدر والسمع أيضا الأذن بمعنى السامعة
والسمع بالكسر الصيت والاستماع الإصغاء للسماع والسامع والسميع النعت
والسميع أيضا المسمع وقوله فاسمعون أي فأطيعون ودعا لا يسمع أي لا يجاب
وسمع الله لمن حمده أي قبل وأجاب وسماعون للكذب أي قابلون للباطل
وفيكم سماعون لهم أي جواسيس إنك لا تسمع الموتى أي لا تقدر أن
توفق الكفار لقبول الحق وكانوا لا يستطيعون سمعا أي سماع القرآن
لبغض الرسول وفي الخبر أي الساعات أسمع أي أحق بالدعاء وأرجى
للإجابة وفي الحديث لم أسمع قولا أسمع منه أي أبلغ وأنجع في القلب
كل هذا من السماع ثم معنى الآية ختم الله على آذانهم فجعلها لا تصغي
إلى خير ولا تعيه ولا تقبله عقوبة لهم على سوء اختيارهم وميلهم
إلى الباطل وإيثارهم وقول القرامطة والجبرية فيه رددنا
قولهم على نحو ما سبق في ختم القلب ثم قوله وعلى سمعهم على الإطلاق
دون الجمع لوجوه أحدها أنه في الأصل مصدر والمصدر يصلح
للواحد والاثنين والجمع يقال هو يضرب ضربا وهما يضربان
ضربا وهم يضربون ضربا قال تعالى إنهم يكيدون كيدا وأكيد
كيدا وقال تعالى لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا
كثيرا وقال تعالى خبرا عن إبراهيم هو لا ضيفي فوحد في الأصل
مصدر والثاني أن فيه إضمار أو معناه وعلى مواضع سمعهم أي أسماعهم
وهي الآذان كما في قوله تعالى واسأل القرية أي أهلها وثبت هذا
الإضمار دلالة أن السمع فعل ولا ختم على الفعل وإنما ختم على
محله والثالث أنه أراد سمع كل واحد منهم وهذا كما يقال أتيني
برأس كبشين وقال الشاعر كلوا في نصف بطنكم تعيشوا فإن
زمانكم زمن خميص والرابع قول سيبويه إنه توسط جمعين

فدل

فدل على الجمع وأن وحد كما في قوله يخرجهم من الظلمات إلى النور ذلك على
الأنوار ذكر الظلمات وقال الراعي بها جيف الحسرى فأما عظامها
فبيض وأما جلدها فصليب أي جلودها فصليبة وقوله تعالى وعلى أبصارهم أي
عيونهم فالبصر العين وجمع الأبصار كالسفر جمعه الأسفار والإبصار
بالكسر الرؤية والبصارة صفة البصير وقد بصر من حد شرف أي
صار بصيرا وتبصر به أي رآه قال تعالى بصرت بما لم يبصروا به
والبصيرة رؤية القلب والبصيرة البينة أيضا وقوله تعالى بل الإنسان
على نفسه بصيرة أي جوارحه بصيرة أي شاهدة عليه بما رأت من عمله
يوم القيامة وقوله تعالى فبصرك اليوم حديد أي علمك نافذ وقوله
تعالى والنهار مبصرا أي يبصر فيه وقوله تعالى وجعلنا آية النهار
مبصرة أي مضيئة والاستبصار التيقن فإن قالوا لم جمع الأبصار
والواحد بصر وهو مصدر كالسمع قلنا لأنه اسم للعين أيضا فكان اسما
لا مصدرا فجمع لذلك ومعنى الكلمة والله أعلم وعلى أبصارهم حجاب غفلة وغطاء
شبهة وسحاب ظلمة فلا يرون الحق ولا يقبلونه ولا يبتغونه وقيل
معناه يتعامون عن الحق مع وجود العيون كما يتصامون عنه مع وجود
الآذان وقوله تعالى غشاوة فالغشاوة الغطاء والتغشية التغطية
وقوله تعالى يستغشون ثيابهم أي يتغطون بها وقوله والليل إذا يغشى أي
يغطي ظلامه الأفق وقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم أي علاهم فغطاهم
وقوله فلما تغشاها أي وطئها وفيه التغطية وقوله كالذي يغشى عليه
من الموت أي يغمى عليه وفيه ستر العقل ثم اختلف في قراءة هذه الكلمة
فقراءة العامة بكسر الغين وزيادة الألف ورفع الآخر وقراءة الحسن
بضم الغين مع الألف وقراءة أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه غشوة
بفتح الغين بغير ألف وقراءة الجحدري غشاوة بفتح الغين مع الألف وقراءة المفضل

كالبديع بمعنى المبدع

وقالوا

خبرا عن السامع

والغاشية ما يستر السرج وقوله تعالى غاشية من عذاب الله أي عقوبة تجللهم وقوله هل أتاك حديث الغاشية هي القيامة تجلل الخلق وقوله ومن فوقهم غواش تجللهم من النار والغاشية الأعاجم

بغير الهمز

عن عاصم غِشاوة بكسر الغين مع الألف ونصب الخبر ويستقيم في اللغة
ستة أوجه غشوة بلا ألف بفتح الغين وضمها وكسرها وأظهرها وأفصحها
الكسر مع الألف. قال الشاعر تبعتك إذ عيني عليها غشاوة فلما
انجلت قطعت نفسي ألومها. وقرأه الا المفضل برفع الاخر فالقوله
وعلى أبصارهم غشاوة هذا كلام مبتدأ وهو غير معطوف على الأول
بالختم ومن نصبه فعلى إضمار وجعل أي وجعل على أبصارهم
غشاوة ثم معناه وعلى أبصار قلوبهم غطاء غفلة وعلامة شقوة
وكما تعاموا على الحق في الدنيا فكذلك يبعثون في العقبى قال تعالى ومن
كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى ولما جعلوا على أبصارهم غشاوة
يتصل بهم هذه الحالة في الدنيا وعند الموت وفي القبر وفي القيامة
وفي النار قال في الدنيا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وقال في
الموت كالذي يغشى عليه من الموت وقال غاشية من عذاب الله
وقال يوم يغشاهم العذاب وقال وتغشى وجوههم النار وقال
هل أتاك حديث الغاشية فهذه غشاوة في الدنيا أورثتهم هذه
الغشاوات في العقبى تحقيقا لقوله عز وعلا كما بدأكم تعودون ثم إنما
ذكر في الآية القلوب والسمع والأبصار لأن الخطاب كان باستعمال
هذه الثلاثة في الحق كما قال تعالى أفلا تعقلون أفلا تسمعون أفلا تبصرون
وكان هذا الخطاب بعد أن هيأ الله لهم الأسباب قال تعالى وهو
الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة فلم يستعملوها فيما أمروا
باستعمالها فيه فعوقبوا في الدنيا بالختم على القلوب والأسماع والغشاوة
على الأبصار ويوم القيامة من جنس ذلك عقوباتها وهي ما قال تعالى قلوب
يومئذ واجفة التي تطلع على الأفئدة فإذا جاءت الصاخة أي القيامة أبصارها
خاشعة ونحشر المجرمين يومئذ زرقا أي عميا ثم تبيض عيونهم في الآخرة

فقال

غشاوة بفتح الغين وضمها وكسرها مع الالف

تغشاهم
قيل هي القيامة لظلمتها وغشيانها وقيل هي النار وقيل هي ثلثة أشياء غاشية الابصار وهي المحنة يوم لقاء الله وغاشية الابدان وهي النار وغاشية القلب وهي هيبة التطبيقة ح

أي شديدة الاضطراب ح

أي ذليلة باعلانها من الفضيحة والتخجيل ومنه ح

تعالى ولهم عذاب فالعذاب العقوبة والعذب ذو العذوبة وهي نقيض
الملوحة وعذاب النفس عن كذا هو منعها عنه وسمي العذاب عذابا لأنه
يمنع من الجناية إذا تأمل فيها العاقل وقيل إنما سمي به لأنه جزاء ما استعذبه
المرء بطبعه أي استطابه واستحلاه بهواه في دنياه وقوله تعالى
عظيم أي كبير وقيل أي كثير وقيل أي دائم وهو التعذيب بالنار
أبدا ثم عظمه بأهواله وشدته وأحواله وكثرته وسلاسله وأغلاله
وقيل هو القتل والأسر في الدنيا والتحريق بالنار في العقبى ثم
ذكر بعد ذكر المؤمنين ظاهرا وباطنا والكافرين ظاهرا وباطنا المنافقين
الذين آمنوا ظاهرا وكفروا باطنا فقال ومن الناس أي ومن جنس الإنس
والناس جمع إنسان على غير لفظه والإنسان فعلان من أنس ومأخذه
من آنس أي أبصر والجن من اجتن أي استتر فالبشر يرون والجن لا
يرون وقيل هو من الأنس الذي هو ضد الوحشة وسمي به لاستيناسه
بوجود بعضه ببعض وقيل هو افعلان وأصله إنسيان ودليل
ذلك أنه يقال في التصغير أنيسيان فتعاد الياء المحذوفة وسمي به لنسيانه
قال الله تعالى في حق آدم عليه السلام فنسي ولم نجد له عزما ولذلك
جاء في تفسير قوله تعالى إن الإنسان لربه لكنود أي نسّاء للنعم وذكر
الجن والناس جمعه لا من لفظه فإنه لا يستقيم جعله من الإنس ولا من
النسيان ومعنى هذا الجمع من النوس وهو التحرك سموا به لحركاتهم
في مباحاتهم وواجباتهم ومحظوراتهم وحركات سائر الحيوانات لا
توجد وجودها منهم وقوله تعالى من يقول من كلمة تصلح للواحد والجمع وهاهنا
للجمع أي قوم يقولون وهم عبد الله بن أبي بن سلول ومعتب بن قشير
وجد بن قيس وغيرهم وهؤلاء رؤوس المنافقين قال مجاهد أربع آيات
من أول السورة في نعت المؤمنين وآيتان في الكافرين وثلث عشرة آية

ولذلك قال فذوقوا العذاب وإنما يذاق الطيب على معنى أنه جزاء ما استطابه ح

في المنافقين وقال مقاتل آيتان من أولها في نعت المؤمنين المهاجرين وآيتان في مؤمني أهل الكتاب وآيتان في الكفار وثلاث عشر آية في المنافقين وقوله تعالى آمنا بالله وباليوم الآخر أخبر عنهم أنهم يدعون ذلك ثم قال وما هم بمؤمنين أي ليسوا أنفى الإيمان عنهم لأنه لم يكن في قلوبهم وقد قال تعالى ومن الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وقال تعالى قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا وتبطل بهذا قول الكرامية انه مجرد الإقرار فإن المنافقين أقروا بذلك والله تعالى نفى عنهم ذلك ثم انه قال من يقول وهذا نعت الواحد لأن كلمة من تصلح له ثم قال وما هم على الجمع لأنه هو المراد محمل على المعنى وهو كقوله تعالى بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه وهذا على الواحد للصيغة ثم قال ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون على الجمع للمعنى وكذا قوله من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ثم قال تعالى ولنجزينهم أجرهم وقوله تعالى بمؤمنين الباء للتأكيد وهو كقوله عز وعلا وما هو بقول شاعر ولا بقول كاهن ويجوز حذفها قال تعالى ما هذا بشرا وهذا لأن ما بمعنى ليس ويجوز في ليس الباء وحذفها قال تعالى أليس الله بأحكم الحاكمين وقال أيضا ليسوا سواء وفي الآية معجزة النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم أظهروا الإيمان وأضمروا الكفر والنبي صلى الله عليه وسلم أخبر عما في قلوبهم وذلك غيب والله جل جلاله يقول عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ودلت الآية أن الدعوى مردودة إذا لم يقم عليها دلالة الصحة قال فإنهم من كلى بخبر

ماهو

ما هو فيه فضح الامتحان ما ادعيه وإن من مدح نفسه ذم ومن ذم نفسه مدح قال من عون عليه لعابن الله وإنا من المسلمين فقيل له وكنت من المفسدين وقال يونس صلوات الله عليه إني كنت من الظالمين فقيل له فلولا أنه كان من المسبحين وقوله تعالى يخادعون الله ما الخدع الختل والانخداع الإخفاء ومنه المخدع وهو البيت الصغير يخفى فيه الشيء ويخدع فوه أي تغيرت رائحته ودينار خادع أي ناقص وسوق خداعة أي قليلة المنافق فقوله يخادعون قيل معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بإظهار الإيمان مع إضمار الكفر فتعود خدعة النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث جعل خداعهم خداعة كما جعل إيذاهم إيذاه وقيل معناه يفسدون ما أظهروا من الإيمان بما أضمروا من الكفر وقيل معناه يخادعون الله على زعمهم أي هو عندهم خداع الله يظنون أنهم يخفون على الله عز وعلا شيئا وهو كما قال ويحسبون أنهم على شيء ونظيره قوله تعالى ويوم يناديهم أين شركاي أي على زعمكم وقوله تعالى فما أغنت عنهم آلهتهم أي على زعمهم وقال مقاتل معناه اجترؤا على الله تعالى وقالوا إنهم نحن نخادع الله وكان هذا ابتهالا منهم كسائر ما افتروا على الله وقيل معناه أيخادعون الله على الاستفهام وهو كقوله تعالى قال هذا ربي وقيل إنهم أظهروا شيئا وأضمروا خلافه فتصور بصورة الخداع فسمي به وإن لم يكن هو فإن حقيقته أن يمكر بأحد فلا يعلم به الممكور وهو كقوله تعالى فما أصبرهم على النار ولا صبر لأحد عليها لكن لما داموا على الفعل الذي يصيرون به إلى النار تصور ذلك بصورة الصبر على النار وقيل معناه يخالفون لإيراد الله الحق

بالباطل ثم المخادعة وهي على المفاعلة وإن كان أصلها لما يكون بين
اثنين فقد يكون لفعل الواحد كالمسافرة والمصادفة وان حملت على
الموضع فالخداع كان منهم ونحو الخداع من الله تعالى على ما نبين فان
قالوا ان لم يخدعوا الله تعالى فكيف خادعوه وان خدعوه فكيف
قصد واحد اعد قلنا قد بينا انهم عملوا عمل المخادعين من الوجوه
التي ذكرناها وقوله تعالى والذين آمنوا عطف على الأول اي ويخادعون
المؤمنين ايضا ويجوز حمله على الحقيقة في حقهم فانه في وسعهم
فاما قوله يخادعون الله فقد مر قول ان معناه يخادعون الرسول
والمؤمنين والصحيح ان يحمل ذلك على مخادعتهم الرسول وحده دون
المؤمنين فان خداعهم المؤمنين مذكور على التصريح بعده وهو قوله
تعالى والذين آمنوا ثم انما جعل مخادعتهم رسوله مخادعته
تشريفا له كما جعل نصرته نصرته لقوله ان تنصروا الله ينصركم اي
تنصروا رسوله وكما جعل مخادعته مخادعة الله فقد جعل متابعته
متابعة الله بقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ونحو كذا
في اشياء ذكرها في آيات آمنوا بالله ورسوله واطيعوا الله والرسول
والله ورسوله احق ان يرضوه انما وليكم الله ورسوله فسيرى
الله عملكم ورسوله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله مهاجرا الى
الله ورسوله وقوله تعالى وما يخادعون الا انفسهم قرا ابو عمرو
وابن كثير ونافع وما يخادعون على موافقة الكلمة الاولى وقرا الباقون
وما يخدعون لان خدعهم انفسهم لا يعدوهم وقال بعض اهل
اللغة يقال خادع اذا لم يبلغ مراده وخدع اذا بلغ مراده
فلما لم ينفذ خداعهم فيما قصدوا كان مخادعة ولما وقع ضرر
فعلهم على انفسهم كان في حق انفسهم خدعا وتسميته فلا ينفذ

خداعه

حقهم

نصرته

واطيعوا

ومن يعص الله ورسوله
استجيبوا لله والرسول
ومن يشاقق الله والرسول
يحادون الله ورسوله
وينصرون الله ورسوله
اذا لقيتم الله ورسوله
فاذنوا بحرب من الله
ورسوله يوادون الله
ورسوله

خداعهم بمن قصدوه فكانهم خدعوا انفسهم كما يقال فلان يسخر بفلان
وما يسخر الا بنفسه وقيل معناه وما يرجع وبال خداعهم الا اليهم قال
تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله ومثله فمن نكث فانما ينكث
على نفسه انما بغيكم على انفسكم ثم قال هاهنا وما يخدعون الا انفسهم
وقال في سورة اخرى يخادعون الله وهو خادعهم واريد به الجزاء
وقيل يعاملهم على وفق ما عاملوا وذلك في ما جاء انهم اذا اتوا
النيران وعذبوا فيها طويلا من الزمان فاستغاثوا بالرحمن قيل
لهم هذه الابواب قد فتحت فاخرجوا فيبادروا الى الابواب فاذا
انتهوا اليها غلقت دونهم واعيدوا الى الاباد والتوابيت مع
الشياطين والطواغيت يقول الله تعالى ومكروا مكرا ومكرنا
مكرا وقال تعالى انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا وقوله تعالى
وما يشعرون الشعور العلم والفطنة والاشعار الاعلام واشعار
الهدي منه والشعار العلامة والمشاعر المعالم والشعائر العلامات
وهي معالم الحج واعماله واحدتها شعيرة وشعارة ثم هو اسم
لعلم خاص وهو العلم بدقة النظر في الشيء ماخوذ من الشعر
ولذلك يطلق هذا الاسم على معرفة الكلام المقفى الموزون
بوزن خاص واما التفسير فقد قيل اي وما يعلمون انه خداع
لانفسهم وقيل اي وما يعلمون ان وباله راجع عليهم وقيل
اي وما يعلمون ان الله تعالى يطلع على خداعهم رسوله والمؤمنين
وقيل اي وما يعلمون انهم لا يقدرون ان الله جازيهم جزاء خداعهم
وقيل وما يعلمون ان الله يعلم بصنيعهم وهذا كما قال اولا يعلمون
ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون والعظة فيه ان المنافق عمل
ما عمل وهو لا يعلم بوبال ما عمله والمؤمن يعلم به ثم يعمل به
فما عذره ثم في هذه الآية نفي العلم عنهم وفي قوله تعالى ويحسبون

ومن بخل فانما يبخل عن نفسه
ومن اساء فعليها وقال
في الاحسان ان احسنتم احسنتم
لانفسكم ومن ابصر فلنفسه
ومن اهتدى فانما يهتدي لنفسه
ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه
ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه
من عمل صالحا فلنفسه ومن
شكر فانما يشكر لنفسه

الحق وانتم تعلمون اثبات العلم لهم والتوفيق بينهما انهم علموا به حقيقة ولكن
لم يعملوا بما علموا فكانهم لم يعلموا وهو كقوله عز وعلا صم بكم عمي وكانوا
ناطقين سامعين ناظرين حقيقة لكن لم ينتفعوا بذلك فكانوا كانهم صم
بكم عمي فذو الآلة اذا لم ينتفع بها فهو وعادمها الا له سواء والعالم
الذي لا يعمل بعلمه فهو والجاهل سواء والغني الذي لا ينتفع بماله فهو
والفقير سواء والحي الذي لا يستمتع بحياته فهو والميت سواء ثم ان الله
تعالى اثبت للمؤمنين العلم بقوله واولوا العلم واثبت لهم الجهل بقوله
الذين يعملون السوء بجهالة كما اثبت للكفار العلم بقوله ولقد علموا
والجهل بقوله افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون وليسوا
سواء بل اثبات العلم للمؤمنين اثبات الكرامة وذكر الجهل للتلقين
عند المعصية واثبات العلم للكفار الزام الحجة وذكر الجهل اثبات
المنقصة قوله تعالى في قلوبهم مرض المرض في اللغة العلة والامراض
اثبات صفة المرض والتمريض القيام على المريض وقيل هو كل
ما خرج به الانسان عن حد الصحة من علة او نفاق او تقصير في امر
والمرض في القرآن لاربعة اشياء للعلة في قوله تعالى ولا على
المريض حرج وللجراح في اية التيمم وان كنتم مرضى او على سفر وللفجور
في قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض وللشك في قوله تعالى في
قلوبهم مرض واما التفسير فقد قال ابن مسعود وابن عباس والربيع
وقتادة رضي الله عنهم اي شك وقال مقاتل اي نفاق وقال
الانباري اي ظلمة قال ليلة مريضة اي مظلمة وقال بعضهم اي
غم بسبب نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وزوال رياستهم
اليه وقال الامام ابو منصور رحمه الله اي اضطراب وتردد
ومرض الجسم كذلك وطريق تسمية النفاق مرضا لتردده ان المؤمن
سمى

فلجو

يسمى حيا والكافر ميتا فسمى المنافق مريضا لتردده بين موافقة الظاهر
ومخالفة الباطن كتردد المريض بين بقائه حيا وبين موته لان الله تعالى
قال الا من اتى الله بقلب سليم اي خال عن الشك والنفاق فكان
قلب المنافق بخلافه فلم يكن سليما بل كان سقيما قوله تعالى فزادهم
الله مرضا الزيادة خلاف النقصان فيجيء متعديا كما في هذه الاية
ولازما كما في قوله الى مائة الف او يزيدون ونظيرها نقيضها
وهو النقصان وهو متعد في قوله تعالى ننقصها من اطرافها ولازم
في قول النبي صلى الله عليه وسلم هن ناقصات العقل والدين واما
التفسير فقد قيل معناه جازاهم الله تعالى بزيادة شكهم على شكهم
عقوبة لهم على اصرارهم وعنودهم وقال السدي فزادهم
عداوة الله مرضا وقيل اي زادهم الله تعالى غما على غمهم وقال
الامام ابو منصور رحمه الله اي زاد الله تعالى خلق الكفر في اعتقادهم
وقالت المعتزلة هو على التخلية بين المنافق ونفاقه وهذا بناء على
اصلهم الفاسد انهم لا يرون الكفر والمعاصي بتخليق الله تعالى ومشيئته
فلا يحملون مثل هذا الا على التخلية وقيل معناه زادهم الله ضعفا عن
الانتصار وعجزا عن الاقتدار كما قال الشاعر يا مرسل الريح
جنوبا وصبا ان غضبت زيد فزدها غضبا وزيد قبيلة ومعنى الدعاء
في هذا البيت اي لا تقدرها على الانتصار فيما غضبت منه ثم هذه
الصيغة للتحقيق عند بعضهم وللدعاء عند آخرين فان قالوا الدعاء
للعاجز عرفا فما معنى هذا الدعاء من الله تعالى قلنا
هذا تعليم من الله تعالى انه يجوز الدعاء عليهم وهذا كقوله تعالى
قاتلهم الله وكقوله الا شيطانا مريدا لعنه الله وقريب منه فسحقا
لاصحاب السعير وقوله تبت يدا ابي لهب وتب ثم في الاية [illegible]

الماتريدي رح

الأفعال من الله تعالى طاعاتها ومعاصيها قال هاهنا فزادهم الله
مرضا وقال في آية أخرى زادهم هدى ثم قيل زيادة مرضهم كان
بإنزال الآيات المتتابعة والحجج المتواترة قال الله عز وعلا وإذا ما أنزلت
سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم
إيمانا وقال وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى
رجسهم وذلك على وجه التسبب أي صارت الآية سببا لزيادة
يقين هؤلاء ولزيادة شك هؤلاء وهو كقوله فلما جاءهم نذير ما
زادهم إلا نفورا وقال فلم يزدهم دعائي إلا فرارا ولا من العجب
ازدياد شكهم بالآيات النيرة واضطراب قلوبهم مع الدلائل البينة
لكن الشمس تزيد عليل العين علة والماء يزيد الحجر الصلب صلابة ثم
قوم زادهم القرآن الذي أنزل شفاء ورحمة في القلوب علة
ومرضا وقيل كانت زيادة مرضهم بإنزال الفرائض والحدود فقد
كان يشق عليهم التكلم بالشهادة فكيف وقد لحقهم الزيادات وهي
وظائف العبادات ثم العقوبات على الجنايات فازدادوا بذلك
اضطرابا على اضطراب وارتيابا على ارتياب ويزدادون بذلك
في الآخرة عذابا على عذاب قال تعالى زدناهم عذابا فوق
العذاب والمؤمنون لهم في الدنيا ما قال ويزيد الله الذين
اهتدوا هدى وفي العقبى ما قال ويزيدهم من فضله وقوله
تعالى ولهم عذاب أليم هذا في العقبى ولا وكس في الدنيا والأليم
في اللغة الموجع والأليم الوجيع وهو بمعنى المؤلم أي الموجع
كما يقال السميع بمعنى المسمع قال الشاعر أمن ريحانة
الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع وأما تفسيره فقيل أي يصل
ألمه إلى القلوب وقيل هو الشديد الذي لا يزول ولا ينقطع م

وقوله

وقوله تبارك وتعالى بما كانوا يكذبون أي بكونهم كاذبين فإن ما مع
كان مصدر ولهذا كان يقال تقول سمعت ما قلت أي قولك وكلمة كان
تجيء للماضي كما في قوله وكان في المدينة تسعة رهط وقد تجيء للمستقبل
كما في قوله وكان يوما على الكافرين عسيرا وقد تجيء للحال كما في قوله
تعالى كيف نكلم من كان في المهد صبيا وقد تجيء جامعا لذلك كله كما في
قوله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما أي لم يزل رحيما بهم في الأزل
وفي الحال وفي الأبد وقد تجيء بمعنى صار كما في قوله فكان من المغرقين
وقد تجيء بمعنى وقع كما في قوله وإن كان ذو عسرة ثم الكذب خلاف
الصدق وفيه لغتان كذب وكذب كقولك لعب ولعب والتكذيب
النسبة إلى الكذب وقرأ أهل الكوفة يكذبون بالتخفيف وهو
لكذبهم فيما قالوا وقرأ غيرهم بالتشديد وهو تكذيبهم الله تعالى
ورسوله وأما تفسيره فقد قيل يكذبون على الله بإثبات الشريك
وقيل أي بتحليل ما حرمه وتحريم ما حلله وقيل أي بقولهم إنك
لرسول الله بألسنتهم من غير تصديق قلوبهم بذلك وهو منصوص
عليه بقوله تعالى قالوا نشهد إنك لرسول الله إلى أن قال والله
يشهد إن المنافقين لكاذبون وقيل أي بقولهم آمنا بالله وباليوم
الآخر من غير اعتقاد وهو الذي سبق ذكره في هذه الآيات
ونحقق به ما قلنا لأن الإيمان ليس هو مجرد الإقرار فقد كذبهم
الله تعالى في دعوى الإيمان مع إقرارهم باللسان بمخالفة الجنان والله
المستعان وقوله تعالى وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض
إذا كلمة توقيت وهي ظرف للزمان المستقبل وإذ ظرف للزمان
الزمان الماضي والفساد ضد الصلاح وأما تفسيره فقد قيل
أي وإذا قال المسلمون لهؤلاء المنافقين وهو التطم لا تعملوا بالمعاصي

بلغ

في ارض المدينة وما حولها وقيل اي لا تداهنوا وقيل اي لا تنفروا الناس
عن محمد وقيل اي لا تصدوا الناس عن دين الله واتباع رسوله وقيل اي لا
تمايلوا الكفار وقيل اي لا تتبعوا الهوى بترك المامور وارتكاب
المنهي واختلفوا في المرادين بهذه الاية قال ابن عباس وابن مسعود
وجماعة رضي الله عنهم هم المنافقون وقال مقاتل وهو رواية عن
ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود من هاهنا الى قوله يا ايها الناس
اعبدوا ربكم قال ويدل عليه انه قال انما نحن مصلحون واليهود
هم الذين كانوا يعتقدون هذا الافساد اصلاحا ويظهرون ذلك
فاما المنافقون فما كانوا يقولون ظاهرا ان هذا اصلاح ولو قالوا ذلك
لظهر كفرهم فقتلوا فاما اليهود لعنهم الله فقد كانوا اظهروا انهم على
الحق وغيرهم على الباطل واما المنافقون كانوا يقولون نشهد انك
لرسول الله ويحلفون بالله انهم لمنكم ودليل آخر قوله واذا قيل لهم
آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء والمنافقون ما كان
يمكنهم التكلم بهذا ظاهرا فثبت انه في اليهود وافسادهم هو كتمان
حال النبي صلى الله عليه وسلم وصد الناس عنه واخذهم الرشوة
وتغييرهم الاحكام بها واما القائلون بان الاية في المنافقين
فقد قالوا ان ما قبلها وما بعدها في المنافقين على ما بينا وتبين
فاما قولهم انما نحن مصلحون فمعناه انهم قالوا لا نفعل هذه الاشيا
التي هي افساد وكان افسادهم على قول هؤلاء ما ذكر في هذه الايات
يخادعون الله والذين آمنوا ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض
ونلعب وهي قصة تنفيرهم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة
وقوله ويقولون هو اذن والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا الاية
الخ وانما تهرجته يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وهو كعب بن الاشرف

بل نتبعكم على دينكم وهذا انكار منهم للنفاق والافساد مع

يقولون

يقولون لاخوانهم الذين كفروا الاية يامرون بالمنكر وينهون
عن المعروف ويقبضون ايديهم لو [illegible] الاية قالوا انما نحن مستهزءون
يراؤون الناس فهم في دينهم يترددون ونحوها وقوله تعالى في الارض
هي وجه بساط الدنيا والسماء سقفها وقيل اريد بها هاهنا ارض المدينة
فان افساد المنافقين كان فيها وقوله تعالى قالوا انما نحن مصلحون انما
كلمتان في الاصل ان كلمة تاكيد قرنت بما فصارت للحصر والقصر
تقول انما الله اله واحد تقديره لا اله الا الله الواحد وقوله
انما الصدقات للفقراء كذلك وكذا هاهنا معناه ما نحن الا مصلحون
وقوله نحن جمع واقع على غير لفظه كهؤلاء جمع هذا وهذه ولفظ اولئك
هو جمع ذاك وذلك وتلك وكالنسوة جمع المراة وكالابل جمع
الجمل والناقة وكالغنم جمع الشاة ثم هذه الكلمة يتكلم بها الواحد
اذا اخرج الكلام مخرج خطاب الملوك قال وانا لنحن نحيي ونميت
ويتكلم بها الاثنان قال خبرا عن هاروت وماروت انما نحن
فتنة فلا تكفر ويتكلم بها الجماعة كما في هذه الاية انما نحن مصلحون والاصلاح
ضد الافساد وفي تصريفه ثلاث لغات صلح يصلح كقولك دخل
يدخل وصلح يصلح كقولك منع يمنع وصلح يصلح كقولك شرف
يشرف والصلح والمصالحة والاصطلاح من ذلك ثم لقولهم هذا
وجوه احدها انهم انكروا الافساد وهو النفاق وما نهوا
عنه لانهم كانوا يخفون ذلك فاظهر الله تعالى ما اضمروا وكشف
ما ستروا والثاني انهم اعتذروا الى المسلمين وقالوا انما نوافق
الكفار ونمايلهم نريد بها الاصلاح بينهم وبين المومنين وهذا قول
ابن عباس رضي الله عنهما والثالث انهم قالوا الصلح امرنا بموافقة الكفار
في الباطن وموافقة المومنين في الظاهر نظرا في العاقبة حتى لو

ضده الافساد والصلاح والاصلاح والصلوح مع

معكم

كان الظفر لهم لكن قالوا انا كنا معكم ولو كان لهم لا قالوا لهم كذلك
والرابع ان هذا جواب اليهود واظهروا ان ما هم فيه اصلاح وليس
بافساد وقوله تعالى الا انهم هم المفسدون الا كلمة تنبيه وان
كلمة تاكيد وهم كناية عن المذكورين قبله وهم ثانيا تاكيد لان
التكرير تاكيد وتقرير وهذا كقوله اني انا الله انا نحن نزلنا الذكر
انه هو الغفور الرحيم انك انت التواب الرحيم انكم انتم الظالمون
انهم هم المفسدون فكان لكلامهم اربعة اوجه وفي هذا ردهم
على تلك الوجوه اما الاول فكان انكارا منهم واستسرارا وكان
هذا هتكا لاستارهم واظهارا والثاني كان اعتدادا بانا نطلب
الاصلاح باشتماله الكلام فاخبر بهذا ان هذا افساد منهم حيث
علم الله دون ان المنافقين لهم انصار وهذا باعث لهم على الاضرار
والثالث كان ظنا منهم ان موافقة الفريقين فيه وخبث نفعهم
في الحالين فيكون اصلاحا لبالهم فاخبر انه افساد لحالهم ومالهم
ومآلهم فانهم طلبوا رضا الفريقين وقد فاتهم ذلك كله فان
المؤمنين يبغضونهم لما انهم لا يوافقونهم في الباطن والكافرون
يردونهم لما انهم لا يتابعونهم في الظاهر وكذا حال
اهل الرياء لا خلاص الا بالاخلاص والرابع كان جواب اليهود جهادا
وكانوا مفتين قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وكانوا
كفرعون لعنه الله سمى صلاح موسى فسادا وغوايته نفسه رشادا
فقال ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم
او ان يظهر في الارض الفساد وقال فما اريكم الا ما ارى وما اهديكم
الا سبيل الرشاد فرد الله تعالى عليه فقال انه كان من المفسدين
وقال وكان من المفسدين وقال هاهنا الا انهم هم المفسدون
وقيل

اثبتوا الانفسهم اسم المصلحين فنفاه الله عنهم واثبت لهم المفسدين

لهم

وقيل في هذا ما يدل على انهم وصفوا انفسهم بالاصلاح والمؤمنين بالفساد
واقتضى انهم قالوا انما نحن مصلحون وانتم مفسدون فرد الله عليهم القولين
وقال الا انهم هم المفسدون وتقديره هم المفسدون لا انتم
ولو كان كلامهم هذا الواحد المنصوص عليه فحسب كفى جوابا لهم انهم
هم المفسدون فتكرارهم وتعريف النعت بالالف واللام دليل على
ما قلنا وهو كقوله ان شانئك هو الابتر هو رد قول ذلك اللعين
ان محمدا ابتر اذا مات انقطع ذكره فقال الله تعالى ان شانئك
هو الابتر لا انت ثم فيه بيان شرف المؤمنين حيث تولى جواب
المنافقين عما قالوه للمؤمنين كما كان في حق المصطفى عليه السلام
فان الوليد بن المغيرة قال له انه مجنون فنفاه الله تعالى عنه بقوله
ما انت بنعمة ربك بمجنون ثم قال في ذم ذلك اللعين فلا تطع المكذبين
وقال تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير
معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم وهي عشرة اسماء مذمومة فكذلك
في حق المؤمنين فان المنافقين سموا المؤمنين مفسدين فنفاه عنهم
وسمى المنافقين بعشرة اسماء مذمومة مخادعين لقوله تعالى
يخادعون الله جاهلين لقوله وما يشعرون مرضى لقوله في قلوبهم
مرض كاذبين لقوله يكذبون مفسدين لقوله هم المفسدون
سفهاء لقوله الا انهم هم السفهاء طاغين لقوله تعالى في طغيانهم
وتمامها بقوله صم بكم عمي وقوله تعالى ولكن لا يشعرون ولكن كلمة
استدراك وقيل هي تحقيق شيء تثبته بعد شيء تنفيه وتشدد
وتخفف والمشدد ناصب والمخفف رافع ويدخلان جميعا الاسم
والمخفف منه يدخل الفعل ايضا قال تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون وقد تسقط نونه للضرورة في الشعر قال

تمامه فلست بآتيه ولا أستطيعه ولكن اسقني ان كان ماؤك ذا فضل

الشاعر ولكن اسقني ان كان ماؤك ذا فضل وفي موضع العطف يكون
لكن المخففة كسائر حروف العطف في الفعل تقول ما جاءني زيد ولكن عمرو
وما رأيت زيدا ولكن عمرا وما مررت بزيد لكن عمرو وقوله
تعالى لا يشعرون اي لا يعلمون واختلف في معناه قيل لا يعلمون
انهم مفسدون وان عملهم افساد وقال الامام ابو منصور
رحمه الله ان كان التأويل هذا ففيه نقض قول من يقول ان الحجة
لا تلزم الا بالمعرفة وهو قول الناشئ وغيره من المعتزلة لانه
اخبر بفساد صنيعهم وان لم يشعروا به وهو كقوله ايضا ان تحبط
اعمالكم وانتم لا تشعرون اخبر بحبط اعمالهم وان كانوا لا يعلمون
بعد ان كانوا بسبيل العلم به اي متمكنين من الوصول الى العلم بالنظر
في دلائله وقيل ليس هذا النفي حقيقة العلم بل هو نفي عملهم
بالعلم وقد قررناه فيما مر وقيل اي لا يشعرون انهم يعذبون
وقيل لا يشعرون متى ينزل بهم الموت فتنقطع عنهم التوبة ولما
كانوا موصوفين بالعلم في الاصل بقوله ولقد علموا وصاروا
موصوفين بالجهل بقوله لا يشعرون من الوجوه الثلاثة انهم
لم يعلموه افسادا ولم يعلموا ان عليه عذابا ولم يعلموا متى يموتون
قبل ان يتوبوا الزمهم الحجة فازال هذه الجهالات بالدلالات
فقال انه افساد بقوله الا انهم هم المفسدون وقال في عذابه
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقال في الموت فيأتيهم
بغتة وهم لا يشعرون وكذا وصف المؤمنين بالعلم بقوله
تعالى واولوا العلم ثم وصفهم بالجهل لمخالفتهم العلم فقال تعلمون
تعملون السوء بجهالة وكان جهلهم من هذه الوجوه الثلاثة فازالها فقال
في حق الاول انه فسوق بقوله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد

بلغ [illegible]

الايمان

الاسباب وقال في عقوبته وان الفجار لفي جحيم وقال في الموت
من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل
قريب الآيات وقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا
انؤمن كما آمن السفهاء ذكر الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان الآية نزلت في شأن اليهود ومسلمي اهل الكتاب عبد الله
بن سلام واصحابه والنجاشي واصحابه وذلك ان النبي صلى الله عليه
وسلم بعث ابن مسعود وجعفر الطيار رسولا الى النجاشي واستقبلهم
عير الشام وفيهم اهل الكتاب وكان ابن مسعود رضي الله عنه
يقرأ جهرا فانتهى الى قوله يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا
بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها
على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وفي العير عبد الله بن
سلام فلما سمع ذلك خاف وجعل يمسح وجهه ورأسه خوفا عن
المسخ وهم ان يأتي رسول الله فيسلم على يديه فاتى المدينة ودخل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اني سيد
قومي وهم يخطئونني وارجو انهم يسلمون باسلامي فادعهم وسلهم
عني من انا فيهم ولا تخبرهم باسلامي حتى يجيئوك ففعل فلما
دخلوا عليه قال ما تعدون فيكم ابن سلام قالوا هو سيدنا
وابن سيدنا واعلم يهودي بقي على وجه الارض بالكتاب الذي
انزل الله تعالى على موسى عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه
وسلم اتسلمون ان اسلم هو فقالوا هو لا يسلم فكرر ذلك فاجابوا
كذلك فخرج عليهم عبد الله بن سلام وقال لهم يا اهل الله [illegible]
تعالى بكم كذا وكذا اما وجدتم نعت محمد وصفته مكتوبا في التوراة
في موضع كذا فقالوا يا ابن سلام ما كنت اهلا للذي اثنينا عليك ولكن كنت غائبا

فكيف هنا ان نتابعك ونحن جوابهم يقولون له انك رجل جاهل سفيه
فانزل الله هذه الآية وعلى هذا تأويل الآية واذا قيل لهم
أي لليهود آمنوا بمحمد وكتابه كما آمن عبد الله بن سلام واصحابه
والنجاشي واصحابه قالوا انؤمن كما آمن هؤلاء الجهال ابن
سلام واصحابه وقال الحسن كما آمن السفهاء أي الصبيان والنسوان
قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما في رواية ومجاهد
وقتادة والربيع والسدي انها في المنافقين وتفسيرها
على هذا القول واذا قيل للمنافقين آمنوا بالقلوب مع ايمانكم
بالألسنة كما آمن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا
انؤمن كما آمن هؤلاء الصحابة الذين لا تعلمون شيئا فعلى التفسير
الأول كان قولهم هذا جهرا لأنهم كانوا مصرين على اليهودية
ظاهرين وبالكفر مجاهرين وعلى التفسير الثاني كان المنافقون
لعنهم الله يتكلمون بهذا الكلام في انفسهم دون ان ينطقوا به
بألسنتهم لكن هتك الله عز وجل استارهم واظهر اسرارهم
عقوبة لهم على عداوتهم وهذا كما اظهر ما اضمره اهل
الاخلاص من الكلام الحسن وان لم يتكلموا به بالألسن تحقيقا
لولايتهم قال تعالى يوفون بالنذر الى ان قال انما نطعمكم
لوجه الله وكان هذا في قلوبهم فاظهره الله تعالى تشريفا
لهم وتشهيرا لحالهم وفي الآية بيان رسالة النبي صلى الله عليه
وسلم وهو انه اخبر بما في قلوب المنافقين باخبار رب العالمين
على ما مر وقوله تعالى ألا انهم هم السفهاء وهو جمع السفيه ومصدره
السفه والسفاهة وذلك ضد الحلم ويقال حقيقته خفة العقل يقال
ثوب سفيه أي رديء النسج وسفهت الريح السفينة مالت بها وحركتها
واستخفتها

بلغ

واستخفتها وقال ابو تمام سفيه الرمح جاهلة اذا ما بدا فضل
السفيه على الحليم هي أي سريع الطعن بالرمح خفيفة وسفهت
الشيء أي استحقرته وسفهت فلانا عن ماله أي خدعته والسفه
ان يكثر الرجل شرب الماء فلا يروى وسافهت الدن اذا قعدت
عنده تشرب منه ساعة بعد ساعة وسافهت الناقة الطريق
لازمته لا تبالي به واما التفسير فقد قيل السفهاء الجهال وقيل
الكذابون المتعمدون لخلاف ما يعلمون وقيل الجهال الظالمون القائلون
خلاف الحق وقيل المجاهرون التاركون النظر فيما دعوا فيه
وقيل الجهال بمصالح الأمور الخفاف العقول والآراء وحاصل
تفسير السفه في صفة المنافقين على مجموع اللغات واقاويل
الطبقات انه ظاهر الجهل عديم العقل خفيف اللب ضعيف
الرأي ردي الفهم مائل الغي مستخف القدر سريع الذنب
حقير النفس مخدوع الشيطان اسير الطغيان دائم العصيان
ملازم الكفران لا يبالي بما كان وفي قولهم هذا [illegible]
تأييسهم عن ايمانهم وتسفيه من آمن من اخوانهم وهذا الاستفهام
في اول الكلام للاستعجاب والاستعظام ثم أي لعمر انهم
هم الألباء وان غيرهم السفهاء وهذا من شقي بلي النفس وتزيين
الشيطان ومنه ضلالات اهل الهوى والطغيان فقال الله
تعالى ألا انهم هم السفهاء وهذا اكرم تسلية واعز تعزية
للمؤمنين المخلصين اذ حماهم ودعاهم ورد على من عاداهم وبالسوء
رماهم فقال بأبلغ ما يبتدأ به الكلام ألا وبأوكد ما يؤسس به
النظام ان وبأحسن ما يتبع به البدء بالختام هم السفهاء أي هؤلاء
لأنهم بايمانهم واخلاصهم من السفه هربوا وفي العلم والحق رغبوا

وهم العلماء على الحقيقة والمستقيمون على الطريقة **وقوله تعالى** ولكن لا
يعلمون اي لا يعلمون انهم هم السفهاء وقيل اي لا يعلمون علما يميزون
به بين الحق والباطل وقيل اي لا يعلمون عاقبة صنيعهم وقيل اي
لا ينتفعون بعلمهم لانهم يعتذرون بجهلهم من لطائف الآية
ان الذين قالوا لهود النبي عليه السلام وانا لنراك في
سفاهة اجابهم هو بنفسه فقال يا قوم ليس بي سفاهة والله
تعالى تولى جواب المؤمنين واثبت السفه للقائلين فقال
الا انهم هم السفهاء **وقوله تعالى** واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا
لقوا اي عاينوا واللقاء الرؤية والمعاينة واللقاء اللقيا كذلك
والملاقاة والالتقاء الاجتماع وهو للاجتماع في الحرب ايضا على
الخصوص قال تعالى قد كانت لكم اية في فئتين التقتا والتلقي
والاستقبال وهو الاخذ ايضا في قوله فتلقى ادم من ربه
كلمات وهو رواية بعضهم من بعض في قوله اذ تلقونه بالسنتكم
واما تفسيره فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية مقاتل
وابو صالح الطالقاني معناه واذا عاين اليهود المومنين ويدل
عليه قوله تعالى في هذه السورة واذا لقوا الذين امنوا قالوا
امنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم وقال في حق اليهود
بالاجماع وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية ومجاهد
والجمهور واذا عاين المنافقون المومنين واما النزول فقد روي ان
عبد الله ابن ابي المنافق كان جالسا مع اصحابه المنافقين على قارعة الطريق
اذ استقبله اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله
لاصحابه انظروا الي وتعلمون مني كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فانظروا
كيف احلمهم فافعلوا كما افعل فقال لابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان
اول

اول من لقيه مرحبا بسيد بني تيم بن مرة القوي في دين الله صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاسفار وثاني اثنين اذ هما في الغار الباذل
نفسه وبنته وماله لرسول الله ثم استقبله عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي بن كعب بن مرة
القوي في دين الله الشديد الغضب على اعداء الله الباذل نفسه وماله
وابنته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقبله علي بن ابي
طالب رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني هاشم ما خلا رسول
الله صلى الله عليه وسلم لان الله جل جلاله اصطفاه وخصه من
بين خلقه بالنبوة فقال له علي رضي الله عنه اتق الله ولا تنافق
فان المنافقين شر خليقة الله عز وجل في الارض فقال يا ابا
الحسن لا تقل هكذا فوالله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا
كتصديقكم ونحن مؤمنون في السر والعلانية ثم افترقوا
وقال عبد الله بن ابي كيف رأيتم ردي هؤلاء بسلم فقالوا لا نزال
بخير ما عشت بيننا ثم رجع ابو بكر رضي الله عنه واصحابه الى
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك [فنزلت صح] هذه الاية في
شأنهم فاما من حملها على اليهود وهم يجاهرون بالجحد فانه
قولهم قالوا امنا على الايمان المذكور في قوله تعالى وقالت طائفة
من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا
اخره لعلهم يرجعون واما من حملها على المنافقين فظاهر وانتظام
هذه الاية بالاية التي قبلها انه ذكر في تلك الاية ما قالوا هم وذكر
في هذه الاية ما قال المنافقون لاولئك في تلك الاية مقابلة
السفيه بالسفيه وفي هذه الاية مقابلة الاستهزاء بالاستهزاء
وقوله تعالى واذا خلوا الى شياطينهم فقوله خلا للجمع وللواحد خلا

وصرفه خلا يخلو خلوة وخلا المكان خلاء أي صار خاليا وخلا الفلانان
إذا اجتمعا على الخلوة وخلا بامرأته أي دخل بها وخلا إليه أي انصرف
إليه للخلوة وخلت المرأة أي صارت خلية أي طالقا وخلا أي
مضى وأما تفسيره هاهنا فقد قيل وإذا خلوا إلى شياطينهم أي
أفضوا إليهم وقيل أي رجعوا إليهم وقيل أي خلوا مع شياطينهم
أي اجتمعوا على الخلوة وإلى بمعنى مع قاله النضر بن شميل
وهو كقوله من أنصاري إلى الله أي مع الله وعلى هذا قوله إلى
المرافق أي مع المرافق وقيل معناه انصرفوا من لقاء المؤمنين
إلى شياطينهم فمن دخل ابتداء قيل خلا به وإذا انصرف عن (على أحد)
أحد ودخل على غيره قيل خلا إليه وقال الأخفش خلوت إليه
أي جعلته غايتي في حاجتي وقال بعض أهل التفسير خلوا إلى شياطينهم
أي صرفوا خلوتهم إلى شياطينهم فأما الشياطين فهو جمع شيطان
وقال الخليل كل متمرد عند العرب شيطان واختلفوا في
المراد بهذا الاسم هاهنا قال ابن عباس رضي الله عنهما
هم اليهود الذين أمروهم بالتكذيب وقال ابن مسعود رضي الله
عنه هم رؤساؤهم في الكفر وقال الضحاك هم كهنتهم
وهم في قريظة كعب بن الأشرف وفي بني سليم أبو بردة وفي جهينة
عبد الدار وفي بني أسد عوف بن عامر وفي الشام عبد الله بن سوداء
وكانت العرب تعتقد فيهم أنهم يطلعون على الغيب ويعرفون
الأسرار ويداوون المرضى وليس من كاهن إلا وعند العرب
أن معه شيطانا يلقي إليه كهانته وسموا شياطين لبعدهم عن
الحق فإن الشطون هو البعد ولعتوهم وتمردهم فإن الشيطان
هو العاتي المتمرد ولأن الشياطين قرناؤهم سموا بأسمائهم

ولان

ولأن الشياطين قرناؤهم سموا بأسمائهم ولأن من شابه أحدا
سمي به ولما كان هؤلاء على صفة الشياطين سموا بهم ولذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم لمن رآه يتبع حماما شيطان يتبع شيطانة
(قال) وللمار بين يدي المصلي فليقاتله فإنه شيطان وقالت نسوة في
المدينة ليوسف ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم لما رأينه
بصفة الملك وقال النبي صلى الله عليه وسلم علماء أمتي كأنبياء
بني إسرائيل لما كانوا بصفتهم فعلى العاقل أن يتصف بصفة
الملائكة والأنبياء ولا يتصف بصفة الشياطين الأعداء وقوله تعالى
قالوا إنا معكم مع كلمة قران يقال جاء زيد مع عمرو أي مقترنا به
وفيه لغتان تحريك العين وتسكينها قال الشاعر ومن يتق
فإن الله معه ورزق الله مؤتاب وغاد ويقال جاءا معا بالتنوين أي
غير مقترنين ويقال جئت من معه أي راجع من عنده وهو
في القرآن لمعان للقران وهو الأصل قال وإذا كانوا معه
على أمر جامع وللقران واللحوق قال هذا ذكر من معي وبمعنى بعد
قال ودخل معه السجن فتيان وبمعنى عند قال تعالى
مصدق لما معكم وبمعنى سوى قال أإله مع الله أي سوى الله وبمعنى
المعونة قال تعالى إن الله مع الذين اتقوا وبمعنى العلم قال
تعالى وهو معهم إذ يبيتون وبمعنى المتابعة قال تعالى وطائفة
من الذين معك وبمعنى شهود الصورة قال تعالى قالوا ألم نكن
معكم وبمعنى شهود القلب قال تعالى قالوا إنا معكم وبمعنى
المتابعة قال تعالى وطائفة من الذين معك وبمعنى شهود الصورة
قال تعالى قالوا ألم نكن معكم وبمعنى شهود القلب قال والذين
معه وأما تفسيره هاهنا فقد قيل معناه إنا أعوانكم على محمد وإن كنا

معهم ظاهراً وقيل معناه إنا لكم أنصار وقيل أي إنا على ما أنتم
عليه من التكذيب والعداوة وقيل أي على دينكم أراد والجمع
بين الأمرين تحرسوا عنها قال الله تعالى مذبذبين بين ذلك لا إلى
هؤلاء ولا إلى هؤلاء لذلك من رام أن يجمع بين طريق الإرادة
وما عليه أهل العادة لا يلتئم له ذلك والضدان لا يجتمعان ومن
كان له في كل ناحية خليط وفي كل زاوية من قلبه ربط كان
نهباً للطوارق ومتقسماً بين العلائق وقوله تعالى إنما نحن مستهزئون
الهزؤ السخرية من شيء يعرف عند صاحبه ولا يخفى عند الهازئ وقد
هزأ به أي سخر والهزأة بتسكين الزاي وهو الذي يسخر منه والهزأة
بفتحها الذي يسخر من الناس والاستهزاء كالهزء يقال له الاستهزاء
هو التشبه به وانتظامه بما قبله أنهم لما قالوا لشياطينهم إنا معكم
قالوا فما لكم تشهدون وتشاهدونهم وتدخلون مساجدهم وتحجون
وتغزون معهم قالوا إنما نحن مستهزئون قيل معناه ساخرون من محمد
وأصحابه وقيل أي مكذبون بما يدعو إليه وقيل أي نريهم
إنا نوافقهم على دينهم ظاهراً أو باطناً وإنما نكون معهم ظاهراً
لنشاركهم في غنائمهم وننكح بناتهم ونطلع على أسرارهم ونحفظ
أموالنا وأولادنا ونساءنا من أيديهم وقوله تعالى الله يستهزئ
بهم له ثمانية أوجه أحدها أنه عاملهم في الدنيا معاملتهم
فإنهم أظهروا الإيمان وفي باطنهم النفاق والله تعالى أظهر لهم
في الحال الأمان وعاقبتهم الأخرى بالنيران والثاني أن معناه يجازيهم
في الآخرة جزاء استهزائهم والعرب تسمي الجزاء باسم الابتداء
قال عمرو بن كلثوم ألا لا يظلمن أحد علينا فنظلم فوق ظلم الظالمينا
ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وفي القرآن
وجزاء

على وفقهم

وجزاء سيئة سيئة مثلها وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم يخادعون
الله وهو خادعهم ومكروا ومكر الله إنهم يكيدون كيداً
وأكيد كيداً نسوا الله فنسيهم فيسخرون منهم سخر الله منهم إنما نحن
مستهزئون الله يستهزئ بهم كما قال في الخداع وما يخادعون
إلا أنفسهم وهو كقوله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله والرابع
قول ابن عباس رضي الله عنهما أحدثوا خطيئة جدد لهم نعمة
والخامس قول الحسين بن الفضل البجلي رحمه الله هو إعطاء المراد في الحال
وأخذ البغتة في المآل قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا
عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة
والسادس أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نشهد إنك
لرسول الله ولم يكن ذلك في عقيدتهم ويقال للمنافق ذو
الوجهين إن كان الغدر بالكريم وليس ذلك من صفتهم والسابع قول
مقاتل وهو ما أخبر الله تعالى عن حالهم يوم القيامة
يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس
من نوركم إلى أن قالوا ألم نكن معكم قالوا بلى والتكلم
قسمه أنسيكم بما قلتم لشياطينكم إنا معكم واليوم يقولون
لنا ألم نكن معكم وكنتم مستهزئين فاليوم نحن بكم مستهزئون فتكون الاستهزاء
من المؤمنين مجازاة لهم وإنما أضاف الله تعالى ذلك إلى
نفسه بقوله الله يستهزئ بهم تشريفاً للمؤمنين وجعلا
لفعلهم مثله كما قال لنبيه عليه السلام وما رميت إذ رميت
ولكن الله رمى والثامن قول الكلبي أنهم تحلوا من المؤمنين
في الدنيا فيجعلهم يوم القيامة يضحكون منهم وهو أنه تجعل

والثالث قول سيبويه
الله يستهزئ بهم أي يوقع
بهم استهزاءهم بهم

كلام

المومنين يطلعون على المنافقين من الجنة فيقولون لهم أتحبون
أن تخرجوا من النار وتدخلوا الجنة فيقولون نعم فيفتح لهم
باب من النار فيقصدون إليه فيغلق عليهم ويفتح باب آخر فيقصدون
فلا يزال يفعل بهم كذلك والمومنون يضحكون إلى أن قال
فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون الآية ودلت الآية على قبح
الاستهزاء بالناس وقد قال تعالى لا يسخر قوم من قوم وقال
في قصة موسى عليه السلام قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله
أن أكون من الجاهلين فأخبر أنه فعل الجاهلين وإذا كان وعيد
الاستهزاء بالناس هذا فما جزاء الاستهزاء بالله تعالى وهو فيما
قال النبي صلى الله عليه وسلم المستغفر من الذنب وهو مصر عليه
كالمستهزئ بربه ثم مقابلة الاستهزاء بالاستهزاء دليل على أن
الجزاء من جنس العمل وقد عددنا آيات في أجزية أعمال السوء
وأجزية أعمال الخير كذلك قال تعالى هل جزاء الإحسان
إلا الإحسان وقال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة
وقال تعالى فاذكروني أذكركم وقال تعالى أوفوا بعهدي
أوف بعهدكم وقال إن تنصروا الله ينصركم وقال رضي الله
عنهم ورضوا عنه وقال تعالى أجيبت دعوتكما وقال تعالى
أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وقوله تعالى ويمدهم في
طغيانهم يعمهون مد الحبل جره ومد النهار ارتفاعه
ومد الظل بسطه ومد العيش تطويله ومد النهر
ازدياد مائه وزيادة نهر آخر في مائه لازم ومتعد ومد
الألف والواو والياء تطويلها ومد القامة تطويلها ومد
الدواة وإمدادها إلاقتها بالمداد وإمداد الجيش إلحاق المدد
به

منهم قال تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون صح

به وذكر في القرآن بين مد وأمد ثلاثة أوجه قال يونس مددت
في الشر وأمددت في الخير وقال الفراء مددت فيما كانت الزيادة
منه كمد النهر والإمداد فيما كانت الزيادة من غيره كإمداد
الجيش وقال الأخفش المد الترك والإمداد الإعطاء قال تعالى
ونمد له من العذاب مدا وقال تعالى فليمدد له الرحمن مدا
وقال تعالى أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين أي نعطيهم
فأما تفسيره هاهنا فقد قيل ونمدهم أي ونتركهم وقيل نخليهم
وقيل نطيلهم وقال ابن كيسان نمهلهم وهي أقاويل متقاربة
وأما الطغيان فهو مجاوزة الحد في اللغة يقال طغى السيل
أي جاء بالماء الكثير وطغى البحر إذا هاجت أمواجه وقال الخليل
هو من الواو والياء أيضا جميعا طغوت وطغيت طغيانا وطغوانا
وأما تفسيره هاهنا فقد قال ابن عباس والسدي في طغيانهم
أي في كفرهم وضلالتهم وقيل هو إظهار القوة على من لا قوة
له وقيل أي في غلوهم في الكفر وقيل أي في عتوهم وقيل أي
في تكبرهم وقيل أي في جهلهم وقيل أي في عماهم وقيل أي
في تماديهم وقيل في تجاوزهم حدهم ومعناه نطيل
مكثهم في طغيانهم في الدنيا وقيل أي نطيل مكثهم في جزاء
طغيانهم في العقبى وأما العمه فهو التردد في الحيرة وقد
عمه فهو عمه وعامه وجمعه عمه قال الشاعر ومهمه
أطرافه في مهمه أعمى الهدى بالجاهلين العمه ويقال ذهبت
إبله العمهى إذا لم يدر أين ذهبت وأما تفسيره هاهنا فقد
قال ابن عباس ومجاهد والربيع معناه يترددون وقيل يتحيرون
وقيل أي يعمون عن رشدهم فلا يبصرونه وهذه الصفات الثلاث

يعمه

ثابته منهم اما التردد ففي قوله تعالى مذبذبين بين ذلك واما التحير
ففي قوله تعالى لا يهتدون سبيلا، واما العمى ففي قوله تعالى عمي
فهم لا يبصرون، ثم قوله في طغيانهم يعمهون مذكور في القرآن
في صفة الكافرين والمبتدعين والمرتدين والمنافقين قال تعالى
في الكفار فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون
وقال في المبتدعين من يضلل الله فلا هادي له الاية، وقال
في المرتدين ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول
مرة الاية، وقال تعالى في المنافقين في هذه الاية ويمدهم
في طغيانهم يعمهون ثم الاية دليل اهل السنة والجماعة فانه
قال ويمدهم وهو اثبات فعل نفسه، وقال في طغيانهم يعمهون
وهو اثبات فعل العبد فدل على ان العبد فاعل والله تعالى لفعله
خالق وبطل قول الجبرية ان لا فعل للعبد وقول القدرية
ان لا صنع لله في فعل العبد ثم ما ينبغي ان يفرح العبد بطول
العمر وامتداده ولا بكثرة امواله واولاده والله تعالى
يقول في اعدائه في حق العمر ويمدهم في حق المال والبنين
ايحسبون انما نمدهم به وكان طول العمر لهم خذلانا وكثرة
الاموال والاولاد حرمانا ثم لهم سحقا بلغة هذا المد لا
يحمد، قال تعالى فليمدد له الرحمن مدا ثم قال ونمد لهم من
العذاب مدا وقد جعل الله تعالى لعدوه في الدنيا مالا ممدودا
ولوليه في الاخرة ظلا ممدودا، وقال الله جل جلاله لمحمد
صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج، ان من نعمي على امتك
اني قصرت اعمارهم، كيلا يكثر ذنوبهم، واقللت اموالهم
كيلا يشتد في القيامة حسابهم، واخرتهم ما تأخرهم كيلا يطول

في مح

من مال وبنين مح

في العمور

في القبور حبسهم وقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
فالشرى البيع والاشترى الابتياع والشرى المثل وتفسيره هاهنا
في قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم واخذوا الكفر وتركوا الايمان
وقال قتادة استحبوا الضلالة على الهدى اي اثروها وقيل اي اختاروها
وقيل اي استبدلوها وهو كقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان
ثم هذا على قول الذين قالوا ان الاية في اليهود يرجع الى قوله
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به فكان هذا استبدالا لانهم الضلالة بالهدى وهذا
كما في قوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور وفي حق الكفار
يخرجونهم من النور الى الظلمات، ليس هذا بطريق النقل بل بالابقاء على
الاصل ثم هذا مجاز وهو متعارف اهل اللسان وهو ابلغ في البيان
واوقع في القلوب والاذان وهو كثير في القرآن قال تعالى فجعلناه
هباء منثورا، وقال تعالى لما طغى الماء وقال عز وعلا واية لهم
الليل نسلخ منه النهار، وقال تعالى وما نريهم من اية الا هي
اكبر من اختها، وقال تعالى نساؤكم حرث لكم، وقال هاهنا
اشتروا الضلالة بالهدى، واصله في استبدال مال بمال واستعير
في الهدى والضلال، والجامع بينهما معنى الاختيار والاستبدال
فكل مشتر مختار وكل مشتر مستبدل، وكذا هؤلاء اختاروا
الكفر على الهدى، واستبدلوه وقد اشار الى هذين المعنيين
في ايتين فقال تعالى استحبوا العمى على الهدى، وقال ومن يتبدل
الكفر بالايمان وقوله تعالى الضلالة بالهدى قيل الكفر بالايمان
وقيل الشك باليقين، وقيل الجهل بالعلم، وقيل الفرقة بالجماعة،
وقيل النفاق بالاخلاص وقيل الدنيا بالاخرة، وقيل النار

وها

النور

بالجنة ومعناه ان اختيار الدنيا ضلالة والعمل بما يوجب النار ضلالة
واختيار الآخرة هدى والعمل بما ينال به الجنة هدى وهذا دليل
على ان حكم البيع يثبت بالتعاطي من غير تكلم بالايجاب والقبول
لانه تعالى سماهم مشترين بترك الهدى واخذ الضلالة من غير
التكلم بهذه المبادلة اشار اليه الامام ابو منصور رحمه الله وقوله
تعالى فما ربحت تجارتهم فالربح والربح الفضل ونظيرها المثل
والمثل والرباح كذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم السماح
رباح والتجارة مصدر تجر من باب دخل والتجر اسم منه وجمع
التاجر التجر كالركب والتجار كالصيام ومعناه فما ربحوا
في تجارتهم وهي اشتراء الضلالة بالهدى وهو مجاز واستعارة
كالاشتراء ثم هو مع الاستعارة من مقلوب الكلام كقوله تعالى
فاذا عزم الامر اي عزموا عليه وقوله تعالى والنهار اذا ابصر
اي يبصرون فيه وقوله تعالى بل مكر الليل والنهار لانه مكرهم
فيهما ومن كان على هذا الوجه مبايعته خسرت صفقته
وما ربحت تجارته وقوله تعالى وما كانوا مهتدين قد مر في قوله
بما كانوا يكذبون انه كان يصلح للماضي والحال والاستقبال
وهاهنا قد قيل بالوجوه الثلاثة قيل اي وما كانوا على الهدى
قبل ان يختاروا الضلالة على الهدى وقيل اي وما هم
بمهتدين للحال لتمسكهم بالضلالة وقيل اي وما يكونون مهتدين
اي لا يؤمنون من بعد وقيل في انتظام هذا بالاول وما نالوا
الهدى حيث اشتروا الضلالة بالهدى وقيل انما يتجر المرء للربح
وللاهتداء ولم يكن لهم لا ربح ولا اهتداء وقيل ما اهتدوا
الى الاتجار بالتجارة الرابحة التي اهتدى اليها المؤمنون فقيل
لهم:

والركب

والتجار

اي المؤمنون

لهم يرجون تجارة لن تبور وهل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب
اليم وقيل لهؤلاء اولئك هم الخاسرون واولئك الذين خسروا انفسهم
الآية وقوله تعالى مثلهم المثل في القرآن بعشرة معان للصفة قال
تعالى ولله المثل الاعلى وقال ذلك مثلهم في التوراة وللتشبيه
قال تعالى فلا تضربوا لله الامثال اي لا تصفوا لله الاشباه وللنوع
قال تعالى ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل اي
من كل نوع وللعبرة قال تعالى فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين
اي عبرة وللعلامة قال تعالى وجعلناه مثلا لبني اسرائيل
وللحال قال تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا اي حالهم كحال المستوقد
وللعاقبة قال تعالى مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا وللمثال
قال تعالى انما مثل الحياة الدنيا وللصلة والزيادة قال تعالى
كمثل الذين من قبلهم معناه كالذين وللعذاب قال تعالى كمثل الذين
اي عذاب هؤلاء كعذاب الذين من قبلهم والمثل في اللغة الشبه
والمثال ما يماثل الشيء والتمثال الصورة وفي القرآن امثال
وهي للايضاح والابلاغ فانها وجدت في الذكر وانفع في القهر
وقالوا ان المثل للكلام كالمرآة للوجه يرى الناظر فيها مثل
وجهه فيقف على حقيقة حاله ويعرف كمال وصفه وكذا يقف
السامع على معنى كلام المتمثل ووصوله الى مراده قوله للمتأمل
مما تذهب فيه النفس كل مذهب وتستفيد منه كل معنى معجب
وتوضح ذلك في قوله ان الله تعالى قال انما مثل الحياة الدنيا كماء
فتأملوا في معنى تمثيله بالماء فقيل ان الماء اذا قل نفع واذا كثر ضر ففي
القليل التطهر من الحدث والجنابة والحيض والنفاس والنجاد
الاطعمة والاشربة وغسل الاعيان النجسة وسقي الدواب والاراضي
والاشجار واحياء الفلاة فاذا كثر هدم البنيان وافسد الزرع وقلع الاشجار

مطلب

وشق الانهار وسد الطرق واغراق الناس وكذا المال القليل
يكفي به المؤن وتقام به المصالح ويتزود به للمعاد فاذا كثر اورث الطغيان
وولد العصيان واورث البغضاء والشنآن واكثر الاعداء والحساد
وقيل اذا قلت الماء اجريته حيث شئت وفيه الحياة والعمارة واذا
كثر جرى حيث شاء وفيه الخراب والاذية فكذا حال المال وعلى هذا
جميع الامثال وقوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت واوقدت
النار وقودا اي اشتعلت والاستيقاد هاهنا بمنزلة الاستيقان
والايقان والاستخراج والاخراج والاسترهاب والارهاب وكذا
قال الاخفش ان معناه كمثل الذي اشعل نارا بنفسه وقيل استوقد
اي سال غيره ان يوقد فان سين الاستفعال للطلب والسؤال
واختلفوا في المراد من هذه الاية قال ابن عباس رضي الله عنهما
في رواية سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وعطاء وعطاء بن يسار هم
اليهود لعنهم الله كانوا يقرون بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه
فكانوا في نور فلما بعث جحدوه فصاروا في الظلمة كمن اوقد
نارا في المفازة للامن فطفيت وعلى هذا جاء عنهم في قوله ذهب
الله بنورهم اي ارسل عليهم ريحا عاصفا فاطفاها وهو ما جاء في
صفة اليهود في اية اخرى كلما اوقدوا نارا للحرب اي مع محمد اطفاها
الله وقال مقاتل بن حيان وقتادة والضحاك والسدي
والضبي وهو قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم الاية
في المنافقين امنوا بالشهادة فكانوا كصاحب النار في المفازة ثم
زال ذلك بالموت ثم انما قال كمثل الذي استوقد نارا على
الوحدان وان كان قوله مثلهم على الجمع لوجوه احدها ان معناه
مثل كل واحد منهم كمثل المستوقد وهذا كقوله تعالى ثم يخرجكم
طفلا ولم يقل اطفالا وان خاطب الجمع لان معناه ثم يخرج كل
واحد

اي اشعل نارا [illegible]

اي واوقدها غيرها
واستوقد فعال
اشعلها والوقود
بالفتح الحطب لانه به
يشتعل النار والوقد
بفتح الواو والقاف النار
ووقده الحر شدته [illegible]

واحد منهم طفلا وقيل هو اسم جنس يصلح للواحد والجمع وقيل الموقد للجمع
يكون واحدا والمستضيئون كثير وقيل هو تمثيل فعلهم لا اعيانهم ومعناه مثل
مثل فعل المنافقين كمثل فعل المستوقد وكلا الفعلين واحد واضمار الفعل في الاسم
جائز كما في قوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وقوله تعالى
فلما اضاءت ما حوله اي انارت والضوء والنور وضاء اي نار واضاء
يكون بمعنى ضاء ايضا لازما ويكون متعديا بمعنى نور وهو في قوله
كلما اضاء لهم لازم ويكون ضاء واضاء واحد كقولهم نار وانار وبان
وابان وفي هذه الاية فلما اضاءت ما حوله متعد لانه ذكره بالتاء
ومعناه فلما نورت النار المواضع التي حول هذا المستوقد ولو كان
لازما لكان يقول فلما اضاء ما حوله لان ما مذكر فان قالوا هل بين الضوء
والنور مغايرة او هما شيء واحد فان كانا غيرين فلم اثبتهما جميعا في شيء واحد
هاهنا فقال فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وان كانا واحدا
فلم غاير بين الكلمتين قلنا هما واحد هاهنا وانما ذكرهما جميعا لانه
اعذب لفظا واحسن نظما وابلغ في الفصاحة والطف في العبارة
من الاعادة بلفظ الاول ودليل اتحادهما قوله تعالى في صفة نور
المعرفة يكاد زيتها يضيء وقال تعالى نور على نور وقال في التوراة
ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وقال فيها ايضا انا انزلنا
التوراة فيها هدى ونور وقوله تعالى ما حوله اي جهات المستوقد
يقال حوله واحواليه وحواليه وقوله تعالى ذهب الله بنورهم اي
اذهبه والذهاب والذهوب الانتقال والمذهب الطريق والذهاب
الزوال ايضا قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اي
ليزيله وذهب لازم ويصير متعديا بالباء كما يقال اتى فلان واتى
به غيره وذهب هو وذهب به غيره والنور هاهنا ضوء النار التي

كخلق نفس واحد
وبعثها

أوقدوها وإنما لم تقل بنارهم وإن كانت هي المذكورة فإنما لأن
للنار شيئين حرارة ونورا والله تعالى أذهب النور وبقي عليهم الحر
المحرق ● والإمام أبو منصور رحمه الله يشير إلى أن معناه أذهب الله
نور بصرهم على ما نبين ● وقوله تعالى وتركهم في ظلمات أي خلاهم في
ظلمات هي جمع الظلمة وتجمع على الظلم بالضم والظلمات بفتح اللام وكذا
الحجرات والغرفات وهي الظلمات المحيطة به من كل جهة ففي كل
جهة ظلمة ومن الجهات ظلمات ● وأما تفسيره فقد قال الحسن هو
النور الذي أظهروه للرسول بالإسلام فقطعه الله عنهم بالموت في قبورهم ●
وقال الأصم ذهب الله بنورهم ● سود وجوههم في الآخرة عقوبة
لهم ● وقيل معنى تركهم في الظلمات أي لم يأتهم بضياء يبصرون
به ● وقيل أي لم تخرجهم منه كما قال تركه في الدار أي لم يأتهم
بضياء لم تخرجه منها وهذا تأويل المعتزلة فإنهم لا يقولون بخلق
أفعال البشر من الله تعالى والصحيح من التأويل عند أهل السنة
والجماعة وتركهم أي جعلهم في الظلمات وهو كقوله فتركه صلدا
أي جعله صلدا ● وقوله تعالى لا يبصرون أي لا يبصرون ما حولهم لذهاب
النور ● ثم قال وتركهم في ظلمات لا يبصرون بالجمع مع أن المذكور
في الآية الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله وهو واحد لما أن الموقد
واحد والمستطلون جمع أو أريد بالذي أصل الجمع من الوجه الذي سبق وهو كقوله
والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ● وقوله تعالى بلى
من أسلم وجهه ثم في أجره ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ● ومعنى الآية
في قول ابن عباس ● وقتادة ● والضحاك ● ومقاتل ● والسدي مثل المنافقين
في كفرهم ونفاقهم كمثل رجل أوقد نارا أو قد نارا في ليلة مظلمة
في مفازة واستضاء بها واستدفأ بها ورأى ما حوله واتقى ما يحذر ويخاف
فأمن

فأمن جنبنا هو كذلك إذ طفئت ناره فبقي في ظلمة خائفا متحيرا فكذلك
المنافقون إذا أظهروا كلمة الإيمان واستناروا بها واعتزوا بعزها
وأمنوا بسببها فناكحوا المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم وأمنوا
على أموالهم وأولادهم فإذا ماتوا عادوا إلى الخوف والظلمة وبقوا في العذاب
والنقمة ● وقال الإمام أبو منصور رحمه الله في هذه الآية كشف قوله
الله يستهزئ بهم ● وقوله تعالى وهو خادعهم فإنه فضحهم في الدنيا والآخرة
لأنهم طلبوا بنفاقهم الأمن فأعقبهم الله خوفا دائما ● كما قال يحسبون
كل صيحة عليهم ● وقال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك
نظر المغشي عليه من الموت وإذا ذهب الخوف الآية ● وقال فإذا
جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم الآية ● وقال يحذر
المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم ولأنهم طلبوا بالنفاق
رضا الفريقين والشرف والعز فيهم فعلم الفريقان جميعا بذلك
فطردوهم ● قال الله تعالى ما هم منكم ولا منهم ● وقال الله تعالى
لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء فزال الشرف والعز وجاء الهوان فمثلهم
والذل
كمثل مستوقد النار ليستضيء بها وينتفع بحرها ● فأذهب الله تعالى بصره
وأعقبه خوف الاحتراق لو دنا منها وذهب الانتفاع بحرها فذهب ما
كان يأمل من الاستضاءة بضوئها والانتفاع بحرها في البرد واصطلاء
الأعضاء بها بذهاب البصر وأما في الآخرة فما ذكرنا من جواب
المؤمنين لهم عند اقتباس النور وضحك المؤمنين منهم وهم في النار
وقوله تعالى صم بكم عمي الصمم انسداد خروق المسامع والأصم الصخر الأملس
والحجر الأصم أصل الحساب الذي لا يصل إلى معرفته العباد والفتنة
الصماء التي ليست لها مخرج والصماء الداهية والصمة الشجاع والصمة
الأسد وقارورة مصمومة أي مسدودة ● وصمامها سدادها وأصله

كلمة السدّ والسدو والاصمّ النعت من الصمم وجمعه الصمّ وكذلك افعل كان نعتا مما هو خلقة تجمعه الفعل ومثله البكم والعمي فان كان اسما تعلى الافاعل تجمع كالاذنب والارانب والاعجم والاعاجم فان كان نعتا مما هو مواتنة تعلى الفعلى كالاعجف والعجفى والاحمق والحمقى

وقوله تعالى بكم فالبكم هو الخرس ومواتنة فى اللسان لا يمكن معها ان تعتمد مواضع الحروف وقيل الابكم هو الذي يولد اخرس وقيل هو الخرس مع ذهاب الفؤاد

وقوله تعالى عمي فالعمي ذهاب بصر العين والقلب والعماية الجهالة والعما الخفا ايضا والتعمية الاخفا والنعت من البكم الابكم وجمعه البكم ومن العمى الاعمى فى العين وجمعه العمى ومن القلب العمي وجمعه العمون وقال تعالى بل هم منها عمون ثم رفع هذه الكلمات باضمار كلمة هم اى هم صم بكم عمي وقرا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه صما بكما عميا ولنصب ذلك ثلاثة اوجه احدها تركهم صما بكما عميا والثاني على الذم والثالث على الحال واما تفسيره فقد قال قتادة اى صم عن استماع الحق بكم عن التكلم به عمي عن ابصاره وقيل اى يتصامون يتباكمون ويتعامون مع قيام الآلات فى الاعراض عن الحق الذي قامت على حقيقته الدلالات وقد قال الهمتر حلمى اصم واذنى غير صماء وقيل معناه كانهم صم بكم عمي فانهم لا ينتفعون بهذه الآلات عن وجودها فكانهم عدموها وهذا كما يسمى الكافر ميتا لانه لا علم له بحياته ولما وصفوا بهذه الصفات فى الدنيا عوقبوا فى الآخرة بجنسها قال تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما فلا يسمعون سلام الله ولا يخاطبون الله ولا يرونه والمسلمون كانوا سامعين الحق قابلين ما لحق ناطقين الى الحق فيكرمون يوم القيامة بخطابه وسلامه ولقائه

وقوله

وقوله تعالى فهم لا يرجعون الرجوع الانصراف فالمرجع المنصرف فيكون رجعا سالما ومتعديا والارجاع رجوع الطير بعد قطاعها اى خروجها من بلاد البرد الى بلاد الحر والارجاع يمن الابل وحسن حال الماشية بعد هزالها ورجعة الزوج في المطلقة بفتح الراء وكسرها والرجعي الرجوع والمرجوع جواب الرسالة وتفسيره هاهنا لا يرجعون الى الحق وقيل عن التعامي والتصامم والتباكم وقيل الى رد به لحق وسماعه والتكلم به وقيل الى ثواب الله تعالى وافادة الآية انهم كانوا يستطيعون الرجوع باستطاعة سلامة الآلات حيث استحقوا الذم بتركه وان قوله تعالى صم بكم ليس بنفي الآلات بل هو نفي تركهما استعمالهم ثم ان الله ندب الخلق الا للرجوع اليه بالانابة بالتوبة والابتهال بتفهيمه بقوله عز وعلا وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون ومن لم يرجع اليه لحيا ارجعه اليه جبرا بالموت والبعث قال تعالى كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون وقال تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ومن رجع اليه في الدنيا بفعاله وحقق ذلك بقوله انا لله وانا اليه راجعون كان رجوعه اليه بالكرامة وخاطب بقوله يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية الآية

وقوله تعالى او كصيب او في القرآن لثلاثة عشر معنى احدها للشك قال تعالى قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وللتشكيك قال تعالى افان مات او قتل هذا اغير الاول هذا اخفا الحال على السامع من غير شك من القايل وللتخيير قال تعالى فكفارته اطعام عشرة مساكين الى قوله تعالى او تحرير رقبة وللاباحة قال تعالى مخاطبه قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن وهذا غير التخيير ذلك بيان ان الواجب احدهما لا الكل وله الخيار وفي الاباحة له ان يفعلهما وله ان يترك احدهما وللتفصيل قال تعالى

انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الاية كل عقوبة منها بجنابه غير
الاخرى وبمعنى الواو قال لعله يتذكر او يخشى وبمعنى بل قال
تعالى كلمح البصر او هو اقرب وبمعنى ولا قال تعالى فمن كان منكم
مريضا او على سفر وقال تعالى فيقتل او يغلب ولاحد الامرين
بين مذكورين ويلحق بهما مذكوران بينهما كلمة او ايضا والمراد
تعيين احدهما لاحدهما وتعيين الاخر للاخر قال تعالى وانا او اياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين اي انا لعلى هدى وانكم لفي ضلال وللذكر
بين امرين وتوهم انه مخير بينهما ويباح له كلاهما والمراد به
انه لو فعلهما لم ينفعاه ولو فعل احدهما لم ينفعه قال تعالى
اصلوها فاصبروا او لا تصبروا وللاجمال وتحقيق اوجه
مما يستعمل فيه كما في هذه الاية او كصيب يحتمل ان تكون
للتخيير اي ان شئتم فاجعلوا مثل المنافقين كمثل المستوقد
نارا وان شئتم فاجعلوا مثلهم كمثل اصحاب صيب ويجوز ان
يكون بمعنى الواو اي وكصيب ويجوز ان يكون بمعنى بل ويجوز ان
يكون للتفصيل فالتشبيه الاول لشيء والثاني لشيء اخر على ما
نبين ان شاء الله تعالى وقوله كصيب الكاف للتشبيه وهو احد
اقسام البلاغة وهو ابلغ في المعنى واوقع في القلب واعذب
في الاسماع واوصل الى المراد وهو في القران كثير كشجرة طيبة
كشجرة خبيثة كسراب بقيعة كرماد اشتدت به الريح كمثل صفوان
كمثل الكلب اولئك كالانعام في البحر كالاعلام كانهم اعجاز نخل خاوية
كمشكاة فيها مصباح كانها كوكب دري كمثل حبة انبتت سبع
سنابل كمثل جنة بربوة كما انزلناه من السماء كمثل غيث كانهم
جراد منتشر كالعهن المنفوش وردة كالدهان طلعها كانه رؤوس

الشياطين

قال ولا تطع منهم اثما او كفورا او يعني حتى قال ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم ولذكر شيئين فيتعلق الحكم بايهما وجد وبهما ان وجدا

الشياطين يعني ثمرها كالمهل كانهم لؤلؤ مكنون كانهم بيض
مكنون كانهن الياقوت والمرجان والصيب المطر من قولهم صاب
يصوب صوبا نزل قال الشاعر فلست لانسي ولكن لملاك
تنزل من جو السماء يصوب والصيب السحاب ايضا قال ابو ذؤيب
بقرار قيعان سقاها صيب واه فاثجم برهة ما يقلع والصيب
اصله صيوب صارت الواو ياء لوقوعها بين ياء ساكنة وكسرة
وادغمت كالسيد والجيد وتشبيهه ههنا المطر في قول ابن
عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقد قال بعضهم اي كسحاب
لانه قال فيه ظلمات ورعد وبرق وذلك في السحاب لا في
المطر وسمي السحاب صيبا لان الصيب منه وهو المطر الذي
يصوب اي ينزل وقوله تعالى من السماء فالسماء في اللغة سقف
الدنيا والسماء السحاب ايضا والسماء المطر ايضا والسماء سقف
البيت ايضا والسماء ظهر الفرس ايضا وهي في القران على وجوه
ذكرت للسموات السبع قال تعالى ثم استوى الى السماء فسواهن
وللسماء التي تلينا قال تعالى افلم ينظروا الى السماء فوقهم وللسحاب
قال تعالى انزل من السماء ماء وللمطر قال تعالى يرسل
السماء عليكم مدرارا وللهواء قال تعالى اصلها ثابت وفرعها في
السماء وللسقف البيت قال تعالى فليمدد بسبب الى السماء وللسماء
الجنة قال تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وللسماء
جهنم قال تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وتفسيرها
ههنا اي من السماء الدنيا وقيل اي من السحاب فمن جعل الصيب
سحابا لم يمكنه صرف السماء الى السحاب فيصرفه الى سماء
الدنيا وقيل اي من السحاب فمن جعل الصيب سحابا لم يمكنه

اي متعال مرتفع في الهواء

[illegible]

صرف السما إلى السحاب فيصرفه إلى السما الدنيا ومن جعله مطرا
انكره صرفه إلى كل واحد منهما والتوفيق بين التشبيه أن
المطر من السحاب عيانا وهو من السموات أصلا قال الله تعالى
ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما
فترى الودق يخرج من خلاله وروى وهب بن منبه في المبتدا
اسم كتاب عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال تحت العرش بحر
ينزل منه أرزاق الحيوانات يوحي الله إلى السحاب إليه فتمطر ما
شاء من السماء حتى تنتهي إلى السماء الدنيا ويوحي إلى السحاب أن
غربله فيغربله فليس من قطرة تقطر إلا ومعها ملك يضعها
موضعها ولا ينزل من السماء قطرة إلا بكيل معلوم ووزن معلوم
إلا ما كان من يوم الطوفان فانه نزل ماء منهمر بغير كيل ولا
وزن وقوله تعالى فيه ظلمات هي ظلمة الليل والسحاب والمطر
وقيل ما يستره المطر والسحاب من نور الطوالع وقوله تعالى
ورعد وبرق اما الرعد فقد سئل وهب بن منبه عن الرعد
فقال الله اعلم وعن معتب قال سألت الذهبي عن الرعد
ما هو فقال الله اعلم وسأل كعب عبد الله بن عمر عن الرعد فقال
ملك وكله الله تعالى بسياقة السحاب فاذا اراد الله تعالى أن
يسوقه إلى بلد أمره فساقه فاذا تعسر عليه زجره بصوته
حتى يجتمع كما يرد احدكم ركابه ثم تلا ويسبح الرعد بحمده
والملائكة من خيفته وعن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم
أنهم كانوا اذا سمعوا الرعد قالوا سبحان من يسبح الرعد بحمده
والملائكة من خيفته وعن شهر بن حوشب أن الرعد ملك يزجر
السحاب كما يحث الراعي الابل وكما ينعق الراعي بغنمه فاذا تفرقت
سحابة

إلى سماء الدنيا صح

اي الريح فتحمله فتبثه في السحاب
والسحاب بمنزلة الغربال
ثم نوحي صح صح

سحابة ضمها فاذا اشتد غضبه طار من فيه النار فهي الصواعق
وقال قتادة الرعد خلق من خلق الله تعالى سامع مطيع وقال
ابن عباس رضي الله عنهما ليس شيء أحسن منطقا ولا أحسن ضحكا
من السحاب قالوا ما منطقه وما ضحكه قال منطقه الرعد وضحكه
البرق وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الرعد ريح
تختنق تحت السحاب فتتصاعد فيكون منه ذلك الصوت وقيل الرعد
صوت اصطكاك الاجرام وهو من الرعد لانه صوت يرتعد
أي يضطرب وارتعدت فرايصه عند الخوف من هذا والرعديد
يد الجبان لارتعاده من خوفه والرعديدة المرأة اللينة
الاعضاء من ذلك والبرق هو ما يتقدح من اصطكاك الاجرام
عند هولا وقال علي رضي الله عنه هو ضرب الملك الذي
هو الرعد السحاب بمخراق من حديد وقال ابن عباس والضحاك
هو سوط من نار يزجر به الملك السحاب فبرقه هو تلالؤ الما
وقال مجاهد ومحمد بن مسلم الطائفي البرق ملك له أربعة أوجه
وجه انسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه أسد فاذا
مصع باجنحته فذلك البرق والمصع التحريك والضرب وقال
شعيب بن الحبحاب وجدت في كتاب الله تعالى أن حملة العرش
لكل ملك منهم وجه انسان ووجه ثور ووجه أسد
ووجه نسر فاذا حركوا اجنحتهم فهو البرق وعلى كلتا هذه
الاقاويل الرعد والبرق المذكوران في هذه الآية هو الصوت
والنار التي تلمع في السحاب فان كان الرعد والبرق اسمين
لملك أو ملكين فقد اريد فيما ذكر في هذه الآية صوتهما
وأثرهما لا عينهما وفي قصة المعراج من رواية ابن عباس رضي الله عنهما

قال عليه الصلاة والسلام مررت على ملك يشبه الآدمي
خلقا نصفه من الثلج ونصفه من النار وسمعته يسبح وهو يقول
سبحان الذي ألف بين الثلج والنار سبحان الذي يؤلف بين عباده
المؤمنين فقلت يا جبريل من هذا الملك قال هذا ملك خلقه
الله تعالى بقدرته كما شاء ووكله على السحاب يسوقه من موضع
إلى موضع واسمه رعد ومنه الرعد والبرق يجيء سباقه
السحاب يظهر الرعد ويخفيه على السحاب يظهر البرق الرشيح
الله يسوقه ألم تر أن الله يزجي سحابا الآية وقال في كتاب
حقائق القرآن قال ابن الرحماني الرعد صعقات الملائكة والبرق
حرقاتهم والمطر بكاؤهم فإن حمل هذا الكلام على الظاهر
فالملائكة موصوفين بالخشية والخيفة قال والملائكة من خيفته
وقال تعالى وهم من خشيته مشفقون وبكاؤهم شديد أيضا حكاه
النبي صلى الله عليه وسلم أنه رآهم ليلة المعراج باكين أهل كل
سما إلى الحق أشد أنواع من الذين دونهم سيجوزان يكون ما يرونه
الهوا هو منهم من السماء وإن حمل على التمثيل فله وجه أي
كما يسمعون صوت الرعد فاعلموا أن صياح الملائكة في الجو كذلك
وكما ترون لمعان البرق فلمعان نيران أشواقهم كذلك وكما ترون
تقاطر الأمطار فدموعهم كذلك وهذا حالهم مع أنهم لا يعصون
الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم عباد مكرمون وهم
من خشيته مشفقون فكيف ينبغي لنا أن نغفل مع هفواتنا وجفواتنا
وخطواتنا وخطيئاتنا وقوله تعالى يجعلون أصابعهم قيل يضعون وقيل
يدخلون وذلك هذه الكلمة وهي بلفظ الجمع أن المراد من قوله
تعالى أو كصيب أو كأصحاب صيب حتى صار هذا فعالهم والأصابع

جمع

يعصون

جمع أصبع وفيها خمس لغات أَصبع بفتح الهمزة وكسر البا وأُصبع
بضمها أي الهمزة وفتح البا وأُصبُع بضمها وإِصبع بكسرها وإصبَع
بكسر الهمزة وفتح البا وهي أشهرها وهي إحدى أصابع اليدين
والرجلين والأصبع مؤنثة سماعا قال النبي صلى الله عليه وسلم
في رجله في بعض مغازيه هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله
ما لقيت ودلت الآية أن إطلاق اسم الشيء على بعضه جائز مجازا
فإنه جعل الأصابع في الآذان والمقصود بعضها لا كلها ومعنى هذا
يسدون آذانهم بأصابعهم خوفا من الرعد وقوله تعالى في
آذانهم هي جمع أذن وهي الجارحة السامعة وقد أذن
بالكسر أذنا أي سمع قال الله تعالى وأذنت لربها أي سمعت مطيعة
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى
بالقرآن والأذان الإعلام بابه الاستماع وآذن أي أعلم وأذن سمع
ورجل أذن يسمع كل قول ويقبله وقوله تعالى من الصواعق
هي جمع الصاعقة وهي الصوت مع النار وقيل هي صوت
الرعد الشديد الذي يصعق منه الإنسان أي يغشى عليه أو
يموت وقيل هي نار لا دخان لها وقيل هي عذاب ينزل
من السماء يموت منه الكثير من سمعه وقيل الصاعقة والصاقعة
واحدة وهي من الصعق أي الضرب وهو الصوت أيضا والصقع
البرد والحرق للثياب والصقع بفتح القاف الشيء أيضا وقيل
هي الصاعقة وهو أجمع ما قيل فيه هو الشديد من صوت
الرعد تقع معه قطعة نار تحرق ما أتت عليه وهو المراد ههنا
وقد ذكرت الصاعقة في القرآن لأشياء للثاني في قصة بني إسرائيل
وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وللريح

ذكره

في قصة عاد قال مثل صاعقة عاد وللصيحة في قصة ثمود قال وأما
ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب
ولمطلق العذاب قال تعالى فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة
وللعذاب النازل من السماء قال تعالى ويرسل الصواعق فيصيب
بها من يشاء وللصوت الرعد كما في هذه الآية قوله تعالى من الصواعق
أي من قبل الصواعق وبسببها أو منه مضمر وتقديره يجعلون أصابعهم
في آذانهم حذرا من الصواعق أي خوف إتيان الصواعق والألف واللام
في الصواعق بدل الإضافة أي من صواعق الرعد وصواعق
الصيب وهو كقوله تعالى فإن الجنة هي المأوى أي مأواه قوله تعالى
والله محيط بالكافرين الإحاطة إدراك الشيء بكماله من كل
جهاته ويستعمل في العلم بالشيء من كل وجوهه قال تعالى
أحاط بكل شيء علما وفي إهلاك الشيء بكليته قال تعالى وأحيط
بثمره وقال تعالى إلا أن يحاط بكم أي تهلكوا جميعا وتفسيره
هاهنا عند بعضهم أي يميتهم أنى شاء فلا فائدة لحذرهم وقيل أو هو
عالم بالكفار ومطلع رسوله على أفعالهم وقيل أي عالم بهم
فيجازيهم يوم القيامة بأعمالهم وقيل أي جامعهم في جهنم بما عملوا
وفي قوله والله من ورائهم محيط أي لا يخرجون عن ملكه وعلمه
وقدرته قوله تعالى يكاد البرق يخطف أبصارهم كاد يكاد مكادة
أي قارب يقال كاد يفعل كذا أي قرب أن يفعل وإذا قلت
ما كاد يفعل فمعناه قرب أن لا يفعل وفعل وهو مثل عسى إلا
أن عسى يوصل بكلمة أن وكاد يستعمل بغير أن وقد يستعمل أيضا
مع أن واللغة الفاشية هي الأولى وفي القرآن كذلك وقالوا
إذا أوصل كاد بأن فهو تشبيه بعسى وإذا أسقط عن عسى فهو
بكاد

قوله حذر الموت
الحذر الخوف الباعث
على التحفظ والتيقظ
ورجل حذِر وحذُر بكسر
الذال وضمها منه كذلك
وطير حذر أي متحفظ
شديد التيقظ
والموت زوال الحيوة
ونصب حذر على أنه
مفعول له أي لأجل حذرهم
من الموت يفعلون كذلك
ح

فهو بكاد قال الله تعالى في عسى فعسى الله أن يأتي بالفتح وقال
تعالى في كاد يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار وقال تعالى
لم يكد يراها وقوله يخطف فالخطف الاستلاب بالسرعة ومنه
عليه ورجل خطيف سريع المر والشيطان يخطف السمع
أي يسترقه والبرق يخطف البصر أي يستلبه وقرأ الحسن
البصري رحمه الله يخطف بفتح الياء وكسر الخاء والطاء وقرئ يخطف
بفتح الياء والخاء وكسر الطاء وقرئ يخطف بكسر الياء والخاء والطاء
وقرأ بعض أهل المدينة بسكون الخاء وتشديد الطاء وقراءة الأكثر
بفتح الياء وسكون الخاء وفتح الطاء وتخفيفها فأما وجه تشديد الطاء
فعلى أن أصله يختطف فأدغمت التاء في الطاء وأما كسر الخاء فلاجتماع
الساكنين حرك الأولى إلى الكسر كما في قوله لم يكن الذين كفروا
وأما كسر الياء فاتباعا للخاء وأما فتح الخاء فلنقل حركة التاء المدغمة
إليها قوله تعالى كلما أضاء لهم أضاء يجوز لازما والمتعدي
ومعنى الأول كلما أضاء لهم البرق ومعنى الثاني كلما أضاء البرق الطريق
لهم قوله تعالى مشوا فيه المشي السير المعتاد والمشي بالتشديد
والمشو الدواء المسهل والمشي في القرآن لمعان للسير كما في قوله تعالى
يمشون مطمئنين وللمضي كما في قوله تعالى فامشوا في مناكبها وللاهتداء
كما في قوله وجعل لكم نورا تمشون به وللانجرار كما في قوله تعالى
فمنهم من يمشي على بطنه وللنميمة في قوله مشاء بنميم وتفسيره
هاهنا كلما أنار البرق لهم الطريق مضوا في طريقه وضوئه فإذا
انقطع وقفوا قوله تعالى وإذا أظلم عليهم قاموا القيام من الأضداد يقال
قال تعالى منها قائم وحصيد والقيام الاستواء قال وتركوك
قائما والقيام النهوض قال إذا قاموا والقيام البقاء ومن

آياته أن تقوم السما والارض بأمره فالقيام الوقوف قال وإذا أظلم
عليهم قاموا أي وإذا زال الضوء وجاء الظلام وقفوا وقوله تعالى ولو شاء الله
لو كلمة شرط والمعلق به يمتنع بامتناع شرطه وقد يكون للتمني
كما في قوله لو أن لي كرة فأكون من المحسنين والمشيئة الإرادة
وقوله تعالى لذهب بسمعهم وأبصارهم أي لأذهبهما فالتعدية
قد تقع بالباء أيضا ثم ذكر السمع على الوحدان والأبصار بالجمع
لما مر في قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وتفسير هذه
الكلمات ولو شاء الله لذهب بسمع رؤوسهم وأبصار رؤوسهم
كما ذهب بسمع قلوبهم وأبصارها وقيل ولو شاء الله لجعلهم صما
وعميا في الآخرة كما جعلهم كذلك في الدنيا وقيل ولو شاء الله لذهب
بأعيان الأسماع والأبصار منهم كما ذهب بمنافع الأسماع والأبصار
منهم كما ذهب بمنافع الأسماع والأبصار منهم ولمعرفة
هذه الأقاويل اندفع سؤال من سأل فقال لما قال منهم صم
بكم عمي فقد نفى السمع والنطق والبصر عنهم فما معنى تعليق
إذهابها عنهم بالمشيئة لأنا نقول ما نفاه عنهم غير ما علق إذهابه
عنهم بالمشيئة وهو ما ذكرنا وقوله تعالى إن الله على كل شيء قدير
كل كلمة استيعاب يتناول جميع ما دخل فيه والشيء اسم لكل
موجود مخلوق لأنه هو الذي يجوز دخوله تحت القدرة والقدير
هو القادر كالعليم هو العالم والصفة القدرة والمقدرة والاقتدار
إثبات القدرة واقتدر فهو مقتدر بمعنى قدر فهو قادر وتفسيره
ها هنا أنه على كل شيء قدير وإنما ذكر قبله إذهاب السمع والبصر لا غير
لأنهما هما المذكوران في القصة فالرعد يؤثر في السمع والبرق
يؤثر في البصر والله قادر على إزالتهما في هذه الحالة وقادر على كل

شي

ومعناه هو اسم لكل موجود مخلوق ح

شيء في كل شيء وحالة فأما تأويل جملة هذه الآيات ففيها أقاويل
منها ما روي أنه كان رجلان من المنافقين من المدينة هربا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين فأصابهما هذا المطر الذي
ذكر الله تعالى فيه رعد وبرق وصواعق فجعلا كلما أضاء لهما البرق مشيا
وجعلا أصابعهما في آذانهما من الفرق فإذا لم يلمع لم يبصرا فمكثا
لا يمشيان فجعلا يقولان ليتنا أصبحنا فنأتي محمدا فنضع أيدينا
في يده فأصبحا فأتياه فأسلما فضرب الله تعالى مثلهما للمنافقين
بالمدينة وقال ابن عباس وعطاء والضحاك وعلي بن طلحة
ومقاتل والكلبي وجعفر بن محمد الصادق هذا مثل القرآن بالمطر
لأن في القرآن حياة من آمن به وفيه ظلمات ذكر الكفر والوعيد
عليه وعلى المعاصي وهو كالرعد وفيه الوعد على الإيمان
والطاعات كالبرق وقيل الظلمات بيان الفتن والرعد الزجر
والتخويف والبرق بيان النصرة والظفر وقيل الرعد
المتشابهات والبرق المحكمات وقيل الرعد بيان المحرمات
والوعيد عليها والبرق بيان المحللات والوعد عليها يجعلون
أصابعهم في آذانهم ينفرون عن الجهاد وسائر الأوامر
كأن لم يسمعوا وقيل يتصامون ويتعامون كلا سمعوا ما
نزل في شأنهم والأمر بقتلهم وقيل يجعلون أصابعهم
في آذانهم حقيقة كيلا يسمعوا القرآن تكاد حجج القرآن
تبهر العقول وتجذبها إلى نفسها لوضوحها وقيل يكاد القرآن
يدل على عوراتهم وقيل يكاد بيان القرآن يذهب بضلالتهم
كلما أضاء لهم مشوا فيه فلما تنكر وأتى المحكمات قصدوا وآمنوا
بالقرآن وإذا اشتبهت عليهم المتشابهات أعرضوا وكفروا وقيل

أي مثل المنافقين مع القرآن كمثل مسافر أصابه مطر فشبه القرآن ح

وقيل الرعد ما في القرآن من الامتحان والابتلاء وذكر الرعد والبرق ما فيه من الهدى والشفاء من الصواعق ح

كلما تمسكوا بالمتشابهات ليحتجوا بها على المؤمنين انقطعت حججهم
بالمحكمات فبقوا في ظلمة كفرهم متحيرين • ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وابصارهم عقوبة لهم • فاذهب سمع قلوبهم وابصارها خذلانا
لهم انه قدير على ما اراد • وقيل هذا في الذين آمنوا لما مسهم الضر
ارتدوا وهم الذين ذكرهم الله في قوله • ومن الناس من يعبد
الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به الآية • فقال تعالى او
كصيب فشبه الاسلام بالمطر والنعمة فيه بالبرق والفتن والمحن
فيه بالرعد يجعلون اصابعهم في آذانهم اي لا يحبون ان يسمعوا
شيئا من الشدائد • والبلايا يكاد ما يبرق لهم من عز المسلمين
واصابة الغنائم يمحوا عن قلوبهم الشبهات • واذا اظلم عليهم
قاموا واذا زالت نعم الدنيا وقفوا ولو شاء الله لسلب ما في
ايديهم • وزادهم ذلا الى ذلك انه على كل شيء قدير • وقيل
المثل لليهود وذلك ان المسافر ينتظر المطر لبعد الطريق في
ويملأ الحياض فينتفع به هو ودوابه ولا ينتفع الظلمات والرعد
كذا اليهود كانوا ينتظرون خروج نبينا عليه السلام ليهتدوا به
ويقهروا الاعداء ولم ينتظروا نسخ شريعتهم والوعيد بالثاب
لمن كان على دينهم فالمطر مثال محمد والظلمات نسخ شريعتهم
والرعد الوعيد بالنار والبرق معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
يجعلون اصابعهم في آذانهم • يعني يبدون في الانكار مع ظهور الآيات
يكاد البرق يخطف ابصارهم • اي كاد ظهور دلائله يذهب ظلمة
قلوبهم • كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا اي المسافر
لو نظر الى البرق لابصر الطريق • ولو غمض عينيه خفي عليه
الطريق كذا اليهود لو تأملوا في حال النبي صلى الله عليه وسلم
لاهتدوا

لاهتدوا ولما اعرضوا بقوا في الضلالة • وقال الامام ابو منصور رحمه
الله المثل للكفار عصر النبي صلى الله عليه وسلم • الا ترى انه قال والله
محيط بالكافرين وكانوا صنفين اهل كتاب قد غيروه • كما قال
ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وقال يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين
لكم على فترة من الرسل • ومن اهل الكتاب قوم ابتدعوا الكتاب كما
قال وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب فاندرس الكتاب
الحق وصاروا في ظلمة الضلالة وظهر منهم القول المختلف المتناقض
الذي لا تحتمله الحكمة وصنف لا ينتحلون الكتاب ولا يؤمنون بنبي
بل يعبدون الاوثان والاحجار والنيران ليس لهم من يدلهم
على رشدهم فاحتاجوا الى من يخرجهم من الضلال الى الهدى ومن
الفرقة الى الائتلاف فبعث الله اليهم نبيا والزمهم بالآيات
ليستنقذهم به • ان اطاعوه فكانوا كقوم بقوا في ظلمات الليل
والسحاب متحيرين او كقوم ابتلوا بشدة الجوع والعطش بالقحط
والجدب ونحوه فاغاثهم بالمطر فتلقوا نعمه بالشكر فنجوا بذلك من الهلكة
وذلك مثل من اتبعه ومنهم من تلقاه بالكفران فشبه نبيه
بالمطر اذ هو رحمة كالمطر وشبه ايمان من آمن به بضوء البرق والمنفي
فيه وشبه عناد المعاندين بالرعد • يكاد نوره وبركته
يخطفهم من العذاب • مع كفرهم كلما اضاء لهم • اي كلما ظهر لهم
نوره وبركته سكنوا اليه • واذا اظلم قاموا اي واذا رفع محمد
عذبوا بانواع العذاب • ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم
اي لعذبهم ونحن نفهم انه قدير على كل شيء وقوله تبارك وتعالى
يا ايها الناس • قال الزجاج يا نداء واي اسم مبهم مبني على الضم لانه منادى
مفرد والناس صفة له وها تنبيه لازم لاي • وهو عوض عن

الإضافة في أيّ لأنّ اخر أيّ يكون نصبًا في الاستفهام. وقال سيبويه
عن الخليل المنادى المفرد مبنيّ وليس بمعرب ولذلك لم ينوّن وصفته
من نوعه رفع إعراب ولذلك دخله الألف واللام. وقال الأخفش
الناس صلة لأيّ والنداء تنبيه الغافلين وإحضار الغائبين وتحريك
الساكنين وتعريف الجاهلين وتفريغ المشغولين وتوجيه المعرضين وتهييج
المحبين وتشويق المريدين وإن الله تعالى نادى الماضين باسم المساكين
ونادانا باسم المؤمنين يا أيها الذين آمنوا وباسم الإنسانية وهي المروءة
وحسن المعاملة وصدق المجاملة يا أيها الناس وهو مدح ابتداءً
وعتب على ملازمة الإنسانية انتهاءً. وهو مشتق أيضًا من الناس
أي أبصر كأنه قال يا أولي الأبصار ومن الأنس أيضًا. وهو مدح
له بالأنس بذكر ربه ومن النسيان. وهو عتاب وتلقين عذر أما
العتاب فكأنه يقول أيها الناسي نعمنا بالكفران وأوامرنا
بالعصيان وأما التلقين للعذر فكأنه يقول يا أيها الحالف لنا
ناسيًا لا عامدًا وساهيًا لا قاصدًا عذرنا لك لنسيانك وعفونا
عنك لإيمانك. وقوله الناس هاهنا يصلح اسمًا للمؤمنين
والكافرين والمنافقين وقوله تعالى اعبدوا ربكم
أمر لهم جميعًا وقد سبق ذكرهم جميعًا ذكر المؤمنين في أول السورة
وذكر الكفار بعدهم وذكر المنافقين بعدهم. وقوله اعبدوا
معناه أيها المؤمنون أطيعوا وأيها الكافرون آمنوا وأيها
المنافقون أخلصوا وهو وجه انتظام هذه الآية بتلك الآيات
وقد مرّ في تفسير العبادة أقاويل. ونذكر هاهنا قولًا واحدًا
وهو أن العبادة استفراغ الطاقة في استكمال الطاعة واستشعار
الخشية في استبعاد المعصية وقوله تعالى ربكم أي الهكم ومالككم
ومربيكم

ومربيكم وقوله تعالى الذي خلقكم الخلق في اللغة التقدير قال الشاعر
ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري ومنه قوله
وإذ تخلق من الطين والخلق الإيجاد والخلق الافتراء في قوله إن هذا
إلا خلق الأولين والاختلاق كذلك في قوله تعالى إن هذا إلا اختلاق
والخلق المخلوق في قوله تعالى وهو بكل خلق عليم والخلق البعث
بعد الموت في قوله تعالى قادر على أن يخلق مثلهم وتفسير خلقكم
هاهنا أوجدكم فهو المستحق لعبادتكم إياه وهي الفعل له على
الخلوص قال الإمام أبو منصور رحمه الله العبادة جعل العبد
كليته لله قولًا وعملًا وعقدًا قال رضي الله عنه وقد ورد معنى التخليق
بأن كرره في القرآن من كل طريق أخبر أنه هو الخالق فقال خالق
كل شيء وأنه الخلاق فقال وهو الخلاق العليم وأنه أحسن الخالقين
قال الله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين وأنه خلق كل شيء فقال
خلق كل شيء وأنه يخلق ما يشاء فقال وربك يخلق ما يشاء ويختار
وخص بعض المخلوقات بالذكر ومنها السماء فقال تعالى خلق السموات
بغير عمد ومنها الأرض قال تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي
خلق الأرض وجمعهما فقال خلق السموات والأرض والليل والنهار
قال وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر وذكر الجن
والإنس فقال تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وخص
الجان فقال تعالى وخلق الجان من مارج من نار وإبليس فقال
خلقتني من نار وخلقته من طين وقال أم خلقنا الملائكة إناثًا
وآدم فقال تعالى وبدأ خلق الإنسان من طين وحواء فقال
وخلق منها زوجها والأزواج فقال ومن آياته أن خلق لكم من
أنفسكم أزواجًا وأولاد آدم وحواء فقال تعالى خلق من ماء دافق

في قوله هذا خلق الله والخلق المخلوقون

والملائكة

والتارات. فقال تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة
فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر. وقال
تعالى خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث. وانبه على شبهه به فقال
فتبارك الله احسن الخالقين لانه احسن التخليق. وقال تعالى لقد خلقنا
الانسان في احسن تقويم. وذكر خلق اعمالهم فقال والله
خلقكم وما تعملون. وخلق اسرارهم فقال انه عليم بذات الصدور
الا يعلم من خلق. وذكر خلق الذكر والانثى فقال تعالى وما خلق
الذكر والانثى. وخلق الانعام لاجلهم فقال والانعام خلقها
لكم. الايات. وكذلك الحيوانات فقال والله خلق كل دابة من ماء
الى قوله يخلق ما يشاء. وذكر الذباب فقال ان الذين تدعون
من دون الله لن يخلقوا ذبابا. وذكر الجمادات فقال والله جعل
لكم مما خلق ظلالا. وخلق ما لا تعلمون فقال تعالى ويخلق ما لا تعلمون
وذكر خلق الموت والحياة فقال الذي خلق الموت والحياة. ثم ذكر
انه ما خلقنا عبثا فقال عز وعلا افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم
الينا لا ترجعون. وذكر انه خالق وانه رازق وانه يحيي وانه يميت
فقال الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم. واذا كان
هذا كله منه كان استحقاق عبادة الخلق له دون غيره فقال اعبدوا ربكم
الذي خلقكم. ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم. وقوله تعالى والذين
من قبلكم فاستحق عبادتهم وامرهم ايضا بعبادته فقال وما
ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون. وفي
قوله الذين من قبلكم دلالة على شمول القدرة والصنعة وتنبيه
عن سنة الغفلة انهم كانوا فمضوا وجاءوا وانقضوا فلا تنسوا
مصيركم ولا تستحيروا تقصيركم. وقوله تعالى لعلكم تتقون على ولعل
في

فتبارك الله احسن الخالقين لانه احسن التخليق

الواو للعطف اي وخلق الذين من قبلكم

في اللغة كلمة ترجي ممن لا يعلم العاقبة وهي ترجية من الله
تعالى لانه لا تخفى عليه خافية وهو كالكلمة كيف هي للتعجب فيا وللتعجيب
من الله وفارسيتهما رجي اميد داشتن وترجية با اوميد داشتن
تعجب شگفت داشتن وتعجيب شگفت داشتن ومعناه اعبدوا
ربكم راجين التقوى وللتقوى ههنا معنيان التقوى في الدنيا عملا
والتقوى في الاخرة املا ففي الدنيا الاتقاء عن الشرك ان حمل
الامر بالعبادة على التوحيد والاتقاء عن الذنوب ان حمل ذلك على
الطاعات والاتقاء في الاخرة هو الاحتياط عن النار وسائر
العقوبات. وهذه مخاطبة لطيفة يقول الرجل لاخر لا واخذك
بالجفوة لعلك ترجع الى الصفوة. والله تعالى يقول وكذلك انزلناه
قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون. والله اخرجكم
من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة لعلكم تشكرون. كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون.
وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون. وافعلوا
الخير لعلكم تفلحون. ومن العجب قوله في حق فرعون فقولا له
قولا لينا لعله يتذكر او يخشى. وكان الشبلي رحمه الله يقول
في هذا يا رب هذا لطفك بمن يقول انا ربكم الاعلى فكيف لطفك
بمن سجد لك على التراب. وقال سبحان ربي الاعلى وهذا كله
على ما مر انه ترجية ومعناه ههنا انه قال لموسى وهارون
اذهبا اليه وادعواه الينا وانتما على رجاء اجابته واعتداد عن جنايته
والله تعالى قد علم انه لا يجيب لكن اسويه لك الزاما للحجة واخبر
الحال عليهما لئلا يبتغيا الى الدعوة. وقوله تعالى الذي جعل لكم
هو صفة قوله ربكم وتفسيره صير لكم الارض وقيل خلق

وقيل نسبط • وجعل في القرآن لمعان للخلق قال تعالى وجعل الظلمات
والنور والأزواج • قال إنا جعلناه قرآنا عربيا • وللجنس • قال تعالى
ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين أي صيرناه إلى قدر معلوم
إلى وقت الولادة والوضع • وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في
رحالهم أي وضعوا بضاعتهم في جوالقهم • وللإدخال • قال تعالى
يجعلون أصابعهم في آذانهم • وللجمع • قال تعالى أجعل الآلهة
إلها واحدا • قال تعالى أن تجعل بيننا وبينهم سدا • وللتمليك والتسليط
قال تعالى اجعلني على خزائن الأرض • وللتحويل والوصف • قال تعالى
ولا تجعل مع الله إلها آخر • وللإرسال • قال تعالى واجعل لي وزيرا
من أهلي • وللتصيير • قال تعالى فجعلهم كعصف مأكول • وللتصيير • قال
تعالى فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم • وللترك • قال تعالى
ونجعل من تشاء عقيما • وللإعطاء • قال تعالى وجعلت له مالا ممدودا
وللاتخاذ قال تعالى فجعلتم منه حراما وحلالا • وللتسخير • قال
تعالى وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون • وللرفع • قال
تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا • وللبسط قال تعالى جعل لكم
الأرض فراشا • وقوله تعالى الأرض هي التي نحن عليها واشتقاقها من
أشبه بالأرض قوائم الفرس وهي أسافله وأرضنا التي نستقر
عليها نستقله • والأرض الرعدة وأرضنا تبتدئ لذلك وكانت منزلة
تعبد خلق الجبال عليها لتوطيدها والأرض الخليق بالخير ولذلك
أرضنا نعيما لنا والمرعى • وعليها القرار والمأوى للأحياء والموتى
والأراض البساط • وهي بساطنا والأرض بفتح الراء الاتساع وأرضنا
متسعة والأرضة دويبة تأكل العود وأرضنا تأرض ما دفن
فيها والتأريض التأسيس والتأصيل • قال النبي عليه السلام
لاصيا

لا صيام لمن لم يؤرضه من الليل وأرضنا هي الأساس • وقوله تعالى فراشا
أي بساطا فالفرش البسط وهو مصدر والفراش البساط وهو
اسم لما يفرش أي يبسط والمرأة فراش الرجل لأنه يستفرشها
قال الله تعالى في أزواج الجنة وفرش مرفوعة ونظير هذا الاسم
للأرض في القرآن المهد والمهاد والبساط • قال تعالى الذي جعل لكم
الأرض مهادا وقال تعالى ألم نجعل الأرض مهادا وجمع بين الفرش
والمهد في آية فقال تعالى والأرض فرشناها فنعم الماهدون
وقال تعالى والله جعل لكم الأرض بساطا • وقال تعالى أمن جعل
الأرض قرارا • وقريب من هذه الصفة ما قال والأرض بعد ذلك
دحاها وقال تعالى والأرض وما طحاها والدحو البسط والطحو البسط — والتوسع قال وإلى الأرض كيف سطحت أي بسطت والأرض
مددناها • وقوله تعالى والسماء بناء معطوف على الأول أي وجعل السماء
بناء • وهي السماء التي فوقنا مشتقة من سما يسمو أي علا وقد ترد
ونحوه في قوله أو كصيب من السماء • وهي تصلح للواحدة كما في قوله — السماء
تعالى • ولقد زينا السماء الدنيا • وللسموات السبع كما في قوله ثم استوى
إلى السماء فسواهن • للواحد ظاهر وللجمع بطريقين أحدهما
أنه جمع سماءة كالعباء والعباءة • والثاني أنه جنس مجموع يتناول
الكل • وقوله بناء أي مبنية • فعال بمعنى المفعول كثير منها الحجاب
بمعنى المحجوب • والفراش بمعنى المفروش • والبساط بمعنى المبسوط
والمهاد بمعنى الممهود • والبناء مصدر ابتنا بنى يبني وهو في اللغة
لثلاثة معان • للتركيب كما في قوله تعالى يا هامان ابن لي صرحا
وللرفع في قوله تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها وللتوصل
كما في قوله عليه السلام فلينصرف • وليتوضأ وليبن على صلاته سمي
السماء بناء لهذه الوجوه • وهي إنما مركبة من فوقه من صوله م

وللبناء كالبنيان والحكمة جاءت في القرآن لأشياء للجدار وحده قال
تعالى كأنهم بنيان مرصوص وللرباط قال تعالى في قصة أصحاب
الكهف فقالوا ابنوا عليهم بنيانا وللمنظر قال تعالى أتبنون بكل ريع
آية تعبثون وللمسجد قال تعالى أفمن أسس بنيانه وللأتون قال تعالى
قالوا ابنوا له بنيانا وللعمارة التامة قال تعالى والشياطين كل بناء
وغواص وللسماء قال تعالى والسماء وما بناها ولمنازل الجنة قال
تعالى إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ثم معنى ذكر خلق
السماء والأرض في حال الأمر بالعبادة خمسة أوجه أحدها أن الله تعالى
هو الذي قدر على خلقهما فهو المستحق لأن يكون إلها يعبد والثاني أنه
أنه هو الذي تفرد بخلقهما فعليهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئا
والثالث أنه هو الذي أنعم عليهم بجعل الأرض بساطا لهم وموضعا
لإقامتهم ولولا ذلك لا يمشون في مناكبها والسماء سقفا لهم منها ينزل
عليهم البركات فعليهم أن يشكروا له بعبادته وطاعته والرابع أنه
على سبيل الاحتجاج لأن من الكفار من يعبد ما في الأرض من الأوثان
والنيران ومنهم من يعبد ما في السماء وهو الشمس والقمر والملائكة
فقال الأرض والسماء وما فيهما ملكي وخلقي فكيف تعدلون ملكي شريكا لي
في العبادة والخامس أنه على سبيل الوعيد يعني السماء والأرض ملكي
فإن شئت خسفت الأرض بكم وإن شئت ألقيت السماء عليكم كما قال
أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم
الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء وقوله تعالى وأنزل من السماء ماء
عطف على قوله خلقكم وجعل لكم وأنزل من السماء أي من السماء التي
هي سقف الدنيا أو من السحاب وقد بينا في قوله تعالى أو كصيب
من السماء أنه قيل لكل واحد منهما وفيه معناهما أيضا وقوله ماء أي
مطرا

بلغ نفعنا الله به

مطرا والماء أصله موه بدليل أن جمعه مياه وأمواه وتصغيره مويه
والفعل منه موه التسكين وأما هت البنية إلا أن الواو من الموه
سكنت لحركة ما قبلها كما في المال والحال والخال فصار ماه أبدلت
الهاء بالهمزة لتجانسهما كما في قولهم إياك وهياك وأيهات وهيهات

طلبا للتخفيف لانقلابها ثم صيرت ألفا لفتحة ما قبلها

وقوله تعالى فأخرج به من الثمرات الخروج في الحقيقة الانتقال من
الحصن إلى العودة والإخراج متعد والاستخراج الاستنباط والتخارج
من الورثة إخراج بعضهم بشيء من الميراث وتخريج شيء من المسئلة وتخريج
المعلم معروف والحكمة في القرآن ذكرت لوجوه لهذه الحقيقة التي
مرت قال ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم وللنزول قال
تعالى فترى الودق يخرج من خلاله وللصعود قال تعالى يعلم ما
يلج في الأرض وما يخرج منها وللظهور قال تعالى والله مخرج ما كنتم تكتمون
وللفراق قال تعالى وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا وللرجوع إلى
الدنيا قال تعالى فهل إلى خروج من سبيل وللخلق والإيجاد كما قال
تعالى في هذه الآية فأخرج به من الثمرات رزقا لكم أي أوجدها
ليس أخرجها منها وللحياة قال تعالى كذلك نخرج الموتى وللموت
قال تعالى والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم وللاتخاذ قال
فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار أي اتخذ وصاغ وللدعاء قال تعالى والذين
كفروا أولياؤهم الطاغوت أي الشياطين يخرجونهم من النور
إلى الظلمات أي يدعونهم من الهدى إلى الضلالات وللنجاة
قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ولتغيير الصورة قال تعالى
فاخرج منها أي من صورة الملائكة وللتذكير قال تعالى كنتم خير أمة
أخرجت للناس أي ذكرت لمن سلف من الناس وقوله تعالى به أي بالماء
الذي ذكر وهو المطر وقوله من الثمرات من كلمة تجنيس ههنا وأصله

إنما موضعه في الأشجار

للتبعيض وفي التجنيس معنى التبعيض لأنه بعض الأجناس والثمرات جمع
الثمرة وأصلها الزيادة والنما يقال ثمر الله ماله أي زاده وكثره
والفاكهة تسمى ثمرة لهذا وكذا اسم ثمرة كل عين وعمل هو ما زاد عليه
وجمع الثمرة ثمرا تحذف الها التي هي للتوحيد ثم ثمارا كالكلب جمع
بلادا ثم الثمار تجمع على الثمر ككتاب تجمع على الكتب فهذه جموع تكسير وجمع
السلامة هو الثمرات • ثم هي هاهنا المأكولات كلها من الحبوب
والفواكه • وغيرها مما يخرج من الأرض والشجر • ويدل عليه قوله
تعالى كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده والحصاد
يكون للزرع • وقد بسط الله تعالى ما اختصره في هذه الآية في
آية أخرى فقال تعالى وهو الذي أنزل من السما ما فأخرجنا به
نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا • الآية
وقال تعالى أنا صببنا الما صبا إلى أن قال فأنبتنا فيها حبا وعنبا
الآية • ثم الألف واللام في الثمرات للتعريف وله وجوه أحدها
تعريف الجنس وهو لتعميم الخلق والثاني أنه لتعريف المعهود وهو
ما تعارفوه من الثمار • والثالث أنه لتعريف المعهود وهو الثمار
المخرجة من الجنة • قال النبي صلى الله عليه وسلم لما أهبط آدم علمه
الله تعالى صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة فثماركم هذه من
الجنة إلا أن ثمار الجنة لا تتغير • وقوله تعالى رزقا لكم قيل طعاما
وقيل قوتا وقيل غذا وهي متقاربة وقد مر تفسيره وتفصيله
في قوله تعالى ومما رزقناهم • وجملته أن الله تعالى تعرف إليهم بذكر
ما من به عليهم من خلق السما لهم سقفا مرفوعا والأرض لهم فرشا
موضوعا وإخراج النبات لهم بالمطر رزقا مجموعا ويقال أغناهم عن
منة الأمثال بأن هيأ لهم ما لا بد منه فكان فيهم السما غطا والأرض وطا

والمباحات

والمباحات رزقا والطاعة حرفة والعبادة شغلا والذكر مؤنسا والرب
كافيا • وقال الإمام أبو منصور رحمه الله دلت الآية أن المقصود في خلق
السما والأرض وإنزال الما والثمرات وأنواع المنافع بنو آدم وهم الممتحنون
فيها فإنه قال جعل لكم وقال وسخر لكم ما في السموات • وما في الأرض
وقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار الآية وسخر لكم الفلك وغير ذلك
من الآيات أضاف ذلك كله إلينا ثم جعل بلطفه منافع السما متصلة
بمنافع الأرض على بعد ما بينهما فلا يخرج من الأرض شي إلا بما ينزل من السما
من الما ليعلم أن منشئهما واحد لا شريك له • وقوله تعالى فلا تجعلوا
لله أندادا وهو جمع ند وهو المثل وكذلك النديد والنديدة • قال
الشاعر أتيما تجعلون إلي ندا وما تيم لذي حسب نديد • والند هو الذي
يناديك أي يخالفك ليتفرد من قولهم ند يند ندودا • قال الشاعر لبيلا
يكون السندري نديدتي • وأشتم أعماما عموما عماعما • الأعمام جمع عم والعموم
الطوال والعماعم الجماعات • وندا أي نفد وتشبيه ههنا • ما قال
ابن عباس • والحسن أي لا تصفوا لله أمثالا وشركا في ملكه • وفي بعض
الألفاظ أشكالا وأعدالا • وقال مجاهد وعكرمة • عن ابن عباس رضي الله
عنهما لا تتخذوا على غير الله وتوكلوا على الله • وعن ابن عباس رضي الله عنهما •
أنه قال لا تقولوا لولا فلان لأصابني كذا ولولا كليبنا يصيح على الباب
لسرق متاعنا • وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إياكم ولو فإنه من كلام
المنافقين قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا • وقوله تعالى وأنتم تعلمون
أي أن الله هو الذي خلقكم ومن قبلكم وخلق السما والأرض وخلق الأرزاق
دون الأصنام فإنها لا تضر ولا تنفع وقال تعالى أفتعبدون من دون الله
ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم • وقال تعالى وأضله الله على علم أي على علم أن
الذي اتخذه إلها لا ينفعه • وقيل أي وأنتم تعلمون وتقرون أن الله هو الذي خلق ذلك

ان منشيهما واحد لانه لو كان
منشئ هذا غير الاخر لم
يتصل منافع هذا بمنافع
الاخر على بعد ما بينهما ويوهم
خلاف احدهما الاخر فاذا
كان كذلك ذلك ح

قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر
ليقولن الله وقال تعالى ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض
من بعد موتها ليقولن الله وقال الإمام أبو منصور رحمه الله وأنتم تعلمون
أي أنشأ مثله ما لو تدبرتم وتفكرتم وتأملتم علمتم أنه لا ند له ولا
شبه له قال تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون وقيل أي وأنتم تعلمون أنه ليس له ند
وقيل أي وأنتم تعلمون أنه واحد وقيل أي وأنتم تعلمون بما شرع لكم من الحجج لله
أندادا وقيل أي لا تعبدوا غيره وأنتم تعلمون أنه لا يستحق الخدمة غيره
ولا ترجوا ولا تخافوا غيره وأنتم تعلمون أنه لا نافع ولا ضار ولا معطي
ولا مانع غيره والوعظ الكلبي أنه قال في الآية جعل لكم وقال تعالى
رزقا لكم فلو قال لك في الدنيا مم تعلمت هذا كله لكم فما تعلمتم لي وعن
الشبلي رحمه الله أنه وعظ يوما الناس فأبكاهم لما ذكر من الغنا فتواجدوا
ثم زبرهم أبو الحسين النوري وقال لا تغترن عنهم فإن حساب توحيد ليس
بهذا الطول إنما هو كلمتان من ترا بودم تو كراه بودي قال
المصنف رحمه الله وأنا أقول شما جمع خواهيت گفتن در جواب اين سؤال
شوي كويد لختي تن را بودم لختي دل نه آن را كويد لختي شوي را بودم لختي
كوي را خواجه كويد لختي سلطان را بودم لختي سود و زيان را كيست كه
كويد من همه حق را بودم وقوله تعالى وإن كنتم في ريب اتصاله بما قبله
أنه خطاب للذين نادى فقال يا أيها الناس وقد أمرهم بالإيمان وهو بالله
ورسوله وكتابه وأثبت دليل ربوبيته لما ذكر في تلك الآية وأثبت
رسالة رسوله وحجة كتابه في هذه الآية ثم كلمة إن لمعاني للشرط كما
في قوله تعالى إن تنصروا الله ينصركم وبمعنى إذ كما في قوله تعالى وذروا
ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين وللنفي كما في قوله تعالى إن الكافرون إلا
في غرور وللإثبات كما في قوله تعالى وإن كلا لما ليوفينهم ربك

أعمالهم

أنما لكم وللصلة كما في قوله تعالى ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه أي فيما
مكناكم فيه وللتحقيق كما يقال عليك بالصدق وإن ضرك وإياك والكذب
وإن نفعك أي مع أنه كذلك وقوله كنتم أي أنتم وكنتم في القرآن جاءت
للحال والاستقبال وقد بينا كذلك في كلمة كان عند قوله بما كانوا
يكذبون وكنتم أيضا على ذلك أما للمضي ففي قوله وكنتم أمواتا وأما للحال ففي
قوله وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين وأما للاستقبال ففي قوله وكنتم
أزواجا ثلاثة أي يوم القيامة وقوله في ريب أي شك وقوله تعالى
مما نزلنا على عبدنا هما كلمتان من وما أدغمت النون في الميم فصارتا ميما واحدة
مشددة وكتبت خطا متصلين نطقا وما بمعنى الذي ومعنى ما نزلنا أي الذي
نزلنا وهو القرآن وإنزاله ما قصده تعالى في قوله نزل إليك والتنزيل
للتفصيل وذلك أنه جملة على إنزاله مفصلا وحكمته ما قال تعالى وقال الذين
كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فتركوها جملة ونزل القرآن مفصلا
ليبقى في القلوب ثابتا محصلا ولأن أولياء الله اليوم في دار المحنة تجدد
لهم الأنس بكل آية ساعة فساعة وقد ذكر الله تعالى تنزيله ثلاثة
أشياء شيئا فشيئا القرآن بقوله بما نزلنا والمطر بقوله ونزلنا
من السماء ماء بقدر والرزق بقوله تعالى وما ننزله إلا بقدر معلوم
اگر باران جمله آمدی بر عالميان طوفان شدی واگر روزی جمله آمدی
بر عالميان طوفان شدی واگر روزی جمله آمدی بنده از نگاه داشتن
همه سر گردان شدی واگر قرآن جمله آمدی عمل بهمه بر دل هر کسی
گران شدی وقوله تعالى على عبدنا هو نبينا المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم
وله أسماء كثيرة في القرآن وكان أحبها إليه العبد فهو المستجمع لمعاني العبادة
والعبودية وكرر هذا الاسم له في القرآن وكأنه قال قرآن نبوي
وحي كرديم ووحي ما را بنده نزل الفرقان على عبده باد أرسالت بر خاست

كذلك لنثبت به فؤادك نزلت كتب الأولين جملة

تقريب
لو نزل المطر جملة لصار طوفانا
ولو نزل الرزق جملة لجعلهم يبغون
عن حفظ وضبط ولو نزل القرآن
جملة لثقل العمل بأحكامه على المكلفين

برخاست وقتی بنده وانّه لمّا قام عبد الله وحضرته بودمش ووی بنده سبحان
الذي أسرى بعبده دیاوی نازکنیتم ووی بنده فأوحى إلى عبده ما أوحى
ودران مقام نازاشاکفت التحیات لله والصلوات والطیبات ووی نازابند
ونماوی کا رابنده وأشهد ان محمدا عبده ورسوله دزهمه احوال وی
نازابنده ونماوی راسبنده ء النبي الله بخاف عبده ووی ما رابنکر
خدمت آرنده افلا اکون عبدا شکورا **وقوله تعالى** فأتوا بسورة هذا امر
بالاتيان بسورة والاتيان في اللغة هو المجيء والاتيان الفعل والاتيان
الغشيان والايتاء الاعطاء وتأنيه السيئ تسهيل سبله والتأتي التهيؤ
والمواتاة الموافقة والاتى الغله والاتي والاتاوي الغريب والميتاء
الطريق المسلوك ومعانيها متقاربة والاتيان في القرآن لاربعين
معنى عددناها في تفسيرنا الاول الاطول وهو في هذه الاية
المعارضة اي عارضوا هذا القرآن بسورة وهذا اجابة قوله قل فأتوا
بالتوراة كذلك اظهار ما قد كان وهذا انشاء ما لم يكن وهذا الزام الحجة
عليهم بان القرآن مما انزله الله على عبده وهو صادق في دعوى الرسالة
وانه مبعوث لاقامة الدلالة والدعوة الى الهدى من الضلالة وانهم
معاندون في انكاره في دعواهم انه مما افتراه باختياره يقول ان
كان هذا من كلام البشر فعارضوه بمثله من عندكم وتفقوا عن هذه
العهدة بجهدكم وقوله فأتوا صيغته صيغة امر ومعناه الاعجاز وهو
الصيغة في القرآن على وجوه للفرضية كما في قوله اقيموا الصلاة واتوا
الزكاة وللندب كما في قوله عز وعلا وافعلوا الخير وللاباحة كما في قوله
واذا حللتم فاصطادوا وللتخيير كما في قوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
وللتهديد كما في قوله اعملوا ما شئتم وللرد كما في قوله قل فادرؤوا عن انفسكم
الموت وللتكوين كما في قوله كونوا قردة خاسئين وللشرط كما في قوله
قل

قل كونوا حجارة او حديدا اي ان كنتم كذلك فلم الموت والبعث وللتعجيز كما
في قوله فأت بها من المغرب وكذا قوله تعالى فأتوا بسورة والفاء هاهنا
للتعقيب وبدون الفاء يقال ايتوا الالف مجتلبة والهمزة صارت ياء لكسرة
ما قبلها وسقطت همزتها كراهة التقاء الهمزتين وتثبت الياء كما به
في قوله تعالى ثم ائتوا لانه يوقف على ثم ويبدأ ايتوا ولا تثبت في قوله
فأتوا وقوله وأتوا لتعذر الفصل بين الفاء وبين الكلمة وكذا بين الواو وبينها
وقوله تعالى بسورة الباء لتعدية فعل الاتيان الملازم والسورة هي ماخوذة
من قولهم سار يسور اذا ارتفع وعلا وسمي الجدار المحيط بالمدينة سورا
لارتفاعه ويقال لفلان سورة في المجد اي سناء ورفعة قال
النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
فالسورة من القرآن على هذا مجموع ايات منفصلة ارتفعت وعلت وظهرت
وصارت كالعلم في معنا يرتبها سائر السور وقيل هي منزلة من منازل
القرآن رفيعة وقيل هو قسم من اقسام القرآن ارتفع شانه وعلا
قدره وقوله بسورة من مثله اطلاقه يتناول اقصر السور وهي
في القرآن سورة الكوثر وهي ثلاث ايات قصار وهذا ابلغ الزام واتم
قطع لاهل الخصام فقد كان التحدي اولا بالاتيان بمثل كل القرآن بقوله
تعالى فليأتوا بحديث مثله ثم اخبر عن عجزهم عن ذلك بقوله قل لئن
اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو
كان بعضهم لبعض ظهيرا ثم بعشر سور بقوله قل فأتوا بعشر سور
مثله ثم بسورة بقوله فأتوا بسورة من مثله فقد عجزوا عن ذلك كله فلزمتهم
الحجة **وقوله تعالى** من مثله المثل الشبه والمماثلة المشابهة والتمثيل
التشبيه ومثل الشيء حقيقة ما يقوم مقامه ويسد مسده واختلف في
المراد بالهاء التي في اخره انها كناية راجعة الى ماذا قال ابن عباس رضي الله
عنه

اي من الذي جعلتموه لي ندا فقد سبق ذكره وقال ابن كيسان أي
من مثل محمد من البشر لأنه بشر مثلكم وقد سبق ذكره في قوله
على عبدنا وقال الامام ابو منصور رحمه الله اي ايتوا انتم بمثل ما
اتى هو اذ انتم وهو سواء في الجوهر والخلقة واللسان وليس هو
اولى بالاختلاق منكم وقيل اي من مثل محمد رجل امي لا يكتب ولا
يقرأ هذا ابلغ في قطع الاوهام وقال النبي صلى الله عليه وسلم
مع انه لا يكتب ولا يقرأ هذا ابلغ في قطع الاوهام ولا ينظر
في الكتب ولم يسمع القصص من الناس اخبر بذلك هذا الكتاب
فلا شبهة في انه لم يختلقه من تلقاء نفسه ولم يأت به الا بوحي
من ربه وقال مجاهد وقتادة اي من مثل هذا القرآن وقد
سبق ذكره في قوله مما نزلنا ثم القران وان كان لا مثل
له لانه صفة الله تعالى وكلام الله ووحي الله ولا مثل لصفاته
كما لا مثل لذاته لكن معناه من مثله على زعمكم فقد كانوا يقولون
لو نشاء لقلنا مثل هذا وهذا كقوله تعالى ويوم يناديهم
اين شركاي اي على زعمكم وقال تعالى وانظر الى الهك
اي على زعمك ثم التحدي الى مثل القرآن كان في وجوه
وهي سبعة احدها الايجاز والبلاغة من اشتماله بيسير كلماته على كثير
من المعاني قال صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم وذلك
مثل قوله ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب وقوله اخرج
منها ماءها ومرعاها وقوله يسبح لله ما في السموات وما في
الارض والثاني البيان والفصاحة التي تحير عنها الفصحاء وقصر
عنها البلغاء حكى ابو عبيدة ان اعرابيا سمع قاريا يقرأ فاصدع
بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام والثالث

النظم

النظم الذي نقض العادة حتى صار خارجا من جنس كلام العرب
في النظم والنثر والرجز والشعر والخطب والسجع والرسايل
فلا يمتزج منها ولا يدخل في شيء منها مع استعماله حروفه
وكلماته والرابع انه قاريه لا يمله وسامعه لا يمله واعادته
بتلاوته تزيد في حلاوته وغيره من الكلام وان كان مستحسن
النظم مستعذب النثر يمل اذا اعيد ويستثقل اذا ردد والخامس
ما فيه من الاخبار بما كان فيه من قصص الانبياء مع اممها والقرون
الخالية في ازمنتها وهو امي من امة امية لم تكن لها علم بما عرفه
اهل الكتاب بما في الكتب السالفة والسادس ما فيه من علم الغيب
والاخبار بما يكون فكان كما اخبر كقوله سيهزم الجمع وقوله
واذ يعدكم الله احدى الطايفتين انها لكم وقوله لتدخلن المسجد
الحرام وقوله ليظهره على الدين كله وقوله فان لم تفعلوا ولن
تفعلوا والسابع كونه جامعا للعلوم كلها ومشتملا على ما في الكتب
المنزلة كلها ومشتملا على جواب الحوادث كلها واتيا على المصالح كلها قال
الله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقالوا ان قوله ولا تسرفوا
اتى على جميع علوم الطب وكذا فيه كل علم من الادب من اللغة والنحو
والبلاغة ومن الكلام والفقه والتذكير وفنون الفوايد فكان
اهل العلم يصنفون تصانيف كثيرة بفوايد القرآن فحجج المتكلمين
منتزعة من القرآن ومسايل الفقه مستخرجة من القرآن ولغات
الادب مصححة بالقران وفوايد النحو بين مستوضحة بالقرآن وعظات
المذكرين ماخوذة من القرآن واشارات الحكماء مستفادة من القرآن
ولطايف اهل المعرفة مستنبطة من القرآن وكذا وكذا وقوله
تعالى وادعوا يقال دعا الى الشيء دعا ودعوة بفتح الدال والاول

شهداءكم

مطلق المصدر والثانية المرة منه والدعوة بالضم المأدبة والدعوة
بالكسر ادعاء الولد وتداعت الحيطان تهادمت من هذا مجازا والدعاء
في القرآن لمعاني واختلف في المذكور ههنا فقيل ادعوا اي احضروا وقيل
اي استعينوا وقال الشاعر في الاستعانة وقبلك رب خصم
قد تمالوا علي فما جزعت ولا دعوت ونظيره في القرآن قوله
قوله وادعوا شركاءكم وقوله تعالى فليدع ناديه وقوله تعالى
وان تدع مثقلة الى حملها وهذا امر اعجاز كقوله فأتوا بسورة
وبين ان الاستعانة بالخلق الكثير ههنا لا يغنيهم شيئا وما يغني
رجوع المحتاج الى المحتاج واعتماد الفقير على الفقير والتجاء العاجز
بالعاجز فلا تشتكوا حوائجك الا الى من لا يشق عليه قضاؤها ولا
تسأل الا من لا تفنى خزائنه ولا تعتمد الا على من لا يعجز عن شيء
ينصرك من غير معين ويحفظك من غير صاحب ويغنيك من
غير مال فيقل عدد الأعداء الحي اذا حماك ويكثر عدد المال القليل
الكثير اذا رعاك قوله تعالى شهداءكم الشهادة الاخبار بما شوهد شهود
عيان او شهود ايقان والشهود الحضور والمشاهدة المعاينة والمشهد
محضر الناس وعالم الغيب والشهادة اي السر والعلانية واما
تفسيره ههنا فالشهداء جمع شهيد كالفقهاء جمع فقيه ومعناه عند
ابن عباس رضي الله عنهما اعوانكم لان الشاهد كالعون للمدعي في
استخراج حقه وقال مجاهد اي ناسا يشهدون لكم انه مثل القرآن
وقيل اي فصحاءكم وشعراءكم وبلغاءكم وهم كبراء المشاهد والخطباء
في المحافل وقال الفراء يعني آلهتكم لانهم كانوا يعتقدون انها
شفعاؤهم وتشفع لهم وهو الاشبه لان قوله وادعوا خطاب
للكل فيتناول كل الفصحاء وكل الاعراب والشهداء فكانوا كلهم
مامورين بان

ان يكونوا داعين فلا يكونون مدعوين فالاصح ارادة ما تعبدونه
بدليل قوله تعالى من دون الله وهذا صلة قوله شهداء اي
الذين اتخذتموهم شهداء من دون الله وهذه صفة الاصنام كما في
قوله ام اتخذوا من دونه اولياء وقوله ام اتخذوا من دون الله شفعاء
ثم قال في هذا قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله
الشفاعة جميعا وقال في الاولياء الذين اتخذوهم فالله هو الولي
وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير وقوله تعالى من دون الله
اي غير الله وكلمة دون لها معاني ومعناها ههنا غير ودون في
الاصل اسم ولهذا دخلها الخافض وهو من وخفضها ولكنها تستعمل
استعمال الحروف لانها تفيد المعنى في غيرها كالحروف فاجريت مجراها
لدى لدن اي مفردة عن اللام التي هي للتعريف والتنوين الذي
هو للتنكير وهما من خصائص الاسماء وقوله تعالى ان كنتم صادقين
فالصدق هو الاخبار عن المخبر به على خلاف ما هو به والصدق
على ما هو به وهو نقيض الكذب فانه للاخبار عن المخبر به
بالفتح الرمح الصلب والحسام المستوي والصديق الخليل والصداقة
الخلة وفلان رجل صدق بالاضافة اي نعم الرجل هو وثوب
صدق وقدم صدق ومقعد صدق كله بالاضافة على هذا
الوجه والصديق بالتشديد اي المبالغ في الصدق فمعنى قوله ان
كنتم صادقين اي في مقالتكم ان محمدا تقوله من تلقاء نفسه وقيل
اي ان كانت دعوتكم صحيحة وقيل هو خطاب اليهود اي ان كنتم
في شك مما نزلنا من القرآن على محمد انه ليس من الله تعالى
فأتوا بسورة من مثل القرآن من التوراة وقابلوها بالقرآن
لتجدوها موافقة لما في التوراة لتعلموا ان هذا لم يختلقه محمد
من عند نفسه وانه من عند الله واستعينوا باحباركم ورهبانكم ان كنتم

صادقين انكم تشكون فيه وهذا تفسير تمام هذه الاية وقوله تعالى
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا خطاب لهؤلاء ايضا والفا للتعقيب وان للشرط
ولم كلمة نفي بمعنى المستقبل والاشارة فيه ان المؤمن عزيز بايمانه وطاعته
ثم ذليل بعصيانه وجفوته ثم تعود عزيزا بتوبته وندامته
وتفعلوا فعل جمع وسقطت النون من اخره بلم لانه جازم والنون
كانت علامة الرفع والفعل في اللغة العمل وجاء من فلان
فعلة حسنة او سيئة وفلان حسن الفعال بالفتح وسيء الفعال
بالكسر عليه اكثر اللغة وقال ابن الاعرابي الفعال بالفتح مصدر
في الخير والشر وبالكسر اسم في الخير والشر وفي مجمل اللغة يقول
الفعال بالكسر جمع فعل وبالفتح الكرم وما فعل فلان اي اين ذهب
والفعل عند اهل الكلام هو صرف الممكن من الامكان الى الوجوب
ويقع على المباشرة والترك جميعا لشموله اياهما وهو مستعمل في الشاهد
والغايب وتفسيره هاهنا فان لم تاتوا بسورة من مثله ولم تستعينوا
بالشهدا والكلمة صالحة لكل فعل وهو اوجز من التصريح بما سبق
فكان ابلغ وافصح ونذكر ايات في استعمال هذه الكلمة لاعمال
مختلفة ايضاحا لما قلنا قال تعالى انه خبير بما تفعلون هذا يتناول
كل عمل وقول وقصد قال والذين هم للزكاة فاعلون اي مؤدون
وقال ولو انهم فعلوا ما يوعظون به وقال تعالى ولو انا كتبنا
عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الاية وقال
انما اشرك اباؤنا الى ان قال بما فعل المبطلون وقال فذبحوها
وما كادوا يفعلون وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وقال
تعالى وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين وقال تعالى ففهمناها سليمان
الى قوله وكنا فاعلين وقال تعالى سنراود عنه اباه وانا لفاعلون

وقال

[هامش: تدخل المستقبل فتجعله بمعنى الماضي ثم دخول ان الشرط تجعله بمعنى ...]

[هامش: وقال ان كان وعد ربنا لمفعولا]

وقال تعالى من فعل هذا بالهتنا وقال تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم
بالباطل الى قوله ومن يفعل ذلك وقال تعالى ولا يضار كاتب ولا
شهيد وان تفعلوا وقوله تعالى ولن تفعلوا هذا اعتراض الكلام قبل التمام
وهو من محاسن الكلام وبدايعه فمعدود في الفصاحة وانواع البلاغة
وهو كقوله تعالى واذا بدلنا اية مكان اية قال والله اعلم بما ينزل
هذا اعتراض الكلام قبل التمام وقوله فاتقوا جواب واذا بدلنا وهاهنا
ايضا جواب فان لم تفعلوا ومعنى ولن تفعلوا اي لستم بفاعلين ذلك
ابدا فلن نفي تابيد وقيل معناه لن تقدروا ان تفعلوا وهو كقوله تعالى
لن نصبر على طعام واحد وقوله فقل لن تخرجوا معي ابدا اهذه الكلمة نفي
القدرة وهذه الاية دليل صدق النبي صلى الله عليه وسلم فانه اخبر
فكان كما اخبر وذلك غيب عنا فلا يكون الا عن اخبار من عالم الغيب
لا يهلك وقوله تعالى فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اي فلما
عجزتم عن معارضة القران بمثله لزمتكم الحجة ان محمدا رسولي
والقران كتابي ولزمكم تصديقه والايمان به فلما لم تؤمنوا صرتم
من اهل النار فاتقوها والكلام في تفسير التقوى ووجوهه قد
مر في تفسير قوله هدى للمتقين والنار هي نار جهنم وهي مؤنثة
سماعا ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم التي وقودها فانث
الصفة والحكاية وقوله وقودها اي حطبها فالوقود بفتح الواو ما
يوقد به النار وهو الحطب والوقود بضمها التهابها فهو مصدر
والاول اسم وقوله الناس هم الكفار ههنا وقوله والحجارة هي
جمع حجر والحجر الصخر وهو كالجمل والجمالة والجمالة وهذا جمع على غير
قياس والقياس فيه الاحجار كالشجر والاشجار والسحر والاسحار والسفر
والاسفار واما التفسير فقد قيل هي حجارة الدنيا علقت بهم حتى اذا

[هامش: وقال لا خير في كثير من نجويهم الى قوله ومن يفعل ذلك]

[هامش: فاتقوا]

اقتتهم النار علوا احرقتهم الحجارة سفلا وقال ابن عباس وابن مسعود
وابن جريج رضي الله عنهم هي حجارة الكبريت وانما خصت بالذكر لان
فيها خمسة اشياء هي اسرع وقودا وابطأ خمودا وانتن رائحة واشد
حرا والصق بالبدن وقيل هي الاصنام التي عبدوها قال تعالى
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وانما جعل التعذيب
بها ليتحققوا انهم عذبوا بعبادتها وليروا ذلها ومهانتها بعد اعتقادهم
عزها وعظمتها وقيل الاحجار تحرقها النار كما تحرق الناس ذكر ذلك
تهويلا وتعجيبا وقيل اي وقودها الناس اذا صاروا اليها والحجارة
قبل ان يصيروا اليها ثم ادخال الاصنام في النار ليس لتعذيبها اذ لا
ذنب لها بل لتعذيب الكفار بها وما به يكون العذاب لا يكون له
العذاب كما قال تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم الاية اذ خلقت
الاموال جهنم لتعذب بها مانع الزكاة لا هي وهذا كما في حق النار
فان الرضوان والخزنة والحور العين في الجنة بهما الثواب وليس لهم
الثواب والحكمة في تعذيب الكافر بها ان الكافر عبد الصنم واعتمده
ورجاه فعوقب به اظهارا لجهله وقطعا لامله كاتباع الكبراء اخذوهم
ورجوهم وفي النار يكونون معهم ليكون اشق عليهم واقطع لرجائهم
وقد يقع كذلك في الدنيا لذلك وقوله تعالى اعدت للكافرين والاعداد
التهيئة والاستعداد والتهيؤ والعدة ما اعد للشيء والاعتداد مثل
الاعداد قال الله تعالى انا اعتدنا والاية رد على المعتزلة فانهم
قالوا النار والجنة لم تخلقا بعد وانما تخلقان يوم القيامة عند حضور
اهلهما وقولهم باطل مردود بهذه الاية وبقوله تعالى في الجنة
اعدت للمتقين وبنحوهما من الايات وقوله للكافرين حتم لما وقع
به التحدي اي اتقوا الكفر الموجب للنار فانها اعدت للكفار ثم لم
يقل

اي هيئت وخلقت
والاعداد التهيئة
جمعه للكافرين

يقل اعدت لكم خطابا لهم كما قال تعالى فاتقوا خطابا لانه علم انهم
من يؤمن فقصر الوعيد بالنار على طبقة الكفار قال الامام ابو منصور
هذا ينقض على المعتزلة قولهم حيث خلدوا صاحب الكبيرة في النار ولم
يطلقوا عليهم اسم الكفار فهي في زعمهم انما اعدت لغير الكفار ايضا ثم
عندنا يجوز ان يعذب المؤمن العاصي فيها مدة ثم اوعد الله التعذيب
بها بعد مدة ثم الجمع بين هذه الاية وبين غيرها في هذا الباب
عند تعقيبهم ان هذه النار واحدة للكل لكن يتفاضل عقابهم
فيها النار التي وقودها الناس والحجارة وهي للكفار خاصة فلعلهم
نار غيرها ولما خوف بالنار الكافرين بشر بالجنة المؤمنين تحقيقا لوصف
كتابه بالمثاني ومن تأمل في نظمه وجده على الانتظام تثنية المعاني
وقد سبق ذلك في الفاتحة وكذا انظر سورة البقرة فانه ذكر
الكتاب وبين ان الناس في حقه صنفان مؤمنون وكافرون ومنهما
طبقة لهم وصفان اظهار الايمان واظهار الكفر ولهم مثلان مثل
مستوقد النار ومثل الواقع في الظلمات والامطار ثم خاطب
الكل فامرهم بشيئين الاعتقاد والاقرار في حق شيئين ربوبية
الله ونبوة رسوله فصاروا فريقين جاحدين فخوفهم بالنار وقابلين
فبشرهم بالجنات والانهار وذلك قوله تعالى وبشر الذين امنوا
وعملوا الصالحات والبشارة بفتح الباء وضمها وكسرها الخبر الصدق السار
الذي ليس عند المخبر علمه سميت بها لانها تؤثر في البشرة بالبشر
وتسمى بها الخبر المحزن ايضا لانها تؤثر في البشرة ايضا لكن المعارف
في الاول الاطلاق وفي الثاني التقييد والبشرة ظاهر جلد الانسان
قال تعالى فاما ترين من البشر احدا وهذا جمع والبشر الواحد
منهم قال تعالى قل انما انا بشر مثلكم والبشير المبشر والنذير

في القران على اشياء وثبت بالاحاديث المشهورة خروج المؤمنين منها
قال الله تعالى لواحد للبشر والبشر الناس

لحسن الوجه والبشر الطلاقة والاستبشار الفرح وتباشير
الصبح اوائله وبشرته بالتشديد وبشرته من حد دخل فأبشر اي
قبل البشارة وقوله بشر امر للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يخبر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات بأن لهم الجنة والكلام في الصلاح من حيث اللغة
مر في قوله تعالى انما نحن مصلحون وقوله وعملوا الصالحات دليل على
ان الطاعات غير الايمان لانه عطفها على الايمان والعطف دليل
على المغايرة وهو رد على الشافعي رحمه الله في جعله العمل من الايمان
ثم العمل في اللغة هو الفعل والعمالة اجر العمل للعامل والاعمال
الحمل على العمل والاستعمال الشغل العمل به والمعاملة بين اثنين والتعامل
التعاون والبعملة الناقة القوية على العمل والصالحات نعت لجمع
اسم مؤنث محذوف وهي الخصلة او الفعلة واختلف في تفسيرها
قال عثمان بن عفان رضي الله عنه وعملوا الصالحات اي اخلصوا الاعمال
يدل عليه قوله تعالى فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
احدا والمنافق لا يكون عمله صالحا لانه لا يكون خالصا وقال علي ابن ابي
طالب رضي الله عنه اي اقاموا الصلوات المفروضة لمواقيتها واتموا
الصلاة انا لا نضيع اجر المصلحين وهو كالتفسير لقوله تعالى وعملوا
الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا وقال ابن عباس رضي الله عنهما
اي عملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم وقال معاذ بن جبل رضي الله
عنه العمل الصالح الذي يكون فيه اربعة اشياء العلم والنية والصبر
والاخلاص وقال سهل بن عبد الله اي لزموا السنة لان عمل المبتدع
لا يكون صالحا البتة وقال بعضهم اي ادوا الامانات قال تعالى
وكان ابوهما صالحا اي امينا وقيل اي تابوا عن السيئات قال
وتكونوا من بعده قوما صالحين اي تائبين وقيل اي ادوا الفرائض

واجتنبوا

واجتنبوا المحارم وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية هي الشرائع وهي
الصلاة والزكاة والحج والصوم والاغتسال من الجنابة وقيل هي نوعان اعمال
بينك وبين العباد كاداء الامانات والوفاء بالعهود وقضاء الحقوق وصلة الارحام
واعمال بينك وبين الله عز وجل وهي نوعان ظاهرة وباطنة فالظاهرة
اداء الشرائع والباطنة صفات القلب التوكل والرضا بالقضاء والصبر
في البلاء والشكر في الرخاء ثم هذا تعليق البشارة المطلقة بالايمان
والعمل الصالح فان المؤمن المطيع له الجنة بوعد الله تعالى من غير
تعذيب والكافر له التعذيب المؤبد والمؤمن العاصي في مشيئة
الله عز وجل ان شاء غفر له وادخله الجنة فضلا [illegible]
وان شاء عذبه بذنبه كل عقوبته او بعضها ثم ادخله الجنة وقوله تعالى
ان لهم جنات هي جمع جنة وهي البستان والجنة بالضم الترس
وكذا المجن واصله من جن عليه الليل جنا اي ستره والجنون
ستر العقل والجنة بالكسر كذلك والجن والجنة يستترون عن
اعين الناس والجنة والمجن ستر للابس والجنن القبر وهو ستر
الميت والجنان القلب وهو مستور والجنين الولد في البطن وهو
مستور واما تفسيرها فقد قال المفضل الجنة كل بستان فيه نخل
وقيل فيه شجر فان كان فيه كرم فهو فردوس وقيل الجنة اسم
لبستان جامع فيه النخل والعنب وكل شجر قال تعالى ايود احدكم
ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات
وقال تعالى وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا
من ثمره سميت بذلك لانها تستر وتظل من يكون فيها بما فيها من
الشجر او لانها تستر الارض بظل اشجارها ثم الجنان جمع وهي ثمانية
قال ابن عباس رضي الله عنهما هي دار الجلال ودار القرار ودار السلام

وجنة عدن وهي قصبة الجنة وهي مشرفة على الجنان كلها وباب
جنة عدن مصراعان من زمرد وياقوت بين المصراعين كما بين المشرق
والمغرب وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة الفردوس وجنة
[ش العقد كالعام]
النعيم قال ودار الجلال كلها من النور مدائنها وقصورها وبيوتها
وشرفها وابوابها ودرجها وغرفها واعاليها واسافلها وحيطانها
وآوانيها وحليها وكذا ما فيها ودار السلام كلها من الياقوت الاحمر
ودار القرار كلها من المرجان وجنة عدن من الزبرجد كلها وجنة
المأوى كلها من الذهب الاحمر وجنة الخلد كلها وجنة النعيم من
[ش العقد ح]
الزمرد كلها وجنة الفردوس من اللؤلؤ كلها وحيطانها لبنة ذهب
ولبنة فضة ولبنة ياقوت ولبنة زبرجد وبلاطها المسك
وقصورها الياقوت وغرفها اللؤلؤ ومصاريعها الذهب وارضها الفضة
وحصباؤها المرجان وترابها المسك ونباتها الزعفران والعنبر وقوله
تعالى تجري من تحتها الانهار يقال جرى الماء جريا وجرية وجريانا
اي سال وماء جار ومياه جارية وعين جارية اي تجري ماء ومنها الجارية
السفينة لانها تجري بها وصدقة جارية اي وقف دائم النفع
والارزاق الجارية الدائمة وقد اجرى على جنده واصحابه الاجرايات
والجري الوكيل لانه يجري مجرى الموكل وجمعه الاجراء بفتح الهمزة والاجريا
بكسر الهمزة العادة التي يجري عليها الانسان وقوله تعالى من تحتها وفي
بعض الآيات تجري تحتها فالحذف لما انه ظرف والفتحة تدل عليه
واثبات من للصلة او لبيان ابتداء الجريان منه فانه لابتداء الغاية وتحت
بمعنى سفل وهو اسم ولهذا اخفض بمن ولكن يستعمل استعمال
الحروف لانه يفيد المعنى في غيره تماما فاشبه الحرف فلم يظهر فيه
علامة التعريف والتنكير وقوله تعالى من تحتها الانهار اي من اسافل
ارضها

ارضها وقيل من تحت اشجارها وقيل من تحت غرفها وقيل انها تجري
في غير اخدود وفي الآية التي قال تجري من تحتهم الانهار معناه بامرهم
اي ذلك تحت ولايتهم وامورهم وهو كقول فرعون وهذه الانهار تجري
من تحتي اي بامري ومعناه تجري بامرهم كما قال عز وجل في آية اخرى يفجرونها
تفجيرا اي حيث شاؤوا علوا وسفلا وقال الامام ابو منصور الجنة ليست
باسم للارض والبقعة خاصة بل هي اسم لما يجمع الاشجار والعمارات
فقوله تجري من تحتها اي تحت اشجارها وغراسها قال وقيل من تحتها
[الافادة]
اي حيث يقع ابصارهم عليها وهم في العلو وذلك اشد عند الناس
واحلى واطيب قال وقيل ايضا من تحتها اي من تحت ما علا منها
من القصور والغرف لا تحت الارض لقوله عليه السلام تحت كل شعرة
جنابة اي تحت ما علا لا تحت الجلد وقوله الانهار هي جمع نهر ونهر وهو
مسيل الماء وقد انهر الدم اي اساله ونهر نهر اي كثير الماء وقيل
سمي به لسعته وضيائه قال تعالى ان المتقين في جنات ونهر اي ضياء
وسعة وسمي النهار به لسعته وضيائه وقيل لجريان الشمس
فيه كجريان الماء في نهره واما تفسيرها فقد روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال في الجنة بحر اللبن وبحر العسل وبحر الخمر ثم تشقق
[وبحر الماء]
الانهار منها بعد قالوا وهي الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها انهار
من ماء غير آسن الآية وقيل النهر واحد ويجري فيه الخمر والماء واللبن
والعسل لا يخالط بعضها بعضا كما لا يخالط الماء العذب الاجاج والملح في
الدنيا قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وقال
تعالى وجعل بين البحرين حاجزا وقال بعضهم الجاري واحد ويختلف
باختلاف المشتهي ان تمنى ان يكون لبنا كان لبنا وكذا سائرها وقال
بعضهم الجاري واحد وطبايعه اربع طبع الماء في اثبات الحياة وطبع اللبن

في الزنجبيل وطعم العسل في الحلاوة وطعم الخمر في الإطراب والأنهار كري
الأسفاد جمعا على قول هؤلاء لكثرة معانيها مع اتحاد عينها فإذا دخلوا الجنة
وقد ذاقوا الموت ودخلوا النار وخافوا وضعفوا أسقوهم الماء ليحيوا ثم إنهم لا
يموتون وسقوهم اللبن ليتربوا ثم إنهم لا ينقصون وسقوهم الخمر ليطربوا ثم
إنهم لا يحزنون وسقوهم العسل ليصحوا ثم إنهم لا يسقمون ثم في الجنة
عيون أيضا عين الكافور وعين الزنجبيل وعين السلسبيل وعين الرحيق
ومزاجه من تسنيم وهذه الأنهار تنبع من عيون في ساق العرش وروي
أنه كتب على ساق العرش عن يمينه بسم الله الرحمن الرحيم وعين الماء تنبع من ميم
بسم وعين اللبن تنبع من هاء الله وعين الخمر تنبع من ميم الرحمن وعين
العسل تنبع من ميم الرحيم هذه منبعها وأما مصبها فكلها تنصب في الكوثر
وهو حوض النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الجنة اليوم وينقل يوم القيامة
إلى العرصات ليسقي المؤمنين ثم ينقل إلى الجنة ويسقي أهل الجنة من
هذه الأنهار والعيون بواسطة الملائكة ويسقيهم الله تعالى الشراب الطهور
بلا واسطة قال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا وقد قال بعض
أهل المعرفة إن لله شرابا ادخره لأهل المعرفة فإذا شربوا طربوا
وإذا طربوا قاموا وإذا قاموا هاموا وإذا هاموا طاشوا وإذا طاشوا عاشوا
وإذا عاشوا طاروا وإذا طاروا وصلوا وإذا وصلوا طلبوا وإذا طلبوا وجدوا وإذا وجدوا نزلوا
وإذا نزلوا قربوا وإذا قربوا كوشفوا وإذا كوشفوا شاهدوا وإذا شاهدوا
غابوا وإذا غابوا أنسوا وإذا أنسوا أبصروا وقوله تعالى كلما رزقوا منها من
ثمرة رزقا كلما كلمة تقتضي عموم الأفعال وكلمة كل تقتضي عموم الذوات
وحقيقتها أن كلمة كل للعموم ما دخل فيه وما مع الفعل المدلول بعده بمنزلة
المصدر فيقتضي عموم ذلك الفعل لدخولها فيه فاقتضى التكرار بهذا الطريق
وقوله رزقوا أي أعطوا وقد بينا حقيقة هذا في قوله تعالى ومما رزقناهم

[هامش: وأهل الجنة حي] [هامش: تنبع من] [هامش: بلغ نسخ للله]

رزقناهم وقوله منها أي من الجنات ومن ثمرها لبيان المكان يرزقون
وقوله من ثمرة من في هذا للتجنيس وقيل هي زائدة أي كلما
رزقوا ثمرة وقيل هي للابتداء كما في قوله تعالى أتى الدار من رجل
وقوله رزقا هو خبر ما لم يسم فاعله وهو مفعول ثان في
الحقيقة أخبر أن لهم رزقا في الجنة وهو كقوله تعالى ولهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا وأولئك لهم رزق معلوم إن هذا لرزقنا
ما له من نفاد هذا يرزقون فيها بغير حساب وأعتدنا
لها رزقا كريما قد أحسن الله له رزقا أفيضوا علينا من الماء
أو مما رزقكم الله وأخبر أن لهم ثمرات ومن صفتها وفاكهة
كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفاكهة مما يتخيرون من كل
فاكهة زوجان فيهما فاكهة ونخل ورمان في سدر مخضود
وطلح منضود وذللت قطوفها تذليلا وأما قطف عنقود العنب
وسأل أعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أعناب
الجنة وعنقودها فقال مسيرة للغراب شهرا لا
يفتر عن طيرانه ولو اجتمع الخلائق على عنقود واحد لأشبعهم
وقد روي أنه تخرج من حبة عنب الجنة مثل الدرة فينفلق عن
حوراء عيناء يغلب نورها الشمس وفي الخبر أن المؤمن إذا دخل
الجنة رأى سبعين ألف حديقة في كل حديقة سبعين ألف
شجرة على كل شجرة سبعين ألف ورقة على كل ورقة مكتوب
لا إله إلا الله محمد رسول الله أمة مذنبة ورب غفور كل ورقة
عرضها من مشرق الأرض إلى مغربها وقوله تعالى قالوا هذا
الذي رزقنا من قبل قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة
رضي الله عنهم أي قالوا هذا الذي رزقناه من ثمار الجنة

[هامش: بطيرانه] [هامش: وقد روي أنه لا يقطع ثمر من شجر الجنة إلا نبت مكانه مثله]

مثل الذي كان رزقناه من ثمار الدنيا أي في الصورة والاسم فقد قال
ابن عباس رضي الله عنهما ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء فأشجار
الجنة من الزبرجد والياقوت والذهب والفضة وقال أبو عبيدة
ويحيى بن أبي كثير ثمار الجنة إذا اجتنيت من أشجارها استخلف مكانها
مثلها فإذا رأوا ما استخلف بعد الذي جني اشتبه عليهم فقالوا هذا
الذي رزقنا من قبل وقيل نؤتى بالعشاء مثل ما كان نؤتى بالغداء فيقولون
هذا الذي رزقنا من قبل أي مثل ما تقدم وقيل معناه هذا الذي
وعدنا في الدنيا أن يكون رزقا لنا في الجنة وقيل أي ثوابها ما رزقنا
من العمل الصالح في الدنيا والثواب مضمر والإضمار جائز كما في قوله
واسئل القرية أي أهل القرية قوله تعالى وأتوا به متشابها هو
على ما لم يسم فاعله على قراءة العامة وقرأ هارون بن موسى وأتوا
بفتح الألف على الفعل الظاهر أي على الخدم أتوا بالرزق ومعنى
القراءة المشهورة وجيئوا به أي الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين دخلوها
والمتشابه في اللغة متفاعل من الشبه والشبه وهما كالمثل والمثل
والشبه كذلك والتشبيه التمثيل والمشابهة المماثلة والشبه بفتح
الشين والباء الاشتباه والشبه جوهر يشبه الذهب والأمور المشتبهات
المشكلات والمتشابهات كذلك وحقيقة المتشابه الذي فيه شبه من
غيره حتى لا يكاد يتميز من غيره والمتشابهات المتماثلات والشبهة
ما يشبه الحلال من وجه والحرام من وجه والشبهة ما يشبه الحجة
وأما تفسيره ههنا فقد قال الحسن وقتادة وابن جريج معنى التشابه
هو التماثل في الجودة أي كله خيار يشبه بعضه بعضا لا رذل فيه
ولا فساد ولا تغير وليس كثمار الدنيا التي لا تتشابه لأن فيها جيادا وغير
جياد وقال ابن عباس وابن مسعود والربيع بن أنس رضي الله عنهم

ولا فاسد

التشابه

التشابه التماثل في اللون دون الطعم فتكون ثمار الجنة في الألوان كثمار
الدنيا وإن خالفتها في الطعم فكانت ألذ وأطيب وقال مجاهد ويحيى
بن سعيد التشابه ثمار الدنيا في اللون والطعم جميعا أي هي تشبه
ثمار الدنيا في لونها وفي طعمها وفي ذلك ترغيبهم في طلب ما عرفوه
في الدنيا بلونه وطعمه وقال مجاهد في رواية أي يشبه بعضها بعضا
في الألوان وتختلف في الطعوم وفي ذلك زيادة نشاط لهم حيث ما وجدوا
مما يتفق صورها ما يتفاوت معانيها وقال أبو زيد والأشجعي التشابه
في الأسماء دون الألوان والطعوم فلا يشبه ثمار الجنة شيئا من
ثمار الدنيا في لون ولا طعم وإنما تتفق أساميها لا غير وفي ذلك ترغيبهم
في وجود لذات لم تعهدوها ولا يقفون على غايتها وقيل معناه
والوانه متشابها أي متماثلا في كل الأوقات على الطراوة وليس
في الجنة خريف ولا شتاء ولا ربيع ولا صيف ولا حر ولا برد
ولا نقص ولا فقد قوله تعالى ولهم فيها أزواج مطهرة الزوج البعل
في اللغة والزوجة والزوج البعلة والزوج ذكر وأنثى من كل حيوان
وهما زوجان أيضا وهو في القرآن لأسباب للبعل قال حتى تنكح زوجا غيره
وللبعلة قال تعالى أمسك عليك زوجك وللذكر والأنثى من كل
حيوان قال تعالى فاسلك فيها من كل زوجين وللشفع من كل شيء
قال تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين وللصنف قال تعالى وكنتم
أزواجا ثلاثة وللون قال تعالى ومن كل زوج بهيج أي لون حسن وللشبه
قال تعالى خلق الأزواج كلها وللقرين قال احشروا الذين ظلموا وأزواجهم
وأما تفسيره ههنا فمعناه ولهم في الجنات زوجات وهن نساء الدنيا وحور
الجنة جميعا قال تعالى إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا وقال تعالى
وزوجناهم بحور عين وعلامة للجمع بينهم وبين الزوجات ليتم لهم الأنس

ويقال لهم في الجنة والاطعمة والاشربة والكرامات مطهرة فالطهر
والطهارة خلاف الدنس فلان طاهر الثياب اي نقي عن العيب والطهر
التنزه عن الاثم والقبيح والتطهير اثبات الطهارة وقرا ابن مسعود
رضي الله عنه مطهرات لانها نعت النسوة وهن جمع وقرأ
العامة وهو الذي في مصحف الامام مطهرة لان المسموع من العرب
في نعت الجمع القليل الالف والتا وفي نعت الجمع الكثير الها وحدها
يقال ابحرة مستقيرات وحمر مستنفرة ولان الازواج جمع
زوج وهو مذكر في اللفظ وانما صار مؤنثا بالجمع والحال فصارت
كالواحدة كقولك بيت خاوي ثم قال بيوت خاوية ولا يقول
خاويات وتقول دار خاوية ودور خاويات لان الواحدة كانت
مؤنثة وهذه الجماعة مؤنثات وانما قال مطهرة ولم يقل طاهرة
لان المطهرة ابلغ فان طاهرة تدل على طهارتها والمطهرة تدل على
ان الله هو الذي تولى تطهيرها ولان التفعيل للتكثير فيدل على انواع
التطهير ولان التفعيل للتشبيه والوصف فيدل على انهن الموصوفات
بها المنسوبات اليها ولانها ان جعلت في صفة الحور العين معناه
انهن خلقن كذلك وابدا يبقين كذلك واما التشبيه فقد قيل مطهرات
الابدان في الخلقة فهي من المسك والكافور والعنبر والزعفران لا كهن
من التراب والمني والعلقة وقيل اي مطهرات الابدان في الحال
فليس تحت الخلق دم ولا قيح ولا في البطون ما في بطون البشر وقيل
مطهرات الابدان عن الامراض والاعراض من الورم والدرن
والصداع وسائر الاوجاع وقيل مطهرات الابدان عن الولادة وهو
قول [illegible] وقيل مطهرات الابدان عما يخرج منها من بول
او مني او غايط او حيض او نفاس او مخاط او بلغم وقيل مطهرات

الانفعال

ان جعلت في اوصاف نسا الدنيا دلت على انهن الموصوفات بها المنسوبات وانما جعلت لذلك في العقبى وان كن عند ذلك في الدنيا

الانفعال فلا يباغضن ولا يجادلن ولا يعترضن ولا يعرضن ولا
يلفظن القول ولا يسئن الفعل ولا ينشزن وقيل مطهرات الاخلاق
فلا يحسدن ولا يحقدن ولا يبغضن ولا يغدرن وقيل مطهرات عن ارادة
القلوب بغيرهن فلا يملن الى غير ازواجهن ولا يقع في قلوب الرجال ما
ينفر طباعهم عنهن وقوله تعالى وهم فيها خالدون الخلود البقا لغة
والاخلاد الاقامة قال لا يكون ابدا وحقيقته الخلود والدوام لمن وقت
مبتدا ولهذا لا يجوز ان يقال لله تعالى انه خالد لانه قديم ازلي
لا ابتدا له وتفسيره وهم في الجنات باقون دايمون مقيمون لا يموتون
ولا يخرجون والبقا الابدي في الجنة لاهلها وفي النار لاهلها
قول جميع اهل الاسلام وقالت الجهمية ان الجنة والنار تفنيان لان
البقا الابدي لله وحده ودليلنا قوله وهم فيها خالدون وقوله
خالدين فيها ابدا وقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت وقوله
تعالى وما هم منها بمخرجين وقوله تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان
وقوله تعالى لا مقطوعة ولا ممنوعة ولان اهل الجنة لو علموا بالزوال
لكانوا في شدة عقوبة ولو ان اهل النار علموا بانتهائها لكانوا في اكثر راحة
فيصير الثواب عقابا والعقاب ثوابا وجواب قولهم ان الله تعالى
باق بذاته وبقا الجنة والنار واهلهما بابقاء الله تعالى فلا تشابه بينهما
وقوله تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها
انتظام هذه الاية بما قبلها من ثلاثة اوجه احدها ان الله تعالى ذكر
الكفار في اول هذه السورة ودعاهم الى الايمان بقوله تعالى اعبدوا
ربكم الذي خلقكم واقام الدلالة عليه بتخليقه الاشيا واثبت رسالة نبيه
وحقية كتابه وعجز اصنامهم اذ قال وادعوا شهداءكم من دون الله
ولم ينفعهم ذلك شيئا فهم يعبدون الاصنام فقال مثل الذين اتخذوا من دون

الدارج

الله اولياء كمثل العنكبوت الاية وقال ان الذين تدعون من دون الله
لن يخلقوا ذبابا فقال السفهاء منهم ليس هذا من كلام الله تعالى لانه لا
يليق بجلاله ذكر هذه الاشياء الحقيرة فقال ان الله لا يستحيي ان
يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وهو العنكبوت والثاني انه
ذكر المنافقين بعد الكفار وذكر لهم مثلين كمثل الذي استوقد
نارا او كصيب ودعاهم الى الاخلاص بقوله اعبدوا ربكم وبين
لهم دليل صحة الرسول وحقيقة الكتاب وقال وادعوا شهداءكم
اي اعوانكم وانصاركم وهم الذين سبق ذكرهم واذا خلوا الى
شياطينهم فعجزوا فقال مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء
وهم هؤلاء كمثل العنكبوت قال سفهاؤهم ما هذا من كلام الله
تعالى فانزل الله تعالى هذه الاية ردا عليهم والثالث انه لما وعد
الكفار فانذر الله بالنار وبشر المؤمنين بالجنة قالوا لا نعذب بالنار
غير الكفار ولا ينال الجنة الا مؤمن عمل كل الصالحات فنزلت
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره من ثواب الجنة ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره اي من عقاب النار والذرة هي النملة
الصغيرة قال السفهاء لا يليق بالله ذكر النملة فنزلت هذه الاية وقوله
يستحيي هو يستفعل من الحياء وهو في اللغة ايضا ظهور العورة فيك
هو الانقباض عن الشيء والامتناع عنه خوفا من مواقعة القبيح
وقد حيي يحيى حياء من حد علم فهو حيي والحياء الفرج لانه يستحيي
من اظهاره وحاصل الحياء هو الترك فان من استحيا من شيء
تركه وقد ورد ذكر الحياء في صفة الله تعالى اثباتا ونفيا قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى حيي كريم يستحيي ان يرفع العبد
اليه يديه فيردهما صفرا وقال عليه السلام الشيب نوري
وانا

وانا استحيي ان احرقه تعذيبي بناري واما النفي ففي قوله تعالى ان ذلكم
كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وقال
هاهنا ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ومعناه الترك فانما
من النفي ظهور عيبه يستحيي تركه ولذا من خاف وقعة اقبح تركه
فاذا قال الله يستحيي من رد العبد خائبا معناه انه يترك حرمانه
فاذا قال لا يستحيي من الحق معناه لا يترك بيانه وهذا هو الوجه
في كشف الكلمات الموهمة الا نعته حاصله انه فيستدل به هذا
والعجب من الانسان يعجبه من اخر يكون من اجل تشبيه من اسائه
من كان احسن هو اليه فيعجب منه ومن احسان اجنبي اليه لم يكن
منه اليه احسان فيعجب منه وذلك يظهر ما لم يكن عنده انه
يظهر له ذلك وهذا لا يجوز على الله تعالى لانه علم الاشياء كلها وعلم
ما يكون قبل ان يكون انه اذا كان كيف يكون لكن حاصل هذه الكلمة
هو غاية الرضا او غاية الكراهة والله تعالى اذا ذكر منه العجب
فانما يراد به احد هذين اللذين هما الحاصل ففي قوله عليه السلام
ان الله تعالى ليعجب من الشاب ليست له صبوة هو غاية الرضا
وفي قوله تعالى بل عجبت بالفتح ويسخرون هي غاية الكراهة وعلى
هذا نظائره ثم الاثبات والنفي معا في صفة واحدة لا ترجع الى
ذات الله فان ما اثبته الله تعالى لم يجز نفيه عنه وما نفى عن الله
تعالى لم يجز اثباته وانما يرجع ذلك الى ما يقع عليه ذكر هذه الصفة
وهو كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء نفى المغفرة في حق من يشرك واثبتها في حق من لا يشرك
وذلك يرجع الى دين المشرك وغير المشرك لا الى ذات الله
وكذا قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وكذا

قولهم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ثم قوله لا يستحيي قيل
في تفسيره لا يترك ضرب المثل بالبعوضة وقيل أي لا يمتنع عنه
وقال قتادة وجماعة هو في مشركي مكة بدليل أنه ذكر
مثل هذا في سورة المدثر وهي مكية قال وليقول الذين في
قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك
يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وقال هاهنا وأما الذين
كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي
به كثيرا ثم تلك من أوائل الوحي وفي حق مشركي مكة كذا هذا
وقيل هو في حق منافقي أهل المدينة من أهل الكتاب بدليل
أنه قال الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وهذا صفة
المنافقين من أهل الكتاب فقد قال تعالى فبما نقضهم ميثاقهم
ولأن سورة البقرة مدنية وقيل يجوز أن يكون نزول الآية
في الفريقين جميعا فقد سبق ذكر الكفار والمنافقين في صدر
السورة وقال أيضا في سورة المدثر وليقول الذين في
قلوبهم مرض وهم أهل النفاق وقال والكافرون
وهم أهل الشرك ثم إن الله تعالى بين أنه لا يترك ضرب
المثل بقول المنافقين والكفار ولا يترك أنت قول الحق بقول
الفجار وذكر أنه يستحيي من احراق الثوب بالنار فاستحيي أنت
من مخالفة الملك الجبار وقوله تعالى أن يضرب مثلا أي يبين
والضرب في القرآن لمعان للإيلام من غير خدش ولا جرح قال
تعالى واضربوهن وللصورة من غير الم قال أن اضرب
بعصاك الحجر وللقليل الإيلام قال تعالى فاضرب به ولا تحنث
وللقطع قال تعالى واضربوا منهم كل بنان وللجز والإزهاق
قال

قال تعالى فاضربوا فوق الأعناق وللكسر قال تعالى فراغ
عليهم ضربا باليمين وللتعذيب الملائكة الكفار عند الموت قال
تعالى الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ومن المجاز فيه
وآخرون يضربون في الأرض هو السير ومنه ضرب الرجل
على الأرض وقوله أفنضرب عنكم الذكر صفحا هو الصرف وتقديره
أفنهملكم فلا نعرفكم ما عليكم إن كنتم مسرفين وأصله في الراكب
إذا أراد أن يصرف مركبه عن جهته يضربه ليعدله فوضع
الضرب موضع الصرف وقوله تعالى فضربنا على آذانهم أي
أنمناهم ومنعناهم السماع وهو من ضرب الحجاب على الأذن
في التقدير وقوله تعالى وليضربن بخمرهن على جيوبهن أي
وليرخين مقانعهن فوق جيوبهن عند صدورهن للستر وقوله
فضرب بينهم بسور أي أظهر وقوله تعالى فاضرب لهم طريقا
أي جعل وقوله تعالى وضربت عليهم الذلة أي وظفت عليهم الجزية
وقوله تعالى فلا تضربوا لله الأمثال أي لا تصفوا لله الأشكال
وقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل أي يمثل وقوله
واضرب لهم مثلا أي واذكر قوله ضرب الله مثلا أي بين وهاهنا
أيضا معناه البيان بإجماع أهل التفسير ومثلا من تفسيره في
قوله كمثل الذي استوقد نارا وقوله ما بعوضة ما يجيء على
عشرة أوجه للنفي وما يستوي الأعمى والبصير وللجحد ما جاءنا
من بشير ولا نذير وبمعنى الذي وما تخفي الصدور وبمعنى
من والسماء وما بناها وللمصدر بما غفر لي ربي وللاستفهام
ما سلككم في سقر وللشرط وما تفعلوا من خير فلن تكفروه
وللوقت ما دمت حيا وللتعجب ما أكفره وللصلة فبما رحمة

والبعوضة هي من صغار البق والبعض من الشيء طائفة منه وتبعيض
الشيء تجزيته وكأن البعوضة بعض البقة لصغرها وكلمة ما تصلح
صلة زائدة مؤكدة وتصلح اسما وبيانه في بيان إعراب بعوضة
وهي منصوبة في القراءة الظاهرة وقال النحويون ويجوز فيها
الرفع واما النصب فلوجوه ثلاثة احدها ان ما زايدة مؤكدة
معناها حقا وتقديره أن يضرب بعوضة مثلا حقا ولا اعراب
لما والخافض والناصب يتخطاها إلى ما بعدها قال تعالى فبما
رحمة من الله والثاني ان يكون ما اسما نكرة منصوبة وبعوضة
صلة وصفتها تابعة للموصول في اعرابه وتقديره أن يضرب
مثلا شيئا يعني أي مثل أراد بعوضة فما فوقها تنزع بين من
الأول وإلى من الثاني فانتصابا بنزع الخافض وهو كقولهم مطرنا
ما زبالة فالثعلبية واما الرفع فبإضمار هو تقديره أن يضرب
مثلا الذي هو بعوضة والاضمار جايز قال الشاعر فكفى بنا
شرفا على من غيرنا حب النبي محمد ايانا ينشد غير بالرفع والخفض
وقال الربيع بن انس ضرب المثل بالبعوضة عبرة لأهل الدنيا
فان البعوضة تحيا ما جاعت وتموت اذا شبعت فكذا صاحب الدنيا
اذا استغنى طغى وبه الردي وقال الامام ابو منصور رحمه الله
الاعجوبة في الدلالة على وحدانية الله تعالى وربوبيته في
خلق الصغير من الجثة والجسم أكثر من الكبار منها والعظام لان
الخلائق لو اجتمعوا على تصوير صورة من نحو البعوض والذباب وتركيب
ما تحتاج اليه من الفم والانف والعين والرجل واليد والمدخل
والمخرج ما قدروا عليه ولعلهم يقدرون على تصوير العظام من الاجسام
الجافية منها وقال غيره ان الله تعالى قوّى قلوب ضعفاء الناس

بذكر

[هامش: والثالث ان يكون نصبا على نزع الخافض ومعناه ان يضرب مثلا ما بين بعوضة الى ما فوقها ح]

بذكر ضعفاء الناس [الاجناس] وعرف الخلق قدرته في خلق الضعفاء على
هيئات الأقوياء فان البعوض على صغره بهيئات الفيل على كبره وفي
البعوض زيادة جناحين فلا يستبعد من كرمه أن يعطي قليلا لمن
لا يعطي على كثير النعم من الخلقة كما أعطى صغير الجثة ما أعطى كبير
الجثة من الخلقة ومن العجب أن هذا الصغير يؤذي هذا الكبير
فلا يمتنع منه ومن لطف الله تعالى أن خلق الاسد بغاية القوة
والبعوض والذباب بغاية الضعف ثم اعطى البعوض والذباب
جرأة أظهرها في طيرانهما في وجوه الناس ومما دونهما في
ذلك مع مبالغة الناس في دفعها بالمذبة وركب الجبن في الاسد واظهر
ذلك بتباعده عن مساكن الناس وطرقهم ولو تجاسر الاسد
تجاسر الذباب والبعوض لهلك الناس فمن الله تعالى وجعل
في المتجاسر الضعف وفي القوي الجبن وهو العزيز الحكيم وقال
القشيري رحمه الله الخلق في التحقيق بالإضافة إلى قدرة الخالق
أقل من ذرة من الهباء في الهواء وسيان في قدرته العرش والبعوضة
والعرش فلا خلق العرش عليه أعسر ولا خلق البعوضة ايسر
سبحانه متقدس عن لحوق العسر واليسر قوله تعالى
فما فوقها الفوق في العلو وفاقه اي علاه وعلاه وصار فوقه
وانتصابه لما مر في قوله تعالى بعوضة واما تفسيره فقال
قتادة وابن جريج معناه فما فوقها في الكبر وقال
ابو عبيدة معناه فما دونها والكلمة من الاضداد كالوراء
يكون للخلف وللأمام قال تعالى ويذرون وراءهم يوما
ثقيلا والصريم يكون للنهار والليل والقرء يكون للحيض والطهر
وقال اهل التحقيق اي فما فوقها في الصغر لان الغرض المطلوب

[هامش: عليه] [هامش: واظهر] [هامش: سيان]

ههنا هو الصغر والكلمة من قولهم فاق فلان كذا اي جاوزه
والمجاوزة نوعان بالصغر والكبر فإن ذكر شيء على وجه التصغير فما
ذكر بعده بهذه الكلمة عرف انه اريد به مجاوزته اياه في الكبر
وهو معنى قولك يقول فلان صغير القدر قليل الخير فيقال هو
فوق ذلك قالوا والجمع بين المعنيين بوصف واحد أولى من
الحمل على الضدين لأن الكلام للإفهام وفي دلالة اللفظ الواحد
على الضدين حمل على الابهام وحملوا على ذلك جميع ما ورد من
الالفاظ الواقعة على الضدين في الكلام وقالوا النور ما
وذلك خلقا كان أو أماما والصريم الوقت المنصرم ليلا
كان او نهارا والقرء الوقت المعتاد طهرا كان او حيضا
والفوق المجاوز عن الشيء صغيرا كان او كبيرا واذا حمل على
المجاوزة في الصغر فمعناه ان الله لا يمتنع عن بيان الحق بضرب
المثل بالبعوضة الذي هو نهاية في الصغر عندكم فما دونه
في الصغر مما هو في علم الله تعالى وقدرته وان لم يره احدكم
بحسنا هذه بنيه واذا حمل على المجاوزة في الكبر فقد قيل أي
بالفيل الكبير فانهما يتماثلان صورة لذلك هذا له خرطوم
وذاك بشبهه وهذا بالف وذاك بنفير وهذا يؤذيك
ويستولي عليك وذاك تقهره انت وتستولي عليه ومن العجب
عجزك عن هذا الضعيف وقدرتك على ذلك الكبير ومن
الاعاجيب ان هذا الضعيف اذا طار في وجهك ضاق به قلبك
وتبغض عيشك وفسد عليك بستانك وكدر نفسك واعجب
منه حتى انك مع ضعفك على ما يؤذيك القاد ويورد لك
النار فاذا كان تحجب عنك هذا من العوض لذا سابك بحالك
إذا

في الصغر وان ذكر على وجه التكبير عرف انه اريد مجاوزته اياه م

تسلطت عليك الحيات والعقارب في لظى وقيل فما فوقها
اي العنكبوت والذباب فقد كان ذكرهما قبل ذلك على ما ذكرنا
وللعنكبوت خطر عظيم واثر جسيم فقد دفع الله تعالى به قصد الكفار
عن النبي المختار وصاحبه في الغار على ما عرف في الاخبار وقوله تعالى
فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اما كلمة تفصيل ولا
بد لها من جواب وجوابها بالفاء وهي اداة رافعة للاسماء
الا اذا كان بعدها امر ونهي فينتصب قال تعالى فاما اليتيم
فلا تقهر واما السائل فلا تنهر وهي مكررة قال تعالى فاما
الذين آمنوا واما الذين كفروا وكذا في كل موضع والحق نقيض
الباطل والحق الواجب والاستحقاق الاستيجاب والحق الصدق
في قوله تعالى إن وعد الله حق والحق الكائن في قوله وكان
وعد ربي حقا والحق احد الحقوق في قوله تعالى وآتوا حقه
والحق الغاية في قوله حق تقاته وحق جهاده وحق قدره
والحق العدل في قوله تعالى قل رب احكم بالحق والحق الحاجة
في قوله تعالى ما لنا في بناتك من حق واما التفسير فمعناه فاما
الذين اعتقدوا وايقنوا بهم دين الحق واقروا بألسنتهم بذلك
فيعلمون ان هذا المثل حق من الله تعالى فيتفكرون في هذا
المثل الحق ويوقنون ان الله هو خالق الكبير والصغير كل
ذلك في قدرته سواء كما ان الخلق عاجزون عن خلق الكبير
والصغير كل ذلك في عجزهم سواء كما ان الحق وقال القشيري
فاما من فتحت ابصار سرائره فلا ينظر الى الاغيار والآثار
الا نظر الاعتبار ولا يزداد الا نفاذ الاستبصار واما الذين
سكرت ابصارهم بحكم الغفلة والاغفال فلا يزيدهم ضرب

بلغ

الامثال الا زيادة الجهل والاشكال وقوله تعالى فيعلمون انه
انه الحق من ربهم فمن عرف الحق فمن حقه القيام بحقه وقبول
حقه واذا حققه بالحق عارف الحق كونه بالحق وللحق وكونه به
ان لا يلاحظ غيره وكونه له ان لا يساكن غيره وكيف يصح التشبه لمن
تعرف له الصحبة وتقسمت الخلايق والعلايق قلبه وقوله
تعالى واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل
به كثيرا ويهدي به كثيرا هذا استفهام بمعنى الانكار ومعناه
واما الذين اشركوا او الذين هادوا فيقولون اي شيء اراد الله
بالضرب بالبعوض مثلا واي فايدة في هذا اسفة منهم قال
الزجاج في ماذا يجوز ان يكون ما وحده اسما وذا اسما واحدا ويكون
موضعهما نصبا ومعناه اي شيء اراد الله تعالى بهذا مثلا ويجوز
ان يكون ذا بمعنى الذي فيكون المعنى ما الذي اراد الله بهذا مثلا
واي شيء الذي اراد الله بهذا مثلا ويكون ما رفعا بالابتدا وذا
خبر الابتدا والارادة المشية والرود الطلب والمراودة
المطالبة والارتياد الطلب بتكلف والارادة صفة الله تعالى
ازلية قايمة بذاته وصف بها نفسه فقال تعالى لما يريد
وقال يفعل ما يريد وقوله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
ما لكثير خلاف القليل والعدد كاثر اي كثير قال الشاعر
وانما العزة للكاثر والمكاثرة المغالبة بالكثرة والمكثور
المغلوب به واما تفسيره فقد قيل هذا اخبار عن اليهود والمشركين
او المنافقين انهم قالوا يضل الله بالمثل كثيرا من الناس ويهدي
الله بالمثل كثيرا من الناس وقيل هو اخبار من الله تعالى وكذا
قال الامام ابو منصور رحمه الله هذا جواب لقولهم ماذا اراد

الله

وليست بالاكثر منهم حقيقة

الله بهذا فقال اراد ان يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا اضل من
علم منه انه يختار الضلالة وهدى به من علم انه يختار الهدى اراد
من كان ما علم منه انه يختار الهدى ايضا قال والاية تنقض على
المعتزلة قولهم فانهم يقولون اراد ان يهدي به الكل ولكن ضل
بعضهم واهتدى بعضهم وقيل يضل به من استحق بالمثل ولم
يعده حكمة وهم الكافرون ويهدي من عرف وجه حكمته وعلم
فايدته وهم المؤمنون والاضلال خلق فعل الضلال وهو في حق
من اختار الضلالة وكان بعد ما عرف الدلالة والهداية خلق
فعل الهداية وهو في حق من اختار صفة الاهتدا والمعتزلة حملوا
ذلك على تسميتهم ضالين وتسميتهم مهتدين واللغة لا تحتمل ذلك
والدلايل السمعية والعقلية ترد ذلك وبالله العصمة وقوله تعالى
وما يضل به الا الفاسقين الفسق والفسوق الخروج عن الطاعة
وفسقت الرطبة اي خرجت عن قشرها والفويسقة الفارة
لخروجها من جحرها ثم هذا اكشف للكلام الاول فانه قال يضل به
كثيرا ثم بين من يضله به فقال وما يضل به الا الفاسقين
اي وما يخذل الله بسبب ذكر هذا المثل الا الخارجين عن طاعته
واتصافه بوقوع فعل الاضلال عليه والجملة ان الهداية والاضلال
من الله حقيقة والاهتدا والاضلال من العبد حقيقة والجبرية
لا يرون فعل العبد والمعتزلة لا يرون فعل الله وقد ذكرنا
قول الفريقين وقيل هذا اسم الهداية في حق من اختاره قال
تعالى ويهدي اليه من اناب والاضلال في حق من اختاره
قال تعالى ويضل الله الظالمين وقال تعالى وما يضل به
الا الفاسقين والاضلال اذا اضيف الى الله فهو خلق الضلال

الاهتدا

يضل به كثيرا او قد يكون الاضلال لقوله تعالى اضلت اعمالهم
واذا اضيف الى الشيطان فهو التزيين والوسوسة قال
ولاضلنهم وما اضيف الى فرعون وجنوده فهو الدعوة قال تعالى
واضل فرعون قومه واذا اضيف الى الاصنام فهو التسبيب
قال تعالى انهن اضللن كثيرا من الناس وقيل وما يضل به الا
الفاسقين اي الذين لا ينظرون في اعاجيب هذا المثل والحاصل
ان السوء اى للمسيئين والحسنى للمحسنين قال تعالى الا لعنة
الله على الظالمين ان الله لا يحب المعتدين انه لا يحب المسرفين
ويل للمطففين فبئس مثوى المتكبرين وقال تعالى وهدى
وبشرى للمسلمين وان الله مع المؤمنين وان الله يحب المحسنين
ان الله يحب المتقين ويحب الصابرين وهو يتولى الصالحين
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين اعدت للمتقين وبشر
المحسنين ان الله يحب المقسطين ونعم اجر العاملين وقوله تعالى
الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه هذا نعت الفاسقين
ونقض الحبل والبنا والعقد والعهد والقرحة ازالة نظمها وختمها
والنقض بالضم المنقوض والانتقاض قبول النقض ونقيض الشي
ضده ونقيضة القصيدة جوابها وينقضون صيغة الاستقبال
ومعناه هاهنا والذي هو فاسق وناقض للعهد للحال فاما
العهد في اللغة فهو الميثاق وهو لاشيا اخر ايضا وفي القران
لاشيا للتوحيد في قوله تعالى قل اتخذتم عند الله عهدا وللوعد
الجنة في قوله تعالى فلن يخلف الله عهده وللعرايض في قوله
تعالى اوفوا بعهدي اي ادوا فرايضي وجزا الطاعات في قوله
اوف بعهدكم وللوعد في قوله ومنهم من عاهد الله وللميثاق

قوله

في قوله تعالى ينقضون عهد الله وللتمين في قوله تعالى ولا تشتروا
بعهد الله ثمنا قليلا وللامامة في قوله تعالى لا ينال عهدي
الظالمين وللثبات في قوله تعالى وما وجدنا لاكثرهم من
عهد وللايمان في قوله تعالى افطال عليكم العهد واما تفسيره
فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما هو اخذ ميثاق ذرية
آدم حين اخرج الذرية كامثال الذر وقال لهم الست
بربكم قالوا بلى ونقض هذا العهد هو الجحود بعد الاقرار والكفور
بعد الاستقرار ومن حيث المعاملة فيه رؤية الاغيار مع الغير
والتوحيد في الاقرار وقيل العهد هو حلف مشركي العرب
حين ضللهم اليهود والنصارى وسفهوهم بعبادة الاصنام المنحوتة
والانصاب الموضوعة كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله عز وعلا
واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى
من احدى الامم اي اليهود والنصارى فلما جاءهم نذير اي محمد
ما زادهم الا نفورا فنقضهم ميثاقهم هو النفور والكفر وابطال
القسم المذكور وقيل هو ميثاق الله تعالى على اهل الكتاب قال
تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
اي بالقول ولا تكتمونه اي بالفعل ونقضهم ما قال فنبذوه
وراء ظهورهم اي كتموا صفة محمد عليه السلام وفسقوا ونقضوا
العهد واشتروا به ثمنا قليلا اي عرض الدنيا فبئس ما يشترون
كتموا الحق لاجل العرض اليسير من الكرباس والشعير وانهم
انفسهم من تلك في الشعير وقيل هذا الميثاق هو المذكور في
في قوله واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم الاية ونقضه
فيما ذكر ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وقيل هو ما اودع الله

انعم الله عليه

ان الله لا يصلح عمل المفسدين وان الله لا يهدي كيد الخائنين كذلك نفعل بالمجرمين

الماضي والحال اي ان الله تعالى يخذل بذكر المثل من فسق ونقض العهد

ومما وفي بعهده من الله والالتزام بالعهد البكم والنذر

اختلف بعكوف اللام لف

ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة ونقضه ما ذكر ثم توليتم من بعد ذلك وقيل هو المذكور في قوله واذ اخذنا ميثاقكم

شبههم من الآلات التي يقع بها التمييز بين الحق والباطل نحو العقل
والسمع والبصر ونقض ميثاق الفطرة • هو إعطاء الآلات
التمييز والقدرة تعطيلها وترك استعمالها في لوازمها • وقيل
العهد الأول هو ميثاق الذرية بتوحيد الله وميثاق كل أمة
بإرسال رسولهم بكتاب وشريعة • ونقضهم هو خلافهم ما
قبلوه • وقيل هو ما أخذ على العلماء بقوله تعالى لتؤمنن عليهم
ميثاق الكتاب الآية ونقضه جهلا فهم كذلك • وقيل كل من أسلم
فقد قبل عهد الله في توحيده وعبادته والائتمار بأمره والانزجار
بزجره والثقة بوعده والرضا بحكمه ونقضه الإعراض
والاعتراض واختيار الأعراض وطلب الأعواض • وقيل من
العهد بذل العبد إذا تركه بمجهوده أن يلازم التوبة ويجانب
الشرور ونقضه العود إلى مألوف الفساد ومراجعة التعاطي
المعتاد وقوله تعالى من بعد ميثاقه أي توثيقه والتوثيق المحكم

صح

فقد وثق وثاقة من حد شرف والتوثيق والإيثاق الإحكام والميثاق
العهد المحكم والوثاق بفتح الواو وكسرها ما يحكم به الشيء والمراد
من الميثاق في هذه الآية هو المصدر المذكور على وزن المفعال
دون نفس العهد فقد ذكره في قوله عهد الله والهاء التي في آخره
يجوز أن يعود إلى العهد بعد توثيق ذلك العهد ويجوز أن يعود إلى الله
تعالى فقد ذكر قبله ومعناه بعد توثيق الله تعالى ذلك وقوله
ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم
الخاسرون هذه من صفات الفاسقين الذين سبق ذكرهم أي
هم المضيعون حق الله تعالى وحق خلقه بقطيعة أرحامهم والقطع
في اللغة الإبانة والقطيعة الهجران وقطاع الطيور خروجها من
بلاد

فيضيع حق الله بنقض عهده ويضيع خلقه ح

بلاد البرد إلى بلاد الحر وقطوع الثمر والوادي عبورهما والأمر بالشيء
الدعاء إلى تحصيله والامتثال بالأمر والوصل نقيض الفصل والوصل
ضد الهجران والوصيلة ما يقع به الوصل • وأما التفسير • فقد قيل
هو الإيمان ببعض الأنبياء والكفر ببعض وقد أمروا بالإيمان بالكل
بقوله آمنوا بالله ورسوله • وأخبر عن المؤمنين أنهم قالوا لا نفرق
بين أحد من رسله • وقيل هو قطيعة الرحم وقد أمروا بوصلها
بقوله واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام • وقيل هو
تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم • وخلافه ومعاداته مع أنه من
أولاد إسماعيل عليه السلام • وأهل الكتاب من أولاد إسحاق
عليه السلام وبينهم قرابة بنوة العم • قال الله تعالى قل لا
أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى أي الود بسبب القرابة
التي بيني وبينكم من هذا الوجه • وقيل هو مباينتهم ومنافيتهم
كل العرب والعرب من أولاد إسماعيل • وهم أولاد إسحاق وبينهم
هذه القرابة • وهم بهذه المجانبة والمحاربة قاطعون للأرحام
وقد أمروا بوصلها • وقوله ويفسدون في الأرض هذا من صفات
هؤلاء الفاسقين • وقد مر معنى الكلمة في تفسير • قوله تعالى
ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها • وقيل هو العمل بالمعاصي
كما في قوله تعالى أتجعل فيها من يفسد فيها • وقيل هو أخذ أموال

بلغ

الناس وتناول أملاكهم كما قال تعالى إن يأجوج ومأجوج مفسدون
في الأرض • وقيل هو حمل الغير على الفساد • ودعاؤه إلى الفساد
كما قيل • وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض • وقيل هو صد الناس
عن دين الله واتباع رسول الله • وقيل هو كل ما خالف الحق والرشاد
قال الله تعالى • والله لا يحب الفساد • وقوله أولئك هم الخاسرون أي

هؤلاء المذكورون هم المنافقون الهالكون المغبونون. فالمصدر
منه الخسر والخسار والخسران وكلها لثلاثة معان النقصان
والهلاك والغبن. قال تعالى ولا تخسروا الميزان أي لا تنقصوا. وقال
إنك من الخاسرين أي الهالكين. وقال تعالى قد خسروا أنفسهم
أي غبنوا. وقال الإمام القشيري رحمه الله من نقض العهد أن يحيد سرك
لحظة عن شهوده ومن قطع ما أمرت بوصله بتخلف أو فاتك نفس
حظك عن القيام بحقه ومن إفسادك في الأرض ساعة تجري عليك
ولم تندم منها على شيء هذه الآن ذلك هو الخسران المبين
وقوله تعالى كيف تكفرون بالله كيف تستعمل لمعان للاستفهام
المحض وهو سؤال عن الحال تقول لصاحبك كيف أنت وللشرط
كيف تعاملني أعاملك تجزم بها وهو على الشرط والجزاء وللإيناس
تقول لمن أراد شيئا وعندك أنه يعجز عنه كيف تحمله مع ضعفك وللعرض
تقول لصاحبك كيف أنت وكسوة فاخرة أي هل تريدها وللإنكار
كيف تجفو صديقك وقد واتاك وللنفي بمنزلة ما ولا كما في قوله
تعالى كيف يكون للمشركين عهد أي ما يكون ولا يكون بدليل أنه
استثنى عنه فقال إلا الذين ولنا كيدما قبله وتحقيق ما بعده
قال تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد إن الله لا يظلم
مثقال ذرة فكيف في الآخرة وبمعنى لم كما في قوله وإن
يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة أي لم يقاتلون
وللتعجب كما في قوله تعالى انظر كيف يفترون على الله الكذب أي تعجب
يا محمد فإنه موضع التعجب لك وللتعجيب وهو حمل الناس على التعجب
كما في هذه الآية كيف تكفرون بالله واختلف أهل التفسير فيه
فقال بعضهم أي لم تكفرون بالله وهو خلقكم وقيل أي كيف استخرجتم
من أنفسكم

يقول لصاحبه

وقيل أي عجب كفركم والله خالقكم

من أنفسكم الكفر بالله وهو خالقكم وقيل هو إنكار وقيل هو توبيخ
وقوله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم ذكر ها هنا الموت في تفسير قوله
حذر الموت والإحياء إثبات الحياة وانتظام هذا بما قبله أنه قال
وأما الذين كفروا ثم وبخهم فقال كيف تستجيزون من أنفسكم
أن تكفروا بالله وهو الذي أوجدكم بعد عدمكم فقد كنتم أمواتا أي نطفا
أجزاؤها متساوية فأحياكم أي جعلكم أحياء فجعل بعض أجزاء
النطفة عظما وبعضها لحما وبعضها عصبا وبعضها عروقا وبعضها
مخا وبعضها جلدا وبعضها شعرا وجعلك تنطق بلحم وتبصر بشحم
وتسمع بعظم وتعرف بدم وأنطقك وأمشاك وآتاك قواك
وجعلك تستولي على طيور الهواء وحيتان الماء ووحوش الصحراء
ثم يميتكم فيجعلكم رفاتا كما كنتم في الأصل أمواتا ويجوز أن يكون
الخطاب للسلف وعنا بهم على وجه آخر كيف تكفرون نعم الله
تعالى عليكم وتنكرون أياديه إليكم وكنتم أمواتا بالجهل فأحياكم
بالعلم وكنتم أمواتا بالرغبة فأحياكم بالرهبة وكنتم أمواتا بالشك
فأحياكم باليقين وكنتم أمواتا بالاختلاف فأحياكم بالائتلاف وقال
بعض البغداديين وكنتم أمواتا بحياة أنفسكم فأحياكم بإماتتها
وقال ابن عطاء وكنتم أمواتا بالظواهر فأحياكم بالمشاهدة وقال
ابن عباس وكنتم أمواتا بشواهدكم فأحياكم بشهادته وقال
الواسطي وكنتم أمواتا بكم فأحياكم به ثم تفسير ظاهر الآية على
نظمها كنتم نطفا لا حياة فيها فأحياكم صوركم أحياء قادرين عاملين
ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم ثم يحييكم في القبر للسؤال والجواب وتعقيبه
الثواب والعقاب ثم يبعثكم يوم القيامة للجزاء على الأعمال ترسلا
والأعمال في قربها للأرواح والظلال وأما على طريق الحقيقة فعلى هذا ترتيب

وقيل كنتم أمواتا بالكفر فأحياكم بالإيمان

أشار إليها الإمام القشيري رحمه الله أولها وكنتم أمواتا بجهلكم عنه ثم
أحياكم بمعرفتكم به ثم يميتكم عن شواهدكم ثم يحييكم به ثم إليه
ترجعون بحط أحكام السرائر ومراعاة الحقائق والثانية وكنتم أمواتا
ببقاء نفوسكم فأحياكم بفناء نفوسكم ثم يميتكم عن شهود ذلك لئلا
تلاحظوه فيفسد عليكم ثم يحييكم بأخذكم عنكم ثم إليه ترجعون
لتقليبكم في قبضته والثالثة هذا تقليب أحوالهم مدة حياتهم في
دنياهم كانوا أمواتا أبدا وإثباتهم في الأصل فأحياهم بما أقام فيهم
ثم أماتهم عن رؤية البقاء فأفناهم ثم أثبتهم وأبقاهم ثم جعل
الله في كل الأحوال مرجعهم ومنتهاهم فهم أبدا في محو وإثبات
وإماتة وإحياء وبقاء وفناء وصحو ومحو وتمحيص الحال كمراد العبيد وكونه
مع هذه الأحوال وقوله تعالى ثم يميتكم أي في الدنيا عند انقضاء آجالكم ثم
يحييكم قيل يحييكم في القبر ثم إليه ترجعون في الآخرة قال ثم
للتعقيب على سبيل التراخي فدل على أنه لم يرد به حياة البعث فإن
الحياة يوم مزيد يقارنها الرجوع إلى الله تعالى بالحساب والجزاء
واتصل به من غير تراخ ودلت الآية على إثبات عذاب القبر
وراحة القبر وفي القرآن آيات تدل على ذلك حكي عن إبراهيم
بن جعفر أنه قال ختمت القرآن سبع مائة مرة مع تفكر وتدبر
حتى استنبطت ثلاث آيات في إثبات ذلك أحدها قوله ولكم
في الأرض مستقر ومتاع إلى حين يعني إلى الموت ثم قال تعالى
فيها تحيون أي في القبر في الأرض والحياة بعد الموت إنما يكون في
القبر ومنها تموتون بعد هذه الحياة في القبر ومنها تخرجون أي من
من القبر بالبعث والثانية قوله تعالى يحييكم وبعد إخطاب الأحياء
فيصرف ذلك إلى إحيائهم بعد موتهم لأن الأحياء لا يستوون
ثم قال

قيل إلى يوم القيامة للحساب والجزاء على أعمالكم وقال السيد [illegible] ح

لأنه ح

قال الله

ثم [illegible] يميتكم أي بعد هذه الحياة ثم يجمعكم إلى يوم القيامة أي يبعثكم
للجزاء والثالثة هذه الآية وكنتم أمواتا أي في أرحام أمهاتكم فأحياكم
ثم يميتكم في الدنيا ثم يحييكم في القبر ثم إليه ترجعون بالبعث يوم
القيامة ومنها قوله أغرقوا فأدخلوا نارا والفاء للتعقيب بعد تراخ
ومنها قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ثم قال ويوم
تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب أي الجحيم ومنها قوله
تعالى سنعذبهم مرتين أي مرة في الدنيا بهتك الستر ومرة في القبر
ثم قال ثم يردون إلى عذاب عظيم ومنها قوله تعالى وإن للذين ظلموا عذابا
دون ذلك يعني في القبر ومنها قوله تعالى في حق الشهداء أحياء عند
ربهم يرزقون فرحين ومنها قوله تعالى يا ليت قومي يعلمون
بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ومنها قوله تعالى فإن له معيشة
ضنكا روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه فسر بعذاب القبر وقوله تعالى ثم إليه ترجعون ثم تجيء على سبعة
أوجه للترتيب في التراخي كما في هذه الآية والثاني بمعنى الواو كما في
قوله تعالى ثم الله شهيد أي والله والثالث بمعنى مع ذلك كما في قوله
ولقد خلقناكم ثم صورناكم والخامس بالتقديم كما في قوله فإنهم لآكلون
منها إلى قوله ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم والسادس للتأكيد كما في
قوله ثم أورثنا الكتاب والسابع للتعجب كما في قوله ثم الذين كفروا
بربهم يعدلون وقوله ترجعون قراءة عامة القراء بضم التاء وقرأ يعقوب
ترجعون بفتح التاء وهو إخبار عن رجوعهم والأول إخبار أن الله يفعل
بهم ذلك فيرجعهم إلى نفسه وهو كقوله ثم ردوا إلى الله وقال
تعالى أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا وقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما
في الأرض جميعا هو أنها وحدها هي الأصل والنواة والأشياع للقمة وهي

كما في قوله ثم كان من الذين آمنوا والرابع للترتيب في الذكر لا في الوجود ح

كلمة إشارة ودلالة على ما سبق ذكره او تقديم عهده وهي هاهنا دلالة
راجعة إلى ما ذكر في الآية التي قبلها كيف تكفرون بالله وانتظامه هذا
بالأول من وجهين أحدهما أن هذا خطاب الكفرة وحقه كيف
تكفرون بالله وهو الذي خلقكم وهو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا
فانظروا في تخليقه اياكم الى قدرته وانظروا في تخليق ما في الأرض
لاجلكم الى منته فلا تستجيروا وتجحدوا ربوبيته والتقصير في خدمته
والإعراض عن عبادته والثاني انه خطاب المؤمنين فقال هو
الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فأنتم الأصول في نعم الدنيا
وأنتم المخصوصون بنعم العقبى لكم ما في الدنيا بطريق الأصالة وللكفار
بطريق التبعية ولكم نعم الآخرة دون الكفار بطريق الخصوصية
قال تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة
أي بدون الكفار فلا ينالون شيئا منها في الجنة قال تعالى خبرا
عنهم ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو
مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين وأما التيسير
فقد قيل هو الذي خلق لكم أي قدر ان يكون وقتا بعد وقت
فإنه واقع على كل ما كان في الدنيا وما يكون وقد ذكر بصيغة
الماضي فكان واقعا على التقدير دون الايجاد ثم ان أهل الاباحة
من المتصوفة الجهلة حملوا اللام في قوله لكم على الإطلاق والإباحة
على الإطلاق وقالوا لا حجر ولا خطر ولا نهي ولا أمر وإذا تحققت
المعرفة وتأكدت المحبة سقطت الخدمة وزالت الحرمة فالحبيب
لا يكلف حبيبه ما يتعبه ولا يمنعه ما يريده ويطلبه وهذا منهم
كفر صريح وخروج من الايمان بافصاح فقد نهى الله
تعالى

ووجه نظمها انه توبيخ الكافرين ثم لاطف المؤمنين

اي بالاصالة ح

ح اعتقاد جهلة المتصوفة

تعالى وامر وأباح وحظر ووعد وأوعد وبشر وهدد والنصوص
ظاهرة والدلائل متظاهرة فمن حمل هذه الآية على
الإباحة المطلقة فقد انسلخ من الدين بالكلية والمحمل الصحيح
ما قال ابن عباس رضي الله عنهما خلق لنا نعمكم ومصالحكم
وشرحه ان جميع ما في الدنيا لوقع حوائجكم وقوام معايشكم
فلا بقاء عادة للبشر الا بالطعام والشراب ودفع الحر والبرد
بالأكنان والأثواب وقد هيأ ذلك كله فيها لكم وفيها أيضا
زوائد على الضروريات من تناول الطيبات والتجمل بأنواع
الزينات والتقلب في وجوه اللذات والاستراح بأنواع
الراحات فالسماء سقفكم والشمس سراجكم والقمر نور لكم
والنجوم هداتكم والريح روحكم والغيث غياثكم والثلج ثلجكم
والسحاب ظللكم والأرض بساطكم والبحار والأنهار سقاؤكم
والحبوب والثمار أرزاقكم والأدوية والرياحين طيبكم والرياض
والحدائق متنزهاتكم والأدوية علاجكم والثياب والأقمشة
لباسكم والجواهر حليكم واللحوم الطيبة مأكلكم والأنعام
والسفن مراكبكم ثم إنكم تملكون ما كان من جنس الصوف والحطب
والحشيش وثمار الجبال والبراري التي هي غير مملوكة بنفس
الاستيلاء وما في أيدي الملاك بالعقود المشروعة الصحيحة
وتنتفعون بالأعيان المملوكة للأغيار بالإعارة والإجارة والإباحة
مما شرع فيه ذلك وتنتفعون بالكل بالنظر إليها وشم رياحها
والاستظلال بظلالها والسلوك في طرقها واستلذاذ الأسماع
بطيب أصواتها فيما ليس فيه ارتكاب محرم واجتناب مأمور والوصول
إلى ملاذ الأنكحة بملك النكاح وملك اليمين وأما الحيوانات الفارة

للودية والأعيان النجسة الخبيثة ففيها تذكير عقوبات الجحيم ومعرفة
النعم في اضدادها وهو نفع عظيم، واعظم ذلك كله نفع الاستدلال
بها على وحدانية الله تعالى. قال الله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق
وفي انفسكم، فالبناء دليل على الباني والخط على الكاتب والصياغة
على الصائغ والمصنوع على الصانع، وانا اهل الحقيقة فقد قالوا فيه
اقاويل، قال بعضهم معناه خلق لكم ما في الارض لتتقووا به على
طاعته لا لتصرفوه في وجوه معصيته، وقيل خلق لكم ذلك
لتعدوا نعمة الله عليكم فتقتضوا الشكر من انفسكم طلبا للمزيد على ما
لديكم، وقال ابن عطا خلق لكم ما في الارض ليكون الكون كله لك
وتكون انت بكليتك لله تعالى فلا تشتغل بما لك عن من انت له،
وقال الامام القشيري سخر لكم جميع المخلوقات على معنى حصول
الانتفاع بكل شيء منها فعلى الارض تستقرون وتحت السماء
تسكنون، وبكل مخلوق بوجه آخر تنتفعون بل ما من عين واثر
فكرتم فيه الا وكمال قدرته وظهور ربوبيته به تعرفونه.
وقوله تعالى ثم استوى الى السماء استوى في اللغة لثلاثة اشيا
استوى الرجل انتهى شبابه، واستوى بعد ما اعوج اي استقام
وفعلت كذا ثم استويت الى شيء اي اقبلت، وفي القرآن
ورد لاشيا لبلوغ الانسان غايته، ولما بلغ اشده واستوى
وللتساوي، لا يستوي الخبيث والطيب وللجلوس، فاذا استويت
انت ومن معك على الفلك وللركوب لتستووا على ظهوره وللقيام
فاستوى على سوقه وللاستقرار واستوت على الجودي وقد
ورد هذا للاستيلاء في قول الشاعر قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق، وعلى هذا حمل بعض اهل العلم قوله

ثم استوى على العرش، وقال معناه استولى اي هو الله الملك
ومالك الملوك في الازل والابد لا بحدوث ملك وتجدد ولا يتم وهو
كثير ما يذكر في صفات الله تعالى انه فعل كذا ويفعل كذا ليس
ذلك لانقضاء ما كان في الماضي ولا لحدوث ما يكون في المستقبل
بل هو وصف ازلي ابدي وصيغة الماضي والحال والمستقبل
لظهور المخلوق المفعول في زمان مخصوص، ويذكر استوى ايضا للقعود
وللاقبال، وقد ورد عن بعض اهل التفسير في هذه الآية ثم استوى
الى السماء اي صعد، وعن بعضهم اي اقبل، والمشبهة يجرون هذه
المتشابهات على ظواهرها ويجوزون على الله تعالى ذلك والله تعالى منزه
عنه قال تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، واهل الحق
يؤولون ذلك كله على موافقة الاصول فاما تأويل هذه الآية على
قول من فسره بالصعود ان قوله استوى اي صعد الدخان فقد
قال خلق لكم ما في الارض وكان في الارض دخان فصعد ذلك
فخلقه الله تعالى سما كما قال في آية اخرى وهي دخان وتأويلها
على قول من فسر ذلك بالاقبال انه استعارة لطيفة فان من
رتب فعلين وهو من المخلوقين يقال انه فعل كذا ثم اقبل على
كذا اي اكمل الاول وحقق ارادة الثاني فقرر الله تعالى هذا
في احكام الخلق انه احكم خلق الارض ثم رتب عليه خلق السما
ولا يفهم منه هذا ما يفهم من ترتيب فعل البشر ان الاول
ينقضي، ثم الثاني يأتي بل معناه ما قلنا ان فعل الله تعالى ازلي ابدي
لكن ترتب ذكر الاشيا لترتب ظهور الآثار في الاعيان هذا تأويلا
ما يرجع على تفسير السلف بالصعود والاقبال، وما قيل اخر ان فيه
تقديما وتأخيرا هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الى السماء

أي خلق ذلك كله ثم قال ثم استوى أي انتظم ذلك كله وتمّ وتأويل
أحد أن الاستواء في الآية مذكور من الله تعالى والمراد منه الاستواء
من الأجسام وهي على القلب كما في قوله تعالى كيف نكلم من كان في المهد
صبيا أي كيف نكلمه هو وفي قوله فإنهم عدو لي أي أنا عدو لهم
وأنهم عدو لي ودلت الآية على خلق الأرض قبل السماء وفيه أقاويل
ثلاثة قيل خلقهما معا بدليل قوله فقال لها وللأرض ائتيا طوعا
أو كرها قالتا أتينا طائعين وقال قتادة والسدي خلق السماء أولا
ثم الأرض بدليل قوله والأرض بعد ذلك دحاها وهذا أعجب
في القدرة وهو إظهار السقف قبل الأساس فأما قوله ثم استوى
إلى السماء وهي دخان فثم لترتيب الأخبار عنه لا لترتيب الوجود
كما في قوله خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق وقال ابن عباس
ومجاهد خلق الأرض أولا ثم السماء بدليل هذه الآية ثم استوى إلى
السماء فأما قوله والأرض بعد ذلك دحاها فمعناه مع ذلك كما في قوله
بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان أي مع الإيمان وقيل إنه قال بعد ذلك
دحاها ولم يقل خلقها ودحاها أي بسطها وبه نقول إنه خلق الأرض
ثم السماوات ثم بسط الأرضين وهو أقرب إلى الحكمة تمهيد الأساس
ثم رفع البناء ثم بسط الأساس وقال ابن عباس رضي الله عنهما
أول ما خلق الله جوهرة طولها وعرضها مسيرة ألف سنة في مسيرة
عشرة آلاف سنة فنظر إليها بالهيبة فذابت واضطربت ثم ثار منها
دخان فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الماء فجعل الزبد أرضا والدخان سماء قالوا
فالسماء من دخان خلقت وبريح ارتفعت وبإشارة تفرقت وبلا عماد قامت
وبنفخة انكسرت وقوله تعالى فسواهن سبع سموات ذكر هذه الكناية
على الجمع دليل أن المراد بالسماء السموات فهي جمع والواحدة سماءة ومعنى سواهن
قومهن

قومهن أي جعلهن مستويات محكمات وقوله سبع سموات مفعول ثان
لسواهن وقد قال سلمان هي سبع السماء الأولى دنيا وهي من زمردة
خضراء واسم الثانية أرقلون وهي من فضة بيضاء والثالثة قيدوم وهي
من ياقوتة حمراء والرابعة ماعون وهي من درة بيضاء والخامسة دبقا
وهي من ذهبة حمراء والسادسة دفنا وهي من ياقوتة صفراء والسابعة
عريبا وهي من نور يتلألأ وقوله تعالى وهو بكل شيء عليم كلمة
إحاطة واشتمال أي وهو عالم بكل شيء والباء دخل صلة في العلم
تأكيدا أو بمعنى بيت وبها وصفا ومعناه أنه عالم بخلق الأرضين والسموات وغيرها
من الذوات والصفات وقوله تعالى وإذ قال ربك انتظام هذه
القصة بما قبلها من وجوه أحدها أنه أخبر عن خلق السموات والأرض
ثم أخبر أنه خلق بعدهما البشر وهو آدم وأخبر الملائكة قبل خلقه أنه
خالقه ومستخلفه والثاني أنه قال خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم خلقكم فبدأ
أنشأكم ثم أخرجكم وفيه تقريع قلوبهم وتفريج كربهم والثالث
كيف تكفرون بالله وقد خلقكم وخلق الأشياء لكم وأنعم على أبيكم بما ذكر
في تمام القصة وذكر النعم على السالفين استدعاء الشكر عن الخالفين
كما عددهم في بني إسرائيل على أولادهم فقال يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي
التي أنعمت عليكم إلى آخر القصص وكذلك ذكر تلك القصص بعد
هذه القصة لتفاوت بها وبدأ القصة بقوله عز وعلا وإذ قال ربك
للملائكة والواو للاستئناف وأصله للعطف وهذا عطف جملة على
جملة وإذ كلمة ظرف للزمان الماضي وقد تجيء لغيره وقد قالوا إنه يجيء على خمسة أوجه للماضي
كما في قوله وإذ قلتم يا موسى وللحال في الماضي كما قال إذ يلقون أقلامهم
وللحال كما قال نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى
وللمستقبل المحض وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت وللشرط وكلمة زائدة

وانّا كذلك كما في اوايل القصص واذ قلنا للملائكة ونحوه عند بعضهم وهو
قول المفسّرين وخالفه ساير اهل اللغة وقالوا هو للتوقيت ولهُ
وجهان احدهما واذكر يا محمّد حين قال الله للملائكة هذا والثاني
خلقكم حين اتمّ خلق السموات والارض وحين قال للملائكة كذا وبكل
خطاب للنّبي محمّد عليه السّلام وقوله تعالى للملائكة هو جمع الملك
واصل الملك مالك من الالوك وهو الرّسالة قال لبيد وغلام
ارسلته امّه بالوك فبذلنا ما سأل والملائكة رسل الله قال الله
تعالى جاعل الملائكة رسلا والمالك قلّت فقيل ملك وجمع على
الملائكة والمستعملات في القرآن ملك بحذف الهمزة تخفيفا ثمّ الملائكة
في القرآن على ثلاثة اوجه للواحد كما في قوله تعالى فنادته الملائكة
وهو قائم اي جبريل صلوات الله عليه ولطايفة مخصوصة كما في
قوله تتنزّل عليهم الملائكة وللاستيعاب كما في قوله شهد الله انّه
لا اله الّا هو والملائكة وقوله تعالى كلّ آمن بالله وملائكته واما
التفسير فقد قيل كان هذا خطابا لملائكة السّماء وقيل كان هذا
خطابا لملائكة الارض وقيل كان خطابا للكلّ ولذا اختلفوا في قوله
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقوله تعالى انّي جاعل في الارض خليفة
انّ كلمة تاكيد والياء للاضافة الى نفس المتكلّم وقوله جاعل قد مرّ
التفسير في الكلمة ومن وجوه الخلق ومنها التّصيير وبكل واحد
منهما هنا وورد التفسير فقيل معناه انّي خالق اي سأخلق وقيل
اي مولّ وناصب والاوّل للاحداث والثاني للتصيير والكلمة تحتملها
والتنوين في قوله جاعل مع النّصب في قوله خليفة وتقديره سأجعل
خليفة وهو خلاف ترك التنوين والذكر على وجه الاضافة ذاك دليل
وجود الفعل قبل الاخبار فقولك انّي ضارب زيد على الاضافة اخبار
بكر

لانّه الفعل وذلك
الفعل هو الواقع على قوله
خليفة

مثلك انّك قد ضربته وقولك ضارب زيدا بالتنوين اخبار انّك تريد
ضربه وعن هذا قال اهل اللغة من قال لآخر انا ذابح شاتك بالاضافة
ضمن له قيمة شاة وسط لاقراره له باتلاف شاته من قبل ولو قال
انا ذابح شاتك بالتنوين والنّصب في الشّاة لم يضمن له شيئا لانّه لحوقه
انّه يريد ذبح شاته من بعد وعلى هذا ظهر لك انّ قوله وجاعل الملائكة
رسلا وقوله وجاعل اللّيل سكنا وقوله انّي جاعلك للنّاس اماما اثبات
امور كاينة وقوله انّي جاعل في الارض خليفة اخبار عن امر سيكون
وكذا قوله وانّا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا فامّا الآيات الّتي
تقرأ فيها على الوجهين فالذي لا يدلّ على الامرين قال الله تعالى والله
متمّ نوره قرئ بهما فالاضافة دليل تحقيق الاتمام لحقيّة الاسلام
والتنوين وعد باكمال ظهور الاسلام وقال هل هنّ كاشفات ضرّه
هل هنّ ممسكات رحمته وقال انّ الله بالغ امره فالاضافة للحال
والتنوين للاستقبال وقوله خليفة هو فعيلة من خلفه يخلفه خلوفا اي
جاء بعده يقوم مقامه ويسكن مسكنه قال الله تعالى هو الّذي
جعلكم خلايف في الارض والخليف ايضا كذلك وجمع هذا الخلفاء قال
تعالى اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وهو قياس الشّريف والشّرفاء
وجمع الخليفة الخلايف وهو قياس الخليفة والخلايق والهاء فيها للمبالغة
لا للتانيث كما يقال علّامة ونسّابة وراوية والخليفة ايضا هو المنصوب
المامور لتنفيذ الامور وقال تعالى انّا جعلناك خليفة في الارض واختلف
في تفسيرها هنا قال ابن عبّاس رضي الله عنهما هذا للعموم والمراد به
آدم واولاده وسمّوا به لانّهم خلفوا الملائكة والجنّ بني الجانّ في سكنى الارض
ولذلك استفهام قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدّماء ولا شكّ انّهم ارادوا به اولاده دونه قال القفّال قال

الحسن البصري رحمه الله هم اولاد آدم دون آدم وسموا به لانهم
يخلفون آدم • ويخلف بعضهم بعضا • والملائكة • والجن بنو الجان لم يخلف
بعضهم بعضا بل جاؤا جملة وذهبوا جملة • وقال السدي اراد به آدم
وحده وهو للخصوص ثم اختلفوا في تسميته خليفة قال ابن مسعود
رضي الله عنه خلافته الحكم بين الخلق وتبليغ الوحي وبيان الامر
والنهي • وذكر الوعد والوعيد • وقال بعضهم خلافته وخلافة اولاده
في انبات الاشجار واستخراج الثمار وشق الانهار • وقالوا ان الله تعالى
خلق العرش • والكرسي • واللوح • والقلم وسدرة المنتهى • وجنة
المأوى • ولم يخبر عن خلقها قبل لو لهما وخص بذلك آدم واولاده
لانه شرفهم • وكرمهم وفضلهم • وقدمهم وما فعل ذلك لكون
اصلهم ازين ولا يكون لعنصر احسن لكن من عطيتهم وفضلا وكرما
وطولا • وقد قال قايلهم وكم ابصرت من حسن ولكن عليك من
الورى وقع اختياري وقوله تعالى قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون قيل
هذه الف الاستفهام • وهو استفهام محض اي اتجعل فيها من يفسد
فيها ام من يصلح فيها • ومن يسفك الدماء جراءة ام من يسفح الدموع خشية
ويجوز حذف المشبه اذا دل المبقي على الملقى • كما في قوله تعالى ابل
ثنيكم للخير اي الخير • والبركة • وقيل هو سؤال الحكمة • اي اي حكمة
في خلق من يفسد ويسفك • وقيل هو الاثبات كما في قوله تعالى الست
يأتي اي قد اتى • قال الشاعر الستم خير من ركب المطايا واندى
العالمين بطون راح فان قالوا لم استخلف الله تعالى خليفة في الارض
لا في السما قلنا لانه علم انه يكون في الارض تباغي وتظالم فجعل فيهم من يمنعهم
عن ذلك ولم يكن في السما ذلك فلم يجعل فيهم خليفة فان قالوا اما استخلف من
غاب

اصلحهم

غاب او عجز والله تعالى منزه عن ذلك كله قلنا بلى لا يغيب عنه شيء
وهو لا يغيب عن شيء لكن الامر غيب وليس كل عبد يطلع على الغيب
فخص الانبيا بذلك • ونصب آدم خليفة ونبيا ليبلغهم ذلك ولا عجز
ايضا لكن العباد يعجزون عن الوقوف على حقوق الله تعالى فجا الخليفة ليبينها
لهم • فان قالوا كيف علم الملائكة ان من اولاد آدم من يكون كذلك
ولم تكلموا بهذا الكلام قيل لانهم رأوا الجن بني الجان قد افسدوا
فيها وسفكوا الدما ولهم شهوة ونهمة وبنو آدم يتناسلون والملائكة
لم يكن لهم ذلك فلم يكن منهم ذلك فتناسلوا آدم واولاده ولهم
تناسل وبنو آدم شهوات انهم يكونون كذلك • ولكن هذا اعتراض
لان سكنى ساكن في دار وافساده فيها لا يدل على انه اذا ذهب وجاء
غيره عمل عمله • ولهذا لم تنسب الملائكة الذين جاؤا بعدهم • والجواب الصحيح
ما قاله ابن عباس • وابن مسعود • والحسن • وابن جريج • ومحمد بن اسحاق •
ان الله تعالى اخبرهم بذلك واذن لهم في السؤال لجريج ومحمد بن اسحاق
بدليل • انهم قالوا بعد ذلك لا علم لنا الا ما علمتنا ثم هذا الكلام
منهم بعد العلم لم يكن طعنا فيهم ولا اعتراضا على الله بل له وجوه
صحيحة احدها انه للتعجب • كما في قوله تعالى اتدعون بعلا وهو من
وجهين احدهما • التعجب من استخلاف الله تعالى اياهم مع علمه بحالهم
والثاني التعجب من افسادهم • وسفكهم مع كثرة نعم الله عليهم والآخر انه
سؤال الحكمة لا الاعتراض على الحكم قال الله تعالى لا يسبقونه بالقول
وسؤال الحكمة جائز • قال الله تعالى خبرا عن ضعفا الصحابة رضي الله
عنهم انهم قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال • لولا اخرتنا الى اجل
قريب فلم ينكر عليهم لكن اجابهم فقال • قل متاع الدنيا قليل الخبر •
امركم بالقتال ليحصل لكم الثواب الكثير • وقال تعالى ايما تكونوا

لان العبد ان لم يسال من الله فمن يسال ؟

يذركم الموت اي ان قاتلتم أولم تقاتلوا او الموت في الشهادة حياة فاجعلوا
الحياة الفانية باقية والمتاع القليل كثيرا وقوله تعالى من يفسد من
هاهنا للجمع كما في قوله تعالى من يقول امنا بالله ويفسد من تفسيره
وقيل اراد هاهنا الكفر اي يكفرون بك ويشركون بما خلقت
ندكر واخيانتهم في حق الله تعالى بالكفر وخيانتهم على الخلق بالقتل
وهما اعظم ما يتصور من الخيانة في حق الحق وحق الخلق ويدل
عليه انهم ذكروا من انفسهم بمقابلتهما شيئين التسبيح بحمد الله والتقديس
له والتسبيح بحمده هو الايمان ووصفه بصفات الخلق والتقديس
له والتسبيح بحمده هو الايمان ووصفه بصفاته هو التطهير لانهم
وتطهير العالم عن كل فعل لا يرتضي وقيل المراد بهذا الفساد
العمل بكل المعاصي ثم عطف سفك الدما على الافساد مع ان كل
المعاصي دخلت في الافساد لعظم حاله وتكثير ما له كعطف قوله
ومنك ومن نوح على قوله واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم لعلو درجتهما
وعظيم مرتبتهما وقوله تعالى فيها اي في الارض وقوله ويسفك الدما
السفك الصب في الدم خاصة عند بعض اهل اللغة وفي حق الدمع
ايضا عند بعضهم والدم اصله الدمي بالياء وحذف تخفيفا لكثرة الاستعمال
ولهذا يعود في التصغير ويظهر في الفعل دمي يدمي كاذماه غيره ودماه
وجمعه الدما والمدمي الفرس الاشقر الشديد الحمرة يشبه لونه
لون الدم والشجة الدامية التي تدمي ولا تسيل ويسفك بفعل
واحد ومعناه للجمع كما في تسيلوا والالف واللام في الدما بدل الاضافة
اي دما الناس كما في قوله يستمعون القول اي قول الله تعالى والمراد
من سفك الدما هو سفكها بغير حق لان سفكها قصاصا وجرابا
للحاربين غير مذموم وهم ارادوا السفك المذموم فقد عطفوا على الافساد

وعد

تفسير المطلق به دلالة ثم هولا وصفوهم بالفساد وسفك الدما والله
تعالى وصفهم بالصلاح وسفح الدموع قال تعالى يرثها عبادي الصالحون
وقال تعالى ترى اعينهم تفيض من الدمع حتى الملائكه قالوا اسيدنا فقد
اخبروا بذلك والله تعالى يقول ومن اصدق من الله قيلا وكانه
يقول فيهم هذا وفيهم هذا لكن الفساد عارض وهو الغضب
والصلاح دايم وهو الايمان وقد قال تعالى خلق في المخلوق ثم
واذا الحبيب اتى بذنب واحد جات محاسنه بالف شفيع وقال اخر
فان يكن الفعل الذي ساء واحدا فافعاله اللاتي سررن الوف
وقال اخر ما حطك الواشون عن رتبة عندي ولا ضرك مغتاب
كانهم اثنوا ولم تعلموا اعليك عندي بالذي عابوا وقوله
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك التسبيح تنزيه الله تعالى من كل سوء
وسبحان من كذا اي ما ابعده وقال الشاعر اقول لما جاءني فخره
سبحان من علقمة الفاخر ويقال هو كلمة التعجب ومعنى هذا البيت
اي عجبا منه وقوله تعالى كان من المسبحين اي المصلين فسبحان
الله اي صلوا لله والسبحة النافلة واما التفسير فقد قال ابن عباس
وابن مسعود رضي الله عنهم معناه ونحن نصلي بامرك وقيل اي ننزهك
عن الصاحبة والاولاد والاضداد والانداد وعن الصفات
التي لا تليق بك وقوله بحمدك روينا عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله
عنهم ان معناه نبا بامرك وتحقيقه بحمدك اي بامرك المحمود مصدر
اريد به المفعول كقولهم هذا ضرب الامير اي مضروبه وقال
العلي قال بعضهم اي نصلي لك بفاتحة الكتاب فقوله بحمدك هذا
اسم هذه السورة واضيفت الى الله لانها وحيه وكلامه وقال
مجاهد اي نعظمك بالحمد لك على نعمك وتحقيق قولهم نسبح بحمدك اي نقول

سبحانك اللهم وبحمدك وهو تنزيهه عن الصفات المذمومة وحمده
على الصفات الحميدة وقال المفضل اي نرفع اصواتنا بذكرك قال
جرير قبح الاله وجوها تغلب كلما سبح الحجيج وكبروا اهلالا وقال
الثعلبي اي نسبحك ونقدس لك وذلك بحمدك اي لك الحمد على توفيقك فانه
لك لا بنا وهو تقرير مذهب السنة والجماعة وهو ان ذكر
الفعل من نفسه والعون من ربه وقوله ونقدس لك التقديس
التطهير والقدس الطهر والقدوس من اسماء الله تعالى وبيت
المقدس والارض المقدسة والقادسية ماخوذات من القدس
والقدس البركة ايضا وفي الخبر تقدس على القدس كذا اسم الانبيا
واما التفسير ها هنا فمعناه عند بعضهم نطهرك عما لا يليق بك
واللام صلة وقيل بل معناه نطهر قلوبنا من الشرك وانفسنا
من المعصية لك اي لاجلك وقيل اي نطهر اعمالنا لك من الخلل
والزلل والعيب والريا فان حمل على الاول اي التطهير
وقد ذكره واذلك في التسبيح فالتكرار للتاكيد كقوله عليما
خبيرا ولان التسبيح نفي ما لا يليق به وان حمل على الثاني فلا
تكرار لان الاول تنزيه الله تعالى والثاني تطهير انفسهم لله ثم
مجموع كلامهم ثلاثة اشيا احدها التوحيد وهو في قولهم
نسبح والثاني السنة وهو في قولهم بحمدك فانه الفعل من
انفسهم والفضل من ربهم والثالث الطاعة وهي في قولهم ونقدس
لك فانه تطهير الانفس من الذنوب والاعمال من العيوب وهو
اخلاص الطاعات لله وهو تنبيه لكل مسلم وتحريض له على اتمام
هذه الخلال ليبلغ محل الكمال وقد ذكر كثير من المجاذبين في هذا
الموضع اشيا لا يجوز اعتقادها قالوا انهم حسدوا بني ادم وعابوهم

ومدحوا

لب الحجيج وكبروا اهلالا

والتقديس اثبات ما يليق به

ركيك

ومدحوا انفسهم تعرضوا بالامر بالسجود لادم وبالعمل لاولاده في الدنيا
وخذ منهم في الحقيقي وهذه مقالات شنيعة وذم للمقربين الذين
مدحهم الله تعالى في ايات قال بل عباد مكرمون لا يعصون الله ما امرهم
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وغير ذلك وانما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما فليس
باستخبار وكراهة بل هو سؤال الحكمة ووصفهم انفسهم بالتسبيح والتقديس
وليس بنظر الى عبادتهم بل اعتراف بعبوديتهم وامرهم بالسجود لادم
تشريف لادم لا تحقير لهم وكذا امرهم بالعمل لبني ادم في كتبة الاعمال
ومراقبة الاحوال وايصال الارزاق وحفظهم في الافات انما هو لحكم
على عظائم الامور وامرهم بزيارتهم في الجنة اكرام للاضياف بنعيم
الاعزة عليهم في تلك المنازل والقصور وقوله قال اني اعلم ما لا تعلمون
ثم بين لهم في الحال وجه الحكمة ولا كشف لهم عن الحقيقة بل قال
اني اعلم وجه الحكمة في استخلافهم على ما يكون من اوصافهم فلا تعترضوا
على حكمي وتقديري ولا تستكشفوا غيب تدبيري فليس كل مخلوق يطلع
على غيب الخالق ولا كل واحد من الرعية يقف على سر الملك قال
ابن مسعود وابن عباس ومجاهد رضي الله عنهم معناه اي اعلم ما يضمر
ابليس من الاستكبار والمعصية فيما تؤمرون به من السجود لادم وكشفه
انكم قلتم في خلقهم انهم يفسدون والدما يسفكون وفيكم من هو
اصل الفساد ومادة العناد وساع في افساد العباد وقالوا انما
اخفى حال ابليس للحال لاختبار ذلك على الاشكال فلم يهتك ستره
حتى اظهر هو بالعمل سره وقال قتادة اي اعلم ان فيهم الانبيا
والاوليا الذين يصلحون ولا يفسدون وقيل معناه اني اعلم الطهر ثم
من انفسكم الطاعات في جميع الحالات لكن ذلك منكم طبع بغير تكلف

ومنها الطاعات في بعض الحالات لكن بالتكلف ولهم هوى النفوس ووسوسة
الشيطان وفتنة الدنيا وهم أولى وعلمهم أعلى • وقيل اي لهم العلم ولكم
العمل والعلم أفضل • ولهذا قال بعد ما علم ادم الاسما وسألهم
عنها فلم يعلموا • وانبأهم ادم فهموا ألم أقل لكم اني اعلم غيب السموات
والارض الابد • وقيل اي لكم الطاعة وبها منكم الافتخار ومنهم
المعصية • ومعها لهم الاعتذار • وقيل انتم تعلمون منهم العصيان • وانا اعلم
لهم مني الغفران • وقيل تسبيحكم • وتقديسكم من فعلكم • وفي ذكر هما
اظهار فضلكم • وفي العفو عن خطاياهم • وغفران سيئاتهم اظهار فضلي
ورحمتي • واتمام منتي ونعمتي • وقيل اذا افتخرتم فلكم المدح • واذا أساؤوا
وعفوت فلي المدح • وقيل اني اعلم ما لا تعلمون من صفا عقائد المسلمين
في محبتنا • وذكا سرايرهم في حفظ عهودنا • وان تدنست ظواهرهم
بعصياننا • وقيل اي اني اعلم ما لا تعلمون انهم يذنبون باجسامهم
ويكرهونه بقلوبهم • وانتم تطيعون باجسامكم وتعتمدون عليه
بقلوبكم • وقيل اي خطر لطاعاتكم مع عدلي واي بقاء لمعاصيهم
مع عفوي • وقيل انتم جعلتم انفسكم بالطاعة وانا جعلتهم بالمغفرة
وجعلهم لمغفرتي فوق جعلكم بطاعتكم • وقيل ان تزكيكم الذنوب
بعصمتنا • وطهرهم عن الذنوب برحمتنا • ثم ذكر تعليمه الاسما
وبين هذا وبين الاول اتمام خلقه ونفخه الروح فيه وقصته
ما قال وهب بن منبه لما اراد الله تعالى ان يخلق ادم اوحى الى
الارض اني اخلق منك خليفة • اني جاعل منك خليفة منهم من يطيعني
ومنهم من يعصيني • فمن اطاعني ادخلته الجنة • ومن عصاني ادخلته
النار • فقالت الارض مني تخلق خلقا يكون للنار • قال نعم فبكت الارض
فانفجرت منها العيون الى يوم القيامة • وبعث الله اليها جبريل صلوات
الله

الله عليه ليأتيه بقبضة من زواياها الاربع من اسودها واحمرها وطيبها
وخبيثها وسهلها وجبلها • فلما اتاها جبريل ليقبض منها قالت الارض اني
اعوذ بعزة الله الذي ارسلك الي ان تاخذ مني اليوم شيئا يكون منه نصيب
النار غدا • فرجع جبريل عليه السلام الى مكانه ولم ياخذ منها شيئا
فقال يا رب استعاذت بك الارض مني فكرهت ان اقدم عليها •
فقال الله عز وجل لميكائيل انطلق الى الارض فاتني بقبضة منها
من زواياها الاربع من اسودها واحمرها وسهلها وحزنها • وطيبها
وخبيثها • فلما اتاها ميكائيل ليقبض منها قالت الارض له كما قالت لجبريل
فرجع ميكائيل فقال كما قال جبريل فقال الله تعالى لإسرافيل
مثل ما قال لجبريل الى ان رجع وقال مثل ذلك فقال الله تعالى
لملك الموت انطلق الى الارض فاتني بقبضة من الارض الى اخر
ما ذكر • فلما اتاها ملك الموت • قالت الارض اعوذ بعزة الله الذي
ارسلك الي ان تقبض مني اليوم قبضة يكون للنار فيها نصيب غدا فقال
ملك الموت وانا اعوذ بعزته ان أعصي له امرا فقبض منها قبضة من
زواياها الاربع من اديمها • الاعلى فصعد بالقبضة الى السما • فامره
فجعلها طينا اربعين سنة حتى صار لازبا • ثم حمأ مسنونا اربعين سنة
ثم صار صلصالا اربعين سنة • فجعل جسدا موضوعا على طريق ملائكة
الملائكة • الذين يصعدون من الارض الى السماء اربعين سنة كلما مر
به ملأ منهم تعجبوا منه من حسن صورته ولم يكونوا راوا قبل ذلك
على صورة ادم شيئا يشبهه من الصور حتى مر به ابليس عليه اللعنة
فقال لشيء ما خلق الله تعالى هذا الجوف يأكل الطعام اني لأرى
صورة مخلوق سيكون له نبا • فقال لاصحابه ارايتم هذا الذي
لم تروا على صورته شيئا من الخلق ان فضل عليكم ما انتم صانعون قالوا

يطيع ربنا ولا نعصيه امرا فقال ابليس في نفسه ان فضل علي لاعصينه
وان فضلت عليه لاهلكنه • ولما اراد الله ان ينفخ فيه الروح امره ان يدخل
فيه • فقال الروح مدخل بعيد القعر مظلم المدخل فقال له ثانيا ادخل
فقال له كذلك • فقال له ثالثا فقال كذلك • فقال له رابعا ادخل
كرها واخرج كرها فلم يدخل الا كرها • ولا يخرج الا كرها فلما نفخ فيه
سار في راس ادم وجبينه واذنيه ولسانه • ثم سار في جسده كله حتى
حتى بلغ قدميه فلم يجد منفذا فرجع فخرج من منخريه فعطس فقال
له ربه قل الحمد لله رب العالمين فقالها ادم • فقال يرحمك الله ولذلك
خلقتك • فلما انتهى الى ركبتيه اراد الوثوب فلم يقدر فلما بلغت قدميه
وثب فقال الله تعالى وخلق الانسان عجولا • فصار بشرا لحما ودما
وعظاما وعروقا وعصبا واحشاء ثم كساه لباسا من ظفر يزداد
جدة في كل يوم وحسنا وتلونا في كل حين • وهو في ذلك متنطق
متوج • وجعل في جسده تسعة ابواب سبعة في راسه اذنين يسمع بهما
وعينين يبصر بهما • ومنخرين يجد بهما كل رائحة وفما فيه لسان يتكلم
به وحنك يجد به طعم كل شيء • وبابين في جسده • وهما قبله ودبره
تخرج منهما ثقل طعامه • وشرابه • وجعل عقله في دماغه • وشرهه
في كليتيه • وغضبه في كبده • وصرامته في قلبه • ورغبته في رئته وضحكه في
طحاله • وفرحه وحزنه في وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر
بشحم وينطق بلحم • ويعرف بدم • قوله تعالى وعلم ادم الاسما كلها
التعليم تلقين العلم • والتعلم تلقنه والتعليم الاعلام ايضا قال تعالى
قل اتعلمون الله بدينكم • والتعلم العلم ايضا يقال تعلم كذا اي اعلم
والتعليم تبيين المعلوم على ما هو به • والنعت منه العليم والعالم والمبالغة
منه العلام • والنفس فيه الاعلم والاعلام ايقاع العلم والاستعلام
سؤال

ای شجاعته

بلغ نفع [illegible]

سؤال الاعلام وانما تفسيره هٰهنا فقد قال ابن عباس لما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء اراد
الله تعالى ان يظهر فضله عليهم فعلمه واظهر فضله عليهم بعلمه ما لا يعلمون واختلف في وجه تعليمه
فقيل ارسل الله اليه ملكا من غير هؤلاء واوحى اليه بذكر اسماء المخلوقات فسمعها وحفظها وقيل
اسمعه ثم صب في قلبه فجرى لسانه بما في قلبه بتسمية الاشياء من عنده واختلف ايضا انه جرى لسانه
بتسميتها بلغة واحدة ام بالالسنة كلها فقيل بلسان واحد ثم كل قوم تواضعوا على غير ذلك من الالسنة وقيل بل
بالالسنة كلها التي يتكلم بها جميع الناس الى يوم القيمة وعلم هو ذلك كله اولاده فلما تفرقوا تكلم كل قوم بلسان
استسهلوه منها والفوه ثم نسوا غيره بعد تطاول الزمان وقيل اصبحوا وكل قوم منهم يتكلمون بلغة وقد نسوا
غيرها في ليلة واحدة واختلف ايضا في انه كان تعليم الاسما وحدها او تعليمها بمعانيها فقيل كان تعليم
الاسماء على التجريد وقيل بل كان تعليم الاسماء بمعانيها ان هذا اسمه كذا ويستعمل في كذا ونفعه كذا وضرره كذا
وقوله ادم قيل هو عبراني ولا اشتقاق له واكثر اسماء الانبياء كذلك وقالوا في القران من كل لسان
لانه خطاب للكل فجمع السنة الكل وقيل لا يجوز ان يكون في القران غير العربي لان الله قال قرانا عربيا وقيل كان
غير العرب يتكلمون بكلمات وتكلمت بها العرب ايضا فصارت عربية او نقلنا الى العربية فصارت منها قال
علي بن الحسين بن واقد ليس في القران نبطية ولا حبشية ولا يمانية لكنها عربية توافق نبطية وحبشية ويمانية
وقال ابو عبيد اصولها عجمية فوقعت الى العرب فعربتها بالسنتها مثال ذلك ان طورا بالسريانية هو الجبل وهو بالف
في اخره في الرفع والنصب والخفض جميعا بلا الف ولام في اوله فعربته العرب بالالف واللام وصرفته بالاعراب
وقيل ادم عربي الاصل فانه على صيغة كلام العرب وهو على وزن افعل ويصلح نعتا في العربية والقايلون بهذا اختلفوا
في معناه قال ابن عباس سمي به لانه خلق من اديم الارض وهو وجهها الظاهر وكذا ورد عن النبي عليه السلام
في سؤالات عبد الله بن سلام وقيل هو من الادمة وهي من الالوان وهو قول الضحاك والنضر بن شميل ثم اختلف
في تفسير الادمة فقال الضحاك هي السمرة وهي الاسمر وقال النضر هو البياض ويجوز ان يكون من الادمة [illegible]
والدال وهي باطن الجلد والبشرة ظاهرها وفلان مؤدم مبشر اي قد جمع لين الادمة وخشونة البشرة فكان اسما
واسمه ادم لجمعه الوصفين ويجوز ان يكون من قولهم ادم اي احب قال الشاعر نعم والبيض لا يؤدمن
الا مؤدما اي لا يحببن الا محببا وكان ادم احب الله بخصايصه ولا سيما بتوبته قال الله ان الله يحب

التوابين ويجوز ان يكون من قولهم جعلت فلانا ادمة اهلي اي اسوتهم ومعناه انه اسوة الاولياء وقدوة
الاصفياء فانه اول الانبياء فيل ادم الله بينهما اي دم وادم يؤدم ايضا اي الف وجمع ومعناه انه الف بينه
وبين حوا اوجمع بينه وبين كراماته والف بينه وبين عطياته وقال الفرا الادمة الوسيلة ومعنى الاسم
من هذا انه ظاهر الوسيلة كامل الفضيلة وقوله الاسماء كلها قال الربيع بن انس وابو العالية علمه الاسماء
الملائكة وقال عبد الرحمن بن زيد اي اسماء ذريته كلهم وقال ابن عباس في رواية ومجاهد وقتاده و
الضحاك علمه اسم كل شي حتى القصعة والقصيعة وقال ابن عباس في رواية علمه اسم كل شي عين وكل اهل
وقال مقاتل خلق الله كل شي من الحيوان والجماد وغير ذلك ثم علم ادم اسماها فقال له يا ادم هذا فرس
وهذا بغل وهذا حمار حتى اتى على اخرها وقال سعيد بن جبير علمه اسم كل جنس البعير والبقرة والشاة ونحوها
وقال ابو موسى صنعة كل شي وقال الضحاك عن ابن عباس علمه اسماء المدن والقرى والجبال واسماء الطير
والشجر وما يكون وكل نسمة يخلقها الى يوم القيمة وقيل علمه اسماء المخلوقات كلها في الارض والسماء من الحيوانات
والجمادات والمطعومات والمشروبات وكل نعيم في الجنة وقال حميد الشامي اسماء النجوم وقال الامام
القشيري عموم قوله الاسماء يقتضي الاستغراق واقتران قوله كلها يوجب الشمول فكما علمه اسماء المخلوقات
كلها على ما قال المفسرون علمه اسماء الحق تعالى لكن اظهر للملائكة محل اختصاصه في علم اسماء المخلوقات وبذلك القدار
بان رجحانه عليهم واما انفراده بمعرفة اسمائه تعالى فذلك سر لم يطلع عليه ملك ومن ليس له رتبة
مساواة ادم في معرفة اسماء المخلوقات فاني طمع له في مساواته في معرفة اسماء الحق واذا كان تخصيصه بمعرفة
اسماء المخلوقات يقتضي ان يصح سجود الملائكة له فما الظن بتخصيصه بمعرفة اسماء الحق ما الذي يوجب له
وقوله ثم عرضهم على الملائكة اي عرض اصحاب الاسماء وهم الناس والملائكة والجن والشياطين وغيرهم فاجتمع
في ذلك من يعقل ومن لا يعقل فلذلك جمع بالهاء والميم لان الاسم الشامل على جمع من يعقل ومن لا يعقل
يقع على ذلك وهو قراة العامة وفي قراة ابي بن كعب ثم عرضها فهو يرجع الى الاسماء وفي قراة ابن مسعود
ثم عرضهن ويرجع الى المسميات ومنهم من قال هذا يدل على ان الاسماء في هذه الاية اريد بها المسميات
ولذلك قال عرضهم والعرض يقع على الذوات دون التسميات والصحيح ان الاسماء هي التسميات في هذه الاية
فان التعليم يقع عليها الا على الذوات ويكون معنى قوله ثم عرضهم اي عرض اصحاب الاسماء على الاضمار وهو جائز

وقوله فقال انبؤني باسماء هؤلاء الانباء الاخبار وقد انباء ونباه اي اخبره والنباء الخبر وجمعه الانباء والنبا في قوله
قل هو نبا عظيم هو القران وقوله عم يتساءلون عن النبا العظيم هو القيمة وفي قوله واتل عليهم نبا ابني ادم هو
القصة وفي قوله وجئتك من سبا بنبا هو الخبر وفي قوله انبئهم باسمائهم هو التعليم وفي قوله
واوحينا اليه لتنبئنهم هو الجزا بفعلهم وفي قوله نبأني العليم الخبير هو الاظهار اي الاطلاع فقد
قال قبله او اظهره الله عليه اي اطلعه ومعنى قوله انبؤني اي اخبروني باسماء هؤلاء المسميات ودلت الاية
ان الاسم ههنا هو التسمية وهي غير المسمى فانه اضاف الاسماء الى هؤلاء والاضافة دليل المغايرة ثم في
الاية كنايتان احديهما بالهاء والالف وهي كلها والاخرى بالهاء والميم وهي عرضهم ولا يرجعان الى شي واحد
بل التانيث يرجع الى التسميات والجمع يرجع الى المسميات وهو كقوله من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم التي يرجع
الى القرية والجمع يرجع الى اهلها وتعلق القايلون بجواز تكليف ما لا يطيقه العبد بهذه الاية ان الله خاطبهم
بما لا يطيقونه قلنا هذا ليس بخطاب تكليف بل هو خطاب تعجيز كقوله فاتوا بسورة من مثله وقوله ابراهيم
لنمرود فات بها من المغرب ولانه تعلق بالشرط وهو قوله ان كنتم صادقين اي في قولكم نحن افضل منه
والفضل بالعلم فان كنتم اعلم منه فانبؤني بما علمتم والمعلق بالشرط لا يوجد قبل وجود الشرط ثم قوله انبؤني هو خطاب
بمجرد اخبار لا بالاعلام فانه يقع العلم وهو في حق من قدعلمه لا يتصور فاما الاخبار فهو تكلم بالمخبر ويصح ذلكم
لمن علم ولمن لا يعلم واما في قوله يا ادم انبئهم باسمائهم فهو اعلام للملائكة فانهم ما كانوا يعلمونه ودلت الاية
ان المدعي يطالب بالحجة فان الملائكة ادعوا الفضل فطولبوا بالبرهان وبحثوا عن الغيب فدعوا بالعيان
اي لا تعلمون اسماء ما تعاينون فكيف تتكلمون في فساد من لا تعاينون فيا ارباب الدعاوي اين المعاني
ويا ارباب المعرفة اين المحبة ويا ارباب المحبة اين الطاعة قال ابو بكر الواسطي من المحال ان يعرفه ثم لا
يحبه ومن المحال ان يحبه ثم لا يذكره ومن المحال ان تذكره ثم لا تجد حلاوة ذكره ثم تشتغل بغيره
ثم قوله ان كنتم صادقين من الكلام في الصدق وقال قتادة لما خلق الله ادم من تراب همست الملائكة فيما بينهم
وقالت لله تعالى ان يخلق من الخلق ما شاء ولكن لن يخلق خلقا افضل واعلم منا فاظهره الله عجزهم وعلم ادم الاسماء
وامر الملائكة فقال انبؤني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين انكم اعلم منه ولما عجزوا عن ذلك وانباهم
ادم بها ظهر علمه وفضله عليهم وقيل معناه انبؤني بصدق فان علمتم باسمائهم وكنتم صادقين

في الانباء عنها والا فلا تنبئوا وقيل اي ان كنتم عالمين كني عن العلم بالصدق لان الصدق لا يقام الا بالعلم وقيل
معناه اذ كنتم صادقين اي لما كنتم صادقين فاصدقوا وانبئوني ان علمتم والا فلا تكذبوا وهنا كقوله ان
كنتم مؤمنين اي اذ كنتم قال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل ان يكونوا نبهوا بهذا حتى لا يسبق اليهم عند اعلام
ادم انه ذلك من حيث يده دكونه لو تكلفوا او ارادوا ان يريهم اية عجيبة تدل على نبوته ذكرهم عجزهم عن ذلك
والزمهم الخضوع لادم في اقامه ذلك العلم فهذا كما قال وما تلك بيمينك يا موسى ذكره اولا حاله وحال العصا
ليعلم ما اراه ثم ما في يده من نبوته وقوله قالوا سبحانك كبدايتهم بالتسبيح قيل اخبارهم انه لا علم لهم وجوه احدها انه
كلمة تعجب قال الشاعر اقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر ومعناه عجب سؤالنا
عما لا علم لنا به والثاني انه تنزيه الله تعالى عن ان يخفى عليه ما خفي على الملائكة ونصبه على المصدر عند
الخليل بن احمد اي ننزهك تنزيها وقال النقاش هو على النداء اي يا سبحانك والثالث انهم بدؤا بالثناء
على الله تعالى قبل الجواب وكذا يجب على العبد في كل خطاب والرابع انهم ذكروه على وجه التوبة
عما قالوا فانها كلمة تقدم على التوبة قال الله تعالى خبرا عن موسى سبحانك تبت اليك اي يا طاهر طهرني
عن العيب الذي وقعت فيه والخامس انهم حققوا ما وعدوا من انفسهم ونحن نسبح بحمدك وقوله لا علم لنا
الا ما علمتنا قال ابن عباس وابن مسعود والحسن ومحمد بن اسحق معناه الحكم انك علمتنا انهم يفسدون
في الارض فقلنا اتجعل فيها من يفسد فيها وما علمتنا هذه الاسماء فلا نعلمها ولو اكتفوا بقولهم لا علم لنا
كان جوابا تاما لكن قالوا الا ما علمتنا ليكون زيادة عبودة فان قولهم لا علم لنا من باب العذر وقولهم الا
ما علمتنا من باب الشكر وهما جماع كل الخير وقولهم لا علم لنا وصف انفسهم وقولهم الا ما علمتنا وصف
ربهم اي منا النقص ومنك الكمال ومنا الطلب ومنك الافضال وافادة الاية ان العبد ما ينبغي
له ان يغفل عن نقصانه وعن فضل الله واحسانه ولا يأنف ان يقول لا اعلم فيما لا يعلم وسئل الشعبي عن
مسئلة فقال لا ادري فقالوا له الا تستحيي وانت امام العراقين قال ان الملائكة كانوا في الحضرة
وقالوا لا علم لنا فمن انا وقالوا لا ادري نصف العلم وسئل ابو يوسف القاضي رحمه الله عن مسئلة
فقال لا ادري فقيل له ترزق من بيت المال كل يوم كذا ثم تقول لا ادري قال انما ارزق بقدر علمي ولو
اعطيت بقدر جهلي لم يسعني مال كل الدنيا وسئل ابو بكر العياضي في رباط المربعة عن مسئلة فقال

لا ادري

لا ادري فقيل له ليس المنبر موضع الجهال فقال انما علوت بقدر علمي ولو علوت بجهلي لبلغت السماء وحكي
ان عالما سئل عن مسئلة فقال لا ادري فقال السائل ليس هنا مكان الجهال فقال العالم المكان لمن يعلم
شيئا ولا يعلم شيئا فاما الذي يعلم كل شيء فلا مكان له وقوله انك انت العليم الحكيم انت تاكيد خطاب
وانت مبالغة في التاكيد لا انه تكرير وفيه تاكيد وتقرير والعليم من تفسيره والحكيم المحكم الصنعة
والمصيب في القول والعمل وقال ابن عباس العليم الذي يبلغ في العلم غايته والحكيم الذي يبلغ في الحكمة
نهايته ومعنى قول الملائكة اي لا علم لنا الا ما علمتنا فعلمنا ناقص وانت العالم بالكمال والمصيب في الافعال
علمت ما لم نعلم ولك الحكمة البالغة في تفضيل ادم وصفة الملائكة الله بالعلم والحكمة قالوا بذلك المحجة ونفي
ابليس الحكمة في امره بالسجود فاستحق الطرد واللعنة وقيل في الحكيم هو الذي سوى وقدر ولا ينقض حكمه البشر
وقيل هو العالم بعواقب الامور والمطلع على المكشوف والمستور وقوله قال يا ادم انبئهم باسمائهم وروي انه رفع
على منبر وامر ان ينبئ الملائكة باسماء الاشياء فانبأهم بها وهم جلوس بين يديه وقيل قيام حواليه وقال وهب سماها
لهم وهو في الارض كل شيء من الطير والبهائم والبقاع والنبات وما في البر وما في البحر ثم فتحت له السموات فسمى اهل
كل سماء باسمائهم وقوله فلما انبأهم باسمائهم اي اخبرهم بها وعلموا فضله وعرفوا عجزهم فقوله قال الم اقل لكم اني اعلم هاهنا
استفهام ومعناه التقرير اي قد قلت لكم وهو كقوله الم تعلم ان الله على كل شيء قدير وكذا كل استفهام دخل على جحد الى
كقوله الم يا ابكم اليس الله باحكم الحاكمين وقوله غيب السموات والارض اي ما غاب عن اهل السموات وغاب عن اهل
الارض وقيل اي اعلم سر اهل السموات في السموات وسر اهل الارض وقيل اي اعلم سر اهل السموات في السموات وسر
اهل الارض في الارض وقيل غيب السموات هو اكل ادم وحوا من الشجرة التي نهيا عنه وهو اول عصيان كان في السماء
وغيب الارض قتل قابيل اخاه هابيل وهو اول عصيان كان في الارض وقيل غيب السموات ما قضا فيها من امور
خلقه وغيب الارض ما فعلوه فيها بقضائه السابق به وقال امام القشيري رحمه الله اعلم ما تقاصر عنه علوم الخلق
من اهل السماء والارض وقوله واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون اي ما تبدون من الطاعات وتكتمون من السيئات
وقيل ما تبدون من فضل ادم الان وما كنتم تكتمون من رؤيتكم فضل انفسكم عليه فيما كان وقيل ما تبدون هو قولهم
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وما كنتم تكتمون من رؤيتكم فضلكم عليه وقال الحسن البصري وقتادة
ما تكتمون هو ما اضمروه في انفسهم لن يخلق الله خلقا الا ونحن اكرم عليه وقال ابن عباس رضي الله وابن مسعود

وسعيد ابن جبير هو ما استره ابليس من الكبر والعصيان فعلى الاول الخطاب بالجمع لكل الملائكة في الابداء والكتمان جميعا
وعلى هذا الاخير خطاب الكتمان لابليس اي ما كتم يا ابليس وهو وعيد له والاولى خطاب للملائكة وهو وعد لهم
وخطاب الواحد بصيغة الجمع مستفيض كما في قوله رب ارجعون او هو خطاب كل الملائكة بكتمان الواحد منهم ذلك في نفسه
وقوله ما يجوز ان يكون اسما للمفعول الذي يقع عليه الابداء والكتمان ويجوز ان يكون مع الفعل مصدرا اي نعلم ابداءكم
وكتمانكم وقوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم نظمها بما قبلها من ثلثة اوجه احدها انه لما اظهر فضله عليهم
بالعلم امرهم بتعظيمه بسجود التحية والثاني انه كشف باول هذه الاية ما اجمل في ختم تلك الاية واعلم ما كنتم تكتمون
وهو قصد ابليس والثالث انه عطف على كل ما من علينا بقوله الذي جعل لكم الارض فراشا الى ان قال خلق لكم وخلق
اباءكم وفضله وعلمه وامر الملائكة بسجدته وقوله للملائكة اختلف فيهم قيل هم ملائكة الارض الذين كانوا مع ابليس
طهر الله بهم الارض ممن افسد فيها من بني الجان وقيل هم ملائكة السموات السبع وقيل كل الملائكة فقد اكده بقوله
اجمعون وقوله اسجدوا فالسجود التطامن والانقياد قال سلامة بن جندل هل رابنا معشر من يحاردهم
الا اقروا لنا بالفضل او سجدوا وقال ابو عمرو يقال اسجد اذا طاطا راسه وانحنى قال الشاعر
فضول ازمتها اسجدت سجود النصارى لاربابها واسجد البعير طاطا راسه وقال الشاعر
فقلن اسجد لليلى فاسجدا وسجدت النخلة اذا تدلت اغصانها ومالت الى الارض واختلف في هذا السجود
الذي امروا به قيل هو الايماء دون السجود المستوفى المشروع في الصلوة كالذي يفعله الناس في تعظيمهم
من الخضوع والتواضع لهم تشريفا وتعظيما وقيل وهو قول الجمهور كان بوضع الوجه على الارض كما هو في الصلوة
ودليله قوله في اية اخرى فقعوا له ساجدين ثم اختلفوا انه كان لآدم او لله تعالى قيل كانت عبادة لله تعالى ومعنى
قوله لآدم اي الى آدم فكان هو قبلة امروا بالتوجه اليها والسجود كان عبادة لله تعالى وقيل وهو الصحيح بل كان
لآدم ولو كان لله ما امتنع ابليس عن العبادة لله تعالى ولا فرق بين كون آدم قبلة وبين غيره ثم اختلفوا انه كان لله تعالى
على الخصوص او كيف كان قال قتادة كان خدمة لله تعالى حرمة لآدم كصلوة الجنازة عبادة لله تعالى دعاء
للميت والصحيح انه كان تحية لآدم على الخصوص ولذلك امتنع ابليس عنه فلم ير آدم مستحقا للتعظيم فابى واستكبر ولم
يكن عبادة لآدم لان العبادة لا تجوز الا لله تعالى وكان سجود التحية جائزا فيما مضى ثم نسخ قال الله تعالى في قصة يوسف
وخروا له سجدا ولما اراد سلمان ان يسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم منعه وقال لا ينبغي لمخلوق ان يسجد لاحد الا

لله تعالى ولو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها وقال الامام ابو منصور رحمه الله فيه دليل
ان الكتاب ينسخ بالسنة فان جواز السجود لغير الله ثبت بقصة آدم وبقصة يوسف ثم نسخ ذلك بالخبر وتكلموا في الحكمة
في الامر بالسجود له قيل هو بيان فضل العلم واستحقاق العالم خدمة غيره له وقال الامام ابو منصور رحمه الله
امتحنهم بوجه يظهر قدر الطاعة لان الخضوع لمن يعلوا امره ويجل قدره امر سهل عليه طبع الخلق فاذا كان في نفس المامور به
الخضوع لمن دونه في الرتبة او شكله فيها اشتدت المحنة في مثله بالطاعة له والخضوع فامتحنهم الله به ليظهر
الخاضع لله والمستحقه والمتكبر في نفسه وهو ابليس وعلى ذلك كان امتناع المتكبرين الماضين عن اتباع المرسلين
وقيل هو بيان استغنائه عن عبادتهم اياه وانكار عليهم قولهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال لهم لا حاجة لي الى
عبادتكم وخدمتكم فاخدموا عبدا من عبادي ليخدمني كثير خدمة وقالوا قالت الملائكة لنا فضل الطاعة
والخدمة وقال ابليس في فضل الاصل والنسبة وقال آدم لي الحياء والخطا والزلة فقال الله للملائكة ان كان
لكم الطاعة والخدمة فلي الملك والغنية وقال لابليس ان كان لكم الاصل والنسبة فبكرك واباءك عليك
اللعن والسخطة وقال لآدم ان كان منك الخطاء والزلة وبسبب ذلك لك الحياء والهيبة فلك المغفرة والرحمة
وقال الامام القشيري بين جل جلاله انه قدسه بجلاله لا بافعالهم وان التجمل بالتسبيح والتقديس عائد اليهم
فو الذي يصل من اجله بجلاله وتعزز من اعز باعزازه جل عن اجلال الخلق قدره وعز عن اعزاز الخلق ذكره وعن وهب
قال اول من سجد جبرئيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة وقيل اول من سجد جبرئيل فاكرم بانزال
الوحي على النبيين وخصوصا على سيد المرسلين وقيل اول من سجد لآدم اسرافيل فرفع راسه وقد ظهر كل القران
مكتوبا على جبهته كرامة له على سبقه الى الايتمار وقيل كان هذا في الارض وقيل بل كان في السماء
وقيل كان نفخ فيه الروح من غير تاخير لقوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين والفاء للتعقيب
بلا تراخ وقيل بل كان بعد تعليم الاسماء وانباء الملائكة باسماء الاشياء ودل عليه نظم ايات هذه السورة
وذكر ابو بكر النقاش في تفسيره الملقب بشفاء الصدور عن بعضهم ان سجودهم كان مرتين مرة عند
نفخ الروح فيه لتلك الاية ومرة بعد انبائهم بالاسماء لنظم هذه السورة قال وهذا قول من هنا القائل لم يوافقه
عليه احد والاظهر انه كان بعد انبائهم بالاسماء فاما الفاء في تلك الاية فقد تكون للتعقيب مع التراخي كما في قوله
فازلهما الشيطان عنها وقوله فتلقى آدم من ربه كلمات وكان هذا التلقي بعد مائتي سنة او اكثر ومن لطف الله

عز وجل بنا ان امر الملائكة بالسجود لابينا ونهانا عن السجود لغيره فقال لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا
لله الاية نقل الملائكة المكرمين الى ادم وسجدة ونقلنا الى سجدة وخدمته **وقوله** الا ابليس الا كلمة استثناء
واختلف ان ابليس هل كان من الملائكة ام لا **قال** علي وابن عباس وابن مسعود وسعيد بن المسيب وابن
جريج كان من الملائكة وكان اسمه عزازيل وكان من اشراف الملائكة ثم ابليس **وقال** الحسن البصري وقتادة
ومقاتل وشهر بن حوشب بن زيد كان من الجن لا من الملائكة خلق من نار السموم وله نسل وذرية وهو ابو الشياطين
واحتجوا بقوله الا ابليس كان من الجن وانما دخل في الامر بالسجود مع الملائكة لا لانه منهم ولكن لانه كان فيهم
وكلمة الا استثناء منقطع وهو من خلاف الجنس وذا شائع في اللغة قال الشاعر
ليس علينا عطش ولا جوع الا الرقاد والرقاد ممنوع وفي القران لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما انني بريء
مما تعبدون الا الذي فطرني وقالوا ايضا انه قال خلقتني من نار كما قال في الجان والجان خلقناه من قبل من
نار السموم ولانه ابى واستكبر وعصى وكفر والله تعالى يقول في صفة الملائكة لا يعصون الله
ما امرهم وقال لا يستكبرون عن عبادته قالوا ولانه قال افتتخذونه وذريته اولياء الاية ولا نسل للملائكة
ودليل الاولين قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا وكان الامر بالسجود مقتصرا على الملائكة ثم استثني
منهم ابليس والمستثنى من جنس المستثنى منه في الاصل ولا يصرف عنه الا بدليل ودليل دخوله في هذا الامر
قوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك فاما قوله كان من الجن **فقيل** اي صار من الجن كما قال وكان من الكافرين
اي صار **قال** ابن عباس الجن قوم من الملائكة اشد الملائكة اجتهادا **وقال** ابن اسحاق والجن اسم للملائكة ايضا
لاجتنانهم عن اعين الناس وقال الله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا واراد به الملائكة وقال الاعشى بني ثعلبة
في سليمان صلوات الله عليه وسخر من جن الملائكة تسعة قياما لديه يعملون بلا اجر **وقيل** الجن صنف من
الملائكة لا يراهم الملائكة كالجن لا تراهم عامة الملائكة **وقال** ابن مسعود كان من الجن اي خازن الجنة **وقولهم**
انه خلق من النار قلنا المارج من النار اللهب وهو النور والملائكة خلقوا من نور والنار اسم للنور ايضا
قال تعالى اني آنست نارا اي نورا **وقولهم** له نسل وذرية قلنا صار له ذلك بعد ما مسخ ثم الممسوخ
وان كان لا يكون له نسل لكن لما سال النظرة وانظر صار له نسل كما ان سائر الممسوخات لا تبقى بعد ثلاثة
ايام وبقي هو لانظاره الى قيام الساعة فكذا في النسل فاما وصف الملائكة بانهم لا يعصون ولا يستكبرون

فالدليل

فذلك دليل تصور العصيان منهم ولولا التصور لما مدحوا به لكن طاعتهم طبع وعصيانهم تكلف وطاعة البشر
تكلف ومتابعة الهوى منهم طبع ولا تستنكر من الملائكة تصور العصيان فقد ذكر من هاروت وماروت ما ذكر
وقوله ابليس قيل هو اسم اعجمي ولا اشتقاق له وجاز كون غير العربي في القران قد مر القول فيه ذكر ادم **وقيل**
هو مشتق من ابلس اي يئس قال الله تعالى فاذا هم مبلسون وابلس ايضا بمعنى سكت قال الشاعر
يا صاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم اعرفه وابلسا وابلست الناقة اي لم ترغ من شدة شهوة الفحل وهي ناقة
مبلاس فابليس يئس بكفره واصراره من رحمة الله وامتنع عن السجود لادم كما يمتنع الساكت عن الكلام ولم يقبل عن الحق
كما لا تقبل تلك الناقة على الرغي ونصب ابليس على الاستثناء في الاثبات وترك تنوينه لانه غير منصرف ومنع
صرفه العجمة والتعريف **وقوله** ابى واستكبر الاباء بكسر الهمزة الامتناع والاباء بفتحها بعضها من الادواء يقال
اصابه اباء اذا كان يأبى الطعام وتفسير ابى عتا **وقيل** امتنع **وقيل** كره **وقيل** رد والاستكبار الاستعظام
والاكبار الاعظام والتكبر التعظم والتكبير التعظيم والكبرياء العظمة والكبير العظيم والكبار
بضم الكاف وتشديد الباء وتخفيفها العظيم **وقوله** واستكبر اي واستعظم نفسه **وقيل** استعظم امر الله بذلك
اياه وهو كالاستنكار **وقيل** في مجموع الكلمتين ابى اي كره السجود في حقه واستعظم في حق ادم **وقيل**
ابى امتنع عن الفعل وعظم نفسه عن الالتزام **وقيل** في استكبر اي عد نفسه اكبر من ان يخدم غيره **وقيل** اي عد نفسه
اكبر من ان يؤمر بهذا ولهذا قال لم اكن لاسجد وقال انا خير منه **وقالوا** لما امروا بالسجود سجد الملائكة وامتنع ابليس
ولم يتوجه الى ادم بل ولاه ظهره وانتصب هكذا الى ان سجدوا وبقوا في سجودهم مائة سنة **وقيل** خمسمائة
سنة ورفعوا رؤوسهم وهو قائم معرض لم يندم من الامتناع ولم يعزم على الاتباع فلما راوه خذله ولم يسجد وهم وفقوا
للسجود فسجدوا وسجدوا لله فصار لهم سجدتان سجدة لادم وسجدة لله تعالى وابليس يرى ما فعلوه وهو لا يفعل
وهنا اباؤه فغير الله تعالى صفته وحالته وصورته وهيئته ونغمته وصوته فصار اقبح من كل قبيح قال الله تعالى
ان الله لا يغير ما بقوم الاية **وقوله** وكان من الكافرين قد مر القول في كان واقسامه ومعناه ههنا وصار من
الكافرين باباءه واستكباره وكفره رد الامر لا ترك العمل بالامر **وقيل** اي وكان من الكافرين في علم الله انه يكفر بعد
ايمانه لا ان يكون علم الله كونه كافرا ابدا وههنا مسائل اصولية احديهما ان ترك السجود لم يكن كفرا عند اهل السنة
والجماعة وكذا كل كبيرة وقالت الخوارج من ارتكب كبيرة كفر واستحق التخليد في النار وقالت المعتزلة من ارتكب

كبيرة تخرج من الايمان ولا يدخل في الكفر لكن يستحق التخليد في النار وقلنا لا يصير العبد بصغيرة ولا كبيرة كافرا
ولا يخرج به عن الايمان اذا لم يستحله ولم يرد الامر فان الله تعالى سمى المذنبين مومنين فقال يا ايها الذين امنوا كتب
عليكم القصاص يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا وقال وان طائفتان من المومنين اقتتلوا وقال
يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وقال وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون والحاصل ان قبول الامر
ايمان والعمل به طاعة وتركه معصية ورده كفر ومنها ان الجبرية يقولون لا ينفع ايمان ولا طاعة ولا يضر كفر ولا
معصية فان الله تعالى لعن ابليس مع كثرة الطاعات واكرم سحرة فرعون مع كثرة الجفوات انما العبرة لسابق
العناية وقلنا هذا باطل لان الله تعالى انما لعن ابليس بكفره برد امره واكرم سحرة فرعون بالايمان به وبذكره
ومنها ان ابليس صار كافرا بعد ان كان مومنا عندنا وقالت الاشعرية كان كافرا ابدا وهي مسئلة السعادة والشقاوة
انهما تتبدلان وتتغيران عندنا لانهما صفتا المخلوق والاسعاد والاشقا لا يتبدلان لانهما من صفات الخالق ولا تغير
عن ذاته ولا على صفاته وقالت الاشعرية لا يصير السعيد شقيا ولا الشقي سعيدا وهي مسئلة الموافاة وعلى هذا
الاصل مسئلة احباط العمل بالردة ومسئلة الاستثناء في الايمان ودليل اهل الحق قوله تعالى اكفرتم بعد ايمانكم وقال
وكفروا بعد ايمانهم وقال ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا اثبت الصفتين على التعاقب فلم يجب
نفي الاول حال وجوده بوجود الثاني في وقته وعندهم من ختم له بايمان او كفر وصف بما ختم له به ولا يسمى بما كان
قبله ولا تحقق له وهذا انكار العيان وابطال الحقايق واما قوله وكان من الكافرين فمعناه وصار كما في قوله
وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ثم انما قال وكان من الكافرين ولم يكن حينئذ كافرا اخبر لانه كان في علم
الله انه يكون بعده كافرون فذكر انه صار من الكافرين اي من الذين يكفرون بعده وهذا كما في قوله فتكونا من الظالمين
وقوله خبرا عن ابرهيم قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين وقال
الامام ابو الحسين محمد بن يحيى البشاغري كان في علم الله الازلي انه يكون عصيان ادم ورد الامر فيصير كافرا عند الله
من وقت الاضمار ويصير كافرا عند الله من وقت الاضمار ويصير كافرا عند ادم وعند الملائكة وقت الاباء والاستكبار
وقوله وقلنا هو عطف على قوله واذ قلنا وفيه اضمار اي خلقنا له زوجه وقلنا لهما ذلك وقوله يا ادم اسكن
انت وزوجك الجنة اسكن امر من سكن الدار يسكنها سكنا اذا قام فيها ويقال سكن المتحرك سكونا وسكن
القلب المضطرب سكينة والسكن بفتح الكاف ما يسكن اليه القلب والمراة للرجل سكنه والسكين سكن

حركة المذبوح وسكان السفينة من يسكنها والمسكين الفقير الساكن عن التقلب وتفسيره يا ادم اسقر وقيل اي اقم
وقيل اي انزل وقوله انت وزوجك انت ضمير المخاطب بقوله اسكن وانما اظهره ليصح عطف اسم اخر عليه وهو
قوله وزوجك لان المعطوف لا بد له من معطوف عليه وقوله وزوجك اي زوجتك وهي حوا وقال كعب ووهب
وجماعة خلقها الله تعالى خارج الجنة ثم عند بعضهم كان خلقها في الارض وادم بين مكة والطايف ثم حملا على
سرير مرصع الى السماء وقيل بل حمل ادم وحده الى السما فلما وصل الى باب الجنة وضع السرير والقي عليه النعاس
وخلقت حوا من ضلعه اليسرى ثم امر بدخول الجنة وقال ابن عباس وابن مسعود وجماعة خلقها الله في الجنة
بعد دخول ادم فيها خلقها الله من ضلع ادم اليسرى القصرى وكان بين النائم واليقظان ولو كان في النوم لم يعلم
انها منه فلم يعطف عليها ولو كان يقظان يألم بذلك فلم يعطف عليها ايضا ولما هب من نومه قال لها من انت
قالت انا زوجتك خلقني الله تعالى لك لتسكن الي واسكن اليك فقالت الملائكة عند ذلك يا ادم ما هذه
قال امرأة قالوا لم قال لانها خلقت من المرء قالوا وما اسمها قال حوا قالوا لم سميت حوا قال لانها خلقت من حي
قالوا اتحبها قال نعم قالوا لحوا اتحبينه قالت لا وفي قلبها اضعاف ما في قلبه قالوا فلو صدقت امرأة في حبها زوجها
لصدقت حوا ولنا استحيت من اظهاره بقي ذلك ميراثا بين بناتها ومن الناس من قال لا يجوز ان يقال خلقت
حوا من ضلع ادم لانه يكون نقصانا منه ولا يجوز القول بنقص الانبيا قلنا هذا نقص منه صورة وتكميل له
معنى لانه جعلها سكنه وازال بها وحشته وحزنه وقال ابن عباس ان الله لم يخرج ادم من الجنة حين ادخله لان
الامر كان بالسكنى والسكنى عارية والعارية مستردة ثم هذه الجنة كانت جنة الخلد التي وعدها الله تعالى للمومنين
وهي مخلوقة اليوم عندنا وقالت المعتزلة هي غير مخلوقة والنصوص تبطل مقالتهم وقالوا هذه الجنة
كانت بستانا بين فارس وكرمان من ارض فلسطين وقالوا لا يجوز ان يكون هذا جنة الخلد لان الله
تعالى امرهما ونهاهما فيها وجنة الخلد لا يكون فيها امر ولا نهي ولانهما اخرجا منها وداخل جنة الخلد لا يخرج منها ولا
انهما زلا فيها وجنة الخلد لا يقع الزلل فيها ولان الشيطان وسوس اليهما ولا وسوسة في جنة الخلد وقلنا قد قال
الله تعالى لادم ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى وذلك صفة جنة الخلد وقال اهبطوا
منها والهبوط يكون من علو الى سفل ولا يستقيم ذلك في بستان مخلوق على الارض فاما الامر والنهي فذلك تكليف
وهو لا يزول عن اهل الجنة فانهم يكلفون المعرفة والتوحيد واما الاخراج فان الادخال كان للابتلاء لا للجزاء

وقد دخلها النبي عليه السلام ليلة المعراج ثم خرج منها واما الثاني فلهذا المعنى انه كان للابتلاء لا للجزاء واما وسوسة
الشيطان فلم تكن منه وهو فيها على ما نبين وقوله وكلا منها هنا امر لادم وحوا وقوله منها اي من الجنة وهي كناية راجعة
الى الطعام وصح لان الماكول ثمارها وهي من اشجارها وهي من الجنة وقيل اي من الثمار وهي كناية راجعة
الى المعنى دون المذكور وقوله رغدا يقال رغد عيشهم رغدا فهو رغيد ورغد ورغد اي طيب واسع وارغد القوم
اي اخصبوا وارغد الرجل ماشيته اي سومها والرغيد الزبد واما تفسيره فقد قال ابن عباس وابن مسعود
اي هنيا وقال ابو عبيدة والضحاك واسعا وقال مجاهد اي حلالا لا حساب فيه وقيل اي كثيرا
وقال الزجاج الرغد الكثير الذي لا يعنيك طلبه وهو نعت مصدر محذوف ولذلك نصبا اي كلا رغدا
وقوله حيث شئتما اي في اي بقعة شئتما من الجنة وقيل يعني من اي ثمارها شئتما وحيث اسم المكان او صله
حوث ولذلك ضمت ثمارها الواو كانت قبلها فيجوز ان يكون اراد المكان الذي هما فيه للاكل ويجوز ان يكون
اراد عين الثمر فانه مكان الاكل ومحله وكان تعميم المشيته في ذلك والاية رد على المتقشفة الذين يحرمون تناول
الاطعمة الشهية ولبس الثياب السنية والله تعالى يقول قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق
ثم معنى الامر ههنا والشغل فيه مع انه اختصه واصطفاه والخلافة ابداه انه مخلوق والذي يليق بالمخلوق
هو السكون بالخلق والقيام بانجلاب الحظ وقوله ولا تقربا هذه الشجرة القربان بكسر القاف اتيان الشيء
والقرب منه الدنو منه يقال من الاول قربته اقربه قربانا من حد علم وهو متعدي بغير صلة ويقال قرب منه اقرب
منه قربا من حد شرف وهو لازم ويعدى بمن وتفسيره لا تاكلا من هذه الشجرة فالنهي كان عن الاكل دون
الدنو من الشجرة وانما اضاف النهي الى القربان لانه سبب الاكل ويسمى الشيء باسم سببه مجازا ودليل ان النهي كان
عنه ان زلتهما كانت به قال تعالى فاكلا منها وقال فلما ذاقا الشجرة والشجرة واحد الاشجار والشجر يكون جمعا
وواحدا والارض الشجراء الكثيرة الشجر وكذلك المشجر بكسر الجيم ووادي شجير كثير الشجر واصل الكلمة من
التداخل يقال شجر ما بين القوم اذا اختلف الامر بينهم واشتجروا تنازعوا وتشاجروا بالرماح اي تطاعنوا
والشجر مفرج الفم وهو مدخل الطعام والشراب وغيرهما والشجار خشب الهودج المدخل فيه والشجير الغريب
الداخل بين قوم فكذلك الشجرة تتداخل اغصانها واختلف في ماهية تلك الشجرة قال ابن عباس ومحمد بن
كعب القرظي والحسن البصري وعطية وقتادة ومحارب بن دثار ومقاتل هي شجرة البر وفي بعض الالفاظ

هي السنبلة التي جعلها الله رزق اولاد آدم في الدنيا وقال السدي وابن مسعود وسعيد بن جبير وجعدة بن هبيرة
هي الكرمة لافتتان اولاده بها وقال ابن جريج وحكاه عن بعض الصحابة انها التين وقال علي رضي الله عنه هي شجرة
الكافور وقال الكلبي والدينوري هي شجرة العلم وهو علم الخير والشر من اكلها علم اشيا كان لا يعلمها وقيل علما
بالاكل منها ظهور عوراتهما قال تعالى فبدت لهما سوآتهما وما كانا يعلمان بذلك قبل ذلك وقال محمد بن اسحق هي شجرة
الحنظل وقال ابو مالك هي شجرة النخلة وقال بن خدعان هي الشجرة الخلد التي تتناول منها الملائكة وقال ابن عباس
في رواية هي شجرة الفردوس وكانت في وسط الجنة وفيها من الثمار كلها وكانت ارفع الاشجار وازينها واجملها
وكانت ثمرتها احلى الثمار واطيبها وقال الربيع بن انس كانت شجرة من اكلها احدث والجنة لم تكن موضع الحدث
وقال محمد بن علي الترمذي كان اصلها السنبلة وعليها من كل لون وثمرها احلى من العسل والين من الزبد واشد
بياضا من الثلج كل حبة منها كالكلية البقر وقال الامام ابو منصور رحمه الله ليس في بيان ماهيتها نص
قاطع ولا نعرف حقيقة ذلك الا بالوحي ولا حاجة بنا الى معرفة ماهيتها على التعيين وحاجتنا الى معرفة
انهما نهيا عن الاكل من الشجرة وقوله فتكونا يجوز ان يكون جزما لعطفه على النهي الاول وتقدير الاول
ان تقربا كنتما من الظالمين وتقدير الثاني لا تقربا ولا تكونا من الظالمين والنون تسقط في تثنية
الفعل وجمعه في النصب والجزم وعلى الوجه الاول قوله فتكونا اي فتصيرا وعلى الوجه الثاني على حقيقته
ولا تكونا وقوله من الظالمين الظلم وضع الشيء في غير موضعه والظلم الجور والظلم النقص والظلم الضرر
بالنفس والارض المظلومة التي لا تمكن من حفر الابنية فكان الحفر وضع في غير موضعه وقال الشاعر
والنؤي كالحوض المظلومة بالجلد والمظلومة الجارية المفترعة قبل الاوان واما التفسير فقد قيل اي من
الضارين لانفسكما كما ذكر في قوله وما ظلمونا ولكن ظلموا انفسهم وقيل اي من الناقصين حظوظكما
كما في قوله تعالى ولم تظلم منه شيئا وقال ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقيل اي من الواضعين انفسكما في غير
موضعهما وقوله فازلهما الشيطان عنها زل عن المكان زللا وزليلا اي زلق وازله غيره اي ازلقه والزلزلة
التحريك من ذلك وازلى الى فلان صنيعة اي اسداها اليه والزلال الماء العذب الذي يسهل جريانه الى الحلق
والزلة الخطاء وهي الزوال عن الصواب من غير قصد وتفسيره ههنا حملهما على الزلة اي بطريق التسبب
وهو بالوسوسة وبالغرور وبالدعا قال الله تعالى خبرا عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان

دعوتكم فاستجبتم لي وقرأ حمزة فازالهما الشيطان من الزوال اي سبب خروجهما عنها وقيل اي دعاهما
الى الزلل والى اتيان ما اوجب خروجهما عنها وقوله عنها قيل عن الجنة وقيل عن الشجرة وقيل اي عن الطاعة وذلك
كله على قراءة حمزة ظاهر فاما قراءة العامة فالازلال عن الجنة والشجرة يكون بتنحيته عنهما بالتسبب الذي قلنا وعن
الطاعة يكون بالزلة وهي التنحي عن الطاعة من غير قصد ومعناه انهما وقعا في زلة بدعوته وهي الاكل من الشجرة
وقصته ما ذكره الكلبي في تفسيره قال لما نظر ابليس الى ذلك حسدهما وكان اهبط الى الارض فاحتال ان
يفتنهما فعرض نفسه على كل دابة ان تدخله في صورتها فابت عليه حتى اتى الحية وكانت احسن دابة في الجنة خلقا
وكانت كهيئة البعير تمشي على اربعة قوايم ليس في الجنة دابة احسن منها فيها من كل لون فلم يزل يستدرجها
حتى اطاعته فدخل بين لحييها وقام في راسها ثم اتى باب الجنة فقام عندها فنادى يا ادم وحوا فاجابته
حوا وادم فقال ماذا امركما ربكما وماذا نهاكما ربكما عنه في الجنة قالا امرنا ان ناكل من شجر الفردوس
كلها غير هذه الشجرة الواحدة فقال ما نهيكما ربكما عنها الا ان تكونا ملكين تعلمان الخير والشر او تكونا من
الخالدين لا تموتان واني اقسم لكما اني لكما لمن الناصحين من اكل منها لم تمت واينكما اكل قبل صاحبه كان
هو المسلط على صاحبه وكذب عدو الله في ذلك وسبقت حوا الى الشجرة فقالت يا ادم خذ فقال ويحك
اما تعلمين ان الله قد نهانا عنه واوعد العقوبة عليها فقالت يا ادم اما تعلم سعة رحمة الله فاكلت منها
واطعمت ادم فلما وصل الى بطونهما تهافت عنهما لباسهما وكان لباسهما النور قال تعالى فلما ذاقا الشجرة بدت
لهما سوآتهما فابصر كل واحد منهما من صاحبه ما وري عنه من عورته قبل ذلك وعليه اكليل من ذهب
قال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس دخل ادم الجنة ولباسهما النور وهكذا قال تعالى فبدت لهما سوآتهما
وقال ليبدي لهما ما وري عنهما من سوآتهما ومقابلة الجمع بالجمع تقتضي مقابلة الفرد بالفرد كقولهم
ركب القوم دوابهم ولبسوا ثيابهم قيل كذا اورده الامام الحسين المروزي رحمه الله وقال الكلبي عن ابي صالح
عن ابن عباس دخل ادم الجنة ولباسهما النور وعليه اكليل من ذهب مكلل بالدر والياقوت ومنطقة مكللة
بالدر والياقوت وخلخالات مكللات بالدر والياقوت وسوارات من ذهب مكللات بالدر والياقوت وسوارات
من لؤلؤ وديباجتان مكللتان ولما اكلا من الشجرة ذهب عنهما ذلك فاستحييا وهربا الى ورقتين
يلزقان بعضه ببعض يغطيان عورتهما فذلك قوله وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة الاية وقال

القشيري لا مكان افضل من الجنة ولا بشر اكيس من ادم ولا ناصح ابلغ من نصح الله تعالى ولا عزم اشد من عزيمة ادم لكن
القدرة لا تكابر والحكم لا يعارض وقال ولما كان ادم وحده كان بكل خير وعافية فلما جاء الشكل ظهر باب الفتنة وفتح باب
المحنة وحين ساكن حوا اطاعها فيما اشارت اليه من الاكل فوقع فيما وقع ولذا قيل داء قديم في بني ادم صبوة انسان بانسان
ثم الكلام ههنا في كيفية الازلال من ابليس وفي صفة زلة ادم عليه السلام اما الاول فقد قيل ناداهما
وهو في الارض وقيل ناداهما وهو على باب الجنة لا فيها فانه لم يكن من اهل دخول الجنة لانها محرمة على الكفار والله
تعالى اوصل صوته اليهما وقال لهما ماذا امركما ربكما وعن ماذا نهيكما ربكما الى ان قال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة وقوله
هؤلاء وقول ابليس عن هذه الشجرة وهي اشارة لا تدل على انه كان في الجنة حضرة الشجرة بل هي اشارة الى الشجرة التي
ذكر اي عن هذه الشجرة التي قلتما وقال جماعة دخل في راس الحية والحية دخلت الجنة كما روينا ولا يكون هذا دخولا
منه الجنة كما كان الكفار من ذرية ادم في صلب ادم وهو في الجنة ولم يكن ذلك دخول الكفار الجنة واحتج من قال
انه خاطبهما وقاسمهما وراجعهما الكلام وذلك لا يكون الا بالحضرة وسئل ابو الحسن الرستغفني عنه
وقال لا نستبد بدخوله فيها بعدم الدليل القطعي فان ثبت لم يبعد ادخوله كان بزيادة في التلهف والحسرة
وقال الحسن البصري وصل اليهما الوسوسة من الوجه الذي يجعل له وقال هذا كوسوسته اليوم في قلوب جميع اهل
الدنيا في حالة واحدة ولو لم يكن ذلك الا بالحضرة لم يكن في حالة واحدة يقع ذلك في جميع القلوب وقالوا هو
لطيف عز اهل الارواح من بني ادم وهم في مواضع مختلفة وهو في مكان واحد واختلف ايضا في كيفية وسوسته
في قلوب الناس فقيل يجري منهم مجرى الدم كما روي وقيل هو واقع في صدورهم منه على ما شاء الله من غير
دخول منه او حضور والامام ابو منصور رحمه الله يقول نقل الينا انه يوسوس ولم ينقل الينا كيفيتها
فنقول يوسوس فنحذر منه ولا نبحث عن كيفيته ولا نقطع القول بشيء بلا دليل قال وكل معنى يدعوا
الى الباطل ويحجب عن الحق وهو عمل الشيطان يجب التعوذ منه والفزع الاكبر الى الله تعالى وان لم نعلم
حقيقة كيفيته قال الله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال ان الذين اتقوا اذا
مسهم طائف من الشيطان تذكروا واما صفة زلة ادم عليه السلام فقد ذكر الامام ابو منصور ان
الحسن البصري قال انه تعمد ذلك وقوله فنسي كان نسيان تضييع لا نسيان ذكر لا وجه احدهما ما جرى
في حكم الله من العفو عن النسيان الذي هو تركه التذكر وانه لا يلحق صاحبه اسم العصيان وقد اخذ هو به

ووصف بانه عصى وغوى وقد تقدم في خطابهما فتكونا من الظالمين ولان عدوه قد ذكره لو كان ناسيا حيث
قال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة وقاسمهما ودلاهما بغرور ولو كان نسيان ذكرنا لما اغتر بالقسم وهو كقوله فنسوا الله
فنسيهم وفسره قوله ولم نجد له عزما اي لم اجد من اولي العزم والثبات على حفظ الامر والنهي وهذا كله
وحش من الكلام لا يجوز ان يوصف به الانبياء فان الله تعالى اصطفاهم واختارهم على علم بهم قال ولقد
اخترناهم على علم على العالمين وقال انه اعلم حيث يجعل رسالاته وفي حق ادم ذكر خصايص وكرامات ومراتب
ومقامات يجب تنزيهه معها عن مثل هذه الصفات والنسيان حقيقته زوال الذكر والتضييع مجاز
ويقرر هذه الحقيقة قوله ولم نجد له عزما وهو القصد وضعا وما يقول ان العدو ذكره ذلك قلنا لكثرة ما جرى
بينه وبين عدوه من التراجع اشتغل قلبه بوجود الدفاع له والفكر في اسباب نجاته عنه والتخليص من مكايده
حتى انساه ذلك ذكر العهد ثم انما كان النسيان في حق غيره عذرا وهو عوتب بذلك ولم يعذر به لان ادم لم
يكن امتحن بانواع مختلفة لتعذر عليه وجه التحفظ في ذلك وانما امتحن بالانتهاء عن شجرة واحدة بالانتهاء اليها
فجاز ان لا يعذر في مثله وغيره لهم اشغال كثيرة يتعذر عليهم التحفظ وعذروا بها وكذلك فيما بيننا
انما يعذر الانسان فيما يكثر به النوازل الا ترى انه يعذر بالسلام في الصلوة وترك التسمية في الذبيحة والاكل
والشرب في الصوم ولا يعذر بالاكل في الصلوة وفي الجماع في الحج لندرتها والثاني انه جاز اخذ الاخيار ومعاتبة
الكبار بالامر الخفيف اليسير الذي لا يوخذ بمثله غيره لكثرة نعم الله عليهم وعظم منته عندهم كما
اوعد وابتضاعيف العذاب على ما كان لغيرهم وهو كحال يونس عليه السلام فارق قومه لما عاين من المناكير
فيهم وفعله من غيره احمد ما وصف به وكما عوتب نبينا عليه السلام بما خطر بباله من تقريب رؤساء الكفرة اشفاقا
عليهم وحرصا على اسلامهم ويعد ذلك من غيره من خصال الخير والثالث انه انما عوتب بالذي يجوز ابتداء المحنة
به ولمثله خلقه حيث قال اني جاعل في الارض خليفة لحكمة يكرمه عن خلقه بتقديم احسانه وابلائه على محنته
وبلاويه قال تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات ثم في ذلك ابلغ زجر لغيره وفيه تعظيم خطر الذنوب في القلوب
فان ابا البشر والمخصوص بالخلافة وبسجدة الملائكة والتخصيص بالعلم عوتب بهذا القدر من الزلة ليعلم انه ليس
في امر الله هوادة ولا في حكمه محاباة فيكونون ابدا على حذر وخيفة ويفزعون اليه بالعصمة عما يوجب المقت والعقوبة
ثم يحتمل ان يكون حفظ النهي ولكن خطر بباله انه ليس نهي تحريم فانه يكون على وجوه وذلك النهي وان كان

مقرونا

مقرونا بقوله فتكونا من الظالمين وذلك دلالة التحريم ولكن يحتمل انه حفظ النهي لكن نسي هذا الاخير فاشتبه عليه وجه النهي
فانه قد يكون التحريم وقد يكون للايثار لغيره عليه مع حله وقد يكون لله فيه وضوء فيكون نهي رحمة لا حمية فسبق الى وهمه
ذلك ويحمل الضرر لنفع رجاه وطلبه ويحتمل انه حفظ قوله فتكونا من الظالمين ولكن وقع عنده انه ليس بظلم يتعدى
بل هو ظلم نقصان واضرار بانفسهما ويحتمل ذلك لما ذكرنا وايقاع بعض هذه الوجوه في قلبه كان من وسوسة الشيطان
لكن ظنته الهاما لا وسوسة لانه كان لا يعرفها بعاينه فصار كالناسي للنهي وان كان حافظا ووجه اخر من تاويله
ان النهي كان مضافا الى شجرة بعينها والمراد هي واجناسها كما روي ان النبي عليه السلام خرج وفي يده حرير وذهب
وقال هذان حرام على ذكور امتي حل لاناثهم وكما يقول الطبيب للمريض لا تاكل من هذا الطعام فانه يضرك ويريد به
عينه وامثاله فوقع عنده ان النهي وقع عن عينه لا غير وانضاف الى هذا اشياء اخر من طول المدة وميل الطبع
الى الماكول وزيادة زينة ولطافة في الشجرة فكانت داعية اليها وسبق الى الاكل ولم يظهر عليها شيء ولم يرقبها
عاصيا الا ابليس وقد عوقب كما عصى فاجتهد فوقع اجتهاده على ان حكم النهي تقتصر على عين هذه الشجرة او
ان النهي قد ارتفع ولم يجز له هذا الاجتهاد لانه كان في موضع وجود النص فان الوحي لم يكن منقطعا وعذر فيه لانه
لم يكن سبق له النهي عنه اي عن الاجتهاد ولم يعذر في الاكل لان النهي كان سبق له المنهي عنه بسم ايمة سمرقند لا يطلقون
اسم الزلة على افعال الانبياء لانها نوع ذنب ويقولون فعلوا الفاضل وتركوا الافضل فعوقبوا عليه وايمة بخارا
اطلقوا هذه اللفظة لقضية قوله فازلهما انما استزلهم وفسروها بانها فعل يقع مخالفا للامر من غير قصد الى
المخالفة منهم قبل الفعل ولا علم لهم بانه خلاف حالة الفعل ولا اصرار منهم عليه بعد الفعل كزلة الماشي في
الطين لا تقع عن قصد منه اليها ولا ثبات منه عليها قال القشيري رحمه الله اصبح ادم محمول الملايكة بسجود الكافة
على راسه تاج الوصلة وفي وسطه نطاق القربة وفي جيده قلادة الزلفة لا احد فوقه في الرتبة ولا شخص مثله في الرفعة
يتوالى عليه الندا في كل لحظة يا ادم يا ادم فلم يمس حتى نزع عنه لباسه وسلب استيناسه وتبدل مكانه وتشوش
زمانه فامته فانه لي من زماني مكدر ا كنا من الاحبابا فاخرجهما مما كانا فيه اي بتسبب الشيطان
ب خروجهما وهو الوسوسة التي بها زلا فامرا بالخروج وهو كقوله انهن اضللن كثيرا من الناس وقوله حتى
انسوكم ذكري وقوله فزادهم رجسا وقوله ما كانا فيه قال محمد بن قيس اي من اللباس الذي كانا فيه حتى بدت
لهما سوآتهما وقيل وهو قول الاكثر اي من الجنة وانما قال فيه ولم يقل فيها صرفا الى قوله ما وقيل اي من الحال

الذي كانا فيه يعني من النعمة والراحة الى البلاء والشدة وقيل اي من الطاعة الى الزلة وقلنا اهبطوا الهبوط

الانحدار والهبوط بالفتح الحدور وهبط لازم ومتعدي وذلك الكلمة انهما كانا في جنة الخلد حيث امرا بالانحدار

وهو نزول من علو الى سفل فلم يستقم تاويلها ببستان في الارض ثم الامر بالجمع وهما اثنان في سبق الذكر فما انه تناول

انفسهما وغيرهما معهما غيرهما قال مجاهد الخطاب لادم وحوا وابليس وقال ابن عباس والسدي الخطاب لهم

والحية وعن ابن عباس في رواية هو لخمسة وخامسهم الطاوس فقد دل ابليس على الحية فاخرج معهم من الجنة

وهنا الامر وان انتظمهم في كلمة فما كان هبوطهم جملة بل اهبط ابليس حين لعن بدليل قوله تعالى قال فاهبط

منها وقال فاخرج منها وقال فاخرج منها مذموما مدحورا وهبوط ادم وحوا والحية كان بعده بكثير وانما

قوله اهبطا منها جميعا فهو لادم وحوا لا غير وقيل اهبطوا خطاب لهما وانما جمع وفعالتثنية كما في قوله

وداود وسليمن اذ يحكمان في الحرث الى قوله وكنا لحكمهم شاهدين اولاد بهما مع ذريتهما وهو كقوله

قالتا اتينا طائعين اي بمن فينا من الخلق ثم ظاهر هنا امرهما بالنزول الى الارض وقيل اراد به انحطاط الرتبة ونقصان

المنزلة بسبب الزلة وقوله بعضكم لبعض عدو اي ابليس لهما وهما لابليس وان جمع معهم الحية فهي عدو بني ادم

وهم عدوها هي تلسعهم وهم يدمغونها وابليس يفتنهم وهم يلعنونه وان اريد بالاول ادم وحوا وذريتهما فالتعادي

من التحاسد في الدنيا والاختلاف في الدين وهذا اخبار عن كونه لا امر بتحصيله وقالوا العداوة مع ابليس

دينية ولا ترتفع ما بقي الدين والعداوة مع الحية طبيعية فلا ترتفع ما بقي الطبع ثم هذه عداوة تاكدت بيننا وبينهم

لكن خبرنا بكون الله معهم كان الطف لهم وقيل لما قال بعضكم لبعض عدو قال ادم الحمد لله حيث لم يقل انا لكم عدو

والعدو هو المجاوز حده في مكروه صاحبه ماخوذ من التعدي ثم هو اسم يصلح للواحد والجمع والذكر والانثى قال تعالى

هم العدو فاحذرهم وهذا لانه على بناء بعض المصادر كالقبول والولوع وقوله ولكم في الارض مستقر اي موضع قرار

وقد قر واستقر والمستقر مكان الاستقرار وقيل اراد بالمستقر موضع القرار من الارض في الحيوة وقيل اراد به موضع القبور

وهو قول السدي ثم المستقر ثلثة رحم الام قال تعالى فمستقر ومستودع اودع في صلب الاب واستقر في رحم الام والثاني

في الدنيا قال ولكم في الارض مستقر والثالث في العقبي اما في الجنة قال اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واما في النار

انها ساءت مستقرا ومقاما وقال الى ربك يومئذ المستقر وقوله ومتاع قيل اي معاش وقيل اي منفعة وقيل

اي منفعة وقيل اي بلاغ وقيل المتاع ما تمتع به من مرافق العيش من الاكل والشرب واللبس والنكاح وغير ذلك

وحقيقته طول الانتفاع بالشيء يقال متع النهار اي طال واستمتع بالشيء انتفع به طويلا وقوله الى حين اي غاية والحين

في الاصل اسم لزمان مجهول قال الشاعر كل امرئ دابح يوما لشيمته وان تخلق اخلاقا الى حين وجا

في القران لوقت صلوة قال فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وجاء لستة اشهر قال تؤتي اكلها كل حين هو من حين

تطلع الى ان ترطب وجا لاربعين سنة قال تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر وجا لمدة الدنيا كما في هذه الاية

عند بعضهم وقد قال ابن عباس والسدي اي الى الموت وقال مجاهد والضحاك اي الى قيام الساعة وهذا في حق

الجميع والاول في حق الافراد ولما هبطوا وقع ادم بارض الهند على جبل سرنديب ولذلك طابت اشجار تلك

الولاية لما معه من ريح الجنة ووقع حوا بجدة وبينهما سبعماية فرسخ والطاوس بمرج الهند والحية بسجستان وابليس

بسد ياجوج وماجوج وقيل وقعت الحية باصفهان وطاوس بنيسان وكانوا في احسن حال فابتلي ادم بالحرث والكسب

وحوا بالحيض والحبل والطلق ونقصان العقل والميراث وجعل الله قوايم الحية في جوفها وجعل قوتها التراب وقبح رجلي

الطاوس وجعل ابليس اقبح صورة وافضح حالة وكان مكث ادم وحوا في الجنة من وقت الظهر الى وقت العصر من ايام

الاخرة وقوله فتلقى ادم اي اخذ وحفظ ويقال تلقينا الحاج اي استقبلناهم للقائهم ويقال لقنته الشيء

فتلقاه ولقنته فتلقنه ولقفته فتلقفه بمعنى وقوله من ربه كلمات الكلمات جمع كلمة وهي مجموع حروف

والكلمات في القران لمعان في العلم كما في قوله لو كان البحر مدادا لكلمات ربي وللقران كما في قوله وتمت كلمة ربك وللفرائض

كما في قوله واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات والوعد كما في قوله لا تبديل لكلمات الله واختلفوا في المراد بهذه الكلمات قال مجاهد

هي قوله لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي فانت خير الغافرين لا اله الا انت

سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم لا اله الا انت سبحانك

وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني فانت خير الراحمين قال علي رضي الله عنه من قالها غفرت ذنوبه

وان كانت مثل رمل عالج ومثل زبد البحر وقال ابن عباس هي التسبيح والتحميد والاستغفار والمناسك نفعني

امر حتى حج البيت وتكلم بها وقيل هي الصلوة على النبي محمد عليه السلام والاستشفاع به وقد روي عمر

عن النبي عليه السلام ان ادم قال بحق محمد ان تغفر لي قال وكيف عرفت محمدا قال لما خلقتني ونفخت في الروح فتحت

عيني فرايت على ساق العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه اكرم الخلق عليك حتى قرنت اسمه باسمك

فقال نعم وغفر له بشفاعته وقال سفيان قال ادم يا رب بم عرفتني انه لا يسعى ساعي الا بمشيئتك وقدرتك

ان تغفر لي فغفر له وقيل يا رب ما خدعت الا بك قال صدقت وتاب عليه وقيل هي هذا الدعا اللهم انك تعلم سري
وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسالك ايمانا
يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي ورضا بما قسمت لي وقال الله تعالى من قال من ذريتك
هذا غفرت له ذنوبه وقيل اوحى الله تعالى اليه انه من اذنب صغيرا او كبيرا ثم ندم واعتذر وعزم ان لا يعود
فاني اتوب عليه فتلقى ادم هذا من ربه فقبله وعمل به فتاب عليه وقيل هي الاوامر والنواهي قبلها واتم بما امر وانتهى
عما نهي فغفر له ودليله قوله واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات وقيل هي قولهما ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين وهو قول مجاهد وسعيد بن المسيب والحسن والربيع بن انس وقال ابن عباس والسدي قال رب خلقتني
بيدك ونفخت في من روحك وسبقت رحمتك غضبك ارايت ان تبت واصلحت فهل انت راجعي الى الجنة قال نعم قال
وتتوب علي ان تبت قال نعم فتاب ادم فتاب عليه وقال عبيد بن عمير قال يا رب ما اتيته اشيء ابتدعته من تلقاء نفسي
او شيء قدرته علي قبل ان تخلقني قال بل شيء قدرته عليك قبل ان اخلقك قال يا رب فكما قدرته علي فاغفر لي فغفر له وقال عبد الله
بن مسعود ان احب الكلام الى الله تعالى ما قال ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى
جدك ولا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وقال الامام القشيري رحمه الله جرى على لسان
ادم مع الحق سبحانه كلمات واسمع الحق سبحانه ادم كلمات واجمل الحق سبحانه القول في ذلك اجمالا انما لتبقى القصة
مستورة اولتكون الاحتمال في الظنون مساغ ولما يحمله الحال من التاويل مطروح ويحتمل ان يكون كلمات ادم عليه السلام
اعتذارا وتنصلا وكلمات الحق سبحانه قبولا وتفضلا ويقال حين امر بخروجه من الجنة جعل ما اسمعه اياه
من عزيز خطابه زادا له يكون له تذكرة وعتادا قال قائلهم واذكروا ايام الحمى ثم انثني على كبدي من خشية
ان تقطعا الا وليس ايام الحمى بروا جع عليك ولكن خل عينيك تدمعا وخاطبات الاحباب لا تحتمل الشرح ولا
يحيط بها الا الاحباب علم وقرا ابن كثير فتلقى ادم بالنصب من ربه كلمات بالرفع ومعناه جاءت الكلمات ادم وهو كقولك
تلقيت زيدا وتلقاني وقوله فتاب عليه التوبة الرجوع يقال تاب اليه وتاب وآب واناب وقد تاب العبد
الى ربه اي رجع اليه من ذنبه وتاب الله عليه اي وفقه للتوبة وقبلها منه قال الله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا هنا التوفيق
للتوبة وقال فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه هنا القبول التوبة وفي هذه الاية يصلح لهما وتمام التوبة
من العبد بالندم على ما كان وبترك الذنب الان وبالعزم على ان لا يعود اليه في مستانف الزمان وفي سائر العباد

ذلك غريبا الا لفظه على وجه الماء وقطع بهم موسى البحر وذلك
يوم عاشوراء قال الامام القشيري رحمه الله تعالى صرت مصابرتي
اسلافكم فانهم المعجزات عيانا وتعددت مصابرهم هذه الامة كاشفهم
الله تعالى باياته سرا وحين شاهدوا ظاهر تلك الايات من فلق
البحر واغراق العدو داخلهم ريب فيها لولا انه لم يجوزوا فقدتهم
البحر فنظروا اليهم وهم مغرقون وهذه الامة لفرط تصديقهم
الرسول وقوة بصائرهم قال واحد من عرض الناس كاني
باهل الجنة يتزاورون وكاني باهل النار يتعاوون وكاني انظر
الى عرش ربي بارزا فشتان بين من يعاين تغيرات مع عيانه وبين
من يسمع وكان العيان حالة من قوة ايمانه وقوله تعالى واذ واعدنا
موسى اربعين ليلة ذكرهم منة اخرى فيها ابتعوا المنة الاولى بالجهل
والبلادة اي واذكروا نعمتي على ابائكم بما وعدت موسى ان ياتي
الطور فانزل عليه التوراة التي فيها بيان ما تحتاجون اليه فعجل
موسى والحسرة ما وعدته ولما تاخر رجوعه كفر اباؤكم لي
والجحد واتخذوا العجل الها فعفونا عنهم انعاما عليهم ثم قرا ابو عمرو
ووعدنا بغير الف لان الله تعالى متفرد بالوعد وهو الترجيه بالخبر
والمواعدة تكون بين اثنين وغيره قرا بالالف والمواعدة
تكون وعدا من الله وقبولا من موسى عليه السلام فاستعمل
على المفاعلة وقوله تعالى اربعين ليلة قال الاخفش وغيره اي
انقضاء اربعين ليلة او تمام اربعين ليلة لانه وعد انزال الكتاب
بعد انقضاء هذه المدة وهذا الاختصار معهود يقال اليوم اربعون
يوما منذ خرج فلان اي تمام اربعين يوما وهذا الاختصار وقوله
اربعين ليلة اي بايامها فان ذكر الايام جميعا تقتضي دخول ما يوازيها من الليالي

وعلى القلب كذلك بدليل قوله تعالى ثلاث ليال سويا وقوله ثلاثة أيام
إلا رمزا والقصة واحدة فكانت المدتان واحدة ثم هي ذو القعدة
وعشر ذي الحجة وعشر محرم والأول أشهر وأظهر وهذه الأربعون
هي التي ذكرت في قوله وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر
فتم ميقات ربه أربعين ليلة قال الكلبي وعدهم أن يأتيهم بالكتاب
بعد أربعين يوما فعدوا عشرين يوما تعد قومه عشرين ليلة وعشرين
يوما وقالوا ألم يأتنا بما وعد فعبدوا العجل **قوله تعالى**
ثم اتخذتم العجل أي اتخذتم العجل إلها أو معبودا قال تعالى
أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله واتخذ افتعل
من الأخذ وأصله ائتخذ لينت الهمزة الثانية ثم جعلت تاء وأدغمت
في التاء التي بعدها والعجل ولد البقرة إلى أن يكبر سمي به لأن
العجلة هي السرعة وقصر المدة كالسرعة وإضمار قوله معبودا
وإلها جائز لوضوح معناه **قوله تعالى** من بعده أي من بعد إنجائكم
من الغرق وقيل أي من بعد انطلاق موسى إلى الطور **قوله تعالى**
وأنتم ظالمون أي كافرون وقيل أي ضارون أنفسكم وقيل أي واضعون
العبادة غير موضعها قال سعيد بن جبير كان وعدهم أن يأتيهم
بالكتاب بعد ثلاثين وهو الميقات الأول فلما زيد عشرة ولم يأتهم
به بعد الثلاثين عبدوا العجل في هذه العشرة الزائدة وقال
ابن عباس رضي الله عنهما عبدوا عشرين ليلة وعشرين يوما
وقال مقاتل رحمه الله عبدوا العجل يوما واحدا وقال الإمام
القشيري شتان بين قوم عبدوا العجل واتخذوه إلها بتمويههم
تقرب من حسها به شيء وسبب ذلك ما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما
أن السامري كان من قوم يعبدون البقر وكان حب ذلك في نفسه
بعد أن

و ذي الحجة

لابثين لبله اربعين ليلة
ومن قوم لم يثبتوا على توحيدهم
بعد ذهابه ليقيهم

أن أظهر الإسلام وكان عرف جبريل لأن أمه حين خافت عليه
أن يذبح خلفته في غار وكان جبريل صلوات الله عليه يأتيه فيغذوه
بأصابعه فكان السامري يمص من إبهام يمينه عسلا ومن إبهام
شماله سمنا فلما رآه حين عبر البحر عرفه فقبض قبضة من أثر
فرسه فلم تزل القبضة في يده حتى انطلق موسى إلى الطور
وكان السامري سمعهم حين خرجوا من البحر وأتوا على قوم يعكفون
على أصنام لهم وقالوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ووقع في نفسه
أن يفتنهم من هذا الوجه وكان موسى خلف هارون في بني إسرائيل
فقال لهم هارون قد حملتم أوزارا من زينة القوم أعطيتموها
فتطهروا منها فإنها نجس فأوقد لهم نارا وأمرهم بقذف ما كان
معهم ففعلوا فأقبل السامري إلى النار وقال يا نبي الله ألقي ما
في يدي قال نعم وهو يظن أنه حلي فقذفه فيها وقال كن عجلا
جسدا له خوار فصار كذلك وقيل كان السامري صائغا فاتخذ
من الذهب عجلا ونفخ ذلك التراب في فمه ودبره فصار عجلا
جسدا لحما ودما وشعرا له خوار فافتتنوا به ودعاهم إلى عبادته
فعبدوه وقال لهم هارون ما قال القصة **قوله تعالى** ثم عفونا
عنكم أي تجاوزنا وأصله محو الأثر وقد عفت الديار أي محت آثارها
وعفتها الريح لازم ومتعد **قوله تعالى** من بعد ذلك أي من بعد
اتخاذكم العجل فلم نعاجلكم بالإهلاك بل أمهلناكم إلى مجيء موسى
لينبهكم ويخبركم بكفارة ذنوبكم وقيل أي بعد التوبة والقتل
فعلى هذا يكون العفو على الثاني وعلى الأول تأخير المؤاخذة وعلى
الثاني يكون ترك المؤاخذة أصلا **قوله تعالى** لعلكم تشكرون أي لتشكروا
هذه النعمة فإن الإنعام يوجب الشكر وقيل معناه لتؤمنوا وتوحدوا

فان الشكر اسم للايجاب قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وان
تشكروا يرضه لكم ولعل في مثل هذا لا يكون شكرا بل تخويفا
على الفعل. وقوله تعالى وإذ آتينا موسى أي أعطينا الكتاب والفرقان
الكتاب والفرقان فيه أقاويل قيل هو التوراة أيضا قاله الفراء
وسماه باسمين متفقين معنا لاختلافهما لفظا كما يقال سحقا
وبعدا. والدليل على اسم التوراة أيضا قوله ولقد آتينا موسى
وهارون الفرقان على أنهما وإن كانا اسمين لشيء واحد معناهما
مختلف. فإن الكتاب هو المكتوب المجموع والفرقان هو الفارق
بين الحق والباطل فصح الجمع بالواو لتغاير المعنيين وهو كقوله
في حق القرآن ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم
وقوله تعالى يس. والقرآن الحكيم. وقوله قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين. قيل الفرقان هو بيان معاني التوراة. وقيل الفرقان
النصر على الأعداء فرق بين موسى وقومه وبين فرعون وجنوده فأنجى
هؤلاء وأهلك هؤلاء. وقال الله تعالى وما أنزلنا على
عبدنا يوم الفرقان هو يوم النصر وهو يوم بدر قاله
القفال. ولعل معناه أن النصر إذا جاء ظهر أهل الحق بأهل
الباطل فافترق أحد الفريقين من الآخر فعرف أن هؤلاء محقون
وهؤلاء مبطلون. وقيل الفرقان الفرج من الكرب لأنهم كانوا
مستعبدين وقال تعالى يجعل لكم فرقانا أي فرجا ومخرجا وقيل الفرقان
انفلاق البحر لبني إسرائيل حتى عبروا عنه على ما شرحنا. وقيل هو
اسم القرآن ومعناه آتينا موسى التوراة وذكرنا له نزول القرآن
على محمد. وقيل أي آتينا موسى التوراة ولمحمد الفرقان أي القرآن
قال تبارك وتعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده فأضمره
كله

كلمة أي محمدا وهذا كقوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
ثم قال وعلى أبصارهم غشاوة. وفي قراءة أبي وعلى أبصارهم غشاوة
بالنصب. وعلى هذه القراءة يكون وجعل مضمرا وقال فأجمعوا
أمركم وشركاءكم أي وادعوا شركاءكم قال الشاعر ع تراه
كأن الله يجدع أنفه وعينيه إن مولاه ثاب له وفر أي يفقأ عينيه
وقيل الفرقان صحف أنزلت على موسى قبل التوراة. وقوله تعالى
لعلكم تهتدون أي لتهتدوا بالكتاب وهذا بيان الحكمة دون
العلة أي الحكمة في إنزاله أن يتدبروا فيه. فيعلموا أن الله تعالى
لم يفعل ذلك بهم إلا دلالة على صحة نبوة محمد وإبداء لك على
اتباع الرشد. وإذا تعلم ذلك آمنتم بمحمد عليه السلام لأنه قد
أتى من المعجزات بما أيد لكم إذا تدبرتم على صحة دعواه النبوة
وقوله تعالى. وإذ قال موسى لقومه يا قوم أصله يا قومي حذفت
الياء تخفيفا لكثرة الاستعمال في النداء. وقوله تعالى إنكم ظلمتم
أنفسكم ضررتم أنفسكم بإيجاب العقوبة عليها. وقيل أي نقصتموها
ثوابكم بالإقامة على عهد موسى صلوات الله عليه فإن الظلم يكون
ضررا ويكون نقصانا على ما مر. وقوله تعالى باتخاذكم العجل
بالعجل إلها وعبادته. وقوله تعالى فتوبوا إلى بارئكم أي
خالقكم وقد برأ أي من حد صنع بتخفيف الياء المصدر أي خلق البرية الخلق
وربما ترك الهمز في الذين ونحوه وترك عنه بمعنى شيء. وقوله تعالى فاقتلوا أنفسكم
القتل إزهاق الروح والأنفس جمع النفس. وهي هذه البنية الإنسانية
هاهنا وهو بيان كيفية التوبة وهو قول ابن عباس وسعيد بن
جبير وأبي العالية ومجاهد والزهري والسدي. وقيل القتل عطف
على التوبة أي ارجعوا إلى الله تعالى بالإيمان فقد أعرضتم عنه بالكفر.

برأه

بعبادة العجل • واقتلوا انفسكم بعد هذه التوبة ومعناه فليقتل بعضكم
بعضا لأن المؤمنين اخوة واخو الرجل كأنه نفسه • وهو كقوله تعالى
لا تقتلوا انفسكم ولا تلمزوا انفسكم • وكقوله تعالى لظن المؤمنون والمؤمنات
بانفسهم خيرا او في قوله تعالى فسلموا على انفسكم • وقيل معناه استسلموا
للقتل ومكنوا القاتل من انفسكم • وهو في معنى قوله تسليم وهذا
قول محمد بن اسحق ثم كيفية هذا القتل • ما قال الحسن برد واصبغ
فضرب بعضهم بعضا يقول ما الى القبيل هذا يقول لم عبدت
وذاك يقول لم لم تنهني • وقيل ان السبعين الذين اختارهم
موسى صلوات الله عليه هم قتلوا عبدة العجل فبلغ المقتولون سبعين
الفا وقد اختبوا فما حلوا حبوة حتى قتلوا ثلاثة ايام • وقيل ان
السبعين قد ارتدوا وانما قالوا فلم يكونوا بهذا الأمر من غيرهم
اولى فلم يصح هذا القول • وقال ابن عباس رضي الله عنهما اخذ موسى
عليه السلام على بني اسرائيل المواثيق ليصبرن على القتل فاصبحوا
غدا بافنية البيوت كل بني أب على حدة واتاهم هرون عليه السلام
والاثني عشر الفا من الذين لم يعبدوا العجل • وهم سبطان ونصف
سبط بايديهم السيوف فمشوا في العسكر • فقتلوا من لقوا فكان
الرجل يجي الى قومه وهم جلوس بافنية بيوتهم • ويقول ان هؤلاء
اخوانكم قد اتوكم شاهرين سيوفهم فاتقوا واصبروا فلعن الله
رجلا حل حبوته او قام من مجلسه او مد طرفه اليهم او اتقاهم
بيد او رجل فقالوا آمين فجعلوا يقتلونهم الى المساء • وقال مقاتل
كان موسى صلوات الله عليه يتقدم ويقول هؤلاء اخوانكم اتوكم
شاهرين السيوف كما مر وقتلوهم الى الضحوة حتى بلغ القتلى
سبعين الفا وقال الكلبي • وقام موسى صلوات الله عليه يدعو ربه

لما راى

لما رأى من كثرة الدماء وشدة الاصوات حتى نزلت التوبة • وقيل
لموسى ارفع السيف فاني قبلت التوبة منهم جميعا من قتل منهم
ومن لم يقتل وجعلت القتل لهم شهادة وغفرت لمن بقي منهم
متوبين لذلك فتركوا وقوله تعالى ذلكم خير لكم عند بارئكم
اي ذلك القتل والتوبة • او القتل الذي هو توبة انفع لكم عند الله
من الامتناع الذي هو اصرار وفيه عذاب النار • وقوله تعالى فتاب
عليكم • اي فعلتم ذلك فقبل توبتكم وقوله تعالى انه هو التواب
الرحيم اي كثير قبول التوبة • وقوله تعالى الرحيم اي رحيم • فقبل
توبتكم ففتح باب التوبة وقبلنا • وقيل التواب لمن لم يقتل
والرحيم لمن قتل • وقيل التواب لمن عبد العجل والرحيم لمن
لم يعبد • وقيل التواب يقبل التوبة مرة بعد مرة الرحيم يمهل
ولا يعاجل بالعقوبة • وقيل كان الأمر بالقتل • من الاغلال التي
كانت عليهم وخفف الله تعالى عن هذه الأمة • فجعل الندم
توبة • وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء • وقال الشيخ القفال
رحمه الله جعل ذلك كفارة لهم اذ علم ان المصلحة في هذا النوع
وقد جعل الكفارات والعقوبات على مراتب بعضها قتل • وبعضها
جلد وبعضها اخراج مال على ما علم الله تعالى من مصلحة عباده • وقال
الامام ابو منصور رحمه الله • لولا اجماع اهل التفسير والتأويل
على ان قتل انفسهم • كان على الحقيقة لامكن صرف الأمر الى ذلك
لان هذا كان تحقيق توبتهم ورجوعهم الى الله تعالى • قال
تعالى ولما سقط في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم
يرحمنا الآية • ثم ولما رجع موسى وقد شرع الله تعالى على السن
الرسل • قتل الكفرة حتى سلمها لان القتل عقوبة الكفر لا عقوبة

الى قومه غضبان اسفا

الاسلام وكان ينبغي بصرف هذا الامر الى اجهاد انفسهم بالعبادة لله
والطاعة له واحتمال الشدائد لتغفر خطيئاتهم في عصيان ربهم
وذلك جزاء لفرطتهم • يقال ثلاث تقتل تفسد في لذا لا يعنون
به حقيقة القتل ابتداء محنة من الله تعالى لهم بالقتل لا عقوبة
للذنب ولله تعالى ان يمتحن عباده بقتل انفسهم ابتداء • قال تعالى ولو
انا كتبنا عليهم أن اقتلوا انفسكم ويجوز ايضا ان يكون الامر بقتل
انفسهم الامر بمجاهدة الاعداء وان كان فيها تلفهم قال تعالى
إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم • الى قوله فيقتلون ويقتلون وقوله تعالى
واذ قلتم يا موسى • اي واذكروا ايضا اذ قلتم يا موسى • اي اذا قال
السبعون من اسلافكم الذين اختارهم موسى حتى ذهبوا معه
الى الطور وقوله تعالى لن نؤمن لك اي لن نصدقك كما في قوله
تعالى وما انت بمؤمن لنا اي لن نصدقك على ان هذا كتاب الله
جل جلاله وانك سمعت كلام الله وان الله تعالى امرنا بقبوله والعمل
به وذلك اي برسالتك وقوله تعالى حتى نرى الله جهرة اي حتى
نرى الله عيانا • وهو قول قتادة • وقال ابن عباس رضي الله •
عنهما عيانا وبينهما فرق العيان صفة الرائي والعلانية صفة المرئي
وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية ان معناه واذ قلتم جهرة
على التقديم • والتأخير والجهرة ترجع الى القول • وهو كالجهر
بالقراءة • وهو اظهارها والمجاهرة بالمعاصي كذلك • والاول يرجع
الى سؤال الرؤية بلا حجاب ظاهرا لا في النوم ونحوه يقال
جهرت الشيء كشفته واظهرته واجهرت البئر اذا كان ماؤها
قد تغطى بالطين فنقيته حتى ظهر ماؤها وصفا وصوت جهير
ورجل جهوري الصوت اذا كان صوته عاليا ظاهرا ووجه جهير

جوهري

اي ظاهر

اي ظاهر الوضاءة وجهرت الرجل واجتهرته اذا نظرت اليه
عن غير حجاب قال الاخطل يوما باجود منه حين تسأله ولا بأجهر
منه حين تجتهر وقوله تعالى فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون هي
كل امر هائل مميت او مزيل للعقل والفهم وتكون صوتا وتكون
نارا وتكون غير ذلك واختلف فيها هاهنا قال السدي
كانت نارا نزلت من السماء فاحرقتهم • وقال قتادة والربيع
هي الموت • وقيل الصوت وما تولد منه وهي الرجفة • واصلها الاضطراب
وقوله تعالى وانتم تنظرون اي الى الصاعقة • فان كانت نارا فقد
عاينوها وان كانت صوتا هائلا • فقد مات به بعضهم اولا ورأى الباقون
انهم ماتوا وسمى هذا الرؤية الموت مجازا قال تعالى ولقد كنتم تمنون
الموت • من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون • وقيل وانتم
تنظرون خطاب لاهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم • اي تخبركم رسول الله
بما كان من اسلافكم • وتعلمون انه صادق وتنظرون اليه فلا
تؤمنون • وقيل ومعناه وانتم تنظرون اي ينتظرون مثل
ما نزل بهم اي ينزل بكم لتكذيبكم محمدا وهو كقوله تعالى انظرونا
نقتبس من نوركم وقصته ان السبعين الذين اختارهم موسى
عليه السلام • للانطلاق الى الجبل • قالوا لموسى بعد ما كلمه
الله واعطاه الالواح ان لنا عليك حقا فانا اصحابك • وكلمناك
انطلقنا معك الى الجبل • ولم نصنع ما صنع قومنا فارنا الله جهرة
ننظر اليه كما رأيته • فقال موسى عليه السلام ما رأيته ولقد
سألته الرؤية فابى علي وتجلى للجبل فجعله دكا وخررت
مغشيا علي • فلما افقت تبت الى الله من مسألتي • وايقنت انه
لا يرى في الدنيا فقالوا والله لا نصدقك بالرسالة حتى نرى الله

جهرة فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا فقال موسى عليه السلام
يا رب لو شئت أهلكتهم من قبل هذا اليوم مع أصحاب العجل ثم
أحياهم الله تعالى يوماً بيوم بدعاء موسى عليه السلام فعاشوا إلى
وقت آجالهم. وقال الإمام أبو منصور رحمه الله تعلقت المعتزلة
بظاهر الآية على نفي رؤية الله عز وعلا. وعندنا ليس فيها دليل
على نفي الرؤية لله عز وجل بل فيها إثباتها. وذلك لأن
موسى عليه السلام لما سأله السبعون الرؤية لم ينههم
عن ذلك. وكذلك سأل هو ربه جل جلاله الرؤية فلم
ينهه عن ذلك. بل قال فإن استقر مكانه فسوف تراني
وهذا تعليق بما يتصور. وكذلك سألت الصحابة رضوان
الله عليهم أجمعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنرى ربنا
فلم ينههم عن ذلك. وإنما أخذ هؤلاء الصاعقة لأنهم لم
يسألوا سؤال استرشاد وإنما سألوا سؤال تعنت وقيل
إنما عوقبوا بقولهم لن نؤمن لك وهذا كفر منهم. ودلت
الآية على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة.
وقد أخبر عما لم يكن عندهم علمه ولا يعلم إلا بإخبار
من الله تعالى. ومنها إلزام الحجة على منكري البعث بعد الموت
وهم مشركو العرب. وقوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم.
أي أحييناكم بدعاء موسى عليه السلام. والبعث في القرآن
لمعان للإحياء قال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً م
وقوله تعالى لعلكم تشكرون أي تشكروا نعمة الحياة بالتوحيد
والطاعة وقيل لتشكروا العفو عنكم. وقال الإمام القشيري
رحمه الله العرض لمطالعة الذات على غير نعت الهيبة افتضاح
بنزل

بنزل الحرمة وذلك من أمارات البعد والشقوة والتولي بمكاشفات
العزة مقرون بملاطفات القربة من علامات الوصلة ولولا
السعادة فلا جرم لما أطلقوا اللسان بالجهل بمعرفة ترك الحشمة
أخذتهم الرجفة والصعقة. وقالوا أيضاً في الآية الأولى التوبة بقتل
النفوس غير منسوخة في هذه الأمة إلا أن بني إسرائيل كان
لهم قتل أنفسهم جهراً وهذه الأمة توبتهم بقتل أنفسهم في أنفسهم
سراً وأول قدم هي القصد إلى الله الخروج من النفس لله قال
ولقد توهم الناس أن توبة بني إسرائيل كانت أشق وليس
كما توهموا. فإن ذلك كان مرة واحدة وأهل الخصوص
من هذه الأمة قتلهم أنفسهم في كل لحظة. وقد قيل لنبي من
مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحيا وأنشد غيره
ثبور الورى تحت التراب وللهوى رجال لهم تحت الثياب
قبور. وقوله تعالى وظللنا عليكم الغمام أي جعلناه ظلالاً لكم
أي ملقيا الظل وهو معروف والظلة السترة المظلة
والظل الظليل هو الدائم والسلطان ظل الله. أي مأوى
الخلق من عند الله كالظل الذي يأوي إليه من أصابه الحر
والغمام السحاب عند ابن عباس رضي الله عنهما. وهو السحاب
الأبيض عند السدي سمي به لأنه يغم السماء أي يسترها والغم
الأمر المستور. والغم حزن يستر القلب والغمم أن يستر
الشعر القفا والجبهة. ورجل أغم وامرأة غماء من ذلك
وغم الهلال أي لم يروا وستره شيء وهو الليلة التي والتغمغم
التكلم بكلام لا يبين أي فعلنا ذلك بكم في التيه وقوله تعالى
وأنزلنا عليكم المن والسلوى. قال ابن عباس رضي الله عنهما
هو ما يسقط على الشجر فيأكله الناس. وقال الربيع بن أنس

هو شراب كان ينزل عليهم فكانوا يمزجونه بالماء يشربونه
وقال وهب هو خبز الرقاق وقال السدي هو الزنجبيل
وقال قتادة هو الترنجبين وكان ينزل كهيئة الثلج من طلوع الفجر
الى طلوع الشمس وهو الاشهر الاظهر وقيل هو ما منّ الله تعالى
به على عباده من غير تعب ولا زرع ومنه قول النبي صلى الله عليه
وسلم الكمأة من المنّ وماؤها شفاء للعين اي هو مما منّ الله تعالى
على خلقه من غير حرث ولا سقي وقال عكرمة كان كالرب
الغليظ **وقوله تعالى** والسلوى قيل هو السماني وقال ابن عباس
رضي الله عنهما طائر ابيض يشبه السماني كانت تحشره عليهم
الريح الجنوب قالوا كانت الريح تقطع حلوقها وتشق بطونها وتمعط
شعورها وكانت الشمس تنضجها فكانوا يأكلونها مع المن وقيل
هي طير سمان كالحمام تضرب الى الحمرة وتكون بناحية اليمن وقال
الاخفش واحدها سلواة وقيل الجمع والواحد فيه سواء وقال
قطرب قال بعض العرب السلوى الشيء الطيب وقيل هو العسل
واشتقاقه من السلو كأنه يسلي القلب الهموم او يسلي من غيره
وقال ابن جريج كان الرجل منهم ان اخذ من المن والسلوى زيادة
على طعام يوم واحد فسد الا يوم الجمعة فانهم كانوا يأخذون فيه طعام
يومين لانه كان لا ينزل يوم السبت **وقوله تعالى** كلوا من طيبات
ما رزقناكم فيه مضمر اي قلنا لهم كلوا والطيبات هاهنا يحتمل
ثلاثة اوجه الحلالات والمشتهيات والخاليات عن الاذى والقذر
وقصته انهم لما خرجوا من مصر وجاوزوا البحر وقعوا في
صحراء لا ابنية فيها فانزل الله تعالى السحاب سترهم عن الشمس
بالنهار وكان يضيء لهم بالليل وقيل كان السحاب تبدلت عليهم
كالقباب والفساطيط والابنية وقيل كان يمشي امامهم

عمود

عمود من نور يضيء بالليل فانزل الله عليهم المن والسلوى المن كالخبز
والسلوى كاللحم وقال الكلبي كان المن ينزل عليهم مدة فقالوا يا موسى
قتلنا هذا المن بحلاوته فدعا فانزل الله تعالى عليهم السلوى فخلطوا
وهذا كان قبل التيه عند اكثرهم وكذا هذا في ترجمة التوراة
قاله القفال ثم ان الله تعالى امرهم ان يحاربوا اهل قرية اريحا
واذرعا وقيل بلقا وهي قرية العمالقة بقرب بيت المقدس
فقبلوا فلما قربوا منها سمعوا بان اهلها جبارون اشداء فقامة
احدهم سبعمائة ذراع ونحوها فقالوا اذهب انت وربك فقاتلا
انا هاهنا قاعدون الى ان قال فانها محرمة عليهم اربعين
سنة يتيهون في الارض وكانت اثني عشر فرسخا في مثلها
فكانوا يصبحون ويسيرون النهار فاذا امسوا كانوا حيث
اصبحوا وحرموا ما كان لهم في تلك البرية وهو قوله تعالى
وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي ما ضرونا ولكن ضروا
انفسهم حيث حرموا انفسهم تلك النعم وقيل بل اعطاهم الله
تعالى ذلك في التيه فانهم لما عوقبوا بذلك ندموا وتابوا ولطف
الله تعالى بهم وهيأ لهم ذلك وعلى هذا التاويل قوله
تعالى وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي امرناهم ان
يأكلوا من طيبات ما رزقناهم ويشكروا النا ولا يطغوا فيها
بالادخار وتجرى ذلك الادخار وفسد وانقطع فكان هذا
اضرارا منهم بانفسهم والامتناع عن الجهاد يفوت ثواب الجهاد وما
نقصونا شيئا وضروا انفسهم بها حيث حجبوا عن دخول الارض
المقدسة وقال الامام القشيري لما طوحهم الله تعالى في متاهات
الغربة لم يرض الا بان ظللهم وبلبسه الحمايات جللهم وعن

فالتوالد

لا ظلمنا [illegible]

تخلف التكسب اغناهم وتجميل صنعه بما احتاجوا اليه تولاهم فلا
شعورهم كانت تطول ولا اظفارهم كانت تنبت ولا ثيابهم كانت
تتسخ ولا شعاع الشمس كان ينبسط وكذلك سنته بحسن حال بدنه وبين
اختياره يكون ما اختاره له خيرا له مما يختاره العبد بنفسه
وقوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية قال قتادة والضحاك
والربيع بن انس اى بيت المقدس وقال السدي ومجاهد وغيرهما تلك
اي القرية التي فيها بيت المقدس وهي ايليا قال ابو زيد اى اريحا
وهي بقرب بيت المقدس والدخول الانتقال من العودة الى الحصن
ونقيضه الخروج والقرية الابنية التي هي مجتمع الناس من قولك
قريت الماء في الحوض اى جمعته قريا والمقراة الحوض والجفنة الكبيرة
التي يجعل فيها طعام الاضياف وقريت الضيف قرى من ذلك
وقرى البعير جرته اى جمعها في شدقه والقري الظهر وهو مجمع
الفقري ومعناه واذكروا ايضا اذ قلنا لاسلافكم ادخلوا هذه
القرية لتسكنوها فقد قال في سورة الاعراف اسكنوا هذه
القرية وقوله تعالى فكلوا منها حيث شئتم رغدا اي اتخذناها لكم
ووسعناها عليكم فعيشوا فيها اين شئتم بلا تضييق ولا منع
وهو تمليك لهم بطريق الغنيمة وذكر الاكل لانه معظم
المقصود وقوله تعالى وادخلوا الباب سجدا قيل هو باب بجنبه
وقال مجاهد والسدي هو باب حطة وهو الباب الثامن
من بيت المقدس وقيل هو باب القبة التي كان يتعبد فيها موسى
وهارون وقيل هو الباب الاعظم للقرية وقيل الباب
وجهة من وجوه القرية عين لهم كانه قال لهم ادخلوا من هذا
الوجه وقوله سجدا قال ابن عباس رضي الله عنهما اي
ركعا

ركعا وقيل ساجدين قبل الدخول سجدة الشكر على قتل الجبارين وفتح
القرية وقيل اى متطامنين رؤوسكم خاضعين خاشعين وقيل مصلين
صلاة قبل الدخول وقوله تعالى وقولوا حطة قال عكرمة وهو
قول الاخفش قولوا لا اله الا الله وعن علي رضي الله
عنه هو بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هو استغفر الله وعن الحسن هو ان يقال حط عنا ذنوبنا فانا
اخطانا لو جهلت قال الضحاك اي قولوا الخطأ واعترفوا ربنا
خطايانا فاغفرها لنا وقال القتبي اى قولوا مقالة هي حطة
لخطاياكم وقال الزجاج قولوا مسألتنا حطة وقيل اى سجودنا
عند الدخول حطة لذنوبنا وقيل معناه نحن نزول تحت حكمك
مستسلمون لامرك واصل الحط انزال الشيء من علو الى سفل وقد
حططت الرحل والسرج ونحو ذلك وحط الذنب اسقاطه وهو
الحمل عن الراس والظهر وحط حطا متعدي وحط حطوطا لازم
وقيل امروا ان يتكلموا بهذه الكلمة واخذها تعبدا ليحط بها اوزارهم
فغيروها بنوا اسرائيل وقالوا حنطة كذا قال ابن قتيبة ثم
من عظيم فضل الله جل وعلا ان هيأ لهم الاسباب وفتح
عليهم من النعم الكثيرة الابواب قبل ان يكلفهم شيئا بالخطاب
ثم امرهم بشيئين بعمل يسير وقول قصير فالعمل الانحنا
عند الدخول والقول التكلم بالكلام المنقول ثم وعد عليه
غفران السيئات والزيادة في الحسنات وقوله تعالى نغفر لكم
خطاياكم وسنزيد المحسنين الغفر والغفران والمغفرة ستر
الذنوب والعيارة والمغفر ماخوذ من ذلك وكذا
غفر الثوب وهو زئبره الذي تستر سحبه والجماء الغفير الجمع

الكثير السائر المكان والخطايا جمع الخطيئة كالبلايا جمع البلية والخطا
ضد الصواب والخطء بكسر الخاء الخطيئة الاثم وخطئ اى اثم
متعمدا واخطأ اذا لم يتعمد والخطيئات جمع سلامة للخطيئة وعد غفران
كل الخطيئات من غير قصر على عدد وقصرنا لغيره على اقصر العدد
وقوله وسنزيد المحسنين اى سنزيد المحسنين منكم بطاعته في
امرنا هذا احسانا آنفا الى سالف احساننا عنده سنزيده في سعة
دنياه وثواب عقباه وقيل وسنزيد المحسنين الذين كانوا اسلموا
قبل ذلك وقيل اى الذين لم يدخروا المن والسلوى لغد وقيل
هو على التفصيل من كان خاطئا غفرنا له خطاياه ومن كان محسنا
زدنا له في عطاياه قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قولا غير
الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا
يفسقون اى غيروا فلم يقولوا حطة بل قالوا حنطة وقيل
قالوا حطا سمقاثا وهي بلسانهم حنطة حمرا استهزا
وهذا كان من بعضهم وفعل المحسنون ما امروا به وقوله السر
يقال فبدلوا بكذا قال فبدل الذين ظلموا وظاهره يدل
على انهم بدلوا القول وفعلوا دون العمل به ونحوه قاله
جماعة وقيل بل بدلوا العمل والقول جميعا ومعنى قوله
قولا غير الذي قيل لهم اى امرا غير الذي امروا به
فان امر الله تعالى قول وهو تغيير جميع ما امروا به وقد
روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انهم دخلوا الباب يزحفون وقال ابن عباس رضي الله عنهما
دخلوا مستلقين على اقفيتهم وقيل متحرفين على شق وجوههم
وقيل على استاههم وكما امتنعوا عن السجود فان يقولوا ما امروا
به

به أمر الله تعالى الجبل أن يقع عليهم فبرأوه فسقطوا على شق وجوههم
ينظرون إليه بالشق الآخر فرحمهم الله ورده عنهم فقالوا ما سجدة
أحب إلى الله من سجدة كشف بها عنا العذاب فلذلك يسجدون كذلك
وقوله فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء اى عذابا والرجز
هو يقع على كل عذاب يقول الله تعالى في سورة الاعراف
فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ثم
فقالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا
الرجز لنؤمنن لك ثم قال فلما كشفنا عنهم الرجز سمى ذلك
كله رجزا وقال ابو سعيد الضرير هو العذاب المفسد للمعاش
وقيل هو العذاب المزلزل وقيل الرجز اي الرعش واختلف
في هذا الرجز الذي انزل عليهم قيل كان ذلك نارا فاحرقتهم
وقيل كان طاعونا فمات به في ساعة واحدة اربعة وعشرون
الف انسان ودام فيهم حتى هلكوا سبعين الفا وقوله بما كانوا
يفسقون اي عذبناهم بهذا لخروجهم عن طاعتنا ثم قال على
الذين ظلموا ولم يقل عليهم على الاختصار وقد سبق ذكر الذين
ظلموا لانه سبق ذكر المحسنين ايضا فلو اطلق لوقع احتمال دخول
المحسن فيه ولما قال في سورة الاعراف فارسلنا عليهم قال
بما كانوا يظلمون لتميز هؤلاء من غيرهم على ان عادة المكنى صريحا
وكنايه سابغة قال تعالى من كان عدوا لله ثم قال فان الله
عدو للكافرين وقال عدي بن زيد شعر لا ارى الموت
يسبق الموت شي نغص الموت ذا الغنى والفقيرا وقالوا ذكرها هنا خطاياكم
وقال في الاعراف خطيئاتكم وقال هاهنا ادخلوا وقال هنالك
اسكنوا وقال هاهنا فانزلنا وقال هنالك فارسلنا وقال هاهنا

بلغ

بما كانوا يفسقون وقال هناك يبطلون ليعلم ان المراعى اتفاق
المعاني وانها لا تتغير باختلاف الكلمات **قوله تعالى** واذ استسقى
موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر تقديره واذ استسقانا
والاستسقا سؤال السقي وطلبه وهو ما لذ عاهاهنا وقد سقيته
سقيا بفتح السين اى اعطيته ما يشرب به وسقيت الارض ونحوها
بفعلي واسقيت فلانا اى جعلت له سقيا يشرب منه ويسقى به الزرع
وقال في ديوان الادب سقاه الله واسقاه بمعنى واسقاه وقد
جمعهما لبيد فقال سقى قومي بني مجد واسقى نميرا والقبايل من هلال
ويقال سقيته لشفته واسقيته لماشيته وارضه واسقيته
اى دعوت له بالسقيا قال ... والزنبد واسقيه حتى كاد مما ابثه
تكلمني احجاره وملاعبه واسقني اهابك اى اجعله لى سقا والسقي
بكسر السين الحظ من الشرب والسقا القربة للماء واللبن والسقاية
الموضع الذي يتخذ فيه الشراب في المواسم وغيرها والسقاية
في سورة يوسف الصواع الذي كان يشرب منه الملك والمسقاة
ما يتخذ للجرار تعلق عليه والاستسقا من البير تحتها الاخذ منها وقوله
موسى لقومه هم بنوا اسرايل ومعناه واذكروا ايضا اذ سال
موسى ربه ان يسقيهم في البرية قبل التيه وقيل في التيه وقوله
فقلنا اضرب بعصاك الحجر وكان عصاه من اس الجنة وكان عشرة
اذرع بذراع موسى وهي التي كانت معجزته وهي التي كانت تنقلب
حية فاما الحجر فقد قيل امره الله تعالى ان ياخذ حجرا خفيفا مثل
راس الانسان فيضعه في المخلاة وقيل مثل راس الهرة وقيل مثل
راس الثور وقال مقاتل كان حجرا مربعا وقال القفال والسدي
كان ذراعا في ذراع وقال الكلبي كان مدورا مثل راس الانسان

عليه

عليه اثنا عشر ثديا مثل ثدي المراة وكان موسى عليه السلام رفعه
من الطور وقال سعيد بن جبير هو الحجر الذي ذهب بثياب موسى
لما قال قومه انه آدر فامره الله تعالى موسى ان يحمله وقيل لم يكن
حجرا معينا وكان يضرب اى حجر صحبه والصحيح انه كان معينا فقد
عرفه بالالف واللام **قوله تعالى** فانفجرت منه اثنتا عشرة
عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا
تعثوا في الارض مفسدين قال القفال اى من الضرب
فدلت ذلك على الضرب ونحو انفجرت العيون وقيل هاهنا
مضمر اى فضرب فانفجرت منه اثنتي عشرة عينا والاضمار
جاير كما قال تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة اى
فافطر فعدة من ايام اخر **قوله تعالى** منه على ما تكون كنايه عن
الحجر اي من الحجر وحذف لعلمنا ان موسى صلوات الله عليه لا يخالف
الامر ولان الظاهر يدل عليه وهو كقوله امرته بالتجارة
فاكتسب الاموال والانفجار الانشقاق الواسع والانبجاس
الانشقاق الضيق وقيل الانفجار الخروج بكثرة والانبجاس قليلا
قليلا وقيل الانفجار الخروج من اللين والانبجاس من الصلب وقيل
هما واحد وهو قول الاخفش وقيل الانبجاس الانصباب والانفجار
النبوع وقيل اخذ الانفجار من انفجار الفجر وهو انشقاقه وهو انشقاق
الظلمة عن الضياء وقيل اصله المفارقة والفجور هو مفارقة البر
قاله قطرب وقد ذكر في هذه الاية فانفجرت وفي الاعراف
فانبجست والقصة واحدة فمع سوى بينهما الشمس قوله ومن قال
لم يكن الحجر معينا بل كان يضرب اى حجر وجده عند الحاجة فانه يقول
كان اذا اخذ حجرا صغيرا فضربه انبجس وان اخذ حجرا كبيرا فضربه انفجر

ومن قال كان حجرا صغيرا واحدا يحمل في المخلاة وقيل كان يحمل على حمار
فالانبجاس أول خروجه من الحجر والانفجار بعد سيلانه وقيل كان
ينبجس ثم يجري ويبدو ويكثر فيكون انفجارا وقيل كان ينبجس
عند قلة الحاجة وينفجر عند الحاجة الى الكثير وقوله تعالى اثنتا
عشرة عينا التا لعدد المؤنث فالعشرة فيها لغتان في عدد المؤنث
بعد ما زاد على العشرة تسكين الشين وكسرها والعين الينبوع
وهي مؤنثة سماعا ونصب على التمييز وهي مشتقة من العين
الباصرة لأنها أشرف ما في الرأس وهذه أشرف ما في الأرض
ولأن الماء يخرج من هذه كالدمع يخرج من تلك وانما جعلت
على هذا العدد لأن بني اسرائيل كانوا اثني عشر سبطا وكانوا
لا يأتلفون فجعل لكل سبط مشرب على حدة منه عين على حدة
لئلا يتنازعوا وقوله تعالى قد علم كل أناس مشربهم
أي موضع شربهم قال قتادة كان كل سبط يجري عين بنفسه
فيجيء فيأخذ مقدار حاجته ثم ينقطع الماء وقيل كان يسيل
وهم نازلون فاذا ارتحلوا انقطع ماؤها وحمل الحجر في الجوالق
وقال أبو روق كان فيه اثنتا عشرة حفرة فكانوا اذا
نزلوا وضعوا الحجر وجاء كل سبط الى حفرتهم فحفروا الجداول
الى أهلها فشربوا ما شاءوا فاذا ارادوا ان يحملوه ضربه موسى
فذهب الماء وكان يستقي منه يوميا ستمائة الف وزيادة وقيل
كان الحجر رخاما وقيل كان كرأس شاة وقوله كلوا واشربوا
من رزق الله وههنا مضمر ايضا أي قلنا لهم كلوا من المن
والسلوى واشربوا من عيون الحجر وهما مما رزقكم الله تعالى
أي أعطاكم وقوله تعالى ولا تعثوا العثي أشد الفساد وقيل

بلغ نفع الله به

المبالغة

المبالغة في الافساد وهذا من عثي يعثى يعني من باب علم وفيه
لغتان أخريان عثا يعثو من حد دخل وعاث يعيث وقوله
تعالى في الأرض أي في التيه وقيل في الدنيا مفسدين نصب
على الحال أي لا تبالغوا في الافساد حالة الافساد وتحتمل التكرير
للمبالغة كما يقال لا تظلم زيدا جائرا عليه والجور هو الظلم فلذا
العثي هو الافساد والاول أوجه لأنه أكثر معنى ثم معناه
كلوا واشربوا من رزقنا ولا تفسدوا في الأرض بظلم الناس بغصب
أموالهم ونحو ذلك وقيل أي قابلوا نعمنا بالشكر ولا تكفروا
ولا تنزعوا عن حكم الى الكفر فانه أبلغ فساد في الأرض وقيل
كلوا واشربوا وهو صلاح البدن ولا تعثوا وهو صلاح الدين
هيأ الاسباب ثم توجه الخطاب وقالت المشيخة اراد الحق جل جلاله
ان يكون كل قوم ملازما لحده غير مزاحم لصاحبه فأفرد لكل
سبط علامة يعرفون بها مشربهم فهو لا لا يرد دون مشرب
الآخرين والآخرين لا يردون مشرب الأولين وحين كان هو
ما طلبوه أمرهم بالشكر وحفظ الأمر وترك الارتكاب اخفاء
الورود والمناهل مختلفة والمشارب متفاوتة وكل يرد مشربه
فمشرب عذب فرات ومشرب ملح أجاج ومشرب صاف زلال
ومشرب رنق أوشال وسائق كل قوم يقودهم ورائد كل طائفة
يسوقهم فالنفوس ترد مناهل المنى والشهوات والقلوب ترد
مشارب التقى والطاعات والأرواح ترد مناهل الكشف والمشاهدات
والسرائر ترد مناهل الحقائق بفناء الصفات وافادة الآية اباحة
الخروج الى الاستسقاء وذلك على فضيلة أمة محمد عليه السلام فان
بني اسرائيل احتاجوا الى الماء فرجعوا الى موسى ليسأل واحتاجوا الى القفل

والقثاء وسائر المأكولات فعلوا كذلك وهذه الآية أطلق لهم أن
يسألوا الله تعالى كل ما احتاجوا إليه قال تعالى واسألوا الله
من فضله وقال ادعوني أستجب لكم ومنها أن عظيمة سأل
موسى ربه الماء لقومه بقولهم وسأل عيسى ربه المائدة لقومه
بقولهم وسأل نبينا عليه السلام المغفرة لنا بأمر الله تعالى
قال واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فلما أجاب الله
تعالى لهما فيما سألاه بطلب القوم فلأن يجيب نبينا فيما سأله
لنا بأمره أولى وقوله تعالى وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد
فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها
وفومها وعدسها وبصلها الآية واذكروا أيضا إذ قلتم يا موسى
أي لن نقدر على حبس أنفسنا على نوع واحد من الطعام وهو المن
والسلوى وإنما قالوا على طعام واحد وهما اثنان لأنهم كانوا
يأكلون أحدهما بالآخر كما يؤكل الخبز باللحم وقيل كان ينزل عليهم
المن وحده أولا ثم ملوه فأرسلت عليهم السلوى ويجوز أن
يكون هذا الكلام منهم تعنتا ولما السلوى يقولون قد
مللنا هذا وعرفت عنه نفوسنا وقوله فادع لنا ربك أي سله
وقوله يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها كلمة من في قوله مما
صلة عند الأخفش ويجوز أن يكون للتبعيض ومن في قوله من بقلها
هو للتجنيس وهو بعض الأجناس أيضا ثم جزم قوله يخرج لوجهين
أحدهما على تقدير الجزاء ومعناه ادع لنا ربك فإنك إن تدع
يخرج والثاني ادع لنا ربك وقل له أخرج يخرج وهو كقوله وقل
لعبادي يقولوا التي هي أحسن وقوله قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة
وقوله من بقلها البقل كل ما يؤكل من الطعام من الخضر وهو

امنوا

بلغ

في الاصل

في الأصل كل نبت اخضرت به الأرض قال الشاعر قوم إذا
نبت الربيع لهم نبتت عداوتهم مع البقل وقوله وقثائها هو الخيار
وتضم القاف لغة وهو قراءة يحيى بن وثاب وطلحة والأشهب
وقوله وفومها قال ابن عباس وقتادة والسدي هو الحنطة
وقال أحيحة بن الجلاح قد كنت أغنى الناس شخصا واحدا ورد
المدينة عن زراعة فوم وقال مجاهد وعطاء وابن زيد هو الخبز
وقال قطرب الفوم كل عقدة من البصل وقطعة من اللحم وكل
لقمة كبيرة ويقال فوموا لنا أي اختبزوا وقال الفراء
يقال فوموا لنا أي واختبزوا وقال الربيع بن أنس والكسائي
هو الثوم وفي قراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهم وثومها وقال
أمية بن أبي الصلت سعر كانت مسانيهم إذ ذاك ظاهرة فيها
الفراديس والفومان والبصل فمن قال هو الثوم قال ذكر
البصل في الآية يدل على أنه هو المراد فإنه من جنسه ومن
جعله بمعنى الخبز أو الحنطة قال ذكر العدس يدل على أنه هو
المراد لأنه من جنسه وقوله وعدسها هو حب معروف وقوله
وبصلها هو معروف أيضا وقوله تعالى قال أتستبدلون الذي
هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم هذا
استفهام بمعنى الإنكار أي أتسألون الأردى بدلا عن الأعلى
من دنا يدنو أي قرب أي هو أقل قيمة يقال ثوب مقارب
أي قليل القيمة ومعناه أنه إذا كثر ثمنه ارتفع وإذا قل اتضع
والأنا له الرداءة وهو دني أي ردي خسيس وبه يستدرك
من حمل الفوم على الثوم أنه وصف بأنه دون والحنطة ليست
كذلك وكذا وصف بقلة القيمة وليست الحنطة كذلك وأجاب

الاجود ون ان الحنطة بمقابلة المن والسلوى اوضع رتبة واقل قيمة
ووجه آخر ان يكون بمعنى ادنى اقرب واسهل وجودا وهو مما
يشارككم في وجدانه اكثر الناس فيستغنون عن هذا الرتبع
الجليل الذي تعزز وجوده وهو مما تختصون به وهو معنى
ما قاله قطرب • وقوله اهبطوا مصرا المصر كورة يقام فيها
الحدود ويتعدى فيها الثغور ويقسم فيها الاموال من الفيء
والصدقات من غير مؤامرة الخليفة • وقيل هو مشتق من القطع
يقال مصر الشيء بمصره اى قطعه سمي به لانقطاعه عن
الفضا بالعمارة ثم اختلف انه بلد بعينه او بلد من البلاد • قال
الحسن وابو العالية والربيع هو مصر فرعون الذي خرجوا منه
قال تعالى كم تركوا من جنات وعيون الى قوله واورثناها
قوما آخرين • وقال تعالى واورثناها بني اسرائيل • وقيل اراد
به بيت المقدس • قال تعالى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم
وعلى هذا انما نونه هاهنا لانه اراد به البلد وهو مذكر
ولم ينونه في قوله • وقال ادخلوا مصر لانه اراد به البلدة
وهي مؤنثة فاذا اجتمع التعريف والتانيث امتنع الصرف وفي
الاول لم يجتمعا وقيل اراد به مصرا من الامصار غير معين
لان ما سألوه من البقل ونحوه لا يكون الا في الامصار • وهذا
قول قتادة والسدي ومجاهد وابن زيد ثم معناه عند بعضهم
انزلوا بعض الامصار ان كنتم تريدون هذه الاشيا لانكم في
البرية فلا يوجد فيها ما تطلبون وانما يوجد ذلك في الامصار
وقيل معناه امر لهم في بعض الامصار فحيث ثم هذه الاشيا
ولم يكن امرهم بذلك الحال لانهم كانوا في التيه • وقد كانت

ضربت

ضربت لهم مدة عقوبة لهم • وقال القايل بهذا القول انهم
لم يخرجوا من التيه • وقيل هذا امر تعجيز اى ان قدرتم فانزلوا
مصرا تجدوا فيه هذه الاشيا • وهو كقوله تعالى قل كونوا حجارة
وقوله تعالى • قل فأتوا بسور مثله مفتريات ذكر القفال هذه
الاقاويل ثم قال ويجوز ان يكون في سيرهم في تلك المفازة
مرّوا على القرى التي كانوا عدوها لم ينهوا عنها فكان قوله اهبطوا
اشارة الى ذلك وقد تسمى القرية مصرا كما سمي المصر قرية
توسعا ولان الاسمين لمجتمع الناس من البناء • وقال الكلبي
اهبطوا مصرا اى مصر فرعون التي خرجتم منها فان فيها ما
تريدون فارجعوا اليها فكرهوا ذلك فضربت عليهم الذلة والمسكنة
والاظهر انهم لم يؤمروا بهبوط مصر فرعون • فانه قال يا قوم
ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ويكون معنى قوله كذلك
واورثناها اى استحقها بنى اسرائيل بعد هلاك فرعون
والله لا ان يكونوا اسكنوها ويكون هذا امرا بهبوط مصر من
امصار الارض المقدسة • وقد قيل ان موسى صلوات الله عليه سأل
الله تعالى ذلك فاجيب بهذا فكان قوله اهبطوا مصرا امرا
من الله • وقيل لم يسأل ذلك بل ردهم بقوله تعالى اتستبدلونه
ثم قال هو بنفسه اهبطوا مصرا • وقيل هذا الامر وهو
قوله اهبطوا مصرا كان بعد موت موسى وهارون وانقضا
مدة التيه والهبوط النزول ويحتمل ان التيه كان في صعود
والمصر في هبوط ويحتمل ان يكون الهبوط مطلق النزول وقوله تعالى
وضربت عليهم الذلة والمسكنة الذلة نقيض العزة والمسكنة
الفقر • وقيل هذا موصول بقوله فان لكم ما سألتم امرهم بدخول

القرى لطلب الأشياء التي سألوها وضربت عليهم الذلة والمسكنة
الذلة تعني الجزية والمسكنة الفقر وقيل هذا موصول بقوله
فإن لكم ما سألتم أي تذليل الأنفس في الأعمال المهينة كالحراثة
وتقبل العبودية وذلك الكسب والأول كان يأتيهم من غير كسب وقد
قال الله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات
من السماء والأرض الآية تجري هو كذلك وامتحنوا بهذا العيش
وقوله تعالى وباءوا بغضب من الله هذا مبتدأ على هذا القول أي
استحقوا غضب الله بقتل الأنبياء بعد ذلك وغضبا بعد غضب وأنهم
وقيل ابتداء الكلام الآخر من قوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة
وانتظامه بما قبله أن موسى عليه السلام سأل الله لهم ذلك
لما أبوا ما اختار الله لهم فأعطاهم عاجل ما سألوا كما قال من
كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد
حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ثم تركت
أولادهم لا البلاد المقدسة التي كتب الله لهم فلم يزل يفسدون
في الأرض ويعصون ويعتدون ويقتلون النبيين حتى عاقبهم
الله تعالى بتسليط طيطوس بن اسبيانوس الرومي بعد ما
سلط عليهم في المرة الأولى بخت نصر حتى خرب بيت المقدس
وسبي أهله وبدد نظامهم وتشتتوا في البلاد ليس لهم ملك
بينهم ولا دين يجمعهم فضربت عليهم الذلة والمسكنة فصاروا
مستضعفين محتقرين مساكين بعدما كانوا ملوكا وورثوا أرض
مصر والشام وبلاد الجبابرة ثم قوله ضربت عليهم أي ألصقت
بهم وألزموها وأديمت لهم يقال للشيء الدائم هذا ضربة لازم
ولازب وضرب عليهم البعث أي ألزموه وأفرض عليهم فالذلة
وفرض

فرض الجزية عليهم في قول الحسن وقتادة والمسكنة الفاقة في قول
أبي العالية وفقر النفس في قول السدي وقيل هو الكعب
والمشقة في تحصيل هذه الأشياء التي سألوها وقيل الذلة
الشح والمسكنة الحرص وقيل هذا ما أوعدهم الله تعالى به
في قوله ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب
وهو نبينا المصطفى عليه السلام فأجلى بني النضير وقتل بني قريظة
ووقعوا بالشام فضربت عليهم الجزية والمسكنة مفعلة من السكون
هي الفقر الذي يسكنه عن الحركات في التصرفات وقيل لمسكن
وتمسكن كما يقال تدرع وتمدرع وهذا أسكن من فلان
أي أشد مسكنة لأن الميم زائدة يجوز إسقاطها في الأفعل وقيل
المسكنة فقر النفس ولا يوجد يهودي موسر أو معسر غني النفس
ناسكا لما يدلك على مسكنته وخشوعه وفقر نفسه وقوله وباءوا
بغضب من الله قيل احتملوه وقيل انصرفوا عنه وقيل استحقوه وقيل
أقروا به وقيل لازموه وهو الأوجه يقال بوأته منزلا
فتبوأه أي ألزمته إياه فالتزمه وقوله تعالى ذلك بأنهم كانوا يكفرون
بآيات الله أي ضرب الذلة والمسكنة واستحقاق الغضب بسبب
كفرهم بآيات الله وهي التوراة لاستحلالهم ما حرم الله فيه ح
وقوله تعالى ويقتلون النبيين زكريا ويحيى وغيرهما وقوله
تعالى بغير الحق تقييده بهذا الوصف تأكيدا كما في قوله لا تتخذوا
إلهين اثنين وقوله ولا طائر يطير بجناحيه وقوله ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور وقوله تعالى يقولون بأفواههم وتحقيقه كانوا
يقتلون الأنبياء وقتل الأنبياء لا يكون بحق على كل حال
وقال القفال يكفرون بآيات الله أي بالمعجزات التي أجراها على يدي

الأنبياء ويقتلون النبيين وكانوا يقولون هذه تمويهات وليست
من الله تعالى وهؤلاء كاذبون ونقتلهم بهذا السبب من غير أن يقيموا
حجة على كذبهم وانهم يقتلون لذلك وهذا وجه حسن قوله تعالى
ذلك بما عصوا أي ذلك الكفر بشؤم عصيانهم قوله تعالى
وكانوا يعتدون أي يجاوزون الحد وذلك يكون في كل طائفة
وقد قال أيضا اعتدوا منكم في السبت وذلك بأخذ الصيد
في يوم السبت وعصيانهم كان من العلماء والعامة كما قال ليأكلون
أموال الناس بالباطل وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون
والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت وقال تعالى فخلف
من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وقال
القشيري رحمه الله إن بني إسرائيل لم يرضوا بحسن اختيار الله
لهم ولم يصبروا على قيامه بتولي ما كان يهمهم من هنا بذ ماكولهم
وملبوسهم فتدلوا في التخيير إلى ما جرت عليه عادتهم من أكل
الخسيس من الطعام والرضا بالدون من الحال فردهم إلى
مقاساة الهوان وربطهم بإقامة الخذلان حتى سفكوا دماء الأنبياء
وهتكوا حرمة الأمر بقلة الاستحياء وترك الارعواء الامتناع فعاقبهم
على قبح أفعالهم وردهم إلى ما اختاروه لأنفسهم من خسائس
أحوالهم وحين لم ينجع فيهم النصيحة أدركتهم النقمة والفضيحة وكانوا بنو
إسرائيل صرعى الهموم متشتتي الهموم لم يرضوا لأنفسهم بطعام
واحد ولم يكتفوا في دينهم بمعبود واحد حتى قالوا لموسى اجعل لنا
إلها كما لهم آلهة وهذه صفة أرباب التفرقة والصبر
مع الواحد الأحد ليس أمر كل أحد قال تعالى وإذا ذكرت ربك
في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا ثم ختم هذه الآية بذكر
الكفر

حتى راودوا يعبدون الصنم بأدنى حركة

الكفر والمعصية وذكر بعدها آية يشهد ذكر الإيمان بعد الطاعة وهي
قوله تعالى إن الذين آمنوا والذين هادوا هم اليهود وسموا به لأنهم
هادوا عن الحق أي مالوا وقيل لقولهم هدنا إليك وقيل لأنهم
ولد يهوذا وهو أكبر أولاد يعقوب تحولت الذال دالا ع
لتعريبها عن العبرانية إلى العربية قوله تعالى والنصارى
واحدهم النصراني وسموا به لتناصرهم وتعاونهم فيما بينهم
على إقامة ملتهم وقيل لنصرتهم عيسى قال تعالى من أنصاري
إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله وقال ابن جريج وقتادة
سموا به لأنهم من قرية تسمى ناصرة كان ينزلها عيسى عليه
السلام والنصارى في القياس جمع نصران كالسكارى جمع سكران
والندامى جمع ندمان هو قول سيبويه والمستعمل هو النصراني
بزيادة ياء التشبيه والأصل الأول قال الشاعر تراه إذا
دار العشي محنفا ويضحي لديه وهو نصران شامس وقال آخر
فكلتاهما خرت وأسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنف
وقيل النصارى جمع نصري كالمهاري جمع مهري قاله الخليل
قوله تعالى والصابئين يقال صبا يصبو إذا خرج من
دين إلى دين سموا به لأنهم خرجوا من دين إلى دين اليهودية
والنصرانية وقد خالفوهما وقد صبا النجم إذا مال عن جهته
وصبا ناب البعير إذا خرج ومن ترك همزة من صبا يصبو
يصبو صبوة إذا مال وقيل هم قوم يجزان يعبدون النجوم
ويقرون بالصانع والمعاد وبعض الأنبياء وقيل هم من المانوية
قال قتادة الصابئون فرقة يعبدون الملائكة ويصلون إلى الكعبة
ويقرؤون الزبور وقال السدي هم طائفة من أهل الكتاب

خطأ العامي

ويؤمنون ج

وقال مجاهد الصابئون بين المجوس واليهود لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح
نساؤهم وهو قول الحسن البصري وبه اخذ ابو يوسف ومحمد رحمة
الله عليهما وقالوا هم يعبدون الملائكة والكواكب وكانوا عبدة
الاصنام وقال ابو حنيفة انهم كاهل الكتاب في حل ذبائحهم
ونكاح نسائهم لانهم يقرؤن الزبور ويعظمون الكواكب تعظيم
القبلة لتوجههم اليها في صلواتهم وقوله تعالى من آمن بالله واليوم
الآخر اي من آمن منهم اي من اليهود والنصارى والصابئين
وقوله ان الذين آمنوا اي من مشركي العرب وغيرهم
ومن آمن من هؤلاء الفرق الثلاثة بالله وباليوم الآخر اي صدق
بكونهما وقوله تعالى وعمل صالحا من نفسه وقوله تعالى فلهم
اجرهم عند ربهم اي ثواب ايمانهم وعملهم الصالح سماه اجرا
لانه جعله جزاء لعمله بوعده الحق وكرامته فسكن قلوبهم
لوجوده لا محالة كما يجد الاجير اجره لا استحقاقه لذلك بعمله
وهذا يناله بعمله بوعد الله لا باستحقاقه اخبار ان هؤلاء اذا
امنوا وعملوا الصالحات لم يبوا احده واستقدم من عملهم ولا يبطل
آبائهم ولا ينقصون من ثوابهم وقوله تعالى ولا خوف عليهم
اي لا يخافون ان تبطل لهم حسنة وقوله تعالى ولا هم
يحزنون اي بفوت ثوابها وقيل ان الذين امنوا في عصر الرسول
والذين هادوا كانوا على دين موسى في زمانه وماتوا على
ذلك ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى صلوات
الله عليه وماتوا ولم يبدلوا والصابئين على هذا التاويل قوم
كان لهم دين حق سوى اليهودية والنصرانية بان كانوا على اتباع
رسول وكان من امن منهم اي ثبت على ايمانه وعمل صالحا
على موافقة

موافقة ايمانه فلهم اجر ايمانهم وعملهم الصالح ولا خوف عليهم
من العقوبة ولا هم يحزنون بفوت الجنة وقال النسفي ان
الذين آمنوا اي بالسنتهم دون قلوبهم وهم المنافقون واليهود
والنصارى والصابئون من آمن اي من اخلص منهم وآمن بشرائط
الصحة فلهم الاجر وزال الخوف والحزن وقوله من آمن وعمل
صالحا ذكر على الواحد ان لظاهر كلمة من وقال فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون على الجمع لان معناه معنى الجمع فانه
اسم صالح للواحد والجماعة وقوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا
فوقكم الطور اي واذكروا ايضا اذ اخذنا ميثاقكم اي العهد
بالانقياد لموسى فيما يخبركم به وتقبلوه وخرجتم معه من
مصر فقد اتاه حجتنا واعطيناه الالواح فيها التوراة فامركم
بها فلم تقبلوها وقلتم هي شديدة لا نطيقها فرفعنا فوقكم
الجبل وهو قوله ورفعنا فوقكم الطور وهو الذي
ذكره في قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم الآية والطور الجبل
وقيل هو ينبت على كل جبل وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان الطور هو الجبل المنبت وقيل هو جبل فيه اشجار
وقيل هو جبل بعينه واختلف في ذلك العين قيل هو الجبل
الذي كان موسى عليه حين كلمه الله تعالى وانزل عليه الالواح
وقيل هو جبل من جبال فلسطين انقلع من اصله وقام على
رؤسهم مثل الظلة وكان العسكر فرسخا في فرسخ والجبل كذلك
وقيل خمسة فراسخ في خمسة فراسخ واوحى الله تعالى الى
موسى ان قبلوا التوراة والا رميتهم بهذا الجبل فرضختهم
به مكانا اي ان لا مهرب لهم قبلوا ما فيها وسجدوا من المهابة على

انصاف وجوههم لانهم كانوا يلاحظون الجبل ولذلك تسجد اليهود
لذلك • وقوله تعالى خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون
أي بجد ومواظبة خذوا ومعني اقبلوا • وقيل بقوة اي باقتدار
ونشاط • وأدوا ما فرض عليكم • وقيل اي اعطيناكم قوة ذلك وهي
سلامة الآلات خذوا ولا تتركوا القوة • وقوله واذكروا ما فيه
اي ادرسوه ليرق قلوبكم • ولتتذكروا وابه الوعد والوعيد ويحتمل
واذكروا ما فيه • اي احفظوه ولا تنسوه ويجوز ارادة المعنيين جميعا
وقوله لعلكم تتقون اى لتصيروا متقين • وعن النار متوقين
ثم قوله خذوا فيه مضمر • اى وقلنا لهم خذوا وان هذا الاضمار
يدل عليه سياق الكلام • ولان ذكر الميثاق يقتضيه كانه قال
واخذنا ميثاقكم ان خذوا واثم قوله ميثاقكم موحد وان اضيف الي
الجمع ولم يقل مواثيقكم • لان المراد ميثاق كل واحد اي اخذنا
من كل واحد منكم ميثاقه • كما قال ثم يخرجكم طفلا اي كل واحد
وقيل اخذ على الكل ميثاقا واحدا اي كان ميثاق كل واحد
كما كان ميثاق الآخرين • وقال القفال • ويحتمل ان يكون اخذ
الميثاق مع رفع الطور معا والواو للجمع ويحتمل ان يكون اخذ
الميثاق متقدما ولما نقضوه رفع الطور فوقهم • ودليل الاول
قوله ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم • ودليل الثاني انه
يجوز ان يكون معناه بميثاقهم اي لميثاقهم الذي نقضوه اي
بسبب ذلك رفعنا فوقهم الطور • ثم هذه الحادثة كانت
قبل التيه والامر بدخول قرية اريحا وانما ذكرت بعدهما
لان القصة واحدة وهذا التعداد منه • كانه تعالى عد
الانعام وعدد ذلك على الترتيب وغير الترتيب لان المراد
تركهم

تذكيرهم بما كان منها وهو حاصل كيف ذكره ثم رفع الجبل ليقبلوا
التوراة لم يكن جبرا على الاسلام لان الجبر ما يسلب الاختيار
وهو جائز كالمحاربة مع الكفار فاما قوله الله تعالى لا اكراه في الدين
وقوله تعالى افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين فقد كان
ذلك قبل الامر بالقتال ثم نسخ به • وقوله تعالى ثم توليتم من
بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين
اي اعرضتم عن الدوام عليه من بعد القبول • وقيل من بعد
رد الجبل وقيل من بعد اخذ الميثاق ورفع الطور • وانما وحد
ذلك • والمذكور قبله شيان والمذكور عليه اكثر من ذلك
وهو قبولهم التوراة ورد الجبل لانه اراد من بعد ما
ذكرنا فوحده لتوحدها • وقوله ذلك خطاب للنبي عليه السلام
وحده لما لحاضرين • ولو قال ذلكم كان خطابا لهم جميعا • وقوله
ولولا فضل الله عليكم هو زيادة الانعام ورحمته هي عطفه
اي فلولا فضله ورحمته برد الجبل عليكم وامهالكم الي ان
تبتم بعد ما توليتم لوقع الجبل عليكم • فمتم كافرين خاسرين
وهذا في حق الذين تابوا بعد ما تولوا • وقيل ولولا فضل
الله باعطاء التوراة ورحمته بقبول التوبة بعد التولي • وقيل
ولولا ايمانكم بالله الذي هو فضل من الله ورحمته عليكم
بالجائب • وقيل تم الكلام عند قوله ثم توليتم من بعد ذلك
ابتدا كلاما يرجع الي الاول فقال ولولا فضله ورحمته
برفع الجبل فوقكم لدمتم على انكار الكتاب • وردته عنكم
من الخاسرين • ولكن تفضل عليكم ورحمكم حيث رفع الطور
فوقكم حتى تبتم فزال الجبل عنكم • ولولا ذلك لسقط الجبل

عليكم وكنتم من الخاسرين • وقيل أي ولولا فضله بإعطاء التوراة
ورحمته بتوفيق القبول • وقيل أي ولولا فضل الله عليكم بإخبار
آبائكم من العذاب • ورد الخطوب • عنكم لما نوا الدهر أنتم
وقوله تعالى لكنتم من الخاسرين الخسران في الأصل ذهاب
رأس المال وهو هاهنا هلاك النفس لأنها هي الأصل وقيل أي
من المغبونين بالوقوع في العذاب وحرمان الثواب **وقوله تعالى**
ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة
خاسئين خطاب أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا بالمسخ
حين اعتدوا بالاصطياد يوم السبت • فلم يكن تأخيرا لعقوبة
من أسلافكم الذين كانوا قبلكم على عصيانهم ونقضهم ميثاقهم
للعجز عن تعجيل ذلك • بل تفضلا ورحمة ولو شئنا لعاجلناكم
بما عاجلنا به أصحاب السبت **وقوله تعالى** جل جلاله الذين اعتدوا
منكم في السبت ولقد القمر في سمر ذكم على مجلس • لو شئنا لأنزلنا
بكم ما نزل بهم أي للذين جاوزوا الحد الذي حد لهم من
ترك الصيد يوم السبت من أسلافكم • والسبت آخر أيام الأسبوع
سمي به لأنه سبت فيه خلق كل شيء أي قطع وتمم • وأصل السبت
القطع والسبات لأنه يقطع الحركات الاختيارية به واليهود يسبتون
فيه أي يقطعون الأعمال فيه • وقصته ما روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما أنه قال كان في زمن داود عليه السلام
في أرض يقال لها أيلة بين المدينة والشام • على ساحل بحر قلزم
وكان مكانا يجتمع فيه حيتان كل أرض • من السنة في شهر كهيئة
العيد تأتيهم الحيتان حتى لا يرى الماء وتأتيهم • في غير ذلك الشهر
في كل سبت • كما كانت تأتيهم في ذلك الشهر فإذا ذهب السبت
لم

سبت

لم يحسوا شيئا منه وحرم عليهم الصيد في يوم السبت • وقيل إنما
خص به ذلك اليوم لأن موسى عليه السلام • أراد أن يجعل يوما
لله تعالى خالصا للطاعة وهو يوم الجمعة فخالفه اليهود وقالوا
نجعل ذلك اليوم • السبت لأن الله تعالى لم يخلق فيه شيئا فلما اختاروه
لترك سائر الأعمال نهوا فيه عن الاصطياد ذاهبا وصار الحرام
وبالا عليهم فعمدت رجال لأهل تلك القرية فحفروا عشية الجمعة
حظيرة حيث يدخل عليهم الماء فحبسوا السمك فيها • وأخذوا منه
ليلة الأحد ويوم الأحد فأكلوا وملحوا وباعوا فكثرت أموالهم
فعلوا بذلك زمانا في رواية أربعين سنة وفي رواية سبعين
سنة لم تنزل فيهم عقوبة وكانوا يتخوفون العقوبة فلما لم
يعاقبوا استبشروا • وقالوا إنا لنرى السبت قد أحل لنا ثم
استن الأبناء سنة الآباء فلو أنهم فعلوا ذلك مرة أو مرتين لم
يضرهم فمشى إليهم طوائف من أهل المدينة نحوا من اثني عشر
ألفا من الذين كرهوا الصيد في يوم السبت • وأهل القرية كانوا
نحوا من سبعين ألفا فنهوهم عن ذلك • وقالوا يا قوم إنكم
عصيتم ربكم • وخالفتم سنة نبيكم • فانتهوا عن هذا العمل • قبل
أن ينزل بكم العذاب • فلم يتعظوا فقال تعالى فلما عتوا عما
نهوا عنه أي أبوا أن يرجعوا • عن استحلال الصيد أنجينا الذين
ينهون عن السوء الآية فأصبح الذين استحلوا الصيد قردة خاسئين
أي مسخناهم قردة • وكونوا أمر تسخير • وهو إشارة إلى
قوله إنما قولنا لشيء • إذا أردناه أن نقول له كن فيكون
أي لما أردنا ذلك صاروا كما أردنا من غير امتناع ولا لبث
وهو كقوله تعالى كما لعنا أصحاب السبت • وكان أمر الله مفعولا

اصلاحهم

[illegible] خطاب لأهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] قردة خاسئين

وقوله قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وفوق من القائل هنا
امرنا بكذا او كان كما امرنا به واظهار مثله لعظمته ونفاذ امره
ومشيئته والدليل على انه تكوين انه قال فجعلناها نكالا وهو دليل
الاول والقردة جمع قرد كالفيلة جمع فيل والديكة جمع ديك
وقوله خاسئين اي صاغرين مبعدين مطرودين كالكلب اذا دنا
من الناس قيل له اخسأ اي تباعد واطرد صاغرا وقوله
ينقلب اليك البصر خاسئا اي صاغرا ممنوعا عن معاودة
النظر وقد خسأت الكلب خسأ لازم ومتعدي وقيل اي ساكتين
لا يتكلمون كما في قوله قال اخسئوا فيها ولا تكلمون وقال مجاهد لم
يكن هذا مسخا لابدان بل كان مسخ القلوب وفي رواية قال لم
يمسخوا قردة وانما هذا مثل صوره لهم كما قال كمثل الحمار يحمل
اسفارا وقال القفال ومن قال بهذا جعله كقول الرجل للرجل
لا ينظر في العلم ولا يجالس اهله اذهب تكن حمارا اي شبيه حمار
قال الشاعر اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجرا
من يابس الصخر جلمدا ولكن هذا خلاف ظاهر الكلام وخلاف الكتاب
ومسخ هؤلاء مشهور وكان اليهود لعنهم الله اذا سبوا قيل لهم يا
اخوة القردة والخنازير ويخاطبون به في عصر النبي صلى الله عليه
وسلم وليس تحويل الصورة باعظم من انشاء العنصر ثم من
ابتداع الجواهر فما ادعاه انه باعظم من انشائه من ابدله من
الصورة ثم قيل مسخوا قردة فلم يبق في ظاهرهم وباطنهم
معنى الانسانية وقيل بقي فيهم الفهم والعقل وقد روي
انهم لما مسخوا ليلا فلما اصبح الناس الخارجون منها واتوا ابوابها
فاذا هي مغلقة لا يسمع منها صوت ولا يعلوا منها دخان فتسوروا
الحيطان

الحيطان ودخلوها فرأوهم قد صاروا قردة وكانوا يعرفون كل
واحد منهم بعينه بقرابة او صحبة فكانوا يقولون ألم ننهكم عن
ذلك وكانوا يشيرون برؤوسهم أي نعم والدموع تفيض من أعينهم
وذلك دلالة الفهم والمعرفة ثم لم يكن ابتداء القردة من هؤلاء
بل كانت قبلهم قردة وهؤلاء لم يحولوا الى صورتها لقبحها جدا على
طبع العالمين وماتوا بعد ثلاثة أيام والقردة التي في الدنيا هي نسل
قردة كانت قبلهم وقال الامام أبو منصور رحمه الله وفيه
نقض قول المعتزلة لأنهم يقولون ليس في خلق الله قبيح ولو لم يكن
في خلق الله قبيح لم يكن لتحويل صورتهم من صورة الانسانية الى
صورة القردة معنى وقوله تعالى فجعلناها نكالا أي جعلنا هذه
العقوبة كنا بحثه رجعت الى المعنى دون المذكور وقيل أي جعلنا
المسخة وقيل أي جعلنا هذه القرية التي اعتدى أهلها فقد ذكر
القرية في سورة أخرى وقيل جعلنا هذه الأمة وقيل هذه القرية
وقيل هذه الفرقة وقيل هذه النخلة وقيل القردة وقيل
هذه الجماعة وقيل أقاويل متقاربة وقوله تعالى نكالا النكال
العقوبة الشاهرة الزاجرة وقيل العقوبة التي ينكل بها عن الاقدام
على مثل تلك الجناية يقال نكل عن الامر نكولا اي امتنع والنكل
القيد وجمعه الانكال لأن فيه منع المقيد عن الذهاب يقول فعلنا
ذلك لمنع العباد عن الفساد كما يفعله القيد بالشقي ونحوه وقوله تعالى
لما بين يديها قيل من عقوبة الاخرة وما خلفها من فضيحة الدنيا فيذكرون
بها الى قيام الساعة وقيل لما بين يديها لما تقدم من سائر الذنوب
قبل اخذ السبت وما خلفها ما بعدها من أخذ هذا وقيل هما عبارة
عن كثرة ذنوبهم ذنوبهم المحيطة بهم أولا وآخرا وقيل لما بين

اهل زمانهم

من بين يديها وما خلفها إلى يوم القيامة. وقال أبو العالية فجعلناها
عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم. وقيل لما بين يديها
من يشاهدها وما خلفها من يسمع بذكرها. وقيل لما بين يديها وما
خلفها من القرى. وقال بعضهم لما بين يديها لمن يأتي بعدهم كما
يقال الضيف بين يديك أي يأتيك. وقال أسامة للنبي صلى الله
عليه وسلم في مسيره من عرفات الصلاة يا رسول الله فقال
الصلاة أمامك أي تفعلها بعد هذا الوقت. فعلى هذا يكون
قوله لما بين يديها أي لمن يأتي بعدها وقوله تعالى وما خلفها أي
لمن بعدها يقول هذا الشيء صار خلفنا أي خلفناه وتجاوزناه
فجاوزته قال نكالا للآتين والماضين وقوله تعالى وموعظة
للمتقين وقال عظة لجميع المؤمنين أي الذين يتقون عقاب الله وقيل
أي يعظ المتقون بعضهم بعضا وقيل هذا وعظ ينتفع به المتقون
وإن وعظ به الناس أجمعون كما قلنا في قوله هدى للمتقين وقيل
المتقون في هذه الآية اسم لهذه الأمة أي موعظة لأمة محمد
عليه السلام سماهم متقين لاتقائهم الشرك ولأن الله يقيهم
النار وقوله تعالى وإذ قال موسى لقومه أي واذكروا أيضا
إذ قال موسى لقومه واذكروا أيضا إذ قال موسى لقومه
وهم أسلافكم من بني إسرائيل ذكرهم بذلك هذه القصة على
جنايات أوائلهم وتشديدهم على أنفسهم واعتراضهم على نبيهم
وقوله تعالى إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ليتبين بها أمر
القتيل الذي كان وقع فيهم وقوله تعالى قالوا أتتخذنا هزوا الألف
ظاهرها للاستخبار وهو هاهنا للاستنكار وهزوا أي سخرية
وهو مصدر هاهنا أريد به المفعول به كما يقال هذا علم الله أي
معلومه

معلومه والله رجاؤنا أي مرجونا. ظنوا أن موسى يستهزئ بهم ويداعبهم
قالوا نحو ذلك أن رجلا منا قتل فتقول لنا اذبحوا بقرة. ويحتمل أن موسى أمرهم
بذبحها ولم يبين المراد والثمرة بها فلذلك ليس. ووقع هذا القول منهم موقع
الهزء ويحتمل أن يكون قال لهم اذبحوا فإن أمر القتيل يتبين لكم
بأن تضربوه ببعضها فقالوا أتتخذنا هزوا تعجبوا أن يتبين أمر القتيل
بذلك. وقال بعض العلماء هذا وبهذا القول إن شكوا في خبر نبيهم
أو شكوا في قدرة ربهم على إحياء الميت ببعض البقرة. وقال بعضهم كان ذلك
هفوة منهم وجهالة فقد انقادوا للطاعة لذبحها. وقال الإمام أبو منصور
هذا على المجازاة أنهم قالوا أتخبرنا بهذا الماضي منا من عصياننا وخلافنا
إذ لم تعلموا أنه من عنده بأمر ربه وهذا على المجازاة جائز كما قلنا في
الاستهزاء والمخادعة والمكر وهو كقول نوح عليه السلام إنا نسخر منكم
كما تسخرون وقوله تعالى قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين بين أن
الاستهزاء عمل لا يستجيزه مثله من أنبياء الله تعالى وأنه من عمل
الجهال فعلموا أنه جد وأنه من عند الله وذلك أن الاستهزاء بأمر الدين
كبيرة وأنه ضرب من الجهالة وقوله تعالى قالوا ادع لنا ربك أي سل
لأجلنا ربك وقوله تعالى يبين لنا وقيل لا يبين لنا وهو جزم
على جواب الأمر وقوله تعالى ما هي أي بقرة هي وليس سؤال
جنس لأنه قد بين لهم أنها بقرة لكنه سؤال عن سنها وقوله تعالى
قال يعني موسى وقوله تعالى إنه يقول أي الله تعالى يقول إنها
بقرة لا فارض قيل لا كبيرة وقيل لا هرمة وقيل لا مسنة ومعناها
واحد وقوله تعالى ولا بكر أي فتية لم تلد وقيل صغيرة وقيل شابة
وقيل هي التي ولدت مرة وقوله تعالى عوان بين ذلك أي نصف
وقيل أي فوق البكر دون المسنة ويقال العوان لا تعلم الحمرة أي

النصف من النساء لا تعلم الإجبار فإنه قد علمته وجربته عوان النصف
لا أولى بكر ثانية أو ثالثة والعوان من النساء الثيب والفعل من الفارض
فرضت تفرض فروضا ومن العوان عونت تعوينا ولم يستعمل من
البكر فعل وإنما لم يدخل الهاء في هذه الصفات للتأنيث لأنها من
خصائص أوصاف الإناث فصارت كالطالق والحائض وارتفعت هذه
الصفات عند الأخفش لكونها صفة البقرة وعند الزجاج بإضمار وهي
في أوائلها وقوله بين ذلك أي بين البكر والفارض ولم يقل
بين ذينك على التثنية وبين يقتضي شيئين لأن معناه بين ما ذكرنا
فيتسلطها قال الشاعر رؤبة كأولاد القطا راث خلفها على عاجزات
النهض حمر حواصله أي حواصل ما ذكرنا ولولاه لقال حواصلها
وقال أبو عبيدة قلت لرؤبة في قوله فيها خطوط من سواد
وبلق كأنه في الجلد توليع البهق إن أردت الخطوط فقل كأنها وإن
أردت السواد والبلق فقل كأنهما فقال أردت كأن ذلك المذكور
وقوله تعالى فافعلوا ما تؤمرون أي فاذبحوا البقرة التي تؤمرون
بذبحها وهو للحال دون محض الاستقبال فإنهم كانوا أمروا بها
وهو قائم للحال دون محض الاستقبال وقوله تعالى قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها
تسر الناظرين أي سله يبين لنا ما لونها استكشفوا المبهم بزيادة
السؤال وهو سؤال اللون قال إنه يقول إنها بقرة صفراء هي
الصفرة المعروفة التي هي بين البياض والحمرة وقال ابن عباس
وسعيد بن جبير رضي الله عنهما كانت صفراء الكل حتى القرن والظلف
وقال مجاهد كانت أظلافها وقرناها من ذهب أي كأنها ذهب من
حسنها وصفاء لونها وقال الحسن كانت سوداء شديدة السواد والعرب
تد

حـ
الأزغب الفرخ الصغير والزغب
الشعيرات الصفر على ريش الفرخ
والفرخ زغب القطا كما يسمع
من صوت لفظ القطا

بلغ

تدعى السواد صفرة قال الأعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي
هن صفر أولادها كالزبيب ولذلك في قوله كأنهن جمالات
صفر أي سود والصحيح هو الأول لأنه قال فاقع لونها وهو
صفة الأصفر على الخلوص فأما الأسود فإنه قال في مبالغته
أسود حالك وغربيب ويقال أحمر قانئ وأبيض يقق وأخضر
ناضر وأصفر فاقع ولأن الأصفر بمعنى الأسود يكون في الإبل
خاصة لأن سوادها تعلوه صفرة بخلاف البقر وقوله فاقع
لونها أي شديدة الصفرة وقد فقع فقوعا من حد صنع وقوله
تسر الناظرين أي تروق هذه البقرة من نظر إليها وتعجبه
وتفرح قلبه لتمام خلقتها وتصوع لونها ولطافة قرونها وأظلافها
والمسرة لذة في القلب عند توقع النفع وقوله تعالى قالوا ادع
لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون
طلبوا تمام الكشف ببيان الوصف بعد السؤال عن السن واللون
وقوله إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون طلبوا تمام
الكشف ببيان الوصف بعد السؤال عن السن واللون وقوله
إن البقر تشابه علينا البقر جمع بقرة كالشجر جمع شجرة والهاء
للتوحيد والحذف دلالة الجمع باسم الجنس وتشابه بمعنى اشتبه
وخفي وأراد به خفيت واشتبهت لأنها جمع وذكر ووحد على
ظاهر اللفظ ويجوز التأنيث على المعنى في غير القرآن فأما في الآية
فلا حاجة للتغيير وقيل معناه أن جنس البقر تشابه علينا وقرئ
تشابه علينا برفع الهاء على الاستقبال وقد سقطت إحدى التاءين
تخفيفا كما في قوله تكاد تميز من الغيظ وقرئ تشابه بتشديد الشين
لإدغامها إحدى التاءين في الأخرى وقوله وإنا إن شاء الله لمهتدون [illegible]

إنا بمشيئة الله تعالى نهتدي للبقرة التي أمرنا بذبحها إذا اجتمعت
لنا أوصافها التي تتميز بها عن غيرها. قيل وإنا إن شاء الله على
هدى أي استقصائنا في المسألة عن أوصاف البقرة. أي نرجو إنا
لسنا على ضلالة من البحث والاستقصاء. وقيل أي وإنا بمشيئة الله
نهتدي للقاتل إذا امتثلنا الأمر بذبح البقرة التي تصفها لنا. وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لولا أنهم استثنوا ما اطلعوا
على قاتله. وقوله تعالى قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير
الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت
بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون. أي قال موسى يقول الله
تعالى هذه البقرة ليست بمذللة ذللها العمل وذاته ذلول
بينة الذل بكسر الذال. وهو خلاف الصعوبة ورجل ذليل بين الذلة
بين الذل بضم الذال والمذلة والذلة وهو خلاف العزيز وذللة
الله أي لينة. وقوله تثير الأرض أي تكربها وتقلبها أي أثارها
إثارة ولازمه ثار يثور ثورانا وإثارة الأرض سميت
بها لثوران ترابها بها يقال ثار الدخان والغبار والتراب
وثار القطا أي نهض وثار الدم في وجهه أي ظهر وثار
الشفق وقوله ولا تسقي الحرث أي الزرع أي لا يستقى عليها
للحرث بالسواني ولم تلين بإثارة الأرض وتقلبها للزراعة. وقوله
مسلمة أي سالمة من العيوب كلها. وقيل أي مسلمة عن العمل لأنها
ولو عمل عليها لم تخل من عيب بها تعني لبراءتها من العمل هي
برية من العيوب. وقوله لا شية فيها. أي لا لون فيها خالف
لون جميع جلدها واشتقاقها من وشي الثوب وهو استعمال
ألوان العدل في نسجه. وقال سهل ابن عبد الله التستري
أي

أي لا علامة فيها شيتها وتقديرها وعلة وأصلها وشية كالصفة
والزنة والعدة أصلها وصفة ووزنة ووعدة. وقال الإمام
أبو منصور رحمه الله دلت الآية أن البقرة كانت ذكرا لأن
إثارة الأرض وسقي الحرث من عمل الثيران. وهي حجة لأصحابنا
رحمة الله عليهم. فيمن حلف لا يأكل لحم بقرة أو بقرا أنه يحنث
بأكل لحم الثور لأن الله جل جلاله سمى الثور في هذه الآية
بقرة لما قلنا أنه وصفه بالإثارة والسقي. وهما من عمل
الثيران عرفا فأما الجواب عن الاحتجاج بها على التأنيث
فللفظها كما في قوله. وقالت طائفة. وقالت أمة. وقال أبو يوسف
إذا قال بقرة فهي للأنثى خاصة. وإذا قيل بقر صح للذكر
والأنثى كما قال في الجراد والجرادة فأبو حنيفة رحمه الله يقول
إنها للتوحيد لا للتأنيث كما في الحمام والحمامة. وقال أبو منصور رحمه
الله إلا أن يكون أهل ذلك الزمان يخصون بالأنثى كما عرف أهل
هذا الزمان بالذكر حينئذ لا يكون فيه دليل كما ذكرنا وقوله
تعالى قالوا الآن جئت بالحق أي الآن تبين لنا الصفة التي
كان نطلب بالصفة. وقيل أي الآن تحقق لنا وصف هذه البقرة
في شيتها ولونها وصفتها. وهي عند فلان عرفناها فنشتريها
منه ونذبحها ائتمارا بأمر الله تعالى. وقيل أي الآن تبين لنا أنك
جئت بالحق والجد وما كنت هازئا بنا ومن قال كفروا بنسبته
إلى الهزء فقد آمنوا بهذا الانقياد والقبول والاعتقاد وقوله
تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون أي اشتروها وذبحوها
أي فعلوا ذلك بعد الاستقصاء حتى كاد يقع الناس عن ذلك
وقيل وما كادوا يفعلون لغلاء ثمنها. وقيل استقصوا في صفتها لك

حوما على العسر ان بعضها يعلو را الناس وقيل وما كادوا يفعلون

وما كادوا يفعلون

البقرة والسؤال عن احوالها والاستقصاء في الشيء ربما يكون للمدافعة
ثم ذكر في التفاسير المعروفة انهم لو ذبحوا بقرة اي
بقرة كانت جاز لهم ذلك فلما بحثوا عنها وسألوه مرارا كان
استقصاؤهم سببا لتغليظ الامر عليهم الى ان ينتهي الامر الى بقرة غلت
الثمن لكثرة ما تهم اساءتهم وهابيل مسكها ذهبا وكادوا يخرج الى ان
لا يأخذوا وهكذا روي انهم شددوا على انفسهم فشدد الله
عليهم قالوا وفيه دليل ايضا على امضاء الخطاب على العموم
وعلى ان الحكم يتعلق باقل ما ينطلق عليه الاسم وعلى وجوب
العمل بالظاهر وقد ذكر عليهم قوله فافعلوا ما تؤمرون اي دعوا
البحث والتفتيش لكن الامام ابو منصور رحمه الله قال استدل
قوم بها على عموم الخطاب وقت السماع لانه امر بذبح بقرة لم يبين
لهم كيفيتها وقت الخطاب وروي لو عمدوا الى ادنى بقرة لاجزأتهم
لكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم لكن هذا لا يصح لانه
دعوى على الله عز وجل حدوث شيء في امره وبداء في حكمه
وذلك كفر لا يقوله مسلم فضلا ان يقوله رسول الله فانه قال
انه يقول انها كذا فلو كان الاول على غير ذلك لكان
قد بدا له فيما عمد وقصد بما لم يكن اراد واذلك بمعنى البدا
بل بمعنى الرجوع عن الاول فما ارادوا ما التفسير له بغيره
وذلك فعل من جهل العواقب تعالى الله عن ذلك ثم معنى
سؤالهم موسى ان يدعو ربه ما ارادوا بذلك انه جعل ذلك
الله لهم فوقع عندهم ان ليس كل بقرة تصلح للآيات ولذلك
لم يسألوا موسى عن تفسيرها اذ الله تعالى هو الذي يعلم الآيات
فكان الامر بالذبح في الابتداء على ما آل اليه امرها وظهر لكنهم

امروا

امروا بالسؤال عنها ليصلوا الى المراد فيه لانه احدث لهم ذلك
بالسؤال ثم قال وجه كون جعل البقرة اية دون غيرها من
البهائم شيئان احدهما ما روي ان رجلا بارا بابويه مخبتا اليهما
وكانت له بقرة على تلك الصفة والشية فما اراد الله ان يوصل
اليه في الدنيا جزاء ما كان منه والثاني انهم قبل ذلك كانوا يعبدون
البقرة والعجاجيل وحببت اليهم كما قال واشربوا في قلوبهم العجل
ثم تابوا وعادوا الى عبادة الله تعالى وطاعته فاراد الله تعالى
ان يمتحنهم بذبح ما حبب اليهم ليظهر منهم حقيقة التوبة وانقلاع
ما كان منهم من قلوبهم وقيل كان افضل قرابينهم جنس البقر
فامروا بذبح البقرة ليحصل التقرب لهم بما هو افضل عندهم
ثم بين الله تعالى السبب الذي امروا به بذبح البقرة بالآية التي
بعدها وهي في قوله تعالى واذ قتلتم نفسا اي واذكروا ايضا
اذ قتل بعض اسلافكم واضيف الفعل اليهم لرضاهم بفعل اولئك نفسا
هي عاميل بن شراحيل وقوله تعالى فادارأتم فيها اي تدافعتم
واختلفتم فدفع كل واحد منكم الفعل عن نفسه واحاله على غيره
وقد درأ يدرأ درءا اذ دفع قال الله تعالى ويدرأ عنها العذاب
ودارأه اي دافعه وتدارأ القوم اي تدافعوا وادارأوا
كذلك واصله تدارأتم ادغمت التاء في الدال لانهما من مخرجهما
فسكنت وادخلت الف الوصل لانه لا يبتدأ بالساكن وقوله تعالى
والله مخرج ما كنتم تكتمون اي مظهر امر القتيل بحقيقته وصدقه وقد
بينا وجوه الخروج والاخراج فيما مر وقيل هذه الآية مقدمة في
المعنى اي واذكروا اذ وقعت هذه الحادثة فيكم فسألتم موسى
بيان امرها فقال ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة وتضربوه ب

بعضها فيحيي فيخبركم عمن قتله فقلتم له اتتخذنا هزوا إلى آخرها

والتأخير أي فيخبركم عمن قتله فقلتم له اتتخذنا هزوا إلى آخرها

في الأخبار والتلاوة اذا لم يوقع الخلل • والناقض جايزا لا ترى ان

العدة بأربعة اشهر وعشر ناسخة للعدة بسنة متاعا إلى الحول

غير اخراج ثم الناسخ مقدم في التلاوة والمنسوخ متأخر • وقيل

كان هذا في وقتين ذكر الله تعالى امر البقرة تسلية لقلب النبي

صلى الله عليه وسلم ان قوم موسى صلوات الله عليه نسبوا موسى

الى الهزو • واستقصوا بالسؤال كما سالت الصحابة رسول الله صلى الله

عليه وسلم ورضي عنهم لم كانوا ما يؤذون بذبح البقرة • فانزل الله

تعالى هذه الآية ودليل هذا ان الاول خطاب موسى عليه السلام

والثاني خطاب الله تعالى اولاد القائلين ثم اختلف في الآية الثانية

ان الخطاب لأي قوم قيل لبني اسرائيل الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام

ومعنى قوله تعالى والله مخرج ما كنتم تكتمون اي من امر القاتل ليظهر البريء

من المجرم وقد اداراتم فيها وظنوا انه يكتم فاظهره الله بالأمر بذبح

البقرة • وضربه ببعضها وقيل هو خطاب اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم

وكانوا يكتمون هذه القصة لما فيها من الشنعة والتعنت ووصف

موسى بالهزو والله تعالى اظهرها بإنزال هذه الآيات يدل عليه

انه قال ما كنتم تكتمون ولم يقل تجحدون وقوله تعالى فقلنا اضربوه

ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون اي اضربوا

المقتول • وانما قال اضربوه على التذكير وان تقدم ذكر النفس

لاعتبار المعنى فانه كان رجلا وانث في قوله فادارأتم فيها لانه

صرف الكناية الى النفس • وهي مؤنثة سماعا فصرف احدى الكنايتين

الى اللفظ والاخرى الى المعنى كما في قوله تعالى من قرية التي اخرجتك

اهلكام

اهلكام وقيل قوله تعالى فادارأتم فيها يرجع الى القتلة التي

يقتضيها قوله واذ قتلتم • وقوله ببعضها اي بشيء من البقرة المذبوحة

واختلفوا في ذلك البعض فقال ابن عباس وعكرمة هو الفخذ وقال

الفراء فخذها الايمن • وقال السدي هو البضعة التي تكون

بين الكتفين • وقال ابو العالية والربيع بن انس هو عظم منها

وقيل هو الذنب • وقيل هو عجب الذنب ومنه يركب الخلق

ومنه يبدا يوم القيامة قاله معاذ بن جبل وهو اول ما يخلق

منه واخر ما يبلى وقيل اللسان • وقال الامام ابو منصور رحمه

الله لا نعلم ذلك عن الله تعالى لكن نقول ببعضها يقتدر تاثير

الخطاب • ثم ها هنا مضمر اي فضربوه ببعضها فأحياه الله تعالى

ثم ان موسى عليه السلام امرهم ليضربوه بها وما ضربه بنفسه نفيا

للتهمة كيلا ينسب الى السحر او الحيلة كما اتهموه عند احيا العصي

حتى قال فرعون لعنه الله انه لكبيركم الذي علمكم السحر • وقالوا

ساحران تظاهرا • وقوله تعالى يحيي الله الموتى اي كما احيا

هذا المقتول يحيي الموتى يوم القيامة • وقوله هذه السورة او كالذي

مر على قرية معطوف على هذا وانما جاز • وان بعد لان القرآن

كله كلام واحد متصل بعضه ببعض يتصل المعاني • ثم بعد تباعد

الآيات وهو كقوله مال هذا الرسول يأكل الطعام وجوابه • وما

ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام الآية • وقوله

تعالى ص والقرآن ذي الذكر وجوابه ان ذلك لحق • وقوله

تعالى والفجر وليال عشر وجوابه ان ربك لبالمرصاد • فان

قالوا ان بني اسرائيل كانوا مقرين بالبعث • فما معنى الزامهم

بقوله كذلك يحيي الله الموتى • قلنا كانوا مقرين قولا وتقليدا فبينها

علمه عيانا وإيقانا وهو كقول إبراهيم بلى ولكن ليطمئن قلبي وقال
أبو سهل الطالقاني لم يرد به إحياء النفوس في هذه الآية وقوله لعلكم
تعقلون يريد إذا أحيا ما أماتوا وكتموا من نعت النبي صلى الله عليه وسلم
والأحكام كالرجم ونحوه أي يظهر هذه كما أظهر تلك وقوله تعالى
ويريكم آياته أي دلائله الأخر ولا يقتصر على إراءة هذه الآية وقوله
لعلكم تعقلون لم يرد به البصيرة والعقل فقد كانوا كذلك لكن معناه
لتعقلوا ما يجب عليكم من أمر دينكم إذا رأيتم آيات الله في إحياء
الموتى ونحوه وقال القفال هذا الكلام مبتدأ أي ويريكم آياته
يا معشر العرب في محمد صلى الله عليه وسلم بما يخبركم به من علم الغيب
الذي لا يجوز أن تعرف إلا بالخبر عن الله تعالى لكي تتنبهوا وتقبلوا
ما يدعوكم إليه كقولك اعقل هذا أي افهمه وقيل يجوز أن
يكون معطوفا على ما سبق أي ويريكم آياته كما أراكم إحياء القتيل
ويجوز أن يكون معناه ويريكم جميع آياته من أول بعث موسى
إلى آخره من اليد البيضاء والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم وفلق البحر ونجاتهم من الغرق وإغراق فرعون وقومه
وكونهم في التيه ونزول المن والسلوى واختيار السبعين بعد إحرامهم
ونصه ما قال الكلبي أن بني إسرائيل قيل لهم في التوراة إذا
هبطتم أرض ميراثكم المقدسة التي كتب الله لكم ميراثا من أبيكم إبراهيم
دمشق والأردن وفلسطين فجاهدتم في سبيلكم هذا فانظروا إذا
قتيل وجد من قريتين لا يدرى من قتله فليقس إلى أقربهما فليحلفوا
أهل تلك القرية جميعا به فإن علموا قاتله فليقتلوه به وإن لم يعلموا
قاتله أخذ خمسين شيخا من شيوخ أهل القرية ثم يأخذون بقرة
حمراء حولية فينطلقون إلى واد فيذبحونها فيها ثم ليضع الشيوخ الخمسون

أيديهم

أيديهم عليها ويحلفون بالله رب السماء العلي إله بني إسرائيل ما قتلناه
وما علمنا له قاتلا فإن حلفوا برئوا من دمه وأخذوا بديته فعمد رجلان
أخوان من بني إسرائيل إلى ابن عم لهما اسمه عاميل فقتلاه لكي
يرثا ماله وكانت بنت عم لهما شابة جميلة مثلا في بني إسرائيل
مخافة أن ينكحها ابن عمها فلذلك قتلاه ثم حملاه فألقياه إلى جانب
قرية فأصبح أهل القرية والقتيل بينهم لا يدرون من قتله فأخذ
أهل القرية به فلما عمي عليهم شأنه ومن قتله قالوا لموسى ادع
الله أن يطلعنا على قاتله فدعا موسى فلما رجعوا إلى موسى قالوا يا
موسى ماذا أجابك ربك قال لهم إن الله يأمركم أن تذبحوا
بقرة فتضربوا الميت ببعضها فيعيش فيخبركم من قتله فظنوا أن
موسى عليه السلام يستهزئ بهم فقالوا أتتخذنا هزوا وذكر
سؤالاتهم وجوابه لهم على ما مر في تفسير هذه الآيات إلى أن قال
وطلبوا بقرة على هذه الصفة حتى وجدوها عند رجل ليست عنده
غيرها بقيت بتركة لأبيه فهو يربيها لولده فلما سألوه أن يبيعها
أباهم رفعوا له في الثمن حتى أعطوه ملء مسكها ذهبا فباعها منهم
وكانوا أمروا أن يضربوه ببعضها بعد أن يذبحوها ففعلوا فحيي
وجلس وأوداجه تشخب دما وقال قتلني ابنا عمي فلان وفلان
ولم يعطيا من ميراثه شيئا وفي الخبر لم يورث قاتل بعد
صاحب البقرة وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان في بني
إسرائيل رجل صالح له ابن وله عجلة فأتى بالعجلة إلى غيضة
فقال اللهم إني استودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات
الرجل فلبثت العجلة في الغيضة حتى كبر الصبي وكبرت العجلة
فصارت عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الصبي

أباهم

وكبرت العجلة اتاها ومعه حبل فادعت له فتكلمت من نسيها
وكانت احسن البقر واسمنها فاتاها امه فلما قال لهم موسى
إن الله يأمركم ان تذبحوا بقرة وذكر القصة على ترتيب
هذه الآيات وقال تعرفوا انما بقرة اليتيم قالوا الآن
جئت بالحق فساوموا اليتيم فقالت له امه لا تبعها حتى
تشاورني فلم يزالوا يزيدونه حتى رضوا بان يبيعوها
بملء مسكها ذهبا وقال السدي طلبوا البقرة فلم يجدوها
إلا عند غلام من علماء بني اسرائيل كان بارا بابيه وكان
من بره ان انسانا اتاه بلؤلؤة فابتاعها الغلام بخمسين الفا وكان
في اللؤلؤ فضل فقال له الغلام ان ابي نائم ومفتاح الصندوق
عند راسه فانتظر حتى يستيقظ فاعطيك الثمن قال فايقظ اباك
واعطني المال قال ما كنت لافعل ولكن ازيدك عشرة الاف
فانظرني حتى ينتبه ابي فقال الرجل وانا احط عنك عشرة
الاف درهم على ان توقظ اباك قال الغلام وانا ازيدك
عشرين الفا على ان لا تستعجل فلم يزل الا يزيد الغلام ويحط
صاحب اللؤلؤ فلم يوقظ الغلام اباه فاعقبه الله تعالى ببره
ان جعل تلك البقرة عنده فاتوه فقالوا بعناها قال لا
فاعطوه بها بقرتين فابى حتى اعطوه سبع بقرات فابى فاتوا
موسى عليه السلام فقالوا وجدنا صفة هذه البقرة عند غلام
من بني اسرائيل فبعث اليه موسى وقال بعضهم فقال الغلام
اتاخذها يا موسى غصبا قال لا قال فهي مالي ابيعها بما شئت
قال موسى صدق فارضوه ثم قال له فماذا تسأل قال
لا ابيعها الا بملء مسكها ذهبا فلم يجدوا بدا فاعطوه فاخذوا

البقرة فجاؤوا بها الى موسى فذبحوها وقال سعيد بن جبير ان اصحاب
البقرة طلبوها اربعين سنة وقال عكرمة وجدوها عند رجل
قال ابيعها بمائة دينار فابوا ورجعوا الى موسى فقال هو اعلم
ان شاء باعها وان شاء لم يبعها فعادوا الى الرجل فقالوا نأخذها
بمائة دينار فقال لا انقصها من مائتي دينار فلم يزالوا
يعودون الى موسى والى صاحب البقرة فيضعف عليهم الثمن حتى
قال لست ابيعها الا بملء مسكها ذهبا فاخذوها به وقال
السدي كان في بني اسرائيل فتى يتيم في حجر عمه فلما بلغ
الفتى قال يا عم انكحني ابنتك فابى عليه فقال الفتى والله
لاقتلن عمي ولارثن ماله ولانكحن ابنته ولآكلن ديته فقال
لعمه ليلة ان لي حاجة في سبط من اسباط بني اسرائيل فانطلق
لعمه حتى دخل به فجاءه بحجر كان اعده ليقتله فقتله فلما اصبح
جعل يبكي على عمه فطاف بالاسباط التي ليس بها عمه عمدا
وقال انكم قتلتموه فذهب بهم الى موسى فعرض عليهم الدية
فتدافعوا فيه انهم لم يقتلوه فاوحى الله تعالى اليه ان مرهم
ان يذبحوا بقرة وعن ابن سيرين ان رجلا كان له ذو قرابة
هو وارثه فقتله ليرثه ثم ذهب به فالقاه على باب قوم
اخرين واصبح يطلب بدمه فهموا ان يقتتلوا حتى لبس الفريقان
السلاح فقال رجل منهم اتقتتلون وفيكم نبي الله موسى
فكف بعضهم من بعض ثم انطلقوا الى موسى عليه السلام
فذكروا له ذلك وذكروا القصة وقال القشيري رحمه
الله في قوله لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك اشارة الى
ان الذي يصلح لهذه الطريقة من لم يستهوه نزق الشباب وسكره

ولم يعطله عجز المشيب وضعفه بل هو صاح باستفاق من سكره وبقي له
بعد نقضا ده من عمره. وقال بعض اهل المعرفة في قوله لا شية
فيها هذا تنبيه على ان امدح الاحوال للعبد ان يكون مع الله على لون
واحد لا يتشتت عليه همومه في الدنيا قال النبي صلى الله عليه وسلم
من جعل همومه همًّا واحدًا وهو هم المعاد كفاه الله جميع همومه
ومن تشعبت به الهموم لم يبال الله في اي اودية هلك وسمع بعض
الفقرا قائلة تقول كل يوم تتلون غير هذا بك احسن صوت
يستمع الينا ويتهوى وهو يقول هذه حالتي مع الله فلم يزل
هكذا حتى شهق شهقة كان حتفه فيها. وقال بعض اهل المعرفة
في قوله فقلنا. اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى انما جعل
الله احيا المقتول في ذبح البقرة تنبيها لعبيده ان من اراد منهم
احيا قلبه لم يتأت له الا باماتة نفسه فمن اماتها بانواع الرياضات
احيا الله قلبه بانوار المشاهدات وقوله تعالى ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة اي غلظت واشتدت
وقد قساه يقسو قسوة وحجر قاس اي صلب. والقسوة الشدة
الباردة والمقاساة معالجة الامر بشدة وقوله من بعد ذلك
قال ابن عباس وقتادة اي من بعد احيا القتيل وهو خطاب
لقاتليه اي حيي القتيل واخبر ان ابني عمه قتلاه فانكرا مع
ظهور هذه الاية العظيمة. وقيل بل معناه ثم قست قلوبكم بعد
احيا الميت عن الانقياد للحق ولم يزالوا بعده اهل حسد وعناد
للانبيا لا يقبلون وعظا. وقيل بل معناه قست قلوبكم بعد
احيا هذا القتيل وغيره من الآيات فلم تخلوا من عناد واعتراض
على موسى عليه السلام في التيه. وغير ذلك. وهذا كله راجع

الى

قرئنا من قسي قال الله تعالى
قاسية قلوبهم وقرئ قسية مح

إلى اسلافهم وقيل هو خطاب اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من
الاحبار اي غلظت قلوبكم بعد ما جا اوائلكم من الآيات والعقوبات
على الجنايات والمواثيق المأخوذة عليهم فطغيتم مع ما عندكم من العلم بالآيات
التي تلين عندها القلوب ومن وصف المؤمنين ذلك. قال تعالى
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
إلى ذكر الله وقوله تعالى فهي كالحجارة اي فهذه القلوب مثل الحجارة وهي
جمع الحجر في الشدة والغلظ وقوله تعالى او اشد قسوة ذكر نحاة
عند تفسير قوله تعالى او كصيب من السما ان او على وجوه كثيرة
ويستقيم حملها هاهنا على عدة منها احدها انها بمعنى الواو. ومنها
بمعنى بل ومنها انها للتخيير اي ان شبهتم فاجعلوها كالحجارة وفي مثلها
وان شئتم فاجعلوها. اشد منها فانها كذلك كما يقال جالس
الحسن وابن سيرين انه للتخيير. ومنها انها على ابهام الامر على العباد
وان كان الله جل جلاله عالما بذلك كقول الرجل لآخر اكلت
خبزا او لحما اذا اكلت ان تخبره انك انما اكلت احد هذين
الشيئين لا باعينهما وابهمت الخبر عليه اذا لم يكن بك
حاجة الى التعيين او لم ترد تسبيبه له. ومنها انه كقولك ما اكلت
الا حلوا او حامضا اي طعامي لا يخرج عن هذين بل يتردد
عليهما ومعناه ان قلوبكم لا تخرج عن هذين. اما كالحجارة. واما اشد قسوة
منها وليس فيها ما يخرج عن هذين. فيكون الين من الحجارة وحقيقته
انه هو كذا عند من عرف شأنهم منكم على هذه الصفة او
اشد منها فاما عند الله فمتى كان احدهما بعينه لا شك فيه هم
وانتم لتقارب الامرين تشكون فيه. وكذا قوله الى مائة الف
او يزيدون. وقوله فكان قاب قوسين او ادنى. وقيل هذا

في فريقين أي بعضكم كذا وبعضكم كذا وقيل هذا تأسيس للتفسير في
القلوب فبدأ بما يعترضونه في نهاية الشدة تشبيهها بالحجارة ثم بين كمال
قسوتها أنها أقسى منها وتقديره أبي الأخبار بالأدنى ثم بالأعلى
وهذا أوقع في القلب قال تعالى ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف
ثم قال يمددكم ربكم بخمسة آلاف وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لأصحابه إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا ثم قال إني
لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا ثم قال إني لأرجو أن تكونوا
ثلثي أهل الجنة وقوله تعالى أو أشد مرفوع لأنه معطوف على
معنى الكاف في قوله تعالى كالحجارة فإن معناه مثل الحجارة وقوله قسوة
نصب على التفسير كقوله هو أحسن الناس خلقا وأتمهم رفقا وقال
الإمام أبو منصور رحمه الله ضرب الله مثلا لقلوبهم فشبهها بالحجارة
لقساوتها وشدتها وأنها أشد قسوة من الحجارة وذاك أن من الحجارة
مع صلابتها وشدتها مع فقد أسباب الفهم والعقل عنها وزوال الخطاب
منها تخضع له وتتصدع قال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته
خاشعا متصدعا من خشية الله وقال تعالى فلما تجلى ربه للجبل
جعله دكا وقلب الكافر مع وجود أسباب الفهم والعقل وسعة
هذه العقول لا تخضع له ولا تلين ولذلك أخبر الله تعالى عن الجبال
أنها تلين وتخضع لهول ذلك اليوم بقوله وتكون الجبال كالعهن
المنفوش وقلب الكافر لا يلين أبدا وقال إن الله تعالى جعل من
الجبال منابع للخلق مع صلابتها وشدتها حتى تخرج منها الأنهار والمياه
وقلب الكافر مع احتمال ذلك وإمكانه لا منفعة فيه لأحد
ثم وجه حكمه ضرب قلوبهم مثلا بالحجارة وتشبيهها بها دون غيرها من
الأشياء الصلبة من الحديد والصفر وغيرها وذلك والله أعلم أن
الحديد

الحديد
يلينه النار وكذا الصفر حتى يضرب منها الأواني والحجر لا تلينه نار ولا شيء
فلذلك شبهه قلب الكافر بها فإنه والله أعلم في قوم علم الله أنهم
لا يؤمنون بها وقوله تعالى وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار واللام في لما
للتأكيد وما بمعنى الذي وإن هو مرفوع ومعناه الذي أي الحجر الذي يتفجر منه
والهاء ترجع إلى ما لا إلى الحجارة وقيل يرجع الهاء في قوله من الحجارة فإنه
للتبعيض ومعناه وإن بعض الحجارة وعلى هذا يكون ما صلة زائدة
كما في قوله فبما رحمة من الله وعما قليل وفبما نقضهم تقديره وإن
بعض الحجارة ليتفجر منه الأنهار ويتفجر أي يسيل واسعا كثيرا والأنهار
جمع نهر وهو معروف ومعناه المجرى الواسع من مجاري الماء وقيل
هذا على العموم في جميع الأحجار العظام التي يخرج منها الأنهار والأودية
وقيل هو على الخصوص وهو حجر موسى عليه السلام الذي كان يضربه
موسى بعصاه فينفجر منه اثنتا عشرة عينا لاثنتي عشرة سبطا وقوله
تعالى وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء القليل ويشقق أصله
يتشقق أدغمت التاء في الشين كما في قوله المزمل والمدثر ويذكرون ويصدعون
والهيد أي جهاب كما في الأول قال ما بمعنى الذي ومنه يرجع اليه ومن
بمعنى بعض وما زائدة وقيل هذا على العموم في كل حجر يتشقق فيخرج
منه ما دون النهر وقيل هو على الخصوص في قصة داود يا جبال
أوبي معه وقوله تعالى وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله
بغافل عما تعملون في من وما والهاء كما مر والهبوط النزول
والخشية الخوف عن العلم وهذا على العموم في كل الأحجار عند
بعضهم وهي الأحجار التي تنحط من رؤوس الجبال من خوف
ذي الجلال وقيل هذا على الخصوص في جبل موسى عليه السلام
الذي تجلى له الرب جل جلاله فجعله دكا فتفرق وبذلك أن

تفلت الكافر امنى من الحجارة التي لها هذه الاثار ثم ان قالوا وصف الله
تعالى الحجارة بالخشية وهي لا توجد الا من عاقل مميز قلنا اجوبة احدها
ان معناه والله اعلم وان من الحجارة لما يتردى من العلو الى السفل منقادا
لحكم الله تعالى وهم لا يصيرون على العناد وترك الانقياد فجعل
الهبوط مثلا للانقياد كما يقال نزلت على حكم فلان وقوله من خشية
الله اي الانقياد لامر الله والكون على ما سخره وهو متشبه بما يفعله
من يخشى الله على معنى انه لو وجد مثله من العاقل المختار كان به خاشيا
لله تعالى وهو كقوله جدارا يريد ان ينقض اي ظهر فيه من الميلان
المسقوط ما لو ظهر مثله في حي مختار كان مريدا والثاني ان المراد به
الاحوال التي تحدث من الزلازل والايات التي تخشى الله عندها
اي ومن الحجارة ما يهبط بعضه من بعض من اجل ما يريد الله من خشية
عباده له ورجوعهم اليه والثالث انه لو اريد حقيقة الخشية منها
فهو على ان يخلق الله تعالى فيها الحياة والتمييز وليس شرط
خلق الحياة والتمييز في الجسم ان يكون على بنية مخصوصة عند اهل
السنة والجماعة وعلى هذا قوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على
جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وعلى هذا انطاق جلود
الكفار يوم القيمة وحنين الجذع وتسليم الاحجار على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتسبيح الحصا في كفه وكلام الشاة المسمومة
ومجي الشجرتين الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى تستتر بهما وقضى
حاجته ثم رجوعهما الى مكانيهما وقوله تعالى يومئذ تحدث
اخبارها ونحو ذلك وقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون قرأ ابن
كثير بالياء على الغايبة رجوعا اليها من المخاطبة كما في قوله حتى
اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقرا الباقون بالتاء على المخاطبة كما

في اول

في اول الاية وهذا ابلغ وعيد اي لا يخفى على الله شيء من اعمالكم فمجازيكم
بها وقوله تعالى افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون
كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون والانتظام بما
قبله ان النبي عليه السلام والمؤمنين به لما سمعوا هذه الايات وهي في
في طبقة القلوب طمعوا ان يؤثر ذلك في قلوبهم فيؤمنوا قال
الله تعالى افتطمعون وهذا استفهام بمعنى النفي اي لا ترجوا وهو
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على الخصوص بكلمة الجمع تعظيما له كما قال
ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم قيل اي عليه وانما جمع للتعظيم
ثم هذا ايس من ايمانهم وهم قوم باعيانهم كما في قوله تعالى أأنذرتهم
ام لم تنذرهم لا يؤمنون ثم بين معنى بعدها تطمع عن ذلك بما بعده
وهو قوله وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله اي وهؤلاء اولاد الذين
سمعوا كلام الله وهم السبعون الذين اختارهم موسى صلوات الله عليه
للميقات وقد ذكر الكلبي انهم سالوا موسى ان يسال الله تعالى ان
يسمعهم كلامه فقال لهم اغتسلوا والبسوا الثياب الطيبة ففعلوا
فاسمعهم الله كلامه فقال اني انا ربكم لا اله الا انا الحي القيوم وندا الفعال
في مدا اله قال واوصيكم ببر الوالدين وان لا تسرقوا ولا تزنوا ولا
يظلم بعضكم بعضا ولا تقطعون السبيل ولا يشهد بعضكم على بعض
زورا لكن الصحيح انهم لم يسمعوا كلام الله بلا واسطة فان ذلك كان
لموسى عليه السلام على الخصوص لم يشترك فيه غيره في الدنيا ومعنى
يسمعون كلام الله اي التورية من موسى بغير او كما في قوله وان
احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله وقوله
تعالى ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون التحريف التغيير
والانحراف الميل والتحرف له لذلك قال تعالى متحرفا لقتال وقلتم

محرف تأويل الرأس تحريف الكلام إبانته عن وجهه المعتبر وحمله
وأما تفسيره فقد قال مجاهد والسدي أي يحرفون التوراة وقال
محمد بن إسحاق والربيع أي الوحي الذي سمعوه من موسى من بعد ما عقلوا
تأويله وعرفوه وفهموه وقيل هو تحريف أحكام الكتاب لأنهم كانوا
يفتون المستفتين من الفقراء بما في الكتاب وإذا استفتاهم الغني
أخذوا الرشوة وغيروا حكم التوراة على وفق هوى الغني كما
غيروا آية الرجم تخفيفا على الأغنياء بأخذ الرشوة وغيروا حكم الكتاب
يقول كيف يؤمن هؤلاء وهم يقلدون أولئك الأحبار وقال الإمام
أبو منصور رحمه الله من بعد ما عقلوه أنه من عند الله ويعلمون أنه
رسول الله وأنه حق وقال معنى الآية أنهم مع كثرة ما عاينوا
من الآيات وشاهدوا من العجائب في عهد موسى صلوات الله
عليه لم يطمع في إيمانهم فكيف طمعتم أنتم في إيمان هؤلاء وهم
أتباعهم وقيل معناه كيف ترجون إيمان هؤلاء وفريق منهم
هؤلاء سمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم ثم حرفوا
تأويله من بعد ما علموه قال القفال ثم يحرفونه أي يتأولونه
على غير تأويله ويبدلون به عن جهته من بعد ما عقلوا تأويله
عن الله تعالى وهم يعلمون أنهم يحرفونه باطلا ويبدلونه حسدا
وبغيا أي يعلمون أنه يورث الوزر والعقوبة وليس قوله عقلوه
ويعلمون شيئا واحدا وقال القشيري أيسهم عن إيمانهم وذكر
أنهم بعد سماع الخطاب من الله تعالى حرفوه وقد عقلوه وعرفوه
فكيف يؤمنون لكم وإنما يسمعون بواسطة الرسالة ومن لم يتف
على الإيمان بعد العيان فكيف يؤمن بالبرهان والذي لم يفلح
للحق لا يصلح لكم ومن لم يحتشم من الله كيف يحتشم منكم قوله تعالى

وإذا

وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا أي وإذا لقي المنافقون وهم الذين كانوا من
أهل الكتاب وآمنوا بألسنتهم خوفا من القتل والسبي وهم يضمرون
الكفر إذا لقوا المؤمنين المخلصين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا آمنا أي نحن مؤمنون مثلكم مخلصون قوله تعالى وإذا خلا
بعضهم إلى بعض أي صاروا على الخلوة مع رؤساء يهود كعب بن الأشرف
وكعب بن أسيد ووهب بن يهودا قوله تعالى قالوا أتحدثونهم
بما فتح الله عليكم أي قالوا هؤلاء الرؤساء من اليهود لهؤلاء المنافقين
أتحدثونهم استفهام بمعنى النهي أي لا تحدثوا العرب بما فتح الله
تعالى عليكم أي أنزل الله تعالى عليكم وهو ما في التوراة من
نعت النبي صلى الله عليه وسلم وحقيقة رسالته ودينه وكتابه
وهذا كما في قوله ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم
بركات من السماء والأرض أي لأنزلنا وقال ابن عباس رضي الله
عنهما وأبو العالية والحسن وقتادة بما فتح الله عليكم من باب
العلم بصفة النبي صلى الله عليه وسلم المبشر به وقيل بما علمكم
الله من ذلك وهو من قولك استفتحته ففتح علي أي سألته
فعلمني ويقال فتح علي في أمري أي عرفني وجهه وطريقه
وقيل بما فتح الله عليكم أي أوجب عليكم وحكم عليكم من أخذ الميثاق
في كتبكم ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه
وهو من قولهم للحاكم فتاح وقال تعالى ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق أي احكم وقال مجاهد أي بما حكم عليكم كما جعل
منكم القردة والخنازير فلا تخبروه عندهم فيعيروكم به عنادا لكم
وعنادا بالحجة وقيل بما فتح الله عليكم أي نصركم حين استفتحتم
برسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الزمان في مغازيكم أي استنصرتم

٣٠

بر

وقوله تعالى ليحاجوكم به عند ربكم قال ابن عباس رضي الله عنهما كان
المنافقون يحدثون العرب بما عذبوا به فيقول لهم رؤساؤهم
اتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به عند ربكم ليقولوا
نحن اكرم على الله منكم واحب اليه منكم. وقال مقاتل بن سليمان
نزلت في اليهود وذلك ان الرجل المسلم كان يلقى من اليهود رضيعه
او حليفه فيسأله اتجدون محمدا في كتابكم فيقولون نعم هو حق نعرفه
فسمع كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف واصحابهما فقالوا لليهود
في السر اتحدثون اصحاب محمد بما فتح الله عليكم من نعت محمد ليحاجوكم
به عند ربكم باقراركم بانه نبي ثم لا تتابعونه. قوله عند ربكم
تخصمون. وقيل اي تكون لهم حجة عند الله في الدنيا والآخرة. وقال
الحسن عند ربكم اي في ربكم اي تكونوا هم اولى به منكم اذا كانت
حجته عليكم. وقيل عند ربكم قيل اي في القيامة اذ في حكم ربكم وهو
كقوله فاولئك عند الله هم الكاذبون. وقوله عز وجل ايضا عند السهو
عند الله اي ليخبروا عليكم باقراركم ان الله تعالى حكم عليكم فيما
اخذ عليكم من الميثاق الذي بينا لتؤمنن به ولتنصرنه. وقيل في
الآية تقديم وتأخير وتقديره اتحدثونهم بما فتح الله عليكم اي
بما نزل عليكم من عند ربكم ليحاجوكم به وقوله تعالى افلا تعقلون
هو متصل بكلامهم ايضا اي افلا تعقلون انكم ان فعلتم ذلك عادت
الحجة عليكم وفيه عيبكم وعيب سلفكم. وقال الحسن هذا متصل
بقوله تعالى افتطمعون في ايمان من هذا صفته افلا تعقلون انه لا
يكون وقوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
اي ما يخفون وما يظهرون من القول والعمل. وقيل ما يسرون
من الكفر عتقادا ويعلنون من الاقرار. وقيل ما يسرون من الحق

بلغ نفع الله به

وهو نعت

وهو نعت محمد وما يعلنون من الكذب والباطل. وقيل ما يسرون
من قولهم النفاق وما يعلنون من الشهادة باللسان. وقيل ما يسرون
من قولهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم وما يعلنون من قولهم
هو نبي حق وهو في كتابنا مذكور. وقوله تعالى اولا استفهام بمعنى
التقرير. وهو تعجيب للصحابة منهم اي الا يتعجبون من عنودهم وانكارهم
لنعت محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم ويعلمون ان الله تعالى يعلم ما
يسرون وما يعلنون ويجوز ان يكونوا الا يعلمون ذلك ويكون قوله
اولا يعلمون تحريضا على تعرف ما يفيدهم العلم كقولك للرجل الا
تفعل كذا وهو لا يفعله تحريضه على ان لا يفعله والاسرار الاخفاء
والاستسرار الاختفاء والاعلان الاظهار والعلون والعلانية والاستعلان
الظهور والعلن نقيض السر. وقوله تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب
اي ومن اليهود اميون اي قوم لا يكتبون ولا يقرؤون من كتاب
سمي الامي به لانه على الخلقة التي ولدته الام عليها وهي عدم
الكتابة والقراءة من الكتاب. وقيل هو منسوب الى الام والام
من النساء والغالب فيهن عدم الكتابة والقراءة منها. وقيل منسوب
الى الام الذي هو الاصل والاصل هذا ايضا فان الكتابة تكون بالتعلم
لا بالخلقة. وقيل منسوب الى الامة وهي جمهور العامة والاصل فيهم
هذا ايضا فاما تسمية العرب اميين فلان الاصل فيهم عدم الكتابة
وهي في بعضهم نادرة ولانهم من ام القرى وهي مكة والنبي صلى الله
عليه وسلم سمي اميا لانه من العرب ولانه من ام القرى
ولانه كان لا يكتب ولا يقرأ من كتاب وعدم هذه الصفة ليست
بمدح ولا ذم وهي في حقه عليه السلام كانت دلالة صحة دعواه
لما قال تعالى في هذه الآية اذا لارتاب المبطلون اي لظنوا انه ياخذها

من كتاب يكتبه وفي هذه الآية ومنهم أميون هذا ذم لهم لعدم
العلم وتقليدهم رؤساءهم في الباطل وقوله تعالى لا يعلمون
الله يعلم ما يسرون وما يعلنون الكتاب إلا أماني هو جمع أمنية كالأثافي
جمع أثفية وللأماني ثلاثة معان أحدها أنها الأكاذيب قال عثمان
رضي الله عنه ما تغنيت منذ أسلمت ولا مسست فرجي بيميني منذ بايعت
النبي عليه السلام ولا أكذب أكذوبة ونحوه منذ قرأت القرآن
وبه قال ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهم أنها الأحاديث المختلقة أي
أحاديث علمائهم تقليدا وهو كقوله تعالى وإن منهم لفريقا يلوون
ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب الآية والثاني أنها القراءات
قال تعالى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته قال حسان
يرثي عثمان رضي الله عنه تمنى كتاب الله أول ليلة وآخره لاقى حمام
المقادر أي وما يعلمون هؤلاء السفلة حقيقة المنزل وإنما يقرؤون
شيئا أخذوه من أحبارهم وتقريرهم على هذا الوجه لا ينفي اسم
الأمي عنهم لأن الأمي من لا يكتب ولا يقرأ عن كتاب لا من لا
يقرأ أصلا والثالث أنها الشهوات قال تعالى يعدهم ويمنيهم
وقال تعالى أم للإنسان ما تمنى وقال عز وعلا ليس بأمانيكم وقال
تعالى ولا تتمنوا أي لا يعلمون الكتاب شيئا إلا ما يمنيهم كبراؤهم وعلماؤهم
من دخولهم الجنة بآبائهم فاتبعهم على دينهم وقال الأخفش الأماني
استثناء منقطع لأنه ليس المستثنى من جنس المستثنى منه وكل موضع
حسن فيه مكان إلا لكن فهو استثناء منقطع وههنا حسن وتقديره لا
يعلمون الكتاب لكن يتبعون الأماني وهو كقوله تعالى ما لهم به من علم
إلا اتباع الظن **وقوله تعالى** وإن هم إلا يظنون أي وما هم إلا ظانين وهو
كقوله تعالى إن الكافرون إلا في غرور يعني ما الكافرون ووصف
في الآية

في الآية الأولى لتحريف الأحبار وفي هذه الآية تقليد العوام
وإيصاله هذه ووبال ذلك بما قبلها أنه تعالى وصف هؤلاء القوم
أنهم غير عالمين بالكتاب وتشبههم مخترعات رؤسائهم كذبا
لا حقيقة لها فيبعد الطمع في إيمان هؤلاء بهذا السبب أي أتطمعون
في إيمان هؤلاء وهم جاهلون مقلدون وأولئك معاندون
وقوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم قال ابن عباس
رضي الله عنهما الويل العذاب وقال الكلبي هو الشديد من
العذاب وقال الأصمعي هو تقبيح من الله عز وجل بعملهم قال
تعالى ولكم الويل مما تصفون وقيل هي كلمة تحسر وتفجع قال
تعالى يا ويلتنا وروى عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم الويل جبل في النار وروى أبو سعيد عنه عليه السلام
قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا
خريفا قبل أن يبلغ قعره وقال أبو عياض هو واد من صديد
في أصل جهنم وقيل هي في اللغة الهلاك وقيل الفضيحة وقيل
حلول الشر وقوله للذين يكتبون الكتاب أي التوراة مغيرا مبدلا
وقوله بأيديهم قيل هو تأكيد للفعل بحصوله بما هو مختص به
وهو كقوله تعالى يقولون بأفواههم وقوله يطير بجناحيه وقيل
هو تحقيق ونفي للمجاز أي يتولونه بأنفسهم فقد يقول الإنسان
كتب إلي فلان إذا أمر غيره أن يكتب عنه إليه وإذا كتب بنفسي
أو بيدي فقد أخبر أنه باشره بنفسه وقوله تعالى ثم يقولون
هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم
وويل لهم مما يكسبون أي يسندون إلى الذي كتبوه وهو مغيره وأنه
منزل من الله تعالى وقوله ليشتروا به ثمنا قليلا أي يكتمون ذلك ليأخذوا

يديا الكبير منه قليل لأنه فان عند باق فان المأكول يذهب
والملبوس يذهب ويبلى والرياسة تزول بالموت وقوله تعالى
فويل لهم مما كتبت أيديهم اي مما غيّروا وقوله وويل لهم مما يكسبون أي
يحصلون لأنفسهم من حطام الدنيا بهذا الفعل وقد كسب كسبا
واكتسب اكتسابا وقيل إن الاكتساب هو اجتلاب الحظ بما
هو له من الاسباب وتبديلهم كان بتغيير نعت النبي صلى الله
عليه وسلم فقد كان في التوراة انه اسمر ربعة جعد لونه لا انه
ابيض طويل اعور وهي من صفات الدجال وانتسابهم كان بسبع المكو
مالهن ويأخذون الرشوة من اغنيائهم ثم ان الله تعالى ذكر الويل
في هذه الآية ثلاث مرات وله وجوه احدها انه في حق تضييع
حق رسوله المصطفى عليه السلام بتبديل نعته والله تعالى يبالغ في
وعيده بتضييع حق احبابه ما لا يبالغ في وعيده بتضييع حقه قال تعالى
فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون وهذا في حق نفسه
وهو مرة وقال ها هنا في حق مضيع حق نبيه ثلاثا وهو كقوله
في حق من وصف الله تعالى بالفقر ولعنوا بما قالوا وهذا مرة
وقالوا في حق من عاب عائشة رضي الله عنها لعنوا في الدنيا والآخرة
والثاني هو اخذ الجزية والقتل في الدنيا والثاني هو عذاب القبر
والثالث وهو عذاب النار وهو كقوله تعالى أولى لك فأولى
ثم أولى لك فأولى أي في الدنيا والقبر والموقف والجحيم وقيل
الويل الاول بقولهم هذا من عند الله والثاني بالتحريف والثالث
في اختلاف حطام الدنيا وقوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار إلا
أياما معدودة اي وقال هؤلاء حين أوعدوا بالتحريف والكسب
الخبيث نحن أولاد الانبياء ولن نعذب يوم القيامة الا مدة يسيرة
قال

ان الاول هو

قال ابن عباس والضحاك وعكرمة وقتادة والسدي هي اربعون
يوما وهي مدة غيبة موسى عنهم وعبادتهم العجل فيها وعن
ابن عباس رضي الله عنهما في رواية هي اربعون سنة وهي المدة
التي حبسوا فيها عن التيه وقال مجاهد والحسن هي سبعة ايام
وهي في قصة نزول الآية وان النبي صلى الله عليه وسلم دخل المدينة
فوجد اليهود يقولون ان ايام الدنيا سبعة الاف سنة فيعذب
مكان كل الف سنة يوما فنزلت الآية ردا عليهم وقال
ابو منصور رحمه الله لا معنى لصرف هذه الايام الى ايام العجل لأن
هؤلاء لم يعبدوا العجل وانما عبده اباؤهم ولو صرف ذلك الى
ابائهم الذين عبدوا العجل لم يستقم ايضا لأنهم قد تابوا عن
ذلك فقد قال تعالى قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
وصرف الايام المعدودة الى العهد الذي عصوا فيه وقيل لم يروا
التعذيب الا على قدر وقت العصيان او كانوا لا يرون التخليد
في النار اولانهم كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه فلا نعذب
ابدا بل نعذب تعذيب الاب ابنه او الحبيب حبيبه في وقت قليل
ثم يرضى وهذا منهم باطل وعقوبة الكفر ابدا وثواب
الايمان كذلك لأن من اعتقد دينا انما يعتقده للابد فتكون
ذلك جزاؤه للابد فاما من ارتكب ذنبا من المسلمين لشهوة
تغلبه فيريد تركه ثم يتركه فانما يعاقب اذا عوقب هكذا التغليب
لأن ما دخل في العقد مستمرا ببعد فانما يعاقب قبح قال الله
تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وفي سورة آل
عمران ان ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا اياما معدودات
والتوفيق مذكر فاذا جمع صار مؤنثا فيقال معدودة ثم يجمع الجمع

عاء

على معدودات وهو كقوله تعالى له معقبات من بين يديه وهذا
من صفات الملائكة ملك معقب وملائكة معقبة بالجمع ثم
معقبات جمع الجمع وقوله تعالى قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف
الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون اى قل يا محمد لهم
اتخذتم هذا ألف الاستفهام بمعنى التوبيخ والالف المجتلبة
ذهبت بالادراج وهذه الالف المقطوعة ألف الاستفهام
وهو كقوله اصطفى البنات على البنين ومعناه اخذتم من الله وثيقة
لكم انه لا يعذبكم اكثر من هذه المدة فلن يخلف الله وعده
وهو قول قتادة وقيل معناه هل قلتم لا اله الا الله فلن
يخلف الله وعده في حق من قال ذلك العهد بمعنى الوعد قال
تعالى ومنهم من عاهد الله ثم قال اخلفوا الله ما وعدوه
وقال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك معناه هل آمنتم
بالله وقد بينا وجوه العهد لغة وشرعا في قوله تعالى الذين
ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وقال الامام ابو منصور
رحمه الله لهذا وجهان احدهما هل عندكم خبر عن الله تعالى انكم
لا تعذبون ابدا لكن اياما معدودة فان كان لكم هذا فهو
لا يخلف وعده والثاني اى الكم عند الله اعمال صالحة وعدكم
بها الجنة فهو لا يخلف وعده وقوله تعالى ام تقولون اى بل
تقولون كاذبين على الله ما لا علم لكم به وقال عكرمة خاصمت اليهود
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن ندخل النار الا اربعين
ليلة وسيخلفنا اليها قوم آخرون يعنون النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل انتم فيها
خالدون مخلدون ولا يخلفكم اليها احد فانزل الله تعالى هذه
الآية

الآية وقال الربيع بن انس ان اليهود قالوا ان الله تعالى عتب
علينا في امر فاقسم ليعذبنا اربعين ليلة حتى اذا اكلت النار
خطايانا نادى مناد ان اخرجوا كل مختون من ولد اسرائيل
لذلك امرنا ان نختتن فلا يدعون في النار احدا منا الا اخرجوه
منها وقوله تعالى بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون قال الفراء بلى اصله بل وهي
رد لما قبله واثبات لما بعده وتذكر على وجه العطف فقال
ما قام زيد بل عمرو فاذا ذكر في الجواب على وجه الانفراد
زادوا عليه الياء ليصلح الوقف عليها وقوله من كسب سيئة
تانيث السيئ وهو فيعل من السوء واصله سيوء ولذلك
ذكر في مقابلته العمل الصالح في الآية التي تليها واختلف في المراد
بها ههنا قال مجاهد وجماعة هي الشرك وتانيثها على
هذا يكون على قصد ارادة الفعلة او الخصلة اي تحيها وقال
الحسن وقتادة السيئة هي الكبيرة التي اوعد الله عليها النار
والها للتوحيد على هذين القولين وقال السدي السيئة
الذنوب التي اوعد عليها النار وعلى هذا تكون الها للجنس وقوله
واحاطت به خطيئته اى احاطت به من كل وجه قال القفال
كل ذنب خطا وخطيئة لانه ليس بصواب واحاطته بالعبد ان
يكون ذنبا احبط ثواب كل اعماله وليس ذلك الا الشرك
ويجوز ان يكون معناه من كسب شركا واحاط به ذلك اى اقام
عليه حتى مات ويجوز ان يكون احاطت به خطيئته اي اهلكته
واشتملت عليه فلا يتخلص منها من قوله واحيط بثمره وقوله تعالى
وظنوا انه احيط بهم وقوله تعالى واخرى لم تقدروا عليها قد

احاط الله بها أي قد حصرها لكم واحتبسها عليكم بحيث لا خروج
لها عن ايديكم متى قصدتم الاستيلاء عليها ويجوز ان يكون المعنى
احاطت به خطيئته اي استولت عليه وغلبته فلم يبق لغيرها
عليه سلطان ولا حجة فيها للخوارج والمعتزلة في تخليد صاحب الكبيرة
في النار اخذا بظاهرها فان السيئة اسم للعمل السيئ والخطيئة اسم
للذنب لانا قلنا ان السيئة هي الشرك قال تعالى ومن جاء بالسيئة
فكبت وجوههم في النار وعن ابن عباس والكلبي ومقاتل وجماعة
ان معناه من كسب شركا واحاطت به خطيئته اي مات على شركه
على ان ظاهر الاية هو الحجة القاطعة فانه قال واحاطت به خطيئته
وهو ان يكون المشتمل عليه هو الخطيئة لا غير وهو ان لا يكون
له شيء غير الذنب ومن كان معه ما هو اعظم الطاعات فلا يكون
الذنب محيطا به وقرأ نافع وابو جعفر خطيئاته لان الاحاطة لا
تكون لشيء واحد وانما تكون لاشياء من فسر السيئة بالشرك
والخطيئة بالكبائر فليس اجتماعهما شرط التخليد في النار بل بالشرك
وحده يستحق ذلك لكن الاية رد لليهود الذين قالوا قال
الله تعالى بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته اي ليس كما قلتم
لن تمسنا النار الا اياما معدودة بل كان مثلكم خالدين في النار وكانوا
مشركين مرتكبي كباير فذكرهما وتفسيرنا ان الكفر وحده مما يوجب
الخلود في النار فكيف اذا اجتمع اليه الشرك وارتكاب الكبائر وقوله تعالى
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون جمع هذا وهو راجع الى قوله
من كسب سيئة وهو واحد لفظا لان معناه الجمع وقوله تعالى
والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
لما اوعد الكفار بالنار اوعد المومنين بالجنة وقوله تعالى واذ اخذنا
ميثاق

ميثاق بني اسرائيل اي واذكروا ايضا اذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل
وهذا الميثاق مشتمل على الايمان والعمل الصالح المذكورين قبله
ليحسن الانتظام ولانه رد قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة
واثبت اشياء تمنع التخليد في النار بنقضهم الميثاق الذي اخذ عليهم
ان يعبدوا الله ولا يشركوا به ويقولوا في النبي صلى الله عليه وسلم
حسنا ولا يكتموا نعته فنقضوا وتولوا واعرضوا فاستحقوا الخزي
في الدنيا والنار في العقبى وقوله تعالى لا تعبدون الا الله قرأ
حمزة والكسائي والمفضل عن عاصم وابن كثير بالياء على المغايبة
ويرجع الى بني اسرائيل وقرأ الباقون بالتاء على خطابهم
به والعرب تقول قلت لزيد لا يذهب وقلت لزيد لا تذهب
ومعنى قوله لا تعبدون الا الله اي لا يعرفون بالربوبية الا الله
تعالى والميثاق على وجهين عهد خلقة وفطرة وعهد رسالة
ونبوة وقد مر شرحه غير مرة قال الامام ابو منصور رحمه الله
لا تعبدون الا الله اي لا تجعلوا الالوهية الا لله ويحتمل نفس العبادة
اي لا تعبدون غير الله من الاصنام وغيرها ثم قوله تعالى لا تعبدون
بالنون وهو للرفع لوجوه احدها ما قال الكسائي تقديره
اخذنا ميثاق بني اسرائيل بان لا تعبدوا الا الله فلما اسقط ان رفع
الفعل لزوال الناصب قال تعالى قل افغير الله تأمروني اعبد ايها
الجاهلون وقال طرفة الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان
اشهد اللذات هل انت مخلدي يروى احضر بالرفع اي ان احضر الوغى
وان اشهد ولذا قال الاخفش والفراء وقطرب والزجاج والثاني
وهو احد قولي الاخفش واجازه الكسائي والفراء والزجاج ان رفعه
لانه جواب القسم وهو كقولك حلفته لا يقوم وهو حكاية على المعنى

والثالث قول قطرب انه رفع في موضع الحال في صيغة الفعل
وموضعه نصب في الاسم لقولك دخلت يتبسم اي متبسما وتقديره
هذه الاية اخذنا ميثاقهم غير عابدين الا الله والرابع قول الفرا
انه مضارع في معنى النهي جا على لفظ الخبر ومثله في القرآن لا
تضار والدة بولدها الاية على قراة من يرفع وفي الخبر لا
تنكح المراة على عمتها ولا على خالتها وقوله تعالى وبالوالدين احسانا
وذلك على اضمار هذا الفعل اظهار هذا المصدر وهو يقتضي الفعل
ومعنى بالوالدين اي الى الوالدين وهذا كقوله وقد احسن بي اي
الي ويقال احسن به والى به واساء به واليه قال كثير اسيئي بنا
او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت وقيل المقصود
واو صيناهم عطفا على واذ اخذنا وقالوا هذا اوجه لانه تفسير
البا التي هي صلة الوصية من غير تغيير له الى معنى كلمة الى
التي هي صلة الاحسان وقد عظم الله تعالى حق الوالدين حيث
قرن حقه بحقهما في هذه الاية وفي ايات من كتابه واعبدوا
الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وقضى ربك الا تعبدوا
الا اياه وبالوالدين احسانا ان اشكر لي ولوالديك وقوله تعالى
وذي القربى اي ذي القرابة وهو عطف على الوالدين
اي وتحسنون الى القريب ايضا وهو واحد بمعنى الجمع لانه
اسم جنس وقوله تعالى واليتامى هو عطف على الوالدين في الامر
بالاحسان اليهم وهو جمع يتيم وهو الصغير الذي مات ابوه
ومن الحيوانات الصغير الذي ماتت امه وقد قال عليه السلام
لا يتم بعد الحلم وقد يتم ييتم يتما من حد علم وجمع اليتيم على الايتام
واليتامى وقوله تعالى والمساكين عطف على الوالدين ايضا في ذلك
وهو

وهو
جمع مسكين وهو الذي اسكنته الحاجة وقوله تعالى وقولوا للناس حسنا اي اخذنا
عليهم الميثاق بما سبق وقلنا لهم في هذا الميثاق وقولوا للناس حسنا قرا
حمزة والكسائي وخلف ويعقوب وعاصم في رواية المفضل عنه حسنا
بفتح الحا والسين على صيغة النعت وهو نعت القول اي قولوا حسنا وقال
مقاتل ومعناه قولوا يا اهل الكتاب حقا وصدقا في حق محمد عليه السلام
واخبروا انه مذكور في كتابكم انه رسول حق وقوله تعالى للناس
هذا اسم للنبي عليه السلام في هذه الاية على الخصوص وقيل اراد
به الصحابة معه اي قولوا لهم حسنا وصدقوهم بما يقولون وقال
سفيان اراد به افشا السلام وقيل اراد به ملاطفة كل الناس في الكلام
فامرنا بالاحسان بالمال في حق اقوام مخصوصين وهم الوالدان والاقربا
واليتامى والمساكين ولما كان المال لا يسع الكل امر بمعاملة الناس كلهم
بالقول الجميل الذي لا يعجز عنه العاقل وقيل هو امر بدعا الناس
الى شهادة ان لا اله الا الله وقيل كان هذا امرا بملاينة اهل الشرك
في القول في الابتدا ثم نسختها اية السيف قاله قتادة وقيل هو الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وقوله تعالى واقيموا الصلاة واتوا الزكاة
عطف على قوله وقولوا وقد مضى الكلام فيهما وحاصله انه امر بهما
واداء بهما على شرايطهما واتمامهما تشبيها مع دخولهما في
العبادة المذكورة في اول الاية تنويها بهما وتخصيصا كما في قوله
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وقوله تعالى وملائكته
وكتبه ورسله وجبريل وميكال قوله تعالى ثم توليتم اي اعرضتم
وقوله تعالى وانتم معرضون اي عن الوفا بالعهد معرضون م
وقوله وانتم معرضون نصب على الحال كما يقال جئت زيدا وهو راكب
اي راكبا والتفات على الخطاب لان قوله ثم توليتم على الخطاب

وظاهره خطاب أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم، ومعناه خطاب
أسلافهم بما فعلوا وقد مر بيانه وجهه والثاني ثم توليتم إلا قليلا منكم
وأنتم يا أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم معرضون كإعراضهم
وقد كان لا بد لكم بهذا الميثاق ما لآبائكم والثالث ثم توليتم أنتم
يا هؤلاء معرضين عن ذلك أيضا مع أنه لا بد لكم أيضا، وقوله إلا قليلا ه
استثناء من تمسك على الحق من السلف فلم يتولوا وهم الأسباط
والنصف الذين لم يعبدوا العجل والسبعون المختارون للميقات أو استثناء
من أسلم في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من عبد الله بن سلام وأصحابه
وقوله ثم توليتم للترتيب مع التراخي أي بعد مدة توليتم ويحتمل أن
أن تكون للتعجب كما في قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون أي تعجبوا
منهم أنهم مع تأكيد الميثاق عليهم تولوا، وقوله تعالى وإذ أخذنا ميثاقكم
أي واذكروا أيضا وإذ أخذنا ميثاقكم، وقوله تعالى لا تسفكون دماءكم
أي لا يسفك بعضكم دماء بعض أي لا يخرج بعضكم بعضا من داره فيغصبها
وفي كتاب العين كقوله ولا تقتلوا أنفسكم، الدار اسم جامع للعرصة والبناء
والمحلة وكل موضع حل به قوم فهو دارهم وجمعها ديار، قال تعالى فأصبحوا
في دارهم جاثمين، وقال القفال في قوله لا تسفكون دماءكم يدخل
فيه الأسر بعد الأسارى فإن تركهم في أيدي العدو سبب قتلهم
وسفك دمائهم وربما لا تسفكون ولا تخرجون بإثبات النون فيهما
للوجوه الأربعة التي ذكرناها في قوله تعالى لا تعبدون إلا الله من
الخبر المتقدمة على هذه ولا يقرأ هذا بالغائبة لما بعدها من كاف
الخطاب، وفي قوله دماءكم وأنفسكم ثم أن ما حل قتل بعضهم بعضا
وإخراج بعضهم بعضا من الديار قتل أنفسهم وإخراج أنفسهم لأن المجتمعين
على دين واحد كالنفس الواحدة، قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم

أوليا

أولياء بعض، وقال المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض، وقال النبي
صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في تراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى عضو
تداعى له سائره بالحمى والسهر، ولأن من قتل غيره فكأنه قتل نفسه قصاصا
وكذا في الإخراج، وقوله تعالى ثم أقررتم أي اعترفتم بحقيقة الميثاق
والتزمتموه، وقوله تعالى وأنتم تشهدون أي على أنفسكم بقبوله وما أخذ
به والشهادة للتأكيد وقطع بصحة الشيء، يقول الرجل أشهد أن هذا
حق أي أنا عالم به لا شك فيه ولو كان هذا على غيري لشهدت عليه
به، واختلف في المرادين بهما قيل الخطاب بالإقرار والشهادة للأسلاف
وقيل هما جميعا للأخلاف جميعا أي أقررتم وأوائلكم وشهدتم أيضا
به كأوائلكم، وقيل الأول للأسلاف والثاني للأخلاف أي أولئك
قبلوا وهؤلاء شهدوا على أولئك أنهم قبلوا ثم نقضوا، وقيل تشهد
هؤلاء أنه في التوراة، وقيل يشهدون به على أولئك يوم القيامة
وقال أبو العالية والربيع هما جميعا للأخلاف أي أنتم تقرون
بأن هذا العهد كان مع أسلافكم وتشهدون أنه حق وأنهم نقضوه
وقوله تعالى ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم
من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان، هؤلاء بمعنى
الذين، كقوله وما تلك بيمينك يا موسى أي وما التي، وقيل معناه
يا هؤلاء حذف حرف النداء كما في قوله تعالى يوسف أعرض عن هذا
وقيل هؤلاء تابع لأنتم كالنعت والتأكيد له وقوله تقتلون أنفسكم أي
أهل ملتكم، وقوله تعالى تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان أي
تعاونون والظهير المعين والمظاهرة المعاونة والتظاهر التعاون
وأصله الظهور به مع الإسناد والاعتماد، وقرأ أهل الكوفة تظاهرون
خفيفة وأصله تتظاهرون بتائين حذفت إحداهما تخفيفا وقرأ

الباقون بالتشديد وهو ادغام التاء في الظاء في قوله ان تيما لكابتهما ضحا وهذا
مضارع بمعنى الحال أي متظاهرين عليهم وقال ابن عباس والسدي ان قريظة
والنضير كانا اخوين وأولادهما تفرقوا واقتتلوا فكان بعضهم يقتل بعضا
ويخرج بعضهم بعضا وكانت عادة بني النضير القتل وعادة بني النضير الاخراج
نهاهم الله عن ذلك واخذ عليهم الميثاق بذلك فنقضوه وقوله تعالى
وإن يأتوكم أسارى أي جاؤكم مأسورين أي طلبوا لكم على هذه الحالة
ولم يرد بها الإتيان الاختياري وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
اسارى تفدوهم وقرأ نافع وعاصم والكسائي أسارى تفادوهم
بالألف فيهما وقرأ حمزة أسرى تفدوهم بغير الالف فيهما والأسرى
جمع أسير كالجرحى جمع جريح والمرضى جمع مريض والأسارى جمع الأسرى
كالسكارى جمع السكرى والأسير هو المأخوذ قهرا وأصل الأسر
الشد وما يأخذونه قهرا يشد غالبا فسمي المأخوذ أسيرا وإن لم يشد
والأسار ما يشد به الأسير وقال أبو عمرو الأسارى الذين هم
في الوثاق والأسرى الذين هم في اليد وان لم يكونوا في الوثاق
وقوله تعالى تفدوهم أي تعطوا فداءهم وتشتروهم به للتخليص والمفاداة
مفاعلة منه والفداء بمعنى الفادي والأسير والمفاداة تجري بين الفادي
وبين قابل الفداء وقال ابو معاذ المفاداة المماكسة في الفداء انتهى وقوله تعالى
وهو محرم عليكم اخراجهم فيه ثلاثة أوجه احدها ان قوله وهو اشارة
الى الاخراج ثم اعيد ذكره صريحا وتوكيدا والثاني ان قوله وهو اشارة
الى الاخراج لكن لما كان اشارة الى ما سبق وقد تقدم ذكر الاخراج
والقتل والتظاهر بالاثم والعدوان وان احتمل الى جميعه فبين المقصود
وعين الاخراج ليعلم ان الضمير راجعة إليه والثالثة انه اشارة
الى الحديث والخبر كأنه قال انه محرم عليكم اخراجهم ومثله قوله
تعالى

قل هو الله احد وقال القفال وقد قيل ان قوله وان يأتوكم
أسارى تفادوهم معناه إن صادفتموهم في ايديكم أسارى لم تطلقوهم لكن
أخذتم فداءهم لأجل اطلاق الأسير والمفاداة والفداء يكون من الجانبين
قال وهذا موضع توبيخ وإعطاء الفداء لاطلاق الأسير لا يقع عليه توبيخ
فالظاهر ان المراد هذا قال القفال والثواب هو الحمل على إعطاء
الفداء لانقاذ الأسير وبه جاءت الرواية قال محمد بن اسحاق حرم
عليهم في التوراة سفك دمائهم وافترض عليهم فيها فداء أساريهم
فكانوا فريقين طائفة منهم بنو قينقاع وهم حلفاء الخزرج والأخرى
النضير وقريظة وهم حلفاء الأوس فكانوا اذا كانت بين الأوس
والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت بنو النضير
وقريظة مع الأوس يظاهر كل فريق حلفاءه على إخوانهم
حتى يتسافكوا الدماء وبأيديهم التوراة يعرفون ما فيها ما عليهم
وما لهم والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان لا يعرفون
القيامة والجنة والنار والحرام والحلال فاذا وضعت الحرب
أوزارها افتدوا أساراهم تصديقا لما في التوراة فافتدى بنو
قينقاع ما كان أساراهم في ايدي الأوس منهم وافتدى النضير وقريظة
ما كان في ايدي الخزرج منهم ويطلبون الدماء فكانت العرب تعيرهم
بذلك ويقولون كيف تقاتلونهم وتفدونهم فقالوا انا أمرنا أن
نفديهم وحرم علينا قتالهم قالوا فلم تقاتلونهم قالوا انا نستحيي ان
تستذل حلفاؤنا وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى
اخذ على بني اسرائيل في التوراة ان لا يقتل بعضهم بعضا وأيما عبد أو
أمة وجدتموه من بني اسرائيل فاشتروه بما قام ثمنه واعتقوه
وقيل في الآية تقديم وتأخير ونظمها واذ اخذنا ميثاقكم ان لا

تسفكوا دماءكم ولا تخرجوا انفسكم من دياركم وذلك محرم عليكم اي
الاخراج وان ياتوكم اسارى تفدوهم كان العهد بهذه الاشيا الثلاثة
ترك القتل وترك الاخراج ومفاداة الاسرى فقتلوا واخرجوا وهما
خلاف العهد وفدوا الاسارى وهو من العهد فوبخوا بما هو خلاف العهد
وفدوا الاسارى لا بهما كليهما وقيل كان كل فريق يفدي اسيرا من
من عشيرته ولا يفدي اسيرا غير عشيرته ولو كانوا امروا بفدا
كل اسير وقوله تعالى أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض
استفهام بمعنى الانكار والتوبيخ والتهديد اي تفدون اساراكم
دون اسارى غيركم وقيل بل كانوا يفدون كل الاسارى لكن كانوا
لا يتركون القتل والاخراج فهددوا لذلك ويدل عليه انه قال
في الاية ثم انتم هؤلاء تقتلون وقال وتخرجون ولم يقل
ولا تفدون وكان توبيخهم على التفريق بين احكام الله تعالى وهذا
كالتفريق بين رسل الله فهم بذلك يؤمنون ببعضهم الاية لما كان
ايمانهم ببعضهم باطلا بتكذيبهم غيرهم صح التوبيخ عليه وقوله تعالى
فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم
القيامة يردون الى اشد العذاب الخزي الفضيحة وقد خزي
خزيا فهو خزي والخزاية الاستحيا وقد خزي خزاية فهو خزيان
اي ليس جزاء من فعل ذلك الا ما يفتضح به في الدنيا ومن بعد
ذلك يردون في الاخرة الى اشد العذاب وهو العذاب
في جهنم وهو اشد من خزيهم في الدنيا واشد من كل عذاب
كان قبله فانه كان ينقطع وهذا لا ينقطع واختلف في المراد
بالخزي هاهنا قيل هو اجلاء بني النضير من ديارهم لاول
الحشر كما كانت عادتهم وقيل هو اخذ الجزية عن صغار ووضع
ماكان

في الدنيا ع

ما كان لهم هذا العذاب الاخرة باق وقال الامام ابو منصور
رحمه الله جزاؤهم الخزي في الدنيا لكن لا يعاقبون في الدنيا
وان استوجبوا ذلك بل يردون الى اشد العذاب في الاخرة
وهذا كقوله انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وقوله تعالى
بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر وقوله تعالى وما الله
بغافل عما تعملون مر تفسيره مرة وقد قرا ابن كثير
ونافع بن خلف ويعقوب وعاصم في رواية ابي بكر وحماد
باليا على المغايبة بناء على قوله يردون وقرا الباقون بالتا على
المخاطبة بناء على قوله ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وقوله
تعالى أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة اي بالحياة الاخرة
وقد مر تفسيره في قوله تعالى اشتروا الضلالة بالهدى
وقوله تعالى ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ومعناه هاهنا اخذوا
قليل الدنيا بدلا عن كثير الاخرة وقوله تعالى فلا يخفف عنهم
العذاب اي لا يهون وقوله تعالى ولا هم ينصرون اي لا
يعانون مومنين وقيل اي لا يمنعون من العذاب وقيل
اي ولا يكونون لهم نصرة في الدنيا لان المبطل وان غلب
صورة فهو مخذول حقيقة وقوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب
انتظامها بما قبلها ان الله تعالى اخبر انه اعطى بني اسرائيل
شيئين الكتاب والرسل ثم بين معاملتهم في حق الكتاب
فقال تعالى افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وبين
معاملتهم في حق الرسل فقال تعالى ففريقا كذبتم وفريقا
تقتلون ووجه اخر انه ذكر نقضهم الميثاق ثم بين ان ذلك
لم يكن لعدم العلم فقد كتب بعثت الرسل وبينوا لهم وقوله تعالى

ولقد اتينا موسى الكتاب اى ولقد اعطينا موسى التورية وقوله
تعالى وقفينا من بعده بالرسل اى اتبعنا واردفنا يقال قفاه
يقفوه قفوا اي تبعه وقفاه غيره تقفية تقفيه اى اتبعه وقد
تقوت اثره وقال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ومنه القفا
والقافيه والمقفي من اسماء النبي صلى الله عليه وسلم اي واتبعنا
الرسل من بعده فقد روي ان الله تعالى بعث بعد موسى الى
الى عيسى اربعة الاف نبي وقيل سبعين الف نبي وقوله
تعالى واتينا عيسى ابن مريم البينات موسى وعيسى ومريم
اسما اعجميه ولذلك لا ينصرف حين اجتمعت العجمة والتعريف
ومعنى موسى ان مو في لسانهم الما وشي الشجر وهم يقولون موشي
ومعناه انه اخذ من بين الما والشجر اى من تابوت جعل هو فيه
ثم جعل التابوت في الما فاخذ في دار فرعون عليه لعاين الله
تترى ونقلت الشين الى السين في العربيه وعيسى في لسانهم عيشي
بالشين فهو من العيش الذي هو الحياة وكان يحيى الله تعالى
بدعائه الموتى ونقلت الى السين في العربية وان جعل في الاصل
بالشين فهو من العيش الذي هو البياض ومريم قيل معناها
بالسريانية الخادم وقد جعلتها امها محررة لخدمة المسجد
والبينات الايات الظاهرات من قولك بان اى ظهر وابان
كذلك ويكون ابان بمعنى اظهر ايضا واختلف في المراد بها هاهنا
قيل هي في الانجيل وقال ابن عباس رضي الله عنهما هي المعجزات
وهي اذهاب البرص وابرا الاكمه واحيا الموتى والاخبار
بما ياكلون وما يدخرون في بيوتهم وشفا المرضى ومعناه جبرائيل
الطاهر والقدس البركة ايضا وقوله تعالى بروح القدس قيل
هو

هو جبريل قال الله تعالى نزل به الروح الامين وهو جبرائيل
وقال قل نزله روح القدس وبه قال الضحاك والربيع وقتادة
والقدس الطهر اضيف الروح الى صفته وهو كذكر نعته وقوله
تعالى وايدناه اى قويناه والايد القوة والتاييد التقويه
ومعناه ايدناه بجبرائيل المبارك بالطريق الاول ويعني تقويته به انه
عصمه به من اول حاله الى كبره فلم يدن منه شيطان عند
الولادة ورفعه الى السماء حين قصد اليهود قتله وقال عبد الرحمن
بن زيد هو الانجيل سمى الانجيل روحا كما سمى القران روحا
في قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وسمى الكتاب
روحا لانه سبب لحياة القلوب كالروح به حياة الابدان
وسمي جبرائيل روحا لان حياة الخلق بالقران والدين وانزال
القران وبيان الدين كان منه قال تعالى استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم لما يحييكم وقال ابن عباس رضي الله عنهما الروح
اسم الله الاعظم الذي به كان يحيي الموتى ويبرئ المرضى وقيل
هو الروح الذي به حياة البدن وخص روحه لوصفه بالقدس
وهو الطهارة لانه لم يتضمنه اصلاب الفحولة ولا اشتملت عليه ارحام
الطوامث وقوله تعالى افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم
ومعناه الاستنكار وقوله تعالى بما لا تهوى انفسكم اي
بما لا تحب وقد هوي يهوى من حد علم اي احب ومعناه بما لا
تهواه ولما حذفت الها كان الفعل واقعا على ما هو بمعنى الذي
اي كلما جاءكم وهو نصب على الظرف جار مولا بشي لا يوافق
اهواكم والباني بما التعدي به بغير الحي الذي هو لازم وقوله تعالى
استكبرتم اي استعظمتم فلم تقبلوه ولم تعملوا به وقوله تعالى

ففريقاً كذبتم أي كذبتم طائفة من الرسل وهم الذين لم تقدروا
على قتلهم كعيسى ونحوه وقوله تعالى وفريقاً تقتلون أي قتلتم طائفة
وهم من قدرتم على قتلهم كزكريا ويحيى ونحوهما وروي أنهم
قتلوا في يوم واحد ثلثمائة نبي ولما كانت العشية قامت لهم
سوق بقتلهم أي لم يهتموا لذلك وهذا رد على من قال
ان الكفار لا يثبت لهم على قتل الرسول قدرة لان الله تعالى
وعدهم بالنصرة بقوله انا لننصر رسلنا وقال ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون لكنا نقول اراد به
اراد به النصرة بالحجة وشان الحجج بدليل انه عطف عليه والذين
آمنوا وقد يقتلون لكن المراد به النصرة بالحجة وقد نص هاهنا
على قتلهم الرسل وقد قال في صدر الآية افكلما جاءكم رسول
وقال تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول الى ان
قال فلم قتلتموهم وقوله يقتلون مستقبل بمعنى الماضي او الحال
في الماضي وخاطب اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا وقد فعله
اسلافهم لانهم يتولونهم ويرضون بفعلهم وقوله تعالى
وقالوا قلوبنا غلف قرأ عامة القراء بتسكين اللام
وقرأ ابن محيصن بالتثقيل فالتخفيف جمع اغلف وهو الذي عليه
غلاف وغلافه اغلف واقلف لم يختن فذلك مثله في غلاف
وهو كالاحمر والحمر وقراءة الضم جمع غلاف وهو الغشاء والوعاء
وهو كالشهاب والشهب فمعنى التسكين ان قلوبنا في غشاء وغطاء
ولما خاطبهم النبي عليه السلام بقوله تعالى ففريقاً كذبتم وفريقاً
تقتلون سكتوا ولم يمكنهم التكذيب فقالوا قلوبنا غلف اي في غلاف
كما قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه فلا نفهم ما تقول ولا
نفقه

نفقه ما تحدث يدعون زوال الخطاب عنهم كراهية لما سمعوا فرد الله عليهم
فقال تعالى بل لعنهم الله بكفرهم اي طردهم بكفرهم وعقوبتهم وعنادهم
رسول الله لا ان قلوبهم بمحل لا يفهمون ذلك كما يزعمون ولكن
ذلك لترك التفكر والتدبر فيها على قراءة الضم معناه قلوبنا
اوعية تفهم وتعي ما يقال ويخاطب به لكن لا نفهم ما تقول
ولا نفقه ما تحدث فلو كان حقاً وصدقاً لفهمت وفقهت يدعون
عليه ابطال ما يقول وذلك نحو ما قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا
مما تقول هذه كلمات الامام ابي منصور رحمه الله والاول قول الحسن
وابي العالية ومجاهد وقتادة والسدي فانهم قالوا معناه
قلوبنا في اكنة والثاني قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير وزيد
بن اسلم وتفسيرهم تقدير القراءة الاولى قلوبنا في اوعية
وتقدير القراءة الثانية قلوبنا اوعية وقيل معناه قلوبنا
اوعية للعلوم فلا حاجة لنا الى علمك والذي ذكرناه قبله كان
تعييبا لكلامه فانه كان لا يوافق اهواءهم فانهم كانوا يحبون
الذهب والرياسة ولذلك قالوا ائت بقرآن غير هذا او بدله
فامره ان يقول ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى
الي والذي ذكرناه بدءاً كانه تعلق منهم بمذهب الجبر اي
قلوبنا في غلاف وهي ممنوعة عن الفهم جبراً او كذلك
كانوا يقولون لو شاء الرحمن ما عبدناهم وهو تعلق بمذهب
الجبرية وفيه ذلك فكذبهم الله تعالى في الوجوه الثلاثة وذلك
قوله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم اي ليس كما قالوا انهم مجبورون
معذورون بل ابعدهم الله عن رحمتها جزاء لهم على كفرهم واللعن
الطرد والابعاد لغة فقد اثبت اللعن من نفسه والكفر منهم

وهو مذهب اهل السنة والجماعة وهو جواب كلامهم ايضا على القول
الثاني ان قلوبنا اوعية فلو كان كلامك صدقا وحقا لفهمناه قال بل
انتم ملعونون بكفركم لستم تعلمونا ولو كنتم كذلك لقبلتم هذا وعلمتم
به وهو جواب كلامهم ايضا على القول الثالث ان قلوبنا اوعية
للعلوم فلا حاجة لنا في علمك قال لستم تعلمونا مستغنين عن هذا
بل انتم ملعونون مطرودون عنه بشؤم كفرهم **وقوله تعالى** فقليلا
ما يؤمنون له خمسة اوجه احدها فقليل منا في كما يعني
يؤمنون ونصب قليلا بنزع الباء وما مع يؤمنون مصدر اي
ايمانهم قليل وهو معنى قول الكلبي لا يؤمنون الا قليل
مما في ايديهم ويكفرون بما وراءه والثاني قول معمر فايمانا
قليلا ما يؤمنون وهو نعت مفعول يقع عليه فعل ايمانهم
وهو المصدر في الحاصل وهو يرجع الى قوله تعالى ولئن سالتهم
من خلقهم ليقولن الله وهذا ايمان منهم بهذا وهم مشركون
في غير ذلك وما صلة زائدة على هذا القول كما في قوله
فبما رحمة من الله فبما نقضهم عما قليل والثالث فقليل
مدة يؤمنون نصبه على الظرف وهو يرجع الى قوله وقالت
طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه
النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون والرابع قول قتادة
لا يؤمن منهم الا قليل وهو عبد الله بن سلام واصحابه وما هاهنا
بمعنى من وهو للجميع وما بمعنى من وارد في اللغة ومذكور في
القرآن قال تعالى ما تعبدون من بعدي اي من تعبدون
وقليلا نعت متقدم على الاسم فنصب على القطع والخامس فلا
يؤمنون قليلا ولا كثيرا وما للجحد ههنا واذا نفي القليل فقد
نفي

نفي في الكثير فذكر في اخر هذه الاية منهم لا نزاع عن الايمان
وفي الاية التي تليها الكفر بعد الايمان **وقوله تعالى** ولما جاءهم
كتاب من عند الله مصدق لما معهم هو القرآن وهو موافق
للكتاب الذي معهم وهو التوراة في التوحيد والطاعة والاخبار
وصفات نبيه ولهذا روي ان معاذ بن جبل رضي الله عنه قال
لاهل الكتاب اسلموا فيما سلف كنتم تستنصرون برسولنا محمد
عليه السلام على اعدائكم فما لكم اذ كذبتموه فلم تؤمنوا به
فقالوا ليس هذا بذلك النبي فنزلت الاية **وقوله تعالى** وكانوا
من قبل يستفتحون على الذين كفروا قال ابن عباس وابو العالية
اي يستنصرون وقيل استفتح الله اي استنصره ففتح عليه اي نصره
قال الله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وذكر قتادة وابو العالية
والسدي انه كان اذا اشتد الحرب بينهم وبين مشركي العرب اخرجوا
التوراة ووضعوا ايديهم على موضع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
وقالوا اللهم انا نسألك بحق نبيك الذي وعدتنا ان تبعثه في اخر
الزمان ان تنصرنا اليوم على عدونا فكانوا ينصرون وقال الكلبي
الاستفتاح منهم انه كان بينهم وبين جهينة وغطفان وبني اسد
وعذرة عداوة ومحاربات فكانوا يقولون لهم يبعث نبي
له كتاب ونحن كائنون من بعده ونقتل الاعادي يدا واحدة
فنقهركم فكانوا يفتخرون بذلك وقال مجاهد وسعيد بن جبير
وقتادة يستفتحون اي يستخبرون من المشركين هل ولد فيكم صفة
كذا وكذا انه نبي اخر الزمان وسيد الانبياء والمتعلم يسمى مستفتحا
لاستخباره من العلم ومنه استفتح الامام ففتح عليه القوم وقيل
وكانوا يستفتحون الله اي ينبأ لانه الحكم والقضاء يعني

من العرب

اخر الزمان والفتاح الحاكم وقد فتح احكم واستفتح اي سال الحكم قال الله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق **وقوله تعالى** فلما جاءهم ما عرفوا اي الامر الذي عرفوه حقا في كتابهم وقيل ما مضى من كتا في الاية التي قبلها اي جاءهم الرسول الذي عرفوه **وقوله تعالى** كفروا به اي جحدوه وكذبوه وهذا جواب فلما جاءهم ما عرفوا فاما جواب قوله ولما جاءهم كتاب من عند الله فقد قال الاخفش هو مضمر وهو نبذوه كما ذكر بعد هذا في ايات وقال الزجاج جواب الاول كفروا به لكن لما قال ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وقبل ذكر جوابه اعترض كلام اخر تام وهو قوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا واعاد هذا الكلام وقال فلما جاءهم ما عرفوا به اي هذا الكتاب كفروا به وانما اعاد ليعرف انه جواب ذلك وهو كقوله ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما لما تراخى جواب انكم وطال الكلام اعاد انكم ثم قال مخرجون ونظيره لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا الى قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به جوابهما جميعا **وقوله تعالى** فلعنة الله على الكافرين اخبر انهم لما كفروا استحقوا اللعنة من الله وهو الطرد والابعاد من الرحمة والكرامة والجنة على الاطلاق في حق الكافر واذا ذكرت اللعنة في حق مذنب من المؤمنين فهي الطرد والابعاد عن الكرامة التي وعد بها من لا يكون في ذلك الذنب **وقوله تعالى** بئسما اشتروا به انفسهم بئس نقيض نعم وهما في الاصل فعلان ماضيان على وزن فعل جعلا للمدح والذم فمنعا التصرف الافعال وعبر بتسكين الحشو ولا يليان اسم علم وانما يدخلان

في اسم

في اسم نكرة دال على الجنس او اسم معرف بالالف واللام يدل على الجنس لانهما يقتضيان استيفا جميع المدح والذم فاذا قلت نعم الرجل زيد او نعم رجلا زيد نصب رجلا على التمييز وفي نعم اسم مضمر على شريطة التفسير وزيد مميز من هذا الممدوح فاذا قلت بئسما فما نكرة وتقديره بئس شيئا اشتروا به انفسهم وقوله تعالى ان يكفروا ان مع الفعل مصدر وتقديره كفرهم وبسطه اي بئس العوض الذي اخذوه عن انفسهم كفرهم واشتروا قيل باعوا اقتد قال ابو معاذ البيع والشرا والابتياع والاشترا كلها يقع على البيع وحده وعلى الشرا واحده وقال مجاهد والكسائي معناه باعوا وله معنيان بذلوا انفسهم بهذا الثمن فصارت لهم وهو معنى قوله خسروا انفسهم والثاني بئسما باعوا به حظ انفسهم كما في قوله واسال القرية اي اهل القرية وقال القفال يجوز ان يحمل على الاشتراء الذي هو التملك فان النفس مرهونة بعملها قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة وافتكاكها بمنزلة اشترائها وانما كان يشتريها بالعمل الصالح فاذا كفر فقد اراد افتكاكها به وبيسما اشتراها به وقيل البيع والشرا معاوضة وهما بيعان وشرايان فيقع الاسم على كل واحد منهما على الانفراد ويكون معناه بئسما بها وصوابه وقيل الاشترا الاختيار وتقديره بئسما اختاروه لانفسهم والباء في به صلة زائدة ونصب انفسهم باضمار اللام وقيل ان يكفروا في موضع خفض ردا على الهاء التي في به اي اشتروا انفسهم بالكفر وقوله تعالى بما انزل الله اي بالقران **وقوله تعالى** بغيا اي حسدا قال الحيابي اصل البغي الحسد والباغي هو الظالم الذي يفعل ذلك

وقال الفراء جواب صدر الكلام قوله جحو

طلب وبغت

عن حسده وقد بغى بغياً أي ظلم وحسد وبغى بغاً بضم الباء أي
طلب وبغت الامة بغاً بالكسر اي فجرت وقوله تعالى ان ينزل الله
من فضله على من يشاء من عباده اي كفروا للحسد بانزال الله
تعالى القرآن على محمد فانهم كانوا يعتقدون نبي آخر الزمان
ويتمنون خروجه وهم يظنون انه من ولد اسحاق فلما ظهر انه
من ولد اسماعيل حسدوه وكرهوا ان تخرج الامر من بني اسرائيل
فيكون لغيرهم والفضل هو الكتاب والرسالة والنبي قيل هو
انفسهم بذلك وقوله تعالى فباؤا بغضب على غضب قد مر تفسيره
ظلمهم
باي قوله فباؤا بغضب من الله وقال ابن عباس رضي الله عنهما
الغضب الاول بتغيير التوراة والثاني بتكذيب محمد عليه السلام
وقيل الاول بكفرهم بعيسى وقيل الاول بقولهم عزير ابن الله
وقولهم يد الله مغلولة والاخر بما ذكرنا واحسن ما قيل فيه
ان معناه استحقوا غضباً متتابعاً لا ينقطع كما يقال فلان يحسن
الى احساناً على احسان اي على التتابع وقوله تعالى وللكافرين
عذاب مهين اي مذل يعذبهم في الدنيا وقيل المهين
هو الله تعالى بالعذاب واضيف الى العذاب توسعاً لانه
به يقع وذلك ان عذاب المؤمنين تاديب وتطهير وعذاب
الكفار اهانة اهانة وتشديد قال الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون
وقال تعالى ذق انك انت العزيز الكريم وقال تعالى يسحبون
في النار على وجوههم وقيل للكافر عذاب مهين ايضاً في الدنيا وما كان
للمؤمن فيها فهو تمحيص وتكفير وقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا
بما انزل الله اي واذا قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم لهؤلاء اليهود الذين يكفرون بالقرآن آمنوا بالقرآن والانجيل

دوم

في غالب الاستعمال ظرف في معنى خلف وقال الازهري وراء

وقوله تعالى قالوا نؤمن بما انزل علينا اي بالتوراة التي
هي كتابنا انزل على نبينا موسى عليه صلوات الله والمنزل على النبي
منزل على امته معنى لانه يلزمهم وقوله تعالى ويكفرون بما
وراءه اي سواه والتذكير لرجوع الهاء الى ما انزل وقال
ابو عبيدة اي بما بعده قال النابغة حلفت فلم اترك لنفسك
ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب اي الله بعد وقد يتصل لما قبله
ولما بعده لان معناه ما توارى عنك اي استتر وهو موجود
فيهما انهم يقولون نؤمن بكتابنا ولا نتجاوزه الى غيره قال الله
تعالى ويكفرون بما وراءه اي هم بهذا القول يكفرون بما وراء
التوراة ويجوز ان يكون هذا خبراً عن الكفار انهم قالوا نؤمن
بكتابنا واخبر انهم يكفرون بما سواه فجاز نؤمن بالنون
حكاية عنهم انهم قالوا ذلك وجاز يكفرون بالياء على المغايبة
اخباراً انهم اخبروا بذلك ومثل هذا قول العرب استحلفت
عبد الله لاقومن ولتقومن وليقومن الالف حكاية عنه انه
حلف فقال ذلك والتاء اي خاطبته بذلك والياء اخباراً عنه
على المغايبة فقد قلت في القدر استحلفت عبد الله وهو مغايبة
وقيل بما وراءه اي وراء التوراة وهو الانجيل والقرآن
وقيل ما يعني من كان قبلكم وما تعبدون من دون الله
ومعناه بمن وراء موسى وهو عيسى ومحمد عليهما السلام وقوله تعالى
وهو الحق اشارة الى ما وراءه فوحد لتوحيد اللفظ وقوله تعالى
مصدقاً لما معهم اي الانجيل موافق للتوراة والقرآن كذلك
وعيسى مصدق لموسى ومحمد كذلك وبه يبطل ايمانهم بالتوراة
وبموسى لان في التوراة الامر بالايمان بالانجيل والقرآن وبعيسى

ومحمد وموسى كان ما ثبت بذلك فمن كفر بما وافق كتابه ورسوله
فقد كفر بكتابه ورسوله **وقوله تعالى** قل فلم تقتلون انبياء الله من
قبل لم اصله لما لانه للتعليل دخلت في ما التي هي للاستفهام
وسقطت الالف تخفيفا لكثرة الاستعمال في الاستفهام وهو
كقولهم بم وعم وفيم وتقتلون مستقبل في معنى الماضي كما في
قوله تعالى ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان اي ما تلت •
وقال والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك • وقال وهم
على ما يفعلون بالمؤمنين شهود • وقال وهم على ما يفعلون بالمؤمنين
شهود وهو للحال في الماضي • وكلمة فيه مضمرة اي فلم كنتم
تقتلون انبياء الله • ولذلك قال من قبل فدل انه ليس للحال
ولا للاستقبال • وانما نحكم بقتل الانبياء والخطاب لاهل
عصر النبي صلى الله عليه وسلم • وهم لم يباشروا ذلك لانهم
اولاد اولئك الذين فعلوا ذلك وهم يتولونهم • ويرضون
بما فعلوا فشاركوهم فيه • واولئك قتلوا زكريا ويحيى وغيرهما
وقصدوا قتل عيسى عليه السلام • وقيل فلم تقتلون انبياء الله
هو خطاب هؤلاء لقصدهم • قتل النبي صلى الله عليه وسلم مرارا
وذلك • في قول الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم
وذكر هاهنا انبياء الله على الجمع والمراد به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
وحده تعظيما له كما قيل في قوله يا ايها الرسل هو خطاب له
وحده **وقوله تعالى** ان كنتم مؤمنين اي بما انزل عليكم فلم تقتلون انبياء الله
وليس فيها اباحة قتلهم بل فيه تحريم قتلهم مطلقا • وقتل غيرهم
الا بحق وان كان الخطاب • ولو كان الخطاب لاهل عصر النبي صلى الله
عليه

عليه وسلم فمعناه لم ترضون لو شهدتم ذلك حال كنتم • وقال الامام
ابو منصور رحمه الله ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا اليهود الى الايمان به
وبما انزل عليه • فقالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا
بالبينات وبقربان تأكله النار فقال لهم بأمر الله قد كانت الانبياء
قبلي يأتون بها فقتلهم قومهم آباؤكم فلم قتلتموهم آباؤكم ان كنتم صادقين ان
الله عهد الينا في التوراة بذلك **وقوله تعالى** ولقد جاءكم موسى بالبينات
اي المعجزات الظاهرات • وقيل هي الآيات التسع • وهي الطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد البيضاء وفلق
البحر وتفجير الماء من الحجر **وقوله تعالى** ثم اتخذتم العجل من بعده
اي بعد انطلاقه الى الجبل **وقوله تعالى** وانتم ظالمون اي واضعون
العبادة في غير موضعها وقد شرحناه بأبلغ من هذا فيما تقدم من
بهذا قوله في الاية التي قبلها قالوا نؤمن بما انزل علينا اي انتم
تبطلون في هذه الدعوى **وقوله تعالى** واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا
فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة قد مر تفسير هذه الكلمات • ثم اعاد
هذه هاهنا لذكر العجل في الاية المتقدمة وحديث اخذ الميثاق ورفع
الطور في هذه الاية مع ان القصة واحدة والسورة واحدة • وقد ذكرهما
مرة لان ذكرهما فيما تقدم كان من تعداد النعم • فانه قال ثم
عفونا عنكم • وقال في رفع الطور ولولا فضل الله عليكم ورحمته وذكرهما
هاهنا توبيخا لهم في دعواهم الايمان بما انزل عليكم وهم قد عبدوا
العجل وردوا الميثاق ولم يتمسكوا بهما عفوا ولا نحوه **وقوله تعالى**
واسمعوا اي سماع قبول وطاعة قال تعالى واسمعوا واطيعوا وقال
تعالى ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون • اي لا يقبلون • ولا
يعملون به **وقوله تعالى** قالوا سمعنا وعصينا • قيل قالوا سمعنا قولك وعصينا

أمرك. وقال الإمام أبو منصور رحمه الله قولهم وعصينا لم يكن على
أثر قولهم سمعنا لكن بعده بأوقات لأنهم لما أبوا قبول
التوراة لما فيها من التشديد رفع الله تعالى الجبل فوقهم فقبلوها
خوفًا وقالوا سمعنا وأطعنا فلما زايل الجبل وأمنوا قالوا عصينا
وهو كقوله ثم توليتم وكان التولي بعد ذلك بأوقات. وقيل قالوا
سمعنا عبارة وعصينا معاملة. وهو كقوله ما كان للمشركين أن يعمروا
مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر. وهي شهادة فعل لا شهادة قول
وقيل قال آباؤهم سمعنا. وقال أبناؤهم عصينا وسبب عصيانهم
تمكن حب ذلك العجل في قلوبهم فلم يترك. وهو قوله تعالى
وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم. يقال أشرب الصبغ في الثوب
وتشرب فيه أي تمكن وهاهنا مضمر وهو حب العجل. كما في قوله
تعالى واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها أي رسخ
حب العجل في قلوبهم بفعلهم لا أن غيرهم فعل ذلك بهم. وهذا كما
يقال ذهب في الفكر كل مذهب. قال تعالى لا تلهكم أموالكم. وقال
تعالى وغرتهم الحياة الدنيا. ويجوز أن يقال الله تعالى أشرب في
قلوبهم وذلك إثبات التخليق من الله تعالى وقوله بكفرهم. هو إثبات
فعلهم واختيارهم وهو دليل مذهب أهل السنة والجماعة. وقوله تعالى
قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين كانوا يزعمون أن إيمانكم يأمركم
بقتل الأنبياء. وعبادة العجل ونقض الميثاق وتكذيب محمد عليه السلام
بئسما يأمركم به إيمانكم. وقال مقاتل أي إذ كان حب عبادة العجل
بعد لحب عبادة خالقكم. وليس الإيمان إنسان بأمر العباد بالخير وحقيقته
أن هذا ليس بإيمان فإن الإيمان لا يأمر بالكفر وإنما يأمر بالخير. والطاعة
ثم إضافة الأمر إلى الإيمان مجاز ومعناه الدلالة والإرشاد بطريق
التنبيه

وهو رد عليهم لادعائهم الإيمان بالتوراة ومعناه إن كنتم مؤمنين

التنبيه وهو كقوله تعالى إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر أي هي
سبب الانتهاء عنهما. وقال السدي وابن جريج. لما رجع موسى إلى قومه
أخذ العجل فحرقه بالمبرد. ثم ذراه في اليم فلم يبق نهر يجري
يومئذ إلا وقع فيه منه شيء. ثم قال لهم اشربوا منه فشربوا
فمن كان يحبه خرج على شاربيه الذهب فهو لا شربوا الماء بأفواههم
وأشرب حب العجل في قلوبهم. وقال الحسن كان بقي فيهم طائفة
لم يتوبوا من عبادتهم العجل. وقد يفعلوا احتجاجًا عن الله تعالى من
التوراة أنهم الذين بقي حب العجل في قلوبهم وهم الذين قال الله
تعالى إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم لأنه أظهر
الله تعالى في هذه الآيات أفعالهم. وأقوالهم الفاسدة ثم رد بما
بعده ما كان لهم من علم وذلك من الأطماع الفاسدة فإنهم قالوا
لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى. وقالوا نحن أبناء الله
وأحباؤه وفي رد هذا رد ما بعده وهو قوله تعالى قل إن كانت
لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس. أي قل لهم
يا محمد إن كانت الدار الآخرة. وهي الجنة عند الله خالصة لكم
أي صافية والخلوص الصفوة من حيث دخل والإخلاص تصفية
السر والقول والعمل لله واستخلاص الشيء استصفاؤه لنفسه
وتخليص الشيء تصفيته عن الخبث. وخالصة نصب لأنه خبر كانت
ويجوز أن يكون قوله لكم خبرًا. والدار اسمًا وخالصة نصبًا على القطع
ويجوز أن يكون خالصة مصدرًا كالعافية والخائنة والباقية ومعناه
خلوصًا على الخلوص. وقوله من دون الناس أي من دون محمد وأصحابه
وتستعمل هذه اللفظة للاختصاص. يقال هذا لي من دون
الناس أي أنا مختص به. وقوله تعالى فتمنوا الموت. إن كنتم صادقين

فيهم

أي تشتهوه قال ابن عباس رضي الله عنهما اي فليتمنوا الموت وفي رواية
قال فادعوا بالموت لأي الفريقين كان أكذب• وقال قتادة وأبو
العالية والربيع أي فتمنوا الموت لا نشكم إن كنتم صادقين في دعوى
البنوة والمحبة والاختصاص بالجنة• وأكثر اهل العلم على هذا ووجهه
ان كانت لكم عند الله خالصة• هذه المنزلة ولا يدخلها غيركم الجنة
فتمنوا الموت• لتصيروا إليها لأن من كان على هذه الصفة لا يكره
لقاء الله بل يحرص على التعجيل• إلى كرامته• قالوا ان المؤمنين
أجمعوا على ان الجنة للمؤمنين دون غيرهم ثم ليس أحد منهم
يتمنى الموت إذا قيل له تمن الموت فكيف• وجه الاحتجاج على اليهود
بذلك• قلنا أن المؤمنين لم يجعلوا لانفسهم• من الفضل والمرتبة عند الله
ما جعلت اليهود ذلك لأنفسهم لأنهم ادعوا انهم أبناء الله وأحباؤه
وأن الجنة خالصة لهم• والانسان لا يكره القدوم على أبيه وحبيبه
ولا يخاف انتقامه بالمصير إليه بل يرجو وصوله إلى محابه• فقيل
لهم تمنوا ذلك فلما لم يتمنوه ظهر كذبهم في دعاويهم ولأن
النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تمني الموت• قال لا يتمنين أحدكم
الموت لضر نزل به ولكن ليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا
لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي• وقال خباب بن الأرت
رضي الله عنه لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن ندعو
بالموت لدعوت به• وقال [illegible] لولا بياني وسيأتي لذلك شوقا
إلى الممات فلا يلزمهم ما يلزم اليهود• وقال الإمام أبو منصور رحمه الله
فان قالوا لو تمنوا التمني فيه كان قضيا امرهم بدون الأجل الذي
جعل لهم وفي ذلك تقديم الآجال على الوقت الذي كان اجله وقد
قال تعالى لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون• قيل لهم إذ علم الله
تعالى

تعالى منهم في سابق علمه وأنزل فيه انهم لا يتمنون جعل أجلهم ذلك ولو
علم منهم انهم يتمنون الموت لكان جعل اجلهم في ذلك في الابتداء وكذا
هذا ايضا روي ان صلة الرحم تزيد في العمر انه لذلك جعل في الابتداء
لا ان يجعل أجله إلى وقت ثم اذا وصل رحمه يزيد على ذلك الاجل
او نقص تمني الموت عن الاجل المضروب له• قوله تعالى ولن يتمنوه أبدا
أي لن يشتهوا الموت أبدا وفي بيننا لوه فيه اثبات رسالة محمد صلى الله
عليه وسلم انه اخبر انهم لن يتمنوه أبدا فكان كما قال فدل على انه
من عند الله قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الله ختم انه لا يتمنى
احد من بني اسرائيل ممن قرأ التوراة وشهد بما فيها وآمن بها من
عند الله ثم كفر بما فيها إلا مات من ساعته• وفي رواية قال
لو تمنوا الموت لشرقوا به وماتوا جميعا• وقال القفال
لم يخل ذلك من احد امرين اما ان علموا صدقه وانهم لو تمنوا لم
يمهلوا وماتوا وفي ذلك دليل انهم عرفوا نبوته وعاندوه
واما ان لم يعلموا ذلك فمنعهم الله عن هذا التمني وصرفهم عنه
واحدث فيهم ما ازال تمنيه عن قلوبهم• وفي ذلك بيان صدقه
لأن هذا امر خارج عن العادات لا يفعله الله إلا لإظهار معجزة
تدل على نبوة نبي• وعن نافع قال جلس إلينا يهودي يخاصمنا
فقال إن في كتابكم فتمنوا الموت وأنا ذا أتمنى فما لي لا أموت
فسمع ذلك ابن عمر رضي الله عنهما فدخل بيته فأخذ السيف
ثم خرج ففقد اليهودي حين رآه• فقال ابن عمر رضي الله عنهما
اما والله لو ادركته لضربت عنقه توهم هذا الجاهل ان هذا
لليهودي في كل وقت انما هو لاولئك الذين كانوا يعاندونه
ويجحدون نبوته بعد ان عرفوه فان قالوا ان التمني يكون بالقلب

ولا يظهر ذلك لنا انهم تمنوه او لم يتمنوه قلنا ذكر هذا على وجه
المحاجة فتطلب منهم اظهار التمني باللسان كما اذا قال الرجل لامرأته
انت طالق ان شئت اي احببت فانه يتعلق بالاخبار دون الاضمار ثم
وقوله ان هذا التأبيد ثم ذكر انهم يتمنون في النار فيقولون يا مالك
ليقض علينا ربك ويقولون يا ليتها كانت القاضية اي الموت
ولكنا نقول هذا التأبيد في الدنيا كما في قوله لن تراني **وقوله تعالى**
ذلك بما قدمت ايديهم اي بما عملوا بانفسهم والعرب تضيف
فعل كل النفس الى اليد لحصول الفعل من اليد في الغالب وعلى معارفهم
نزل القرآن قال تلك بما قدمت يداك ذلك بما قدمت
ايديكم وفي امثال العرب يداك اوكتا وفوك نفخ ومعنى قوله بما
قدمت ايديهم قيل تغليبهم الانبياء وقال ابن عباس وابن جريج اي بتغييرهم
نعت النبي صلى الله عليه وسلم وتكذيبه وقصدهم اطفاء نور الله
بافواههم **وقوله تعالى** والله عليم بالظالمين اي بعقوبة هؤلاء وهم
ظالمون بهذه الافعال وتخصيصهم بذلك وان كان الله تعالى عالما
بهم وبغيرهم لانه اراد به تخويفهم بالتهديد وهو ابلغ وعيد
وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وقيل
عليم بالظالمين بعضهم ببعض كدعواهم الاكذبة بالحج الفاسد قيل
فائدة عالم بافعالهم غير غافل عن احوالهم وقيل عليم انهم
لا يتمنون لابطالهم فيما ادعوا وقيل لا يتمنون لحرصهم على الحياة
ولذلك وصل بهذه الآية ما فيه بيان شدة حرصهم وهو قوله
تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حياة اللام للتأكيد وكذلك النون
المشددة في آخره اي بانهم ستجدهم هؤلاء اليهود لا يتمنون الموت
لانهم اشد الناس حرصا على الحياة اي ولو عاشوا وقد حرص
يحرص

حرصا فهو حريص والجمع حراص وقوله تعالى ومن الذين
اشركوا اي واحرص من الذين اشركوا بالله قال ابن عباس وابو العالية
والكلبي والربيع هم المجوس وقال الحسن ومقاتل هم مشركو العرب وانما
كان اليهود احرص على الحياة مع انهم مقرون بالقيامة من المجوس والمشركين
وهم ينكرون البعث لما قال ابن عباس ان اليهود عرفوا ما لهم
في الآخرة من الخزي بما صنعوا من الظلم وضيعوا من العلم **وقوله
تعالى** يود احدهم اي يحب احد هؤلاء المشركين وقد ود يود ودا
ومودة من حد علم ومعنى الود هاهنا التمني ولذا قال بعده لو يعمر
ولو كلمة تمني وكقوله ان لي كرة وقوله تعالى لو يعمر الف سنة اي
يتمنى ان يعطى العمر والبقاء الف سنة وانما خص هذا العدد لان
من تحيتهم زه هزار سال **وقوله تعالى** وما هو بمزحزحه من العذاب
ان يعمر الزحزحة التبعيد والزحزح المباعد والزحزاح لذلك
وهو مكرر زح يزح زحا اي بعد وازاح يزيح اي ابعد وكرر على
هذا الوجه كما فعلوا ذلك بقولهم خاص وخضخض وفي مصحف عبد الله
بن مسعود رضي الله عنه وما هو بمزحزحه وهو كذلك من قولهم
زحزح نزوحا اذا ابعد قوله وما هو ثلاثة اوجه احدها وما
احدهم تقدم ذكره قبله يود احدهم وذلك راجع الى اليهود في
قول وفي قول الى الذين اشركوا وهم المجوس وهذا اظهر وما
احدهم بمنجيه من العذاب تعميره وان مع الفعل بمنزلة المصدر وقيل
وما هو يرجع الى التعمير المذكور قبله لو يعمر ثم اعيد ان يعمر
في آخره ايضاحا وهو عماد ثم فسره هذا بقوله ان يعمر
في آخره وهو مصدر على التقدير ورفع تعميره بطريقين احدهما
كونه فاعلا بفعل الزحزحة اي لا يزحزحه من النار تعميره

ومودادا ح

صح
اي عش الف سنة

التحجر

اي دفع كقولك كبكب
من كب وقيل هفهف زاغ
يزوغ ويزيغ ح صح

[illegible]

والثاني بالابتداء اي وما احد منهم بمزحزحه وقيل قوله ولتجدنهم
ولتجدنهم بيان عن قوله لتعرفنهم وهو كقول الرجل وحدت
بدلا فقيها وقيل في قوله ومن الذين اشركوا وجهان آخران سوى
ما ذكرنا احدهما ان قوله من الذين اشركوا متصل بقوله ولتجدنهم
اي تجد هولاء اليهود وتجد ايضا من الذين اشركوا اي بعض المشركين
فان من كلمة تبعيض وهو تسوية بينهم وبين المشركين في حرص الحيوة
وهو ذم لهم وتسوية بين من يقر بالبعث وبين من لا يقر به في
هذه الصفة المذمومة والثاني ومن الذين اشركوا مبتدأ وقوله
يود احدهم اي من يود وكلمة من مضمرة كما في قوله من الذين هادوا
يحرفون اي من يحرفون وقوله وان من اهل الكتاب ليؤمنن به
اي من ليؤمنن به وقال الشاعر فظلوا ومنهم من دمعه لده واخر
يجري دمعة العين بالمهل اي ومنهم من دمعه وقوله تعالى والله
بصير بما تعملون اي يرى اعمالهم من الكفر والمعاصي لا يخفى عليه شيء
فيجازيهم بالخزي والذل في الدنيا والعقوبة في العقبى وقراءة العامة
بيا الغايبة وقرا يعقوب بتا المخاطبة وقوله تعالى قل من كان
عدوا لجبريل في جبرائيل سبع لغات قرئ باربع منها جبرئيل
بفتح الجيم والرا مهموزا ممدودا وهو في قراءة حمزة والكسائي
وخلف وعاصم غير حفص ويحيى عن ابي بكر وجبريل بفتح الجيم
خفيفة بغير همزة وهو في قراءة ابن كثير وجبرئل على وزن جبرعل
وهو رواية يحيى عن ابي بكر عن عاصم وجبريل بكسر الجيم والرا
بلا همز وهو في قراءة الباقين وجبرائيل بالمد والهمز وبياء
في الكتابة وجبرئل بالهمز وتشديد اللام ويا واحدة في الكتابة
وجبرين بالنون مكان اللام وهو اسم ليس بعربي عربته العرب
علي

الحرف على هذه الوجوه ومعناه عبد الله فان جبر هو العبد وايل هو
الله قاله ابن عباس رضي الله عنهما والآية في شأن اليهود ايضا وذمهم
وذكر مقالتهم وقصة نزوله ما روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاه ابن صوريا وهو
رجل من اليهود من فدك فقال يا محمد كيف نومك فانا اخبرنا عن
نوم النبي الذي يجي في آخر الزمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم تنام
عيناي وقلبي يقظان قال صدقت يا محمد فاخبرني عن الولد امن الرجل
يكون ام من المرأة قال اما العظم والعصب والعروق فمن الرجل
واما الدم واللحم والظفر والشعر فمن المرأة قال صدقت يا محمد قال
فما بال الولد يشبه اعمامه ليس من شبه اخواله فيه شيء او يشبه
اخواله ليس فيه من شبه اعمامه شيء فقال ايهما علا ماؤه ماء صاحبه
كان الشبه له قال صدقت يا محمد وسأله عن الطعام الذي حرم
اسرائيل على نفسه فقال ان يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر ان شفاه
الله تعالى حرم على نفسه احب الطعام اليه لحم الابل واحب الشراب
اليه ألبانها فحرمها على نفسه وسأله عن اول نزل اهل الجنة قال
الحوت والثور قال صدقت يا محمد ثم قال بقيت خصلة ان قلتها آمنت
آمنت بك واتبعتك اي ملك يأتيك بما تقول من الله قال جبريل
قال ذاك عدونا ينزل بالقتال والشدة ورسولنا ميكائيل يأتي
بالبشر والرخاء فلو كان ميكائيل لآمنا بك وصدقناك وقال له
عمر ما بدو عداوتكم له قال عادانا مرارا كثيرة وكان من اشده
عداوة لنا ان الله تعالى انزل على نبينا موسى ان بيت المقدس سيخرب
في زمان رجل يقال له بخت نصر واخبرنا بالحين الذي يخرب فيه
فلما بلغ الحين الذي يخرب فيه بيت المقدس بعثنا رجلا من اقوياء بني
اسرائيل في طلبه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال لصاحبنا ان الهكم

إن هو أمره بهلاك كثير لا نسلط عليه وإن لم يكن هذا معنى أي حق نقتله
فصدقه صاحبنا فتركه وكبر بخت نصر وقوي فملك ثم غزانا
وخرب بيت المقدس وقتلنا فلهذا نتخذه عدوا وأما ميكائيل عدو جبريل
فقال عمر فإني أشهد من كان عدوا لجبريل فإنه عدو لميكائيل
ومن كان عدوا لميكائيل فإنه عدو لجبريل فقالوا يا عمر لكأنك
تقول هذا فنزلت الآية كما قال عمر رضي الله عنه وقوله تعالى فإنه
نزله على قلبك أي فإن جبريل نزل القرآن وهو قول ابن عباس
وعامة أهل التفسير والتأويل وقد تقدم ذكر القرآن في قوله
تعالى ويكفرون بما وراءه فصلح صرف قوله نزله إليه وقوله على قلبك
أي أوحاه إليك وقرره في قلبك وقيل أي عليك ليحفظه قلبك
وقيل إن تثبيتا لقلبك وقوله تعالى بإذن الله أي بأمر الله وقال
القفال قوله نزله على قلبك أي أخبرهم أنه نزله على قلبك
ولو قال على قلبي جاز على حكاية اللفظ الذي يقول لهم وهو كقولك
قل لفلان إن الخبر عندي كذا أو يجوز عندك كذا وقال الإمام أبو منصور
رحمه الله تقول الباطنية إن القرآن لم ينزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالأحرف التي نقرؤها لكنه إلهام نزل موضع
الاحتجاج عليهم بقوله ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر
لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين إذ كان لهم
أن يقولوا أنزل على لسان العجم لكنه عبره بلسانه وقال تعالى
لا تحرك به لسانك لتعجل به أي مخافة النسيان والذهاب وقال
ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه فدلت هذه
الآيات على بطلان قولهم وفساد مذهبهم وبعدهم عن دين الله
المستقيم وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه أي موافقا لما قبله من
كتب الأنبياء قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقوله تعالى وهدى أي
هاديا

نزل على قلبه [illegible] الأحرف
وهو باطل لأنه لو كان كذلك [illegible]

هاديا للمؤمنين على معنى أن النفع يقع لهم كما قال هدى للمتقين وقيل
أي للكامل على العموم ومعناه أنه ذا رشد لهم وقوله تعالى وبشرى
للمؤمنين أي مبشرا للمؤمنين على الخصوص وهما مصدران بمعنى الفاعل
وإعرابهما النصب عطفا على قوله مصدقا وكلاهما نصب لأنه حال
أو مفعول ثاني لقوله نزله وقيل ذكر اليهود أنهم يبغضون جبرائيل لأنه
كان مأمورا بإنزال الوحي على أولاد إسرائيل فأنزله في أولاد إسماعيل
وقال ابن عباس وشهر بن حوشب والشعبي وقتادة إنهم قالوا
إن جبرائيل لا ينزل بخير قط بل هو ملك العذاب ينزل بالعذاب
والحرب وكسر السفن والشدائد فلذلك نبغضه وأما ميكائيل
فإنه ينزل بالخصب والرحمة فلذلك نحبه فقد ذكر أنهم يبغضونه لثلاثة
معان لأنه لا يأتي بخير ولأنه نقل الوحي إلى غير من أمر به ولأنه
دفع من أراد قتل بخت نصر فرد الله عليهم كل ذلك بهذه الآية والله
أعلم فإنه قال نزل بالوحي على محمد بأمرنا وهو رأس كل خير وهو
يبلغ إلى من كان له به الأمر وهذا أيضا لا يدفع عن أحد الابتلاء فإنه
عبد مطيع لا يعمل إلا ما أمر به وقيل على هذا إن قوله هدى وبشرى
صفة لجبرائيل لا للقرآن أي يقولون إنه ينزل بالشدائد فقال إنه
ينزل بها بأمر الله وفي ذلك هدى للمؤمنين لإيمانهم بأنه من عند الله
وهو بشرى لهم لأنهم بالصبر عليه والعمل به ينالون الثواب في العقبى
والنصر في الدنيا وقوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله
وجبريل وميكال قرئ ميكائيل على خمسة أوجه قرأ أبو عمرو
وسهل ويعقوب وعاصم في رواية حفص ميكال على خمسة الأوجه
قرأ أبو عمرو على وزن ميعاد وقرأ نافع وأبو جعفر ميكائل على وزن
ميكاعل مهموز لا ياء بعدها والباقون ميكائيل مع الهمزة والياء بعدها

وعن الاعرج ميكائل على وزن ميكعل، وعن الاعمش ميكئيل على وزن ميكعيل
ومعناه عبد الله وهو كجبريل في ان العرب عربته وتكلمت به على وجوه ومعنى
الاية من كان معاديا لله اي كافرا به مجاهرا منه، وقيل ذكر الله تعظيما
للأمر على من يعادي احدا من ملائكته كقوله انما جزاء الذين يحاربون
ورسوله وكقوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وقوله
وملائكته ورسله وجبريل وميكال مع الواو في هذا بمعنى
او اذا استحقاق العداوة غير موقوف على عداوة جميعهم وهو كقوله
ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد
ضل ضلالا بعيدا وانما اعاد ذكر جبريل وميكايل مع الملائكة
وهما داخلان فيهم ليكون انفى للشبهة وابعد من التأويل
كيلا تقول اليهود انهما غير داخلين او احدهما في جملة الملائكة
او هو زيادة تشريف لهما وتقديم لذكرهما على وجه
التخصيص كما قال ومنك ومن نوح بعد ذكر النبيين وقوله تعالى
فان الله عدو للكافرين ولم يقل فانه مع سبق ذكر الله
صريحا مرة اخراجا للكلام عن احتمال التأويل اذ لو قيل فانه احتمل
ان يعود الى جبريل وميكايل لتقدم ذكرهما وقوله عدو
اي معاد وعداوة الله تعالى هي ارادة العقوبة والطرد
والتبعيد عن الخير وقال للكافرين ولم يقل لهم اظهارا
انهم مع استحقاقهم لعداوة الله كفار بمعاداتهم اولياء الله
وقيل تقدير الآيتين فهل من كان عدوا لجبريل فهو كافر وان
الله عدو للكافرين وغرض ذكر جبريل وهو قوله فانه نزله
على قلبك قيل جوابه فاعاد ذكر هذه العداوة من كان عدوا
لله وملائكته ورسله وانما ذكر الرسل معهم لان الملائكة
والرسل

والرسل دعاة الخلق فهم منسوب ومعاداة احدهم معاداة الجميع وهو كقوله
لقد كذبت قوم نوح المرسلين وهم ما كذبوا الا رسولا واحدا وانما قرن
ميكائيل بجبرائيل لانهم كانوا يدعون انه حبيبهم فاخبر ان عدو جبريل
عدو ميكائيل وقوله تعالى ولقد انزلنا اليك آيات بينات اي القرآن
قال تعالى بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم قال
ابن عباس رضي الله عنهما الآيات البينات ما اخبرهم عن قصصهم وعلمائهم
التي لا معرفة لها الا عند احبارهم وما سبق ذكره في هذه السورة
الى هذه الآية وقال القفال هي العلامات الواضحات على
صدق نبوته التي لا يخفى صحتها على احد وقيل هن حكايات سوء الآثار
ابن صوريا التي مرت في الآية الاولى وقيل ان اليهود قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه ولا بينة نتبعها فنزلت
هذه الآية وقوله تعالى وما يكفر بها الا الفاسقون اي لا ينكرها الا
الجاحدون الخارجون عن امر الله وقيل اي الخارجون عن الاديان وان
اظهروا انهم متمسكون بها فان اليهود خرجوا بتكذيب محمد من شريعة
موسى وقيل اي اللئيم دون من اليهود فاما اهل الانصاف منهم
فقد آمنوا مثل عبد الله بن سلام واصحابه ثم هذا الانكار منهم
نقض للعهد واخبر بالآية التي بعدها انه ليس اول نقض منهم
وقوله تعالى اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم الالف الف
الاستفهام بمعنى التوبيخ دخلت على واو العطف وهو متصل بما
قبله اوكلما جاءكم رسول الآية وقوله نبذه قال قتادة ونحوه
اي نقضه واصله الطرح والرمي ومنه قوله فنبذناهم اي القيناهم
في اليم والمنبوذ الملقوط لانه نبذ وقوله فانتبذت به مكانا قصيا اي
تباعدت وهو من الاول وظاهره نبذ العهد ورده لظهره ومعناه النقض

والفريق الطائفة ويكون للقليل والكثير وظهر بما بعده انه اراد
به الكثير وهو قوله بل اكثرهم لا يؤمنون وقيل اي نقضه فريق
فريق منهم عنادا واكثرهم نقضه جهلا فكلهم كفار بعضهم
بنقض العهد واكثرهم بجحود الحق وقال ابن عباس رضي الله عنهما
نبذ والكتاب وخالفوه كانهم جهلة به وبالعهد الذي عليهم
في التوراة ثم بان بنقضهم العهود مرارا انه كان من المواثيق
عليهم انهم اذا جاءهم محمد امنوا به ونصروه فلم يفعلوا ومنها انهم
كانوا يستفتحون به فلما جاءهم كفروا به ومنها انهم كانوا هادنوا
النبي صلى الله عليه وسلم فنقضوه يوم الخندق وظاهروا كفار قريش
عليه اي عاهد واحتج حيي على بني قريظة ما جرى وكذا علي
التوبة ومنها انهم عاهدوه انه لو اجابهم عما سألوه امنوا به
واجابهم فلم يؤمنوا وقوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق
لما معهم هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الرسول بمعنى الرسالة
قال الشاعر لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بليلى ولا
ارسلتهم برسول اي برسالة فمعناه على هذا ولما جاءهم كتاب
وقوله تعالى نبذه فريق من الذين اوتوا الكتاب اي اعطوا علم
الكتاب وهم احبارهم والكتاب نصب لانه خبر ما لم يسم فاعله
وقوله تعالى كتاب الله مفعول بقوله نبذ ومعنى نبذ فريق خالفوه
وقوله تعالى وراء ظهورهم قال الشعبي نبذوه وقد اطلعوا بهم وهو
بين ايديهم يقرؤنه ولكن نبذوا العمل به وقال سفيان بن عيينة
ادرجوه في الحرير والديباج وحلوه بالذهب والفضة ولم يحلوا
حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ وقيل كتاب الله هو التوراة
هاهنا وقيل هو القرآن وخلا منهم كان لهما وقوله تعالى كأنهم لا

يعلمون

يعلمون اي لا يفقهون على ما في الكتاب اي نبذوا الكتاب مع علمهم
فالتحقوا بالجهال وقيل كانهم لا يعلمون نعته وقوله تعالى واتبعوا
ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان اي نبذوا كتاب الله واتبعوا الذي
ما تتلوا الشياطين وعلموا ذلك اتباعهم المقلدين ليكتسبوا به الدنيا وقالوا
ان ملك سليمان مع عظمته كان قائما به ويأخذون السحر به ويجدونه
فذمهم الله تعالى بذلك وبرأ سليمان عليه السلام من ذلك وهتك
وكشف عن حقيقته انه كان من الشياطين لا من سليمان وفيه تنبيه
لاهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم على بطلان السحر
وانه لا يجوز العمل به وقال السدي رحمه الله لما نزل قوله تعالى
ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم عارضوه بالتوراة ثم
فاتفقت التوراة والقرآن واتبعوا كتاب الشيطان وسحر هاروت وماروت
فلم توافق القرآن فتعلقوا بها فذلك قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله
الى قوله واتبعوا اي كتاب السحر الذي كان فيه تعويذه لهم فيما خاصموا
النبي صلى الله عليه وسلم فاظهر الله تعالى لعباده ان ذلك كان سحرا
وكفرا او باطلا لا يجوز التعلق به وانما يباطن في الدين بكتب الله لا
بكتب السحر التي وضعتها الشياطين فمن ترك كتاب الله تعالى وتعلق
بكتب الشيطان فهو في نهاية الجهل والخذلان وقال محمد بن
اسحاق لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم سليمان بن داود
في المرسلين قال بعض احبارهم الا تعجبون من محمد يزعم ان
ابن داود كان نبيا والله ما كان الا ساحرا فانزل الله تعالى
هذه الاية وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون
الناس السحر اي باتباعهم السحر وعملهم به وقال الربيع بن انس ان
اليهود سالوا محمدا عليه السلام زمانا عن امور من التوراة فلا يسالونه

عن شيء من ذلك إلا أنزل الله ما يسألوا عنه فخصمهم فلما رأوا ذلك قالوا
هو أعلم منا بما أنزل إلينا فسألوه عن السحر • وخاصموه أن يعلمهم
به فأنزل الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين • وإن الشياطين عمدوا
إلى كتاب فكتبوا فيه السحر والكهانة وقد دفنوه تحت مجلس سليمان
وكان سليمان عليه السلام لا يعلم الغيب فلما فارق سليمان الدنيا
استخرجوا ذلك السحر فخدعوا به الناس • وقالوا هذا علم كان
سليمان يكتمه ويحسد الناس عليه فأخبرهم عليه السلام بهذا
الحديث فرجعوا وقد أخزاهم الله وأدحض حجتهم • واجتمع لهم بذلك
وجوه كفر وكبائر نبذ كتاب الله وتصويب السحر وإيثاره على كتاب
الله والاستحلال للحرام وإضلال الناس وصدهم عن الإيمان وتوهيمهم
أن معجزات الأنبياء لا حقيقة لها وأنها من جنس السحر • وقوله
ما تتلوا أي ما تلوه فإنها مضمرة وتتلوا قيل تتبع • وهو قول ابن
عباس وأي دين كما في قوله والقمر إذا تلاها • وقيل أي تقرأ وهو
قول مجاهد وعطاء ومن قوله فالتاليات ذكرا • وقال أبو عبيدة
أي ما تتكلم • وقوله وتتلوا قيل معناه تلت على الماضي وهو كقول الشاعر
ولقد أمر على اللئيم يسبني فمضيت ثمة قلت لا يعنيني أي ولقد
مررت وفي القرآن إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله
أي وصدوا عن سبيل الله ويصنع الفلك يعصون عليكم آبائي
ومنهم الذين يؤذون النبي ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم
من قبل هذه أمور كلها ماضية • وردت بصيغة المستقبل
وله وجه آخر وهو أن يكون كان مضمرا في ذلك فيكون
معنى الحال في الماضي وهو كقوله • وزلزلوا زلزالا شديدا
وقوله وزلزلوا حتى يقول الرسول على قراءة الرفع أي حتى كان
يقول

يقول فكذا أي قوله كما يعبد آباؤهم وله وجه آخر وهو أن يحمل على
الحال فيدل على وجوده في الماضي وبقائه للحال وهذا وجه
لا يحتاج فيه إلى تغيير بنيته ولا إلى إدراج زيادة وكذا يكون
قوله ويصدون عن سبيل الله • وقوله تعالى يؤذون النبي • وقوله تعالى
على ملك سليمان قال الزجاج أي في ملكه وسلطانه أي في
أيامه وقال أبو النجم فهي على الأفق كعين الأحول أي
في الأفق • وقيل أي على عهده ومعناه في أيامه وهو مستعمل في
العهد وهذه الكلمة في معناه • وقيل أي ما عملته الشياطين على
قصد إزالة ملك سليمان • وعلى يستعمل لذلك • وقيل على
إذهاب ملك سليمان أي ما فعلوا ذلك بعد موته • وقيل أي
ما كذبت الشياطين على سليمان وعلى إذا وصلت بالقول تراد به
الكذب قال تعالى ويقولون على الله الكذب • وقال وأن تقولوا
على الله ما لا تعلمون • وإذا قيل قال عنه فهو للصدق • وإذا قيل
قال عليه فهو للكذب • وقوله تعالى وما كفر سليمان أي ما سحر
سليمان وهو نبي إذ لم يكفر لأنه لم يسحر • وقوله تعالى ولكن الشياطين
الشياطين كفروا أي سحروا فكفروا به قال الإمام أبو منصور رحمه
الله القول بأن السحر كفر على الإطلاق خطأ ويجب البحث عن حقيقته
فإن كان في ذلك رد ما لزم في شرط الإيمان فهو كفر وإلا فلا
ثم السحر الذي هو كفر يقتل عليه الذكور والإناث • والذي
ليس بكفر • وفيه إهلاك النفس فهو في حكم قطاع الطريق ويستوي
فيه الذكور والإناث • وهذا اختلف قول أبي حنيفة رحمه الله في الساحرة
فلا تقتل ساحرة الكفر وتقتل ساحرة القتل في الأرض بالفساد إذا كان
سحرها قاتلا • وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال حد الساحر الضرب

بالسيف وتقبل توبته إذا تاب فإن سحرة فرعون لعنه الله آمنوا وصح إيمانهم
ومن قال لا تقبل فهو غلط وأحق ما تقبل توبة الساحر إذا هو بلغ
في تمييز ما جحده مما ليس بجحود قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعطية
العوفي كان الشياطين قبل عصر عيسى عليه السلام غير ممنوعين عن
صعود السماء وإنما منعوا بعد بعثه إلى السماء عن السماء الخامسة
والسادسة والسابعة وبعد خروج نبينا صلى الله عليه وسلم
عن الكل فكانوا يصعدون فيسترقون السمع ثم يخلطون فيخبرون
بما سمعوا وكان الناس يحبون ذلك وكان ذلك سحرا فسمع به سليمان
عليه السلام فأخذ الكتب فدفنها تحت كرسيه لئلا يطلب الباقي
فتوفي سليمان صلوات الله عليه وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون
ذلك وخلف من بعدهم خلف فأخرجها الشياطين لهم وقالوا إن
سليمان عليه السلام كان يضبط الجن والإنس والطير بهذا وقالوا
هذا كتاب الله نزل على سليمان فكتمه عنكم فلعن سليمان ورد الله كذبهم
الله تعالى فقال وما كفر سليمان ومما ذكر في بعض القصص والتفاسير
في قوله وألقينا على كرسيه جسدا أنه شيطان قعد على كرسيه أربعين
يوما وزال ملك سليمان هذه المدة وذلك الشيطان نسخ كتب
السحر ودفنها تحت سريره مع الشياطين وبعد عود الملك إلى سليمان
وبعد موته استخرجها الشياطين ونسبوها إلى سليمان فذلك كله باطل
مردود والوجه الأسلم الأوفق للأصول ما ذكرنا وقيل معنى
قوله وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا أي ما أعطي وما دخل
وما كتم سليمان أي لم يكن المستخرج من موضعه كان موضوع الشياطين
والكفر في اللغة هو التغطية على ما وضحناه عند قوله إن الذين
كفروا ثم في كثير من التفاسير تفسير السحر بالتخييل والتمويه وبالكلام

[illegible]

المزخرف

الداخل واتبعوا ما تتلو شياطين النفوس على ملك الروح الذي هو خليفة الله في أرضه وما كفر الروح ولكن شياطين النفس والهوى كفروا
يعلمون الناس السحر من تخيلات الوهم والحس وتمويهات الوساوس وما أنزل فتنة وخذلانا من العلوم الضارة غير النافعة كشبهات الفلاسفة والمبتدعة
على ملكي الروح والقلب ببابل الجسد هاروت الروح وماروت القلب فإنهما من العالم العلوي الروحاني أهبطا إلى أرض العالم الجسماني بإخلاف
لإقامة الحق وإزهاق الباطل فافتتنا بزهرة الحياة الدنيا وأسباب جذاعها فوقعا في شبكة الشهوة التي ركبت فيهما ابتلاء [illegible]
والنفس التي [illegible] العقل وزينا [illegible] الدنيا الدنية وعبدا صنم الهوى فعذبا بالتنكيس بالالتفات إلى السفليات وإعراضهما عن العلويات
وهما استماع الوحي وكشف حجاب العلوم النافعة الروحية الحقيقية ومع هذا من خصوصية الملكية الروحانية ما يعلمان أحدا من الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية والهوى [illegible] حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء القلب وزوجه [illegible]
نيسابوري

المزخرف الذي يتغير به الأفهام بين الناس بدون تحقيق إثر له في محبة
أو عداوة أو علة أو تأخيذ تعلقا بالسحر المذكور في قصة فرعون
أنه كان تخييلا لا غير ويتمسكون بما ذكر ولا يرد لبيد بن الأعصم اليهودي
سحر النبي صلى الله عليه وسلم فأعاذه الله تعالى بما أنزل من المعوذتين
حتى روي أنه قام كأنما أنشط من عقال وهذا إنما قاله المعتزلة
وهو إنكارهم إظهار أثر بفعل العبد لا يتصل بآلة بفعله وهي مسألة
المتولدات وعند أهل السنة والجماعة الآثار من صنع الله وتخليقه
وليس ذلك من فعل العبد وفعله لا يعد وإنما تدريبه وتصافه الأثر
إلى العبد إذا أجرى الله تعالى العادة بتخليق تلك الآثار عقيب
تلك الأفعال في الضمان والوزر ونحو ذلك والسحر حقيقة
بظهور آثاره وما ذكروه تفوق تسمى سحرا مجازا وقوله تعالى ولكن
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر أخبر أن الملكين لا يعلمان السحر
وإنما يعلم الشياطين ذلك الناس **وقوله تعالى** وما أنزل على الملكين ببابل
هاروت وماروت لذا تأويلان أحدهما أن ما كلمة نفي ومعناه
ولم ينزل على الملكين وهو قول ابن عباس وابن قتادة والشعبي
وهو معطوف على قوله تعالى وما كفر سليمان أي لم يكفر هو
ولم ينزل الله السحر على الملكين وذلك أن السحرة واليهود كانوا ينسبون
السحر إلى سليمان وإلى الملكين فبرأهم الله تعالى عن ذلك وقوله تعالى
وما يعلمان من أحد حتى يقولا أي أحد ومن للتأكيد كما قال فما منكم من
أحد عنه حاجزين أي ولا يعلم الملكان أحدا السحر بل يبالغان في نهيه
ويقولان إنما نحن فتنة فلا تكفر أي امتحان واختبار لك ننهاك عن
السحر فإن قبلت نصحنا نجوت وإن لم تقبل خسرت وقوله فلا تكفر أي فلا
تسحر فإنه كفر والفتنة ما يتبين بها حال الإنسان من الخير والشر يقال

تمتحن الذهب بالنار إذا جربته بها ليعلم أنه خالص أو مشوب ومنه
الفتانة وهي الحجر الذي يجرب به الذهب والفضة وقوله تعالى
فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه قوله منهما لا يرجع
إلى الملكين فقد نفي التعليم منهما على هذا التأويل بل التثنية راجعة
إلى الكفر والسحر فقد ذكرا جميعا قبله بقوله كفروا يعلمون الناس
السحر أي فيتعلم اليهود من الكفر والسحر من الشياطين ما يقع
به البغض بين الزوجين فيفترقان لأن الكفر من أحدهما سبب
الفرقة والسحر يقع به الفرقة وقوله تعالى وما هم بضارين به من أحد
إلا بإذن الله أي وليس اليهود والسحرة ضارين بالسحر أحدا إلا
بعلم الله ولا يجوز حمل الإذن هاهنا على الأمر والإطلاق
لأن الله تعالى لا يأمر بالكفر والإضرار والتأويل الآخر
ما قاله قتادة والزهري أن قوله وما أنزل هذا بمعنى الذي
واتبعوا الذي تتلوا الشياطين على ملك سليمان والذي أنزل
على الملكين من بيان السحر وبطلانه وقالوا إن السحر كان كثر في ذلك
الزمان وكان الناس يتوهمون أنه حق مثل آيات الأنبياء فأنزل
الله تعالى عليهما بيان كيفيته ووجوهه ليبينا للناس في الأرض
بطلان السحر وضرره فلا يغتر به أحد ولا يتعلمانه فكانا
يعلمان في الأرض وكانا ينهيان عن السحر ويجوز أن يكون الله تعالى
أنزل بيان السحر عليهما بإنزاله على نبي ثم أبلغ النبي إليهما ذلك ليعرفا
وجوه ذلك لقومهما وينهياهم عن استعماله ونسبة ذلك إنزالا إليهما
كان بواسطة نبي كقول الله تعالى ونزلنا عليك الكتاب ثم قال في حقنا
قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وإنما خصهما بالذكر وإن كان الأمر به
للعامة وهذا لما قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام اذهبا إلى فرعون
وكانا

مطلب

وكانا أرسلا إلى فرعون ورعاياه ولكن خص فرعون بالذكر لأنه أبلغ
في استدعائه واستدعاء رعيته إلى الإيمان إذ الرعية أتباع للراعي
وقال الإمام أبو منصور رحمه الله اختلف في هاروت وماروت
هل كانا ملكين أم لا فقال الحسن البصري رحمه الله لم يكونا ملكين ولكنهما
كانا فاسقين متمردين من الإنس لأن الله تعالى وصف ملائكته
بالطاعة له والائتمار بأمره بقوله عز وعلا لا يعصون الله ما أمرهم
وبقوله تعالى لا يسبقونه بالقول وكذلك يقول هو في إبليس
إنه لم يكن من الملائكة وقد مر الكلام في ذلك في قصة آدم عليه
السلام وعلى هذا التأويل قرئ على الملكين بكسر اللام وقيل كانا ملكين
من الملائكة فلما ركب الله تعالى فيهما الشهوة خرجا من أن يكونا
ملكين كما في حق إبليس وهما اسمان أعجميان ولا اشتقاق لهما إذ لم
يكونا من العربية وقصتهما على الاختصار ما روي أن الملائكة
في السماء نظروا إلى بني آدم ومعاصيهم فقالوا يا ربنا خلقت البشر
ورزقتهم وهم يعصونك ولو كنا مكانهم ما عصيناك فقال الله تعالى
لهم اختاروا ملكين منكم فاختاروا جبريل وميكائيل فتضرعا إلى الله
تعالى واستعفيا فعفي عنهما واختاروا بعدهما آخرين وهما هاروت
وماروت فركب الله فيهما شهوة الأكل والشرب والنساء وأرسلهما
إلى الدنيا ليحكما بين الناس ولا يفعلا شيئا من المعاصي فنزلا وعملا
كذلك مدة وكانا يصعدان بالليل إلى السماء ثم ينزلان بالنهار حتى
إذا جاءت امرأة ذات جمال وحسن يوما اسمها زهرة بالعربية
وبيدخت بالنبطية وقيل ناهيد ناشرة شعرها قد أرخت ذوائبها
عليها قميص حرير وهي تخاصم زوجها فلما نظرا إليها وقع حبها في قلوبهما
فكتما ذلك ولم يظهر كل واحد منهما ذلك لصاحبه حياء منه حتى غلب صبرهما

فراودها عن نفسها فأبت حتى تعلّماها اسم الله الأعظم الذي به كانا
يصعدان إلى السماء فعلّماها فدعت به فطارت وصعدت
الله باسمه الاعظم فمسخها الله تعالى كوكبا فصعدت إلى السماء قالوا انا مسخها
كوكبا فهذه مستنكر لأن الله تعالى مسخ اقواما ولكن صيّرهم وردّها
زهرة المشهورة في السماء ضعيف لأن الله تعالى مسخ اقواما زهرة
في السماء منذ خلقها الله تعالى وخلق فيها الكواكب فيجوز ان تكون كوكبا
آخر تشبهها وقيل هي تعذب في السماء وقيل بل صارت إلى
النار كسائر ما مسخ ثم بعث الله ملكا وقيل كان معه حين التقبيح
هاروت وماروت الصعود إلى السماء بعصيانهما وهو مراودتهما
زهرة ولا يثبت الزنا بها منهما ولا شرب الخمر ولا قتل النفس
وان ذكر ذلك في بعض الروايات وقال جبريل صلوات الله عليه
لهما إن الله تعالى خيّركما بين عذاب الدنيا وتكونا في الآخرة في المشيئة
ان شاء عذبكما وان شاء رحمكما وبين ان يؤخر عنكما العذاب فاستشارا
جبريل صلوات الله عليه فأشار اليهما ان اختارا عذاب الدنيا فهما يعذبان
ببابل معلقين هناك وقيل بابل هو الذي تعرف بقرب الكوفة
وقيل هو بدنا وتدرون بابل الكوفة وبابل العراق وبابل لا ينصرف لانه
اعجمي وهو معرفة وقوله تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن
فتنة فمعناه على التأويل الثاني ولا يعلمان احدا كيفية السحر الا بعد ان
يقولا انما نحن فتنة اي اختبار لكم فلا تكفر اي لا تتعلم السحر ولا تعمل
به فانه كفر ثم يبينان وجه السحر ويقولان ان السحر يكون كذا وكذا
ويسد منه كذا وكذا فاتق الله ولا تستعمله فيقع هذا الاعلام منهما على
وجه التعليم كالنصيحة. تقول لآخر من احدث زمنين يبرتهم
وطئ امرأة الغير ويقع ذلك على وجه التحذير ومن المستمع على وجه
التعليم

التعليم وإنما جاز تبيان السحر لأنه لا يتوصل إلى اجتنابه إلا بعد معرفته
وقد قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقّيه ومن لا يعرف الشر
من الناس يقع فيه. والتعليم بمعنى الاعلام. ومن سأل آخر عن الزنى
فبيّن كان اعلاما ولم يكن حراما وليس هذا على التعليم الذي هو تلقين
الشيء والحمل عليه. وقال تعالى قل أتعلّمون الله بدينكم هذا في معنى
الاعلام كذا هذا. وقوله تعالى فيتعلمون منهما اي من هاروت وماروت
ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي العوذة التي تقع بها الفرقة بالبغض
ونحوه وقوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله اي المتعلمين
السحر لا يضرون احدا بالسحر الا بعلم الله تعالى وقوله تعالى ويتعلمون
ما يضرهم في الدنيا ولا ينفعهم في الآخرة وقوله تعالى ولقد علموا لمن
اشتراه ما له في الآخرة من خلاق اي أهل الكتاب الذين نبذوا
الكتاب واتبعوا السحر لمن اشتراه اي من اختار السحر على كتاب
الله تعالى وقوله من خلاق اي نصيب خير وقوله ولقد اللام في ذلك
الموضع ومع ذلك دخل في قوله لمن اشتراه وانما كان كذلك لأن الأول
وهو في قوله ولقد لما دخل في العذب اشبه القسم فأجيب بجوابه وقال
الزجاج الأول دخل اعلاما ان الجملة بكمالها معقودة بالقسم لأن الخبر
وان كان للقسم عليه فقد صار للشرط فيه حظ فلذلك دخله وقيل لام لقد
تؤكد عليه بذلك في التوراة ولام لمن تؤكد الشرط والجزاء وقيل
موضع اللام في الشرط الا انه سبق ذكره فاعيد في موضعه كما في قوله
لئلا يعلم أهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء اي ليعلم فلما سبق ذكر لا الذي
موضعه يقدرون اعيد في موضعه وكقوله أيعدكم انكم اذا متم
وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون سبق ذكر انكم فاعيد في موضعه
وقوله تعالى من خلاق من للتأكيد والخلاق من الخلق وهو التقدير

أي نصب قدر له وقوله ولبئس ما شروا به أنفسهم ذكرنا حقيقة هذه الكلمة
في قوله بئسما اشتروا به أنفسهم وقوله به يرجع إلى السحر وكتاب الشيطان
وقوله تعالى لو كانوا يعلمون أي لو علموا ما علموا فقد أثبت علمهم بقوله
ولقد علموا فلم يكن هذا نفي العلم بل كان نفي الانتفاع بالعلم. وقيل
أي لو كانوا يعلمون وباله في الآخرة. وقيل لو كانوا يعلمون أنه يضرهم
ولا ينفعهم وقوله تعالى ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير
لو كانوا يعلمون أي لو أن أهل الكتاب والسحرة آمنوا بالقرآن
والنبي واتقوا الشرك والسحر لمثوبة من عند الله خير لثواب الله
لهم على إيمانهم وتقواهم خير لهم من كفرهم وسحرهم واللام
في لمثوبة جواب لو ومثوبة مفعلة من الثواب وثاب يثوب
أي رجع سمي ثوابا لأنه عوض عمله يرجع إليه وقوله لو
كانوا يعلمون أي يعملون بعلمهم وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا
قال الحسن كل شيء في القرآن يا أيها الذين آمنوا فإنه نزل بالمدينة
وقوله تعالى لا تقولوا راعنا روى أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما
أنه قال إن المسلمين كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقولون له يا رسول الله راعنا سمعك وكان هذا من كلام العرب
فيما بينهم وكان راعنا بلسان اليهود السب القبيح فلما سمعت اليهود
من المؤمنين يقولونها لرسول الله أعجبهم ذلك وقالوا فيما بينهم
كنا نسب محمدا في السر فالآن فاعلنوا له بالشتم فكانوا يأتونه
ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فسمعها منهم سعد بن معاذ
الأنصاري وكان يعرف لغتهم فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي
نفسي بيده لئن سمعتها رجل منكم يقولها لرسول الله بعد هذا المجلس
لأضربن عنقه فقالوا أو لستم تقولونها له فأنزل الله تعالى هذه الآية

ونهى

ونهى المؤمنين عن هذه اللفظة لئلا يتطرق اليهود بسببها إلى ما
يريدونه من السب وقيل كانت الصحابة الأربعة وأجلاء الصحابة
رضوان الله عليهم ربما يتأخر بعضهم عن خروج رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى المسجد وكان يفوتهم بعض كلامه فكانوا يقولون يا رسول الله
راعنا وهو سؤال المراعاة والعناية بحقهم بانتظارهم لئلا يفوتهم
فوائده واليهود سمعوا ذلك فقالوا بذكر ذلك لهم على إرادة
شتم وقيل في بيان ذلك الشتم وجهان أحدهما أنهم كانوا يريدون
به راعينا على اختلاس الياء وهي نسبته إلى أنه من الرعاة فإنهم
كانوا يقولون للعرب إنهم عالة رعاة غنم فكأنهم قالوا أنت راعينا
والثاني أنهم أرادوا بذلك راعنا أي فاعلا من الرعونة أي
جاهلا ويجوز ذلك وفي قراءة الحسن البصري راعنا بالتنوين
وهي قراءة حفصة وقيل في تفسير راعنا بالتنوين أي لا تقولوا
قولا راعنا أي سفها وجهلا وحمقا والأرعن الأهوج الأحمق
وقد رعن رعونة من حد شرف والرعن الأنف النادر من
الجبل الخارج عنه ورجل أرعن والرعناء المرأة المتبرجة وجيش
أرعن له فضول كرعون الجبال ورجل أرعن مسترخ ورعنته
الشمس إذا آلمت دماغه قال الشاعر كأنه من أوار الشمس
مرعون والأوار الحر ولا يدرى إلى أي هذه الوجوه
كانوا يصرفون هذه الكلمة وقيل الكلمة من المراعاة ونهي
المسلمين عن ذلك ومعناه لا تجعلوا لأنفسكم رتبة أن تطالبوا
مراعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزجاج هي من
المكافاة أي مساواة أي لا تطالبوا بالمساواة في المعاملة والمخاطبة
وهو أمر بتعظيمه وقد قال تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق

موت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض وقوله تعالى
وقولوا انظرنا أي انتظرنا كما في قوله انظرونا نقتبس من نوركم والغرض
يحصل به ولا تتطرق اليه اليهود بما أرادوا ولأن طلب المساواة
وقال الإمام أبو منصور رحمه الله انظرنا على معنى مخاطبة الفهم
او خاطبنا بالذي تحتمله افهامنا او أمهلنا في القيام على ما أمرتنا
به لنقوم عليه بالتعظيم والفهم وقوله تعالى واسمعوا اي ما تؤمرون
به واقبلوه واعملوا به وقال الضحاك أي اسمعوا كتاب الله
وما يأمركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى
وللكافرين عذاب أليم أي للكفار من اليهود وغيرهم في الآخرة
لعنادهم عذاب وجيع وقيل للكافرين أي لليهود الذين
يقولون لرسول الله هذا عذاب مؤلم وهذه الآية فيها
ذم اليهود وأيضا كما في الآيات التي قبلها وبه ينتظم ثم ذكر
في ذمهم أيضا أنهم يحسدون المؤمنين على ما نالوا وقوله تعالى
ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل
عليكم من خير من ربكم أي ما يحب الكفار من اليهود والنصارى
ومن المشركين وهم عبدة الأصنام أن ينزل عليكم أي على
نبيكم لأن المنزل عليه منزل على أمته من خير من ربكم
أي القرآن وفيه كل خير ومن لتأكيد النفي في قوله من خير
وللتبيين في قوله من أهل الكتاب ولابتداء الغاية في قوله من
ربكم فهي ثلثة في هذه الآية جمع بين أهل الكتاب وبين عبدة
الأصنام لأنهم يجتمعون اليوم على الكفر ويجتمعون غدا في النار
قال الله تعالى ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في
نار جهنم واهل الكتاب انما لم يودوا ذلك عند بعضهم لأنهم
كانوا

كانوا يظنون أن نبي آخر الزمان يكون من أولاد اسحاق كما كان
انبياء بني اسرائيل فلما كان من بني اسماعيل لم يرضوا به وعادوا
العرب لذلك وهذا لا يصح لأنهم كانوا اقروا وآمنوا في التوراة
أنه من العرب قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الأمي
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والأمي هو المكي
العربي فالصحيح أنهم انما ابغضوه لفوت العز والرياسة والرشوة
عنهم بسببه لو آمنوا ولهتك أستارهم بإخباره انهم يحرفون الكلم
عن مواضعه وأما المشركون فانما كرهوا ذلك لأنهم كانوا
يتمنون أن تكون النبوة في احد الرجلين نعيم بن مسعود الثقفي
بالطائف والوليد بن المغيرة بمكة كما اخبر الله تعالى عنهم
وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
وكانوا يعلمون انهما يتبعان اهواءهم فأنزل الله تعالى هذه الآية
وقوله تعالى والله يختص برحمته من يشاء أي بنبوته ووحيه
ودينه من يشاء لا من يشاؤون وقال الله تعالى الله أعلم حيث
يجعل رسالاته وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم أي على من خصه
بالنبوة والوحي ودلت الآية على أن العبد لا يستحق على الله
شيئا فإن مؤدي الواجب لا يكون متفضلا وقال الإمام
أبو منصور رحمه الله قوله المشركين معطوف على قوله من
أهل الكتاب ومن المشركين كان للبعض لا للكل فانه كان يكره
رؤساهم ذلك لا كلهم وكراهتهم لشيئين احدهما ما كان فيه
من تسفيههم وتضليلهم مع سلفهم وكان يشتد عليهم ذلك
والثاني انهم كانوا مستكبرين لا ينقادون لغيرهم ويطمعون
أن تكون الرسالة لهم قال الله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم

لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم
إلا نفورا استكبارا في الأرض وقال تعالى خبرا عنهم لولا أنزل علينا
الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا
وقوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها وانتظامها
بما قبلها أنه قال والله ذو الفضل العظيم • ومن فضله نسخ الآية
بخير منها أو مثلها • رحمة على هذه الأمة • والثاني أن اليهود
قالوا إن محمدا لا يثبت على شيء بل يأمر بشيء ثم ينهى عنه وينهى عن
شيء ثم يأمر به • وكذا التحريم والتحليل فأخبر الله تعالى أنه لا
يفعل ذلك من جهة نفسه بل الله تعالى ينسخ ويبدل • والثالث
أنهم كانوا يرون البداء لا يرون النسخ ويسمونه بداء • وينكرون
نسخ شريعة موسى بغيرها فأنزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم
والنسخ في اللغة هو النقل والتحويل ومنه انتساخ الكتاب هو النقل
من نسخة إلى نسخة ونسخت الشمس الظل هو كذلك وتناسخ المواريث
من ذلك ويكون بمعنى الإبطال أيضا ونسخت الشمس الظل بمعنى أذهبته
ونسخت الريح الأثر كذلك • وقوله تعالى ما ننسخ ما كلمة شرط وننسخ
مجزوم به وقوله أو ننسها مجزوم أيضا لأنه عطف على الأول • وجزمه
حذف الياء منه • وقرأ ابن كثير • وأبو عمرو بغير الباقية ننسأها بالهمز مجزوما
وهو كذلك • وقوله نأت بخير منها مجزوم لأنه جزاء الشرط وجزمه
لحذف الياء منه • ومعنى النسخ في الشرع هو بيان مدة الحكم وسمي
نسخا لأنه في الظاهر نقل الحكم من شيء إلى شيء كأمر القبلة أو
أو تغيير وإبطال • وإسقاط له أصلا كنسخ فرض الصدقة قبل
مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم • وكان ذلك في الحقيقة بيانا أن
ذلك الحكم المتقدم كان مشروعا إلى هذه المدة • وقد اختلف في قوله
ما ننسخ

ما ننسخ من آية الآية وجوه أحدها ما نرفع من حكم آية من القرآن
مع بقاء تلاوتها أو ننسها أي نجعلها منسية على القلوب برفع حكمها
وتلاوتها وقد نسي القلب نسيانا فهو ناس وأنساه الله ذلك • وعن
قتادة رحمه الله أنه قال كانت الآية تنسخ بالآية وينسي الله تعالى
نبيه من ذلك ما شاء • وروى أبو أمامة سهل بن حنيف أن رجلا
كانت معه سورة فقام من الليل ليقرأها فلم يقدر وقام آخر
ليقرأها فلم يقدر فلما أصبحوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم • فقال إنها نسخت البارحة ومن قرأها ننسأها بالهمز
والفتح في النون فمعنى ذلك نؤخرها ومنه النسيء والنسيئة والنساء
(والنسي...) الله أجله ونسأ في أجله وللتأخير هاهنا معنيان أحدهما أن
نؤخرها • ونبقيها غير منسوخة والثاني على التقديم والتأخير
ما ننسخ من آية نأت بخير منها أو مثلها أو نؤخرها فنتركها منسوخة
كما هي فنأتي بخير منها أو مثلها • وقال مجاهد ما ننسخ من آية
أي ما ننسخ من حكم آية أي ما نثبت من حكم آية وتلاوتها أو ننسأها
أي نثبت تلاوتها ونبدل حكمها نأت بخير منها أو مثلها • وقال عطاء
ما ننسخ أي ما نكتب من اللوح فننزله أو ننسأها أي نؤخرها في اللوح
فلا ننزله فيكون هذا من الانتساخ على هذا القول • وقوله نأت بخير
منها • قيل ليس هذا للتفضيل على معنى أحسن منها فإن الآيات
كلها كلام الله تعالى فلا تفاضل في أنفسها بل معناه على التقديم
والتأخير نأت بخير منها أي بصلاح وخير لكم لكن لا يتضح هذا التأويل
فإنه قال أو مثلها وإذا حمل على ذلك لم يكن لهذه الزيادة معنى
والصحيح أنه للتفضيل ولا يرجع ذلك إلى نفس الآية بل إلى ما يحصل
به للعبد • وقد قال ابن عباس قوله بخير منها أي بما هو أنفع لكم

وأرفق أو مثلها للابتلاء والامتحان ليظهر من يتبع أمر الله ممن يتبع هواه
وقيل بخير منها أي بأخف وأسهل وقيل بأكثر ثوابا وقيل بأصلح في
العاقبة أو مثلها في السهولة والثواب والصلاح والحاصل أن النسخ قد
يكون بأخف من الأول كنسخ الاعتداد بحول ونقله إلى الاعتداد بأربعة
أشهر وعشر وكنسخ فرض قيام الليل إلى التخيير وقد يكون بمثله
كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالتوجه إلى الكعبة وقد يكون بأشق
على البدن كنسخ ترك القتال بإيجابه وكل ذلك خير للعبد من حيث
الثواب أو الصلاح وقد أخبر الله تعالى في القتال أنه كره لكم وأخبر
أنه خير وقال تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وكل
ذلك إنعام منه عليه وإحسان إليه وله الحمد ثم الحكمة في النسخ
الابتلاء قال تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع
الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوان
ما ننسخ بضم النون وكسر السين من الانتساخ وله معنيان أحدهما
ما قاله أبو عبيدة ما ننسخك يا محمد أي نأمرك بأن تنسخها وقد
نسخت الشيء بنفسي وانتسخته غيري أي حملته عليه كما يقال كتبت
بنفسي واكتتبت غيري والثاني استنسخته أي جعلته ذا نسخ كما
يقال أقبرته وقبرته دفنته وهذا كله على ما قيل من جعل
الآية من آيات القرآن ثم الآية معناها الكلام المجموع يقال خرج
القوم بآيتهم أي بجماعتهم فالحرف الواحد والجملة الواحدة لا تنبئ
عن معنى مجموع فإذا اجتمعت كلمات صارت آية وفوق الآية سورة
أي درجة مرتفعة قال النابغة ألم تر أن الله أعطاك سورة
ترى كل ملك دونها يتذبذب ومنه قوله تعالى إذ تسوروا المحراب
أي علوه فالسورة هي المشتملة من المعاني على ما زاد على الآية وارتفع
عليها

عليها كالقصص سطحها السورة الواحدة وقيل معنى هذه الآية ما ننسخ
من آية أي ما نرفع من حجة فنغيبها عن الأبصار نأت بخير منها أو مثلها
أي أقوى منها في الحجة أي مثلها في القوة وهذا كلام الإمام أبو منصور رحمه
الله قال بعضهم ذلك ثم ما قرر من المقالات المقترحة ثم المنسوخات
على ثلاثة أوجه ما نسخ حكمه وتلاوته لقول عائشة رضي الله عنها
كان مما يتلى عشر رضعات ثم نسخ بخمس رضعات معلومات وما نسخت
تلاوته وبقي حكمه وهو المروي عن عمر رضي الله عنه الشيخ والشيخة
إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم وما نسخ
حكمه وبقي تلاوته وهي الآيات التي فيها الأمر بترك القتال
نسخت بآية السيف وبقيت تلاوتها وفائدة البقاء حصول الثواب
بعبرة أنبها وقوله تعالى ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير قيل هو خطاب
لمحمد عليه السلام ردا على اليهود لعنة الله عليهم أجمعين قالوا في
قوله أأنت قلت للناس اتخذوني هذا الخطاب لعيسى عليه السلام
يوم القيامة ردا على النصارى وقيل هو خطاب من كان يجادل
رسول الله صلى الله عليه وسلم في النسخ ويدل عليه أنه قال
بعده وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وهذا خطاب
اليهود والصحيح أنه خطاب المؤمنين فإنه يقتضي الوعد لهم بالولاية
والنصرة وقوله تعالى ألم تعلم هذا استفهام فإنه يقتضي الوعد لهم
بمعنى التقرير أي قد علمت كقولك لصاحبك ألم أعطك كذا أي قد أعطيتك
وقيل هو استفهام بمعنى الأمر أي اعلم وهو كقولك لصاحبك ألم تعلم
أن زيدا قدم أي اعلم وهو كقوله فهل أنتم منتهون أي انتهوا وقوله
إن الله على كل شيء قدير يقدر على أن يتعبد عباده بما شاء من
العبادات المختلفة وينقلهم من عبادة إلى غيرها على حسب ما يعلمه

صلاحًا لهم • وقوله تعالى ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض • وكذا
وجهان أيضًا كالأول • أي قد علمت أو اعلم • وهذا التقرير قوله
على كل شيء قدير فالملك تمام القدرة • واستحكامها أي قد علمتم أنه
مالك السموات والأرض وقادر عليها وأنه مالككم فله الخلق وله
الأمر • وقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وكلمة من
لتأكيد الجحد ولا نصير عطف على الجحد ولو لم يزد لا لوقعت
الشبهة أنه ليس لهم هذان جميعًا الولي والنصير إنما لهم أحدهما
فقال ولا نصير نفيًا لكل واحد منهما قصدًا والولي القيم بالأمر
من وليت الشيء إليه والنصير المعين • والمانع ومن دون الله أي
سوى الله وفي هذه الجملة ثلاث معان أحدها التخويف من سخط
الله وعقابه إذ لا أحد يمتنع منه والثاني التسكين لقلوبهم بأن الله
تعالى وليهم وناصرهم دون غيره والثالث التقريع بما حالهم
ومن حال عبدة الأوثان مدحًا لهم وذمًا لأوليائهم • وقوله تعالى أم تريدون
أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل • قال الزجاج كلمة أم
إذا لم تكن للعطف على الألف الاستفهام كانت بمعنى بل مع ألف الاستفهام
تقديره بل أتريدون أن تسألوا رسولكم • وهذا استفهام بمعنى التوبيخ
ونزول الآية في شأن اليهود لعنهم الله فإنهم قالوا ائتنا بكتاب الله
جملة كما جاء موسى بالتوراة جملة • وقوله تعالى كما سئل موسى من قبل
هو ما ذكر في قوله يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا
من السماء إلى قوله جهرة • وقيل نزلت في المشركين منهم عبد الله
بن أمية المخزومي حين قال يا محمد لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من
الأرض ينبوعًا الآيات فأخبر الله تعالى أنهم سلكوا في اقتراحهم
على نبيهم طريقة اليهود في اقتراحهم على موسى بما ذكرنا • وقوله ومن
يتبدل

واصلهم

بلغ تصحيحه

يتبدل الكفر بالإيمان التبدل • والاستبدال أخذ الشيء بدلًا عن
الشيء وإرادة اختيار الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم • على الإيمان به • وقوله
تعالى فقد ضل سواء السبيل أي أخطأ وسط الطريق السوي الذي
هو بين الغلو والتقصير وهو الحق يقال أخذ فلان على سواء رأسه
أي وسطه • وقال تعالى فاطلع فرآه في سواء الجحيم أي
وسط الجحيم • وقوله تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم
من بعد إيمانكم كفارًا أي أحب كثير من اليهود وتمنوا أن تصيروا
بعد الإيمان إلى الكفر وهذا أبان شدة عداوتهم وحسدهم
للمؤمنين قال الزهري وقتادة هو كعب بن الأشرف وأصحابه
وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو حيي بن أخطب وأبو ياسر بن
أخطب وأمثالهما • وقال مقاتل إن نفرًا من اليهود منهم فنحاص
بن عازوراء وزيد بن قيس دعوا حذيفة بن اليمان • وعمار بن ياسر
إلى دينهم بعد قتال أحد فقالوا لهما ألم تصيبا خيرًا الذي
أصابهم يوم أحد من البلاء • وإن ديننا أفضل من دينكم • ونحن
أهدى منكم سبيلًا فقال لهم عمار كيف نقض العهد فيكم فقالوا
شديد • فقال إني عاهدت ربي أن لا أكفر بمحمد • ولا أتبع دينًا غير دينه
فقالوا أما عمار فقد صبأ • وضل عن الهدى بعد إذ أبصره فكيف أنت
يا حذيفة ألا تتابعنا • فقال حذيفة الله ربي • ومحمد نبيي والقرآن
إمامي أطيع ربي • وأقتدي برسوله حين يأتيني اليقين • فقالوا وإله
موسى لقد أشربت قلوبكما حب محمد • ثم أتيا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأخبراه بما قيل لهما وبما ردا عليهم • فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أصبتما إذًا الخير وأفلحتما • فأنزل الله تعالى
هذه الآية ود كثير من أهل الكتاب الآية • ونظيره قوله تعالى

اهل الكتاب هم

وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وقوله تعالى إن تطيعوا
فريقًا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين
وقوله تعالى إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم
وقوله تعالى حسدًا من عند أنفسهم الحسد الأسف على من له خير
بخيره والتمني أن يزول عنه إليه وحسدًا نصبه لوجهين أحدهما
أنه مفعول له أي يفعلون ذلك لأجل حسدهم والثاني أنه نصب
على الحال وهو مصدر أريد به نعت الجمع أي حاسدين لكم وقوله
تعالى من عند أنفسهم أي من قبل أنفسهم من غير أن يؤمروا وتعلقت
المعتزلة بظاهره أن المعصية من جهة العبد لا فعل لله تعالى
فيها ونحن نقول لا حجة لكم فيه فإنا نقول الإيمان والكفر
والطاعات والمعاصي أفعال العباد وهي مخلوقات الله تعالى فالفعل
من العبد والتخليق من الله تعالى والآية لا تنفي ما قلنا وقوله تعالى
من بعد ما تبين لهم الحق أي بعد ما ظهر لهم أن محمدًا رسول الله
وأن الإسلام دين الله قاله قتادة والربيع بن أنس وقوله تعالى
فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره العفو الترك والصفح الإعراض
وانتظامها بما قبلها أنه روي عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم سألوا
رسول الله أن يقتلوا هؤلاء اليهود الذين كفروا بأنفسهم ودعوا
المسلمين إلى الكفر فنزلت الآية أن اتركوا قتالهم واعرضوا عن
مكافأتهم حتى يأتي الله بأمره أي حكمه بحكمه في بني قريظة بالقتل
وفي بني النضير بالإجلاء وقيل هذا نهي عن القتال ثم نسخ بآية
السيف ومعنى قوله حتى يأتي الله بأمره أي يأمر بالقتال فإن قالوا
هذه السورة مدنية والأمر بالقتال كان سابقًا فما معنى الأمر بترك
القتال مع هؤلاء على الخصوص لأنهم كانوا معاهدين ومعنى قوله حتى

يأتي الله

يأتي الله بأمره هو ما ذكرنا من الحكم بقتل هؤلاء وإجلاء هؤلاء وقال
الإمام أبو منصور رحمه الله يحتمل أن يكون هذا نهيًا عن مكافأتهم
على أذاهم في الدنيا ثم لم ينسخ وقوله حتى يأتي الله بأمره أي بعذابه
في الآخرة وقوله تعالى إن الله على كل شيء قدير أي من التعذيب والانتقام
وكل شيء وقيل قدير على تفريجكم عن أذاهم من غير قتال فانتظروا
الفرج واشتغلوا الآن بالصلاة والزكاة ولذلك وصل هذه
الآية بقوله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وهو نظير قوله
واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين أي بالفرج
وقوله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة أي أدوهما شكرًا لنعمة سلامة
النفس وثروة المال ليكون الشكر سببًا لبقاء نعمة الإيمان فلا يقدر
اليهود على صرفكم عنه وقوله تعالى وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه
عند الله ما كلمة شرط ولذلك جزم تقدموا وحذف النون منه لذلك
وتجدوه جوابه وهو مجزوم به وحذف نونه لذلك أي وكل شيء
تقدموه إلى الآخرة من الخيرات من الصلوات والزكوات وسائر
الطاعات تجدوا ثوابها عند الله وقوله تعالى إن الله بما تعملون بصير
أي يرى ما عملتم من خير أو شر وهو وعد على الطاعة ووعيد
على المعصية بأبلغ وجه وقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة إلا من
كان هودًا أو نصارى أي قالت يهود المدينة لعنهم الله لن يدخل الجنة
إلا اليهود وقالت نصارى بني نجران لن يدخلها إلا النصارى فهذا
على التفصيل ليس أنهم جميعًا اجتمعوا على دعواهم دخولهم جميعًا فيها
وتبين ذلك بقوله بعد هذا وقالت اليهود ليست النصارى على شيء
وقالت النصارى ليست اليهود على شيء فظهر أن أحد الفريقين لا يشهد
للآخر بالجنة وإنما جمعهم في أول الآية لأنهم مجتمعون على الإيمان

بالتوراة ثم ذكر عنهم قولا وكان يحتمل ذلك القول قائل منهم على
التفصيل فصح الاجمال على ارادة التفصيل كما في قوله ومن رحمته جعل
لكم الليل والنهار اجمع الليل والنهار في كونهما رحمته ثم قال
لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فانصرف السكون الى الليل وابتغاء
الفضل الى النهار وصح هذا التفصيل مرادا بالاجمال فهذا
كذلك وقوله تعالى تلك امانيهم جمع امنية والتمني التشهي اي يشتهون
ذلك بغير حجة والعرب تسمي الكلام العاري عن الحجة تمنيا
وغرورا وضلالا واحلاما مجازا وقيل الاماني الاكاذيب
ها هنا وقد بيناه في قوله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني وقوله
تعالى قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين اي قل يا محمد اقيموا
حجتكم على دعواكم ان كنتم صادقين فيها ولم يقل براهينكم
والخطاب للجمع ولا برهانكما على التثنية وهم فريقان لان الدعوى
كانت واحدة وهي نفي دخول غيرهم الجنة والحجة على تلك الدعوى
واحدة وقال الامام ابو منصور رحمه الله دلت الآية على ان
النافي عليه الدليل ولا يقال انهم اثبتوا الدخول لانفسهم
وطولبوا بالبرهان عليه لانا نقول ليس كذلك بل نفوا دخول
غيرهم صريحا وثبت دعواهم دخول انفسهم دلالة والبرهان يطلب
على صريح الدعوى دون الدلالة فان من قال لا نكاح الا بشهود لا
يقال له لم قلت ان النكاح يجوز بالشهود بل يقال له لم قلت انه
لا يجوز الا بشهود ولذلك رد الله تعالى على هؤلاء نفي دخول غيرهم
لا دعواهم دخولهم حيث قال بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن
اي يدخلها هو لا الذين اسلموا والذين يدعون دخولهم ثم ان كان
هذا امرا ان يأتوا بالبرهان على ان المسلمين لا يدخلون الجنة فهذا
امر

امر تعجيز لانه لا برهان على هذا وان كان على دعوى دخولهم
الجنة فانه يجوز ان يكون برهانهم ما قال في هذه السورة فتمنوا
الموت ان كنتم صادقين ويجوز ان يكون هو الايمان بمحمد عليه السلام
وكتابه وقال عليه السلام ثمن الجنة لا اله الا الله وقال
مفتاح الجنة لا اله الا الله ويجوز ان يكون برهانهم ما ذكر بعده
وهو قوله بلى من اسلم وجهه لله الآية بلى رد لما قبله واثبات
لما بعده اي ليس كما يقول اليهود والنصارى ومن انقاد لله تعالى
بالتوحيد بكليته والوجه عبارة عن كل البدن وخص بالذكر لانه
اشرف الاعضاء ولهذا اختص بالتحية فيقال حيا الله وجهك وكرم
الله وجهك وقال تعالى وعنت الوجوه للحي القيوم ولان اثر
الانقياد والخضوع يظهر في الوجه بحضور اضافة الفعل اليه ويقال
اسلم وجهه اي اخلص دينه لله وقد سلم هذا الشيء لفلان واسلمته
انا له وقال تعالى ورجلا سلما لرجل ووجه المسلم دينه المحق
فيه حاله وعليه اقباله وقوله تعالى وهو محسن الواو للحال ومعناه
ان يحسن اعماله مع صحة اعتقاده واقراره وقيل الاحسان اداء ما امر به
قال تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وقيل هو الاحسان
ببذل المال قال تعالى واحسن كما احسن الله اليك وقيل هو احسان
المعاملة وبذل المال والنفس قال تعالى حكاية عن صاحبي السجن
انا نراك من المحسنين وقيل هو كظم الغيظ والعفو عن المظالم قال
تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس واخرها هنا وهم
محسنون ثم قال والله يحب المحسنين وقيل الاحسان ما فسره النبي
عليه السلام لجبريل عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك وقوله تعالى فله اجره عند ربه ولا خوف

مكرر
وقال وعنت الوجوه

اي فله ثواب عمله في الآخرة
عند الله وهو موعود له
الكلام تام

عليهم ولا هم يحزنون على الجمع لأنه اسم جنس والمراد به الجمع ووجب
الجزاء من الاخبار الى المعنى ومعناه فلهم ثواب الايمان والاعمال
الصالحة عند ربهم ولا خوف عليهم فيما يستقبلهم من العذاب ولا هم
يحزنون على ما خلفوا من الدنيا ولذا معانى اخر ذكرناها فيما مر وقوله
تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى
ليست اليهود على شيء نزلت الآية في شان يهود المدينة ونصارى
بني نجران اختصموا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اليهود للنصارى
ما انتم على شيء وجحدوا احقية عيسى والانجيل وقالت النصارى
لليهود ما انتم على شيء وجحدوا احقية موسى والتوراة فانزل الله هذه
الآية وانتظام هذه الآية بما قبلها ان في الآية الاولى ذكر مقالة
الفريقين في حق غيرهم وذكر في هذه الآية مقالة كل فريق منهما
للآخر وقوله على شيء اي من الدين الحق وهو كقوله يا اهل الكتاب
لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وقوله تعالى وهم يتلون الكتاب
اي كل فريق يتلوا في كتابه تصديق ما يكفره لو رجع الى الكتاب فكفر
اليهود بعيسى وعندهم التوراة وفيه بيان حقيقة عيسى والانجيل وكفر
النصارى بموسى وعندهم الانجيل وفيه بيان حقيقة موسى والتوراة
وقال الزجاج يعني ان الفريقين يتلوان التوراة وقد وقع بينهم
هذا الاختلاف وكتابهم واحد فدل هذا على ضلالتهم وقوله تعالى
كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم اي كذلك قال مشركوا
العرب ووصفهم بانهم لا يعلمون لانهم ليسوا اهل الكتاب ولا كان
فيهم رسول قالوا محمد واصحابه انهم ليسوا على شيء من الدين الحق كما اخبر الله
تعالى عنهم بقوله وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما
سبقونا اليه وهذا تقريع لأهل الكتاب انهم مع علمهم بالتوراة قالوا م
لقول

لقول اهل الشرك الجاهلين وهو مذمة للمشركين ايضا بما قالوا وقيل
الذين لا يعلمون هم الذين لا يتلون الكتاب منهم ومنهم العوام منهم
ثم هذا الاذان لهم على اطلاق كلامهم ورد عليهم اي من اسلم من اوليائهم
ولم يغيره فهو على شيء وقيل معنى قوله على شيء من الجنة وهم يتلون
الكتاب فيعلمون كذب دعواهم كذلك قال الذين لا يعلمون مثل
قولهم اي قالوا ليس المسلمون على شيء من الجنة ونحن اولى بها منهم
كما اخبر الله عز وعلا عنه قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى وقوله تعالى فالله يحكم بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون اي بين من يدخل الجنة عيانا ويدخل النار
عيانا فيظهر المحق من المبطل وهو الحكم الفاصل فيما يصيبا لكونه
كان فرقة ثم ان الحكم بينهم بالجنة فقد بينه الله تعالى فيما اظهره من حجج
المسلمين ومن عجز الخلق ان ياتوا بمثل القرآن وقوله تعالى ومن اظلم
ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه انتظامها بما قبلها ان الآية الاولى
في ذكر فحش مقالتهم وهذه في ذكر قبح فعالهم وقبحه اخر كيف يدعون انهم
اهل الجنة وهم يمنعون عباد الله عن عبادة الله في بيوت الله ومن
كلمة استفهام وهي بمعنى النفي ها هنا اي لا احد اظلم من فاعل
هذا الفعل والظلم وضع الشيء في غير موضعه ومن رفع بالابتداء واظلم
خبره ومساجد نصب بوقوع فعل المنع عليها وان يذكر ان مع الفعل
مصدر ومحله النصب لانه بدل عن قوله مساجد الله اي ممن منع ان يذكر
في مساجد الله وهو كتفسير منع المسجد فانه منع الذاكر عن المسجد منع المسجد
عن الذاكر ويجوز نصب ان يذكر على تقدير لان يذكر فيكون مفعولا له
وقيل تقديره من ان يذكر اي منع المساجد من ان يذكر فيها اسمه وذكر
اسم الله ذكر الله قال تعالى واذكر اسم ربك اي واذكر ربك وقوله

تعالى وسعى في خرابها سعى كلمة تختلف معانيها باختلاف مصادرها
يقال سعى سعيا إذا عمل وإذا اكتسب وإذا عدا وسعى مسعاة إذا جاد
وتكرم وجمع المسعاة المساعي وسعى سعاية إذا أخذ الصدقات
وهو عاملها وكذا سعى به إلى السلطان سعاية أي وشى به
وكذا سعى المكاتب ومعتق البعض وإذا أدّيا ما عليه سعاية وساعى الرجل
الأمة أي فجر بها مساعاة ولا يقال ذلك في الحرة وقوله تعالى
أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين أولئك إشارة إلى
الجمع والمذكور قبله الواحد وهو من منع وسعى لأن معناه الجمع
ويدخلوها كناية عن المساجد وهي مؤنثة لأنها جمع وما كان أي
لا يكون وخائفين نصب على الحال واختلف في المرادين بذلك قال
ابن عباس رضي الله عنهما انه طيطوس بن اسبيانوس الرومي وكان ملك
الروم غزا بالروم بيت المقدس وخربه وألقى فيه الجيف فلم يزل
خرابا لم يعمر وقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وأحرق التوراة
فلم يزل خرابا حتى بناه أهل الإسلام في زمان عمر رضي الله عنه
وقال مقاتل كان اسم الملك انطياخوس بن بكيس الرومي وقال الحسن
والسدي وقتادة خربه بخت نصر البابلي المجوسي وأعانه على ذلك أعداء
الله الروم حملهم على ذلك بغض اليهود ولما استولى عمر رضي الله عنه على
ولاية كسرى وعمهم أتوا عمر بها بيت المقدس وسأل عن حدوده فلم
يعرفه أحد غير يهودية منا وكتب عمر ان يكون واحدتهن دونها فيه
بعد العمارة أبدا فأجابها عمر رضي الله عنه إلى ذلك فبنت وعمروه ودعوا
لها بالشرط ثم ذكر المساجد جمعا وإن أريد بها الواحد لوجهين أحدهما
أن كل موضع منه مسجد أي موضع سجود وهو كقوله تفسحوا في المجالس
والثاني أنه تشريف له وتعظيم كما قال تعالى يا أيها الرسل يعني محمدا

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وقال تعالى فنادته الملائكة يعني جبريل صلوات الله عليه
وقوله تعالى ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين وذلك أن الواحد منهم
لا تسلم له الرياسة ولا يجعل من الرهبان ما لم يزر بيت المقدس
ولا يمكنه ذلك ظاهرا لأن اليهود يقتلونه فيتنكر ويدخل خائفا
على نفسه أن يعرف فيتلف وقوله تعالى لهم في الدنيا خزي قيل هو القتل
إن كان حربيا وأخذ الجزية عن صغار إذا كان ذميا قاله الزجاج وقتادة
وقيل هو قطع أيدي النصارى عن بيت المقدس بعد أن كانوا متمكنين
منه ويقال ما من يوم إلا ويوسر فيه من الروم أو يقتل لوعيد الله
تعالى فيهم وقال السدي خزيهم عند خروج المهدي وقتله إياهم
وفتح القسطنطينية وقال قتادة هو فتح مدائنهم الثلاث قسطنطينية وعمورية
ورومية وقوله تعالى ولهم في الآخرة عذاب عظيم النار الكبرى والعذاب
بها أشد من كل عذاب لأنه لا ينقطع وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم
هم مشركو العرب حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دخول
مكة عام الحديبية والمراد بالسعي في خرابه هو المنع عن الصلاة فيه
دون تخريبه حقيقة فإن عمارة المسجد يكون بالعبادة فيه لا بالبناء
قال تعالى والبيت المعمور أي بالعبادة لا بالبناء وإذا منعهم عن العبادة
فيه وتفرقهم عنه تمنعهم عن تعهده فيخرب أبنيته ومعنى قوله ما كان لهم
أن يدخلوها إلا خائفين أي بعد فتح مكة قال تعالى فلا يقربوا المسجد
الحرام بعد عامهم هذا وخزيهم في الدنيا فتح مكة والعذاب العظيم في
الآخرة لمن مات على الشرك وكانوا يمنعون في الابتداء عن الصلوة فيه
أيضا قال تعالى أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى وهو أبو جهل لعنه
الله نهى محمدا صلى الله عليه وسلم عن الصلوة في المسجد الحرام وقصته معروفة
والأمر بالمخافتة في بعض الصلوة كان لذلك وكانوا يعبدون سرا حتى أعلنه

عمر رضي الله عنه والمساجد ذكرت جمعا في هذا الامر حتى بيت المقدس وقال
الامام ابو منصور رحمه الله هم جميع الكفار يقاتلون المسلمين لاجل الدين
ومنعهم عن الصلاة وسائر العبادات والمساجد اريد بها جميع الارض
قال النبي صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا والسعي
في خرابها هو تخريب بلاد المسلمين نعوذ بالله وخوفهم لانه لا
يمكنهم دخول دار الاسلام الا بامان فاذا دخلوا خائفين قتلوا وقال
الامام القشيري رحمه الله ومن اظلم ممن خرب بالشهوات اوطان
العبادات وهي نفوس العابدين وخرب بالمنى والعلائق
اوطان المعرفة وهي قلوب العارفين وخرب بالحظوظ والمساكنات
اوطان المحبة وهي ارواح الواجدين وخرب بالالتفات الى القربات
اوطان المشاهدات وهي اسرار الموحدين وقوله تعالى ولله المشرق والمغرب
فاينما تولوا فثم وجه الله وانتظامها بما قبلها اي معناه لا يمنعكم
تخريب من خرب المساجد ان تصلوا له حيث كنتم فله المشارق والمغارب
واين ما توجهتم ففيه رضا الله واينما كلمة شرط وهي جازمة وعلامة
الجزم هاهنا سقوط النون وتولوا اي توجهوا وجوهكم والتولية
متعدية وقوله وجوهكم مضمرة وقوله فثم اي هنالك وقوله
وجه الله اي قبلة الله فان الوجه والوجهة والجهة بمعنى والقبلة
تسمى بذلك لورود الامر بالتوجه اليها وقيل اي رضا الله تعالى
يقال فعل ذلك لوجه الله واعتق عبده لوجه الله اي لرضا الله
وقال الامام ابو منصور رحمه الله بعد ذكر هذا بان الفقه لمن قيل معناه
ثم الله والوجه يذكر ويراد به الذات قال تعالى ويبقى
وجه ربك اي ربك ومعناه ليس عنهم بغائب وفي نزول الاية
اقاويل قال قتادة كان للمسلمين التوجه في الصلاة الى حيث شاؤوا بهذه
الاية

الاية ثم نسخ بقوله فول وجهك شطر المسجد الحرام الاية وقال ابن عباس
رضي الله عنهما الاية نزلت ردا على اليهود لما استنكروا تحويل القبلة
الى الكعبة وقال الكلبي ومقاتل بن سليمان ان ناسا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا في سفر قبل تحويل القبلة
الى الكعبة فاصابهم الضباب وحضرت الصلاة فتحروا القبلة الى
بيت المقدس فمنهم من صلى قبل المشرق ومنهم من صلى قبل المغرب فلما
طلعت الشمس عرفوا انهم قد صلوا لغير القبلة فلما قدموا المدينة اخبروا
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فانزل الله تعالى هذه الاية وروى
عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
في ليلة مظلمة في سفر فلم ندر اين القبلة وصلى كل رجل منا على حياله
ثم اصبحنا فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية
وفي بعض الروايات خط كل واحد منا خطا وفي بعضها جعل كل
رجل منا مسجدا احجارا بين يديه فلما اصبحنا اذا نحن على غير القبلة
وقيل هذا في الصلاة النافلة على الراحلة قال ابن عمر رضي الله
عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته تطوعا اينما توجهت
به وهو جاء من مكة الى المدينة وفي هذا نزلت هذه الاية فاينما
تولوا فثم وجه الله وقال الحسن ومجاهد والضحاك لما نزلت
قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم قالوا اين ندعوه
فنزلت الاية فقالوا كيف ندعوه فنزلت واذا سالك عبادي عني
فاني قريب وقوله تعالى ان الله واسع عليم الواسع الجواد الذي
يسع عطاياه السائلين والواسع الغني والسعة الغنى اي هو غني
عن عبادة العباد فلا يواخذهم بسبب اتيانها على وجه واحد
جواد يتقبل منهم عملهم بتحريهم وضعفهم وقيل عليم بما قصدوا ونووا
وقيل وهو على قول ابن عباس رضي الله عنهما الذي ذكرناه انه رد على

اليهود في انكارهم نقل القبلة الى الكعبة إن الله عز وعلا واسع أي غني لم
ينقلكم إلى الكعبة لحاجة إلى عبادتكم ولا ازدياداً في ملكه بل لأنه
عليم بمصالحكم يتعبدكم بما هو أصلح لكم • وعلى هذا القول يكون معنى
قوله فأينما تولوا فثم وجه الله أي من حيث توجهتم إلى ما قاله فهناك
قبلة الله أي توجهوا إلى الجهاد ونحوها فإنه ممكن لكم حيث كنتم بالاستدلال
وقيل نزلت في النجاشي حيث أسلم • وتوجه إلى المدينة فمات في
الطريق فأخبر جبريل رسول الله عليه السلام به فصلى على النجاشي مع
أصحابه فقالوا كيف نصلي عليه فإنه لم يصل إلى قبلتنا فنزلت هذه الآية
وقوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا أي قالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله وقالت بنو مليح من مشركي العرب الملائكة
بنات الله وقوله تعالى سبحانه نزه نفسه عن ذلك والتسبيح التنزيه
وقيل هو الاسم لفظة المصدر أي تنزهه عن ذلك وقوله تعالى بل له
ما في السموات والأرض أي فكل ذلك مملوك له مربوب فكيف يكون
عزير أو عيسى أو الملائكة ولدا له وكل منهم عبد له مربوب مخلوق
والولد لا يكون إلا من جنس الوالد ولا يكون الصنع من جنس الصانع
وقال الإمام أبو منصور رحمه الله اتخاذ الولد لا يكون إلا لأحد
وجوه أربعة إما لشهوات تغلبه فيقضيها به وإما لوحشة تغلبه ف
يحتاج إلى من يستأنس به أو لدفع عدو يقهره فيحتاج إلى من يستنصره
ويستغيث به أو خوف حدثان الدهر والموت ليرث ملكه ويقوم
مقامه • والله تعالى متعال عن هذه العلل كلها وأما اتخاذ الحبيب
والخليل فإنه جائز من الله عز وعلا لأن المحبة تقع على غير
جوهر المحب وأما الولد فلا يكون إلا من جنسه وجوهره فاعتبر
بمحبة الإنسان أشياء سوى البشر لأن الخلة تقع بأفعال تكتسب
فيعلوا

يفعلوا بها أمره فتستوجب بها الخلة بمعنى الخبر فأما البنوة فلا تكون
لأفعال تكتسب بل بدوها من تولده وقد نفى الله تعالى عن نفسه ما به
يكون الولد • بقوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة لأن الخلة تجوز
القول بها تحقيقا وتشبيها أما التحقيق فلأنها إيثار ورضا واختصاص من الله
تعالى وهو جائز والتشبيه ورد بها الشرع قال الله تعالى واتخذ الله إبراهيم
خليلا فأما البنوة فلا تجوز تحقيقا لأنها تدل على الجنسية والبعضية
وهي نقيصة منفية ولم يرد بإطلاقها الشرع فبطل القول بها وقوله
تعالى كل له قانتون قيل أي عزير وعيسى والملائكة كلهم مطيعون
له مقرون له بالعبودية والقنوت الطاعة وإن صرف إلى كل من في السموات
والأرض فالمسلم مطيع له طوعا والكافر كرها قال تعالى وله أسلم
من في السموات والأرض طوعا وكرها ولأن المسلم مطيع له اختيارا
والكافر اضطرارا قال تعالى فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين
له الدين • وقيل القنوت الدعا ومنه قنوت الوتر والمؤمن يدعو الله
تعالى أبدا والكافر عند الضرورة كما تلونا من الآية والقنوت أيضا
القيام • قال النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول القنوت
والكل قائمون دائمون على ما خلقهم لا يملك أحد أن يبدل نفسه
ويغيرها • وقال السدي كل له قانتون يوم القيامة • وقيل ذكر
الكل • والمراد به البعض • كما في قوله ثم اجعل على كل جبل وقوله
وأوتيت من كل شيء • وقال الإمام أبو منصور رحمه الله بعد ذكر أكثر
هذه الأقاويل • ويحتمل تنزيه الخلقة لأن خلقة كل أحد تنزه ربه
عن جميع ما يقولون فيه أو يقال ذلك له قانتون في الجملة كما قال
تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقوله تعالى بديع
السموات والأرض • قال الإمام أبو منصور رحمه الله البديع والمبدع

والمتبدع واحد وهو الذي لم يسبقه احد في انشا مثاله ولذلك سمي صاحب
الهوا مبتدعا لما لم يسبقه غيره في مثل قوله احد وقد ارد على الذين قالوا
اتخذ الله ولدا اى من قدر على خلق السموات والارض من غير شيء كيف
لا يقدر على خلق عيسى من غير اب وقال [illegible] يجوز ان يكون التعبير بلا
عن المخترع والمبدع والمبدع لا المبدي والمبدئ قال الله تعالى فانظر
كيف بدا الخلق وقال تعالى اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده
فجا على فعل وافعل جميعا وقوله تعالى واذا قضى امرا فانما يقول له كن
فيكون اى قدر وقضى في القرآن جا لمعان للامر كما قال تعالى وقضى ربك
الا تعبدوا الا اياه وللاخبار كما قال تعالى وقضينا الى بني اسرائيل
وللحكم كما قال تعالى وقضي بينهم بالحق وللتخليق كما قال تعالى فقضاهن
سبع سموات وللفراغ كما قال تعالى ثم اقضوا الي اى امضوا امركم
وللختم كما قال تعالى ثم قضى اجلا وللقتل كما قال تعالى فوكزه
موسى فقضى عليه وقوله تعالى يا ليتها كانت القاضية هي الموت من
هنا وللاتمام كما قال تعالى واذا قضى امرا اى اراد ونوضح ذلك
قوله انما قولنا لشيء اذا اردناه وقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا
او ذكر نصا الامر او اراد به ارادة قضا الامر كما في قوله تعالى اذا قمتم
فمثم اذا طلقتم فاذا قرأت القرآن المراد بهذه الافعال ارادتها
وقوله امرا هو واحد الامور اي الخطوب لا واحد الاوامر التي
هو صفة الامر لانه صفة الله فلا يدخل تحت قضا به اذ المراد بالامر
المأمور المخلوق وقيل معناه واذا اراد خلق ولد بلا اب كونه فكان هو
جواب النصارى ان لم يكن عيسى ولد الله فمن ابوه فاجيبوا بهذا وقوله
فانما يقول له كن فيكون لم يرد به انه خاطبه بكلمة كن فيكون
بهذا الخطاب لانه لو جعل خطابا حقيقة فلا يخلوا اما ان يكون خطابا
للعدوم

غيرهم

للعدوم وبه يوجد او خطابا للموجود بعدما وجد لا جاين ان يكون خطابا
للمعدوم لانه لا شيء فكيف يخاطب ولا جاين ان يكون خطابا للموجود لانه
لما كان فكيف يقال له كن وهو كاين وانما هو بيان اسداديا كونه فكان
وقال الامام ابو منصور رحمه الله قيل اذا قضى امرا اى قضى
باهلاك قوم واستيصالهم فانما يقول له كن فيكون وهو استعارة
انه لا يدخله تأخير ولا يلحقه به تعب ولا يمتنع عليه شيء ولا يخرج
من نفاذ حكمه خلق وقوله فيكون رفعه بطريقين احدهما بالاستيناف
والثاني العطف على قوله فانما يقول له كن وقوله تعالى وقال الذين
لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا آية هم مشركوا العرب بذكر قبح مقالتهم
بعد ما ذكر قبح مقالة اليهود والنصارى وله وجوه احدها كانوا يعلمون
حقيقة لكن لم ينتفعوا بعلمهم فنفى العلم عنهم والثاني الذين لا يعلمون
توحيد ربهم والثالث الذين لا يعلمون الجواب قالوا هلا لا يكلمنا
الله فيخبرنا بانك رسوله او تاتينا آية نقترحها نحن فنعلم بها انك
رسول الله والرابع لا يعلمون انهم لم يبلغوا المبلغ الذي يتمنون ان
يكلمهم الله والخامس لا يعلمون انه قد كلمهم الله واخبرهم بالوحي والقرآن
واتى رسوله آيات على رسالته لكنهم يعاندون وقوله تعالى كذلك قال
الذين من قبلهم مثل قولهم اى بنوا اسرائيل قالوا لموسى لن
نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تسقط السما او تاتي بالله
او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء واو في هذه الآية او تاتينا آية
وفي هذه الآيات للتخيير اى تفعل هذا او هذا قال الله تعالى كذلك
اقترح الذين من قبلهم فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
وقالوا لعيسى صلوات الله عليه هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة
من السماء فنحملهم لتحاكم [illegible] اولئك وتحتاج ظاهر هذه الآية [illegible]

لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وقال هو لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وقالوا ائتنا باية اقترحوها من عند انفسهم

أحدهما ان اولئك سألوا عنتا ما سأل هؤلاء ويحتمل ان سؤال أولئك
كان سؤال تعنت لا سؤال استرشاد كسؤال هؤلاء ويكون التشبيه
بينهما في التعنت وفي صفة المسؤول لا عين المسؤول وقوله تعالى تشابهت
قلوبهم اي تماثلت قلوب الفريقين في التكذيب والكفر وارادة سؤال
التعنت وهو كما قال اتواصوا به وقوله تعالى قد بينا الآيات لقوم
يوقنون اي التوراة والانجيل لاهل الكتاب والقرآن للكل فلم يسألون
اسباب الآية وقد اتتهم الآيات وقوله لقوم يوقنون فاصل البيان
الذي ينقطع به الالزام تعميما لكن خص الموقنين في حق النفع
كما قلنا في قوله هدى للمتقين وهدى للناس وقوله تعالى انا ارسلناك
بالحق بشيرا ونذيرا اي مبشرا لمن ايقن بالآيات فآمن ونذيرا
لمن تغافل عنها فلم يؤمن وقوله بالحق اي بالاسلام قال
تعالى بالهدى ودين الحق وقيل بالحق اي لبيان الحق والباء قد
تكون بمعنى اللام قال تعالى ذلك بان الله هو الحق اي لان الله
وقيل على الحق كما قال تعالى خلق الله السموات والارض بالحق
اي على الحق يعني انها حق لا باطل فيها والباء قد تكون بمعنى على
قال تعالى وظنوا انه واقع بهم اي عليهم وقيل معناه ارسلناك
مع الحق وهو القرآن والباء قد تكون بمعنى مع يقال دخل فلان
بسيفه اي مع سيفه وقوله تعالى ولا تسأل عن اصحاب الجحيم
اي عن الجاحدين الذين هم اصحاب النار في الجحيم النار الشديدة
الالتهاب والجحيم المكان الشديد الحر والقراءة الفاشية فيه
ضم التاء واللام ورفعه من وجهين الاستئناف والحال اي
ارسلناك بشيرا ونذيرا غير مسؤول عن اهل النار انما عليك
البلاغ وعلينا الحساب فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ولذلك
قال

قال لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين وهو كقوله تعالى تلك
امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا
يعملون وقرأ نافع ولا تسأل بفتح التاء وجزم اللام قال الزجاج لها
وجهان احدهما النهي عن المسألة قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي
رضي الله عنهم قال النبي صلى الله عليه وسلم يوما ليت شعري
ما فعل ابواي فانزل الله تعالى قوله ولا تسأل عن اصحاب الجحيم
فلم يذكرهما حتى توفاه الله عز وجل والثاني التفخيم لما اعد لهم
من العذاب كما قال لا تسأل عن حال فلان اي قد صار الى
اعظم مما تظن وقرئ بضم التاء وجزم اللام وهو نهي الناس عن
ان يسألوه عن اصحاب الجحيم النار ولما امر بتبشير المؤمنين وانذار
الكافرين كان يذكر عقوبات الكفار فقام رجل وقال يا رسول الله
اين والدي فقال في النار فحزن الرجل فقال عليه السلام
ان والدي ووالدك ووالد ابراهيم في النار ونزل قوله ولا تسأل
عن اصحاب الجحيم فلم يسألوه شيئا من بعد ذلك وهو كقوله لا تسألوا
عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وعلى القراءة الفاشية ذكر في نزول
هذه الآية عن الضحاك قال لما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم
عن قتال اهل مكة يوم بدر ورمى بقتلاهم في القليب نادى
يا علاموته الم انذركم الم اتقدم اليكم الم احذركم فقد نزل
بكم ما نزل وهو يتوجع لهم ويقول في مقالته اي ذنب قد
اعددت اليهم فانزل الله تعالى هذه الآية وقال مقاتل قال
النبي صلى الله عليه وسلم لو انزل الله تعالى بهؤلاء الذين قالوا
لولا يكلمنا الله او تأتينا آية عقوبة بما قالوا فنزلت ولا تسأل
عن اصحاب الجحيم وان الله قد احصاها عليهم وقوله تعالى ولن ترضى

عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ولما أمر بالتبشير والانذار
للمسلمين والكفار كان يلاطف كل فريق في الكلام رجاء أن يسلموا فنزلت
هذه الآية أي لا يرضى عنك القوم بهذا وإنما يرضون عنك
باتباعك ملتهم أي دينهم والملة الطريقة أي أصح وقيل الطريق
المسلوك وقيل هي الخلة وقيل هي الطريقة التي تحمى لها صاحبها
إذا تخوضوا لها من قولهم خبز مليل وهو الذي خبز في الجمر تحت الرماد
وقيل معناه حتى تتبع قبلتهم أي تصلي إليها ولا تحمل ذلك لأن
النصرانية غير اليهودية وكذا قبلة النصارى إلى المشرق
وقبلة اليهود إلى المغرب ولو توجهت إلى إحداهما استدبرت
الأخرى فاترك طلب رضاهم واتبع رضائي وقبلتك التي أنت
عليها وقال الزجاج كانوا يسألونه الهدنة والمسالمة ويرونه
أنه إن أمهلهم أسلموا فأعلمه أنهم لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم
وقيل كان تجتهد في طلب ما يرضيهم ليقبلوا إلى الإسلام فقال له
دع طلب ما يرضيهم إلى ما أمرتك به من مجاهدتهم وقوله
تعالى قل إن هدى الله هو الهدى أي طريق الله وهو الإسلام هو
الطريق الحق وقال الإمام أبو منصور رحمه الله أن دين الله الذي
اختاره أهل الإسلام بالأمر واتباع الآيات هو الدين لما اختاره
هو لا بهواهم وقال الزجاج معناه أن الصراط الذي دعا إليه
وهدى إليه هو طريق الحق وقوله تعالى ولئن اتبعت أهواءهم
أي في الدين والقبلة وإنما جمع الأهواء ولم يقل هواهم لأن
فرق الخلاف لم يكونوا على هوى واحد بل لكل فرقة هوى
فأخبر أنه لا يرضى الكل إلا باتباع أهواء الكل ثم قيل هذا
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ظاهرا والمراد أمته وهو معهود أن

يخاطب

اولئك

يخاطب رأس القوم بما يلزم القوم وقيل هذا الخطاب ليس للنبي عليه
السلام بل معناه أيها المتبع رضاهم إن اتبعت أهواءهم والصحيح أنه خطاب
للنبي عليه السلام لأن ما قبله وما بعده خطاب له فإن قيل كيف
نهى رسوله عن اتباع ملتهم على علم منه أنه لا يتبع هذا سؤال الإمام
أبي منصور رحمه الله فأجاب عنه وقال إن العصمة لا تزيل المحنة ولا
ترفعها بل المحنة إنما تنفع في العصمة لوجهين أحدهما أن عصمته لما
مضى لا توجب عصمته في الحادث والثاني أن أحق من نهى عن الأشياء
من أكرم بالعصمة إذ على قدر النهي عنه ترتفع عنه جهة العصمة لأنه يصير
برفع النهي عنه مباحا وفي إزالة الأمر والنهي إزالة فائدة العصمة
لأن العصمة هي أن يعصم في الأمر حتى يؤديه وفي النهي حتى ينتهي عنه
وقوله تعالى بعد الذي جاءك من العلم أي بيان حقيقة الإسلام
وبطلان الكفر وأن القبلة هي الكعبة وقوله تعالى ما لك من الله من
ولي ولا نصير كان وعده التأييد بنصره وبالمؤمنين بقوله هو الذي
الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين فأخبر بهذه الآية أنه لو اتبع
أهواءهم لم يكن له من الله ولي أي حبيب يتولى عنه الدفاع ولا
ناصر يمنع عنه العذاب وقيل ينصرك أي يعينك فيغلب به
سلطان الله فيما يريد تعذيبك وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب
يتلونه حق تلاوته مدح بهذه الآية الذين أسلموا من أهل الكتاب
بعد ما ذكر في الآيات المتقدمة الذين عاندوا ولم يسلموا وهم
عبد الله بن سلام وأسد وأسيد ويامين بن يامين وثعلبة الحبشي
وجماعة وقيل هم الأربعون الذين قدموا من الحبشة مع جعفر
بن أبي طالب اثنان وثلاثون منهم من اليمن وثمانية من علماء الشام
وقيل هم تسعة وثلاثون رجلا من بقايا قوم عيسى آمنوا بمحمد

قول عيسى وثبتوا عليه حتى خرج قال الله عز وعلا وإذا يتلى عليهم
قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين الآية وقوله تعالى آتيناهم
الكتاب أي التوراة وإنما خصهم بذكر الإيتاء لأنهم هم الذين عملوا بها
فكأنهم خصوا به وقوله يتلونه حق تلاوته قال مجاهد أي
يتبعونه حق اتباعه قال الله تعالى والقمر إذا تلاها أي تبعها واتباعه
حق اتباعه هو العمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه وقال ابن عباس
وابن مسعود رضي الله عنهم هو أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويعمل بأوامره
وينتهي بنواهيه وقيل معناه يقرؤونه حق قراءته قال تعالى
واتل عليهم وقراءته حق قراءته التدبر والتفكر والترتيل وترك
التحريف والتبديل وقيل أي يصفونه حق صفته أي يقولون هو كلام
الله عز وعلا غير مخلوق ولا محدث ولا حادث ويصدقون بما
فيه من نعت محمد عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى أولئك يؤمنون
به وهذا خبر آخر للمبتدأ فإن قوله تعالى يتلونه حق تلاوته هذا
خبر وقوله أولئك هذا خبر آخر للمبتدأ فإن قوله تعالى يتلونه
حق تلاوته وهو كقولك هذا حلو حامض وقيل الذين مبتدأ وقوله
يتلونه أي وهم يتلونه ويتم المبتدأ عند قوله حق تلاوته ويكون
أولئك خبر الذين المبتدأ وبيانا أن من أوتي التوراة واتبعها
وعمل بها فهو الذي يؤمن دون غيره وقيل الآية في شأن الصحابة
رضوان الله عليهم أجمعين والكتاب القرآن وهذا مدح لهؤلاء
بعد ذم أولئك وقوله تعالى ومن يكفر به أي بالكتاب وقوله
تعالى فأولئك هم الخاسرون أي الهالكون المغبونون وأولئك جمع
والمذكور قبله موحد لكنه في معنى الجمع وهو قوله ومن يكفر به ولأنه
للجنس وهم عماد والخاسرون خبر المبتدأ وأثبت الخسران لمن كفر

به لا لمن

به لا لمن يتبعه حق اتباعه وهذا لطف من الله عز وجل بعباده وقوله
تعالى يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين
واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة
ولا هم ينصرون وقد مر تفسير الآيتين وبدأ قصة بني إسرائيل بهما
وفي الآية الأولى تذكير النعمة وفي الأخرى تخويف العقوبة وختم بهما
القصة والتكرير للتقرير ووصل بها قصة إبراهيم صلوات الله عليه
وكان بنو إسرائيل يدعون أنهم على ملة إبراهيم فقال جل جلاله
ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وشرح حاله ههنا
فقال عز وعلا وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات واذكر وإذ أمر إبراهيم قدم
المفعول ثم ذكر الفاعل فقال ربه وإنما فعل ذلك إيجازا لأنه
لو قدم الفاعل فقال رب إبراهيم ثم تكرر ذكر إبراهيم في موضع المفعول
والإيجاز أبلغ والابتلاء في الأصل هو الاختبار وأوامر الله تعالى وتواهيه
ابتلاء قال جل جلاله ليبلوكم أيكم أحسن عملا وقال تعالى إنا خلقنا الإنسان
من نطفة أمشاج نبتليه والاختبار ربنا لظهور ما لم نعلم في الشاهد والغائب
جميعا مجاز تشبيه فذلك من الله عز وجل ابتلاء لعلمه بالعاقبة لأنه في هذا
المعنى كابتلاء العباد وقوله تعالى بكلمات قال ابن عباس رضي الله عنهما
أي بأوامر مناسك الحج وعنه أيضا أن الكلمات عشر خصال خمس في الرأس
وخمس في البدن أما التي في الرأس ففرق الرأس والمضمضة والاستنشاق
والسواك وقص الشارب وأما التي في البدن فقلم الأظافير ونتف
الإبط وحلق العانة والاستنجاء بالماء والختان وقوله تعالى فأتمهن أي
عمل بهن قال تعالى وإبراهيم الذي وفى وهو كذلك وروي أنه اختتن وهو
ابن ثمانين سنة بالقدوم وهي قرية بالشام وعلى القول الأول فأتمهن
أي أدى مناسك الحج على التمام وعلى القول الثاني الخصال العشر كانت عليه فريضة وهي

لنا سنن وقال محمد بن علي الترمذي الكلمات هي الخصال التي بني عليها الإسلام
وهي اثنان وثلاثون سهمًا عشرة منها في سورة الأحزاب ان المسلمين والمسلمات الآية
وعشر في سورة الرعد أفمن يعلم انما أنزل إليك من ربك الحق الآية
وست في سورة قد أفلح إلى قوله هم الوارثون وست في أول سورة
البقرة هدى للمتقين الى قوله هم المفلحون وقيل الكلمات هي الدعوات
المحكية عنه في القرآن رب اغفر لي ولوالدي ولا تخزني يوم يبعثون
ونحو ذلك وقيل هي الأوامر والنواهي لأنها بالكلام وقوله تعالى
فأتمهن اي أتم إبراهيم اذا أمرهن وقيل اي فأتمهن الله تعالى لإبراهيم
ولم يبينها لأحد قبله وقيل ابتلاه بكلمات اي امتحنه بالشدائد والمكاره
كإلقائه في النار وإسكان ولده بوادٍ غير ذي زرع ولا ماء والأمر بذبح
الولد والهجرة من بلاد قومه ومحاجة الكفرة عبدة الشمس والقمر
والكواكب ومحاجة نمرود سماها كلمات لأنها أعاجيب وقيل
لعيسى كلمة الله تعالى لذلك فأتمهن اي استسلم لله فيهن وصبر عليهن
قال الحسن ابتلاه الله بهذه الأشياء فأتمهن فشكرها الله تعالى له قال
إني جاعلك للناس إمامًا اي رسولًا يقتدي بك جميع من بعدك والإمام
فِعال من الأمّ اي القصد والمقتدي يقصد قصد المقتدى ويتبعه وقد أخبر الله
تعالى هذا الى غد فقال لمحمد صلى الله عليه وسلم ثم أوحينا إليك أن اتبع
ملة إبراهيم حنيفًا وقال لنا ملة أبيكم إبراهيم وهو نصب على الإغراء وقال
تعالى ومن يرغب عن ملة إبراهيم الا من سفه نفسه وقد كانت لكم
أسوة حسنة في إبراهيم وقوله تعالى قال ومن ذريتي اي قال إبراهيم
يا رب واجعل من ذريتي أيضًا أئمة والذرية الأولاد من الذرّ اي تفرقه من الذر
أي الخلق ثم لا تهمزها في اللفظ كما في البرية والخابية حفظ ومن
للتبعيض ههنا لا للتبيين اي اجعل بعضهم أئمة يقتدى بهم وهذا شفقة
على اولاده

على أولاده وعلى الخصوص أكرم كرامة فأحب أن يشاركه فيها أولاده وشفقة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كانت في درجة الكمال أكرم ليلة المعراج
بالسلام والرحمة والبركة فقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
فاشترك فيها كل أهل السماء والأرض من أهل التوحيد وقوله تعالى قال
لا ينال عهدي الظالمين اي لا تصيب الإمامة أهل الظلم من ولدك
وهم أهل الكفر أخبر أن إمامة المسلمين لا تثبت لأهل الكفر وأن من
أولاده أولاد المسلمين والكافرين قال تعالى وباركنا عليه وعلى إسحاق
ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين والمحسن المؤمن والظالم الكافر
وتعلقت المعتزلة بظاهر الآية في نفي صلاحية الإمامة للفاسق
لكن نقول الظالم أريد به الكافر هاهنا وقيل إنه سأل أن يكون
ولده إمامًا نبيًا كما كان هو فأخبر أن الظالم لا يكون نبيًا إمامًا وقال
الحسن ليس لهم عند الله عز وعلا عهد يعطيهم عليه خيرًا في الآخرة
فأما في الدنيا فقد عاهدوا ويوفى لهم وقال الإمام أبو منصور
رحمه الله فإن قيل كيف كان قوله لا ينال عهدي الظالمين جوابًا لقوله
ومن ذريتي وكانت الرسالة في ذريته قال تعالى وجعلها كلمة
باقية في عقبه قيل يحتمل قوله ومن ذريتي أنه أحب أن تكون الرسالة
تدوم في ذريته أبدًا حتى لا يكون بين الرسل فترات فأخبر أن في
ذريته من هو ظالم فلا ينال الظلمة عهده وقوله تعالى وإذ جعلنا
البيت مثابة اي واذكروا إذ جعلنا الكعبة والبيت معرفًا بالألف
واللام اسمها وقد ذكر هذا في القرآن على وجوه ان أول بيت أن طهرا
بيتي فليعبدوا رب هذا البيت البيت الحرام ولله على الناس حج البيت
وقوله تعالى مثابة اي مرجعًا من ثاب يثوب ثوبًا اي رجع قال الحسن
يثوبون إليه كل عام اي ليس هو في الزمان مرة فقط وقال ابن عباس ومجاهد

رضي الله عنه لا ينصرف عنه أحد وهو يرى أنه قد قضى منه وطرا
فهم يعودون إليه وقوله تعالى وأمنا للناس أي مأمنا وهو من صنع
الأمن وهو ضد الخوف وقال تعالى حرما آمنا وقال النبي صلى الله
عليه وسلم ألا إن مكة حرام من حرام الله عز وعلا لم تحل لأحد
قبلي ولا تحل لأحد من بعدي وإنما أحلت لي ساعة من نهار ثم عادت
بعد حراما إلى يوم القيامة وقيل أمنا من الجنون والجذام والبرص
وقيل أمنا من يد الجبابرة فإنه ما قصد قوم تخريبه إلا أهلكوا
كأصحاب الفيل ولذلك سمي عتيقا لأنه أعتق من أيدي الجبابرة
وقيل أي أمنا للصيود حتى أن الأسد يتبع الظبي فيدخل الظبي
الحرم فيرجع الأسد وقيل أمنا لسكان الحرم فإنهم يسمون أهل
الله ولا يتعرض لهم وقيل أمنا لمن لجأ إليه فإنه لا يتعرض له حتى
يخرج وقوله تعالى واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى قرأ نافع وابن عامر
واتخذوا بفتح الخاء على الفعل الماضي أي جعلناه مثابة للناس فاتخذوا
ذلك مصلى وقرأ الباقون على الأمر وهو عطف على قوله اذكروا
نعمتي واتخذوا إذ ذلك وقيل تقديره إضمار القول وقلنا لهم واتخذوا
أو قيل لهم ذلك وقيل هو قوله وإذ جعلنا البيت مثابة يقتضي قوله توبوا
إليه فيكون واتخذوا عطفا عليه وقوله من مقام إبراهيم المقام موضع
القيام والمقام بالضم موضع الإقامة ونفس الإقامة أيضا وقال ابن
عباس رضي الله عنهما الحرم كله مقام إبراهيم فمن كان فيه استقبل
الحرم فهو المصلي وقال عطاء هو المناسك أي مواضع أفعال الحج كعرفات
والمزدلفة ومنى ومكة وقيل هو مكة وقيل هو المسجد وقيل هو البيت
وقيل هو موضع يقابل باب الكعبة يتوجه منها إليها وقال السدي
رحمه الله عليه هو الحجر الذي كانت زوجة إسماعيل غسلت رأسه وهو راكب
ووضع عليه

قدما فغاصت شيئا ثم حولت إلى الشق الآخر ففعل كذلك
جعله الله تعالى من شعائره وقيل هو الحجر الذي وضع عليه قدمه
حين نادى بالحج فقد روي أنه لما فرغ من بناء الكعبة قيل له
أذن في الناس بالحج فقال كيف أنادي وأنا بين الجبال وليس بحضرتي
أحد فقال الله جل جلاله عليك النداء وعلي البلاغ فصعد أبا قبيس
وصعد هذا الحجر فارتفع هذا الحجر حتى علا كل حجر في الدنيا وجمع
الله تعالى له الأرض كالسفرة فنادى يا معشر المسلمين إن ربكم
بنى لكم بيتا وأمركم أن تحجوه فحجوه فأجابه الناس من أصلاب الآباء
وأرحام الأمهات فمن أجابه مرة حج مرة ومن أجابه عشرا حج عشرا
وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان إبراهيم عليه السلام يبني الكعبة
وإسماعيل عليه السلام يناوله الحجارة فلما ارتفع البناء وضعف عن
رفع الحجارة إليه قام على حجر فهو مقام إبراهيم وقوله مصلى أي
موضع دعاء فإن الصلاة هي الدعاء قال تعالى وصل عليهم واسم
الموضع من الأفعال المشتقة يكون على صيغة المفعول منها وقيل هو
موضع الصلاة المعهودة وروي أنه عليه السلام أتى إلى مقام إبراهيم
عليه السلام فقال عمر رضي الله عنه أفلا نتخذه مصلى فنزلت
الآية فكان عمر رضي الله عنه يقول وافقني ربي جل جلاله في ثلاثة
أي وقع مرادي على وفاق حكم الله تعالى في ثلاثة الخمر والحجاب ومقام
إبراهيم وقوله تعالى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أي أمرناهما قال تعالى
ألم أعهد إليكم وقال تعالى ولقد عهدنا إلى آدم وقوله تعالى
أن طهرا بيتي قال أما إنه ما أمرهم الله تعالى أن يبخروه بالبخور ولا
أن يضمخوه بالخلوق ولكن أمرهم أن يطهروه من الأوثان والمعاصي
وما لا يحبه الله تعالى وقال قتادة ومجاهد وسعيد بن جبير رحمهم الله

أي طهراه من الشرك وعبادة الأوثان وكان عليها المشركون• قبل
أن تصير في أيديهما• وقيل كانوا يتقربون إلى الله تعالى بالقرابين
وكانوا يلطخون الجدر بالدماء• فأمرهما الله تعالى بالتطهير• وقيل هو
تطهيره عن المكاسب فيه• وقيل معناه دوما على تطهيره كما قال
تعالى يا أيها النبي اتق الله أي دم على التقوى فهذا كذلك وهو أمر
بتبقيته على الطهارة لا أن يكون فيه نجاسة• وهو كقوله تعالى ولهم
فيها أزواج مطهرة أي مبقاة على الطهارة الأصلية قوله تعالى
للطائفين أي بالكعبة والعاكفين أي المجاورين في المسجد الحرام والعكوف
والاعتكاف الإقامة• والاحتباس• والعكف الحبس والوقف قال الله
تعالى والهدي معكوفا والركع جمع الراكع والسجود جمع الساجد
وأراد بالركع السجود المصلين• والصلاة تشتمل على أفعال أقربها إلى
الخشوع هذان• فالطواف في الحج والعمرة والعكوف ملازمة المسجد•
والركوع والسجود في الصلاة• وهي أفعال ذات المتعلقة بالبيت
فأمرهما بتطهيره لهؤلاء• وقيل الطواف للغرباء والعكوف لأهل
مكة والصلاة لكل من قرب منها ومن بعد عنها بتوجههم في الصلاة
إليها قوله تعالى وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا أي
واذكر أيضا إذ دعا إبراهيم فقال يا رب حذف حرف النداء وهو جائز
قال تعالى يوسف أعرض عن هذا أي يا يوسف وقوله هذا أي
هذا الوادي فقد قال ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع
سأل الله تعالى• قبل أن يصير الوادي بلدا أن يجعله بلدا آمنا وفي
سورة إبراهيم قال رب اجعل هذا البلد آمنا وكان هذا الدعاء بعد ما
صار بلدا سأله أن يجعله آمنا• وقيل معناهما واحد وتمام الكلام
اجعل هذا البلد آمنا الأول للشيء إلى المعرفة والثاني مفعول ثاني [illegible]
[illegible]

قوله تعالى والركع السجود

حرمها الله تعالى [illegible]

أي آمنا وبلدا نكرة على طريق النكرة في هذه حذف المعرفة وبنى النكرة
وفي آية أخرى حذف النكرة وبنى المعرفة• وقوله آمنا أي ذا أمن
كقوله تعالى في عيشة راضية أي ذات رضى والأمن بلا خوف• وهكذا
في قوله مثابة للناس وأمنا فإن قالوا إن مكة كانت حرما• فما فعل هذا
قال صلى الله عليه وسلم ألا إن مكة كانت حراما منذ خلق الله السموات
والأرض فما معنى سؤال الأمن• فقلنا كان الأول أمنا من الاصطلام
وأما الثاني فالسؤال تخطفها ولغير أنها وكان هذا سؤال نوع
الأمن عن الحوادث والعوارض• وقيل كان هؤلاء سؤال الدوام كذلك
الأمن وأجاب الله تعالى دعوته فقال أولم يروا أنا جعلنا حرما
آمنا ويتخطف الناس من حولهم قوله تعالى وارزق أهله من الثمرات
هي جمع ثمرة وهي جميع ما يخرج من الأراضي والأشجار فهو سؤال
الطعام والفواكه وقد حققنا ذلك في قوله تعالى فأخرج به من الثمرات
وقيل هي الفواكه• وإنما خص هذا بالسؤال• لأن الطعام المعهود دائما
يكون في كل موضع وأما الفواكه فقد تعد فسأل لأهلها الأمن والسعة
وتيسير طيب العيش• ويقوم المصالح فاستجاب له في ذلك أيضا بنقل
قرية من قرى فلسطين كثيرة الثمار إليها• فأتى جبريل عليه السلام
فقطعها واحتملها وطاف بها حول البيت سبعا ثم وضعها على ثلاث
مراحل من مكة• وهي الطائف ولذلك سميت به قاله الزهري• وقال
تعالى يجبى إليه ثمرات كل شيء قوله تعالى من آمن منهم بالله واليوم الآخر
من بدل عن قوله أهله أي ارزق من آمن خص المؤمنين بسؤال
توسعة الرزق لهم وهذا في أربعة أحدها أن الله تعالى لما أمرهما بتطهير
البيت للطائفين والعاكفين والمصلين• دون غيرهم وافق الله تعالى فسأل
سعة الرزق للمؤمنين دون غيرهم والثاني أنه أراد أن يجعل ذلك آية يرغب

الداعي إلى الإسلام والثالث أنه لما عمّم سؤال الإمامة فقال ومن ذريتي
أجيب بقوله لا ينال عهدي الظالمين فتأدب ولم يعمم في سؤال
الرزق بل خصّ كما خصّ الله تعالى له في إجابة سؤال الإمامة والرابع
ما قال الإمام أبو منصور رحمه الله فلعله خشي أن يخرج ذلك
مخرج الموالاة لهم على العصيان وفي ذلك دليل على أنه لا بأس
بمنع الطعام من الكفرة وقوله تعالى قال ومن كفر أي قال
الله تعالى والذي كفر لا أمنعه عن هذا وقوله تعالى فأمتعه
قليلا أي أرزقه الثمرات أيضا كما أرزق المؤمن أخبر أن
أمر الرزق ليس كأمر الإمامة فإنه للدنيا ومتاعها بأسرها
لا خطر لها وقوله قليلا أي متاعا قليلا هو نعت مصدر محذوف
دلّ عليه الفعل المذكور وأصل المتاع ما ذكرناه في قوله تعالى
ومتاع إلى حين وقيل أي أمتعه زمانا قليلا والدنيا كلها قليلة
ومدتها كذلك وقوله فأمتعه قراءة ابن عامر بالتخفيف من أمتع
يمتع أي جعله ذا متاع وقراءة الباقين بالتشديد ومعناه أمهله
وأعطيه المتاع والمراد بهذا التقليل عند بعضهم هو أيام عمرهم
وقال الحسن أي أمهلهم إلى وقت خروج محمد فمن آمن به بقيته
ومن كفر به عاقبته بالقتل والإجلاء والسيف يوم بدر وقوله تعالى
ثم أضطره إلى عذاب النار أي ألجئه إلى عذاب النار يوم القيامة
وقوله تعالى وبئس المصير أي المرجع وفي قراءة ابن عباس رضي الله
عنهما فأمتعه بقطع الألف وجزم العين على الدعاء وكذا قوله ثم
اضطره إلى عذاب النار أي بإدراج الألف وفتح الطاء والراء على
الدعاء أي سأل إبراهيم الله تعالى أن يمتع الكافر قليلا ثم يجعل مصيره
إلى النار وقال الإمام أبو منصور رحمه الله ذكر الاضطرار كقوله

تعالى

تعالى خذوه فاعتلوه أي فاغلوه وقوله تعالى ونسوق المجرمين وقوله تعالى
يوم يدعّون إلى نار جهنم دعّا فأخبر أنهم يساقون إليها إجبارا لا أنهم
يأتونها طوعا واختيارا وقوله تعالى وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت
أي واذكر وانتصابها أيضا إذ يرفع إبراهيم أي إذ كان يرفع
أي يبني وقيل أي يطهره وكان مختفيا فرفعه وأظهره وقيل
رفعه بناؤه على وجه الأرض والقواعد الجدران عند الكسائي
وعند غيره الأسس واحدتها قاعدة والقواعد من النساء جمع
قاعد بغير هاء وهي التي تعدت عن التزوج وعن الحيض والولادة
وهي من صفات النساء على الخصوص فلم تحتج فيها إلى الهاء كما في
الحامل والحائض والطالق والطامث والقاعدة التي هي الأساس
سميت بها للثبوت وقعود الإنسان وهو الجلوس ثبوت على الأرض
وقوله وإسماعيل عطف على قوله إبراهيم أي وإسماعيل كان يشاركه
في ذلك وقيل كان يعينه فيه ويناوله الحجر وكان بناء البيت من
خمسة أجبل طور سينا وطور زيتا وطور لبنان والجودي وحرى
وكان أول بانيه من آدم ثم اندرس ذلك فرفع إبراهيم قواعده
وخلق الله تعالى موضع البيت قبل سائر الأرض بألفي عام
فكانت زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الأرض من تحتها
فلما أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض كان رأسه يمس السماء حتى صلع
وأورث أولاده الصلع فنفرت من طوله دواب الأرض فصارت
وحشيا من يومئذ وكان يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم وتسبيحهم
يأنس إليهم فهابته الملائكة فنقصه الله تعالى إلى ستين ذراعا
فلما فقد آدم أصوات الملائكة استوحش وشكا إلى الله فأنزل
الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة لها بابان من زمرد أخضر

باب شرقي وباب غربي وفيه قناديل من الجنة فوضعه على
موضع البيت الآن ثم قال يا آدم إني أهبطت لك بيتا تطوف
به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما تصلي عند عرشي فأنزل
عليه الحجر ليمسح به دموعه وكان أبيض فلما لمسته الحيض في الجاهلية
اسود وتوجه آدم من أرض الهند إلى مكة ماشيا وسخر الله
تعالى له ملكا يدله على البيت وقيل لمجاهد لم لم يركب فقال
وأي شيء كان يحمله إن خطوه مسيرة ثلاثة أيام فكل موضع
وضع فيه قدمه عمران وما بعده مفاوز فأتى مكة وحج البيت
وأقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم
لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام وحج آدم أربعين حجة من الهند
إلى مكة على رجليه وكانت الكعبة على ذلك إلى أيام الطوفان
فرفعها الله تعالى إلى السماء الرابعة فهو البيت المعمور يدخله كل يوم
سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة وهو
حيال الكعبة فلو أرسل من السماء لنزل على ظهر الكعبة وبعث الله
تعالى جبريل حتى خبأ الحجر الأسود في جبل أبي قبيس صيانة له عن
الغرق فكان موضع البيت خاليا إلى زمن إبراهيم
صلوات الله عليه وروي أن الله تعالى أمر جبلا من جبال ع
فلسطين حتى جاء وستر البيت فلم يصبه الطوفان فأمر الله
تعالى إبراهيم بعدما ولد له إسماعيل وإسحق ببناء بيت له يذكر ويعبد
فيه فلم يدر إبراهيم أين يبني فسأل الله تعالى أن يبين له موضعه
فبعث الله تعالى إليه السكينة لتدله على موضعه ولها رأسان
شبه الحية فتبعها إبراهيم صلوات الله عليه حتى أتيا مكة فتطوقت
السكينة على موضع البيت كتطوق الحجفة فأمر إبراهيم أن يبني
حيث

[السميع]

حيث تستقر السكينة وفي رواية بعث الله تعالى سحابة على قدر
قدر الكعبة فجعلت تسير وإبراهيم يمشي في ظلها حتى أتت مكة ووقفت
على موضع البيت ونودي منها إبراهيم أن ابن على ظلها فجعل يبني وإسماعيل
يناوله الحجارة وتمت القصة **قوله تعالى** ربنا تقبل منا أي يقولان
ربنا أضمر القول فيه ومثله في القرآن كثير قال تعالى والملائكة
باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم أي يقولون أخرجوا أنفسكم سألا الله
تعالى قبول ذلك العمل منهما **قوله تعالى** إنك أنت السميع العليم
أي دعواتنا العليم أي بنياتنا **قوله تعالى** ربنا واجعلنا مسلمين لك
أي ثابتين على الإسلام كما في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم
أي ثبتنا عليه وهذا تعليم منهما الناس الدعاء للتثبيت على الإيمان
فإنهما لما سألا ذلك مع أمنهما عن زوال الدين فكيف غيرهما مع خوفه
وسألا أيضا الثبات على الانقياد فأجيبا إلى ذلك حتى أسلم
إبراهيم لله لقائي النار وإسماعيل للذبح **وقوله تعالى** ومن ذريتنا
أمة مسلمة لك أي واجعل من أولادنا جماعة مخلصة لك
بالعبادة والطاعة وإنما خص البعض بالدعاء لأن الله تعالى
قال ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين فأجيبا إلى ذلك
قال تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه فكانت في ولد إسحق
وهم بنو إسرائيل إلى أن خرجوا ثم في ولد إسماعيل وهو محمد
صلى الله عليه وسلم وأمته إلى قيام الساعة وإنما دعوا لأولادهما
بذلك شفقة على الأولاد ليكثر ثوابهما بهم قال النبي صلى الله
عليه وسلم ما من رجل من المسلمين يخلف من بعده ذرية يعبدون
الله تعالى إلا جعل الله تعالى له مثل أجورهم ما عبد الله
تعالى منهم عابد حتى تقوم الساعة **قوله تعالى** وأرنا مناسكنا
قيل هو سؤال إراءة العين وعلى هذا تكون المناسك مواضع

افعال الحج من عرفات والمزدلفة والصفا والمروة وما بينهما
ومواضع رمي الجمرات وقيل معناه علمنا وهي رؤية القلب وبعمل
في العمل قال تعالى المر ويقال في سلك الفقه اراية والمناسك
على غير هذا افعال العبادة الحج والنسك في الاصل العبادة والناسك
العابد والنسك التعبد وخص للقربان ولافعال الحج وواحد
المناسك منسك ومنسك وهو اسم للمصدر والمكان جميعا وقوله
وارنا بتصرف اليهما والى ذريتهما لا اليهما على الخصوص وهو
سؤال ذلك الى قيام الساعة وفي مصحف عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه وارهم مناسكهم وقوله تعالى وتب علينا انك انت
التواب الرحيم قيل معناه تجاوز عنا التقصير الواقع فيهما
العمل وقيل لما كان قوله وتب علينا واقعا عليهما وعلى ذريتهما
وفيهم من له ذنوب كان سؤال التوبة في حقهم وقال الامام
ابو منصور رحمه الله ذلك سؤال التوبة ان الانبيا قد يكون منهم
الزلات والعثرات على غير قصد منهم ثم فيه الدليل على ان العصمة
سبيل عن زلة لم يعدها لانهم سألوا التوبة مجملا ولو كان سبق
منهم شيء علموا به وعرفوه لذكروه فذلك سؤالهم التوبة مجملا
على ان العبد يسئله عن زلات لم يعدها وقوله تعالى ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم قال الامام ابو منصور رحمه الله تعالى قوله
منهم وجوها ثلاثة يحتمل الانصراف الى الامة المسلمة فقد ذكرت
قبله لانه اخبر ان عهده لا ينال الظالم فلم ينصرف الى قوله
ومن ذريتنا ويحتمل رسولا منهم اي من جنسهم من البشر
لانه اقرب الى المعرفة والتعرف ممن كان من غير جنسهم
كقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ويحتمل رسولا منهم من قومهم
من جنسهم

من جنسهم وبلسانهم لا من غيرهم ولا بغير لسانهم سأل ربه
لاهل مكة ما يتم به مرافق الدين والدنيا فيهما وهي الثمرات
والامن وتبيين الدين والرابع وقوله تعالى يتلوا عليهم اياتك اي يقرأ
عليهم كتابك هذا الرسول ويبين ايات وحدانيتك ويبين ما كان
من الايات اي المعجزات لمن مضى من المرسلين فيحتمل الايات هذه
الاوجه الثلاثة وقوله تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة قال الحسن الحكمة
القرآن وهو استخراج ودائعه التي يتعلق بها الاحكام وقيل هو
بيان معاني الكتاب من الاحكام من الحلال والحرام وشرائع الاسلام
وبه يتبع الاستحكام وقيل هي فعله من الحكم ومعناها ويعلمهم الاحكام
وقال قتادة الحكمة السنة وفي كثير من الايات جمع بين الكتاب
والحكمة والكتاب القرآن والحكمة الاحاديث وفيها علوم الشرع
وقيل الكتاب ظاهر القرآن والحكمة باطنه وقال مقاتل الحكمة
مواعظ القرآن وقال القفال يعلمهم الكتاب المنزل والوجوه
التي بها يكون صواب القول والعمل فان الحكمة هي ذلك
وقوله تعالى ويزكيهم قال ابن عباس رضي الله عنهما اي باخذ زكاة
اموالهم ويجوز ان يكون معناه يطهرهم عن الاثام باخذ زكوات
اموالهم قال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها
وقيل تزكيهم اي تدعوهم الى ما به زكاة انفسهم اي نماؤها وطهرها
وقيل اي يجعلهم ازكيا بالعمل الصالح الذي يدعوهم اليها ويحملهم
عليها ثم هذا الخلاف المذكور في قوله تعالى بل الله يزكي من يشاء
ذلك من الله تعالى في التسبب التخليق والايجاد وهذا من الرسول
الدعوة والارشاد وقيل يزكيهم اي يعدلهم يوم القيامة عند
الشهادة للانبياء وقال ابن جريج يطهرهم من الشرك ثم قال تعالى

فقل هل لك الى أن تزكى اى تتطهر بالاسلام وقال محمد بن علي
الترمذي اى يثبتهم فانماهم حتى صاروا ائمة الهدى فهليت
اخبارهم وتعبت آثارهم وقوله تعالى انك انت العزيز الحكيم العزيز
القوي الذي لا يعجزه شيء وقيل هو القادر الذي لا يمتنع
عليه ما اراده والحكيم هو الذي يحكم الصنعة بحسن التدبير
وذكر الاسمين هاهنا على معنى انه متصل بالدعاء فكانهما قالا
فزعنا اليك في دعائنا لانك القادر على اجابتنا العالم بما في
ضمائرنا وبما هو اصلح لنا مما لا يبلغه علمنا فاجابهما الله تعالى على
ذلك فبعث محمدا صلى الله عليه وسلم فيهم على هذه الصفات
فقال هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الاية وقال
تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية وقال النبي صلى الله
عليه وسلم انا دعوة ابي ابراهيم وبشارة اخي عيسى يعني قوله
ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد ورؤيا رأتها امي
امه حين خرج منها نور اضاءت له قصور بصرى [illegible] بالشام وقوله
تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه من استفهام
بمعنى التوبيخ على وجه النفي وموضعه رفع بالابتداء ومعناه
ولا يرغب عن دين ابراهيم الا السفيه اى ولا يكرههما يقال
رغب في الشيء رغبة اذا احبه واراده ورغب عنه اى كرهه
وضده زهد في الشيء اى كرهه واباه وزهد عنه اراده
واحبه والملة الدين والطريقة وقوله سفه يسفه السفه
والسفاهة الجهل وخفة العقل قال يونس سفه لازم
وهو لغة في المتعدي ومعناه سفه نفسه اى جعلها سفيهة وعلى
هذا قيل معناه اهلك نفسه وقيل هو نصب على التفسير كقولك
طاب

طاب نفسا وقر عينا وضاق ذرعا قلت والاكثر الاستعمال في الكتاب
وفي المعارف جائز لان اصل الفعل لها ثم ينقل الى غيرها ثم يذكر الفاعل
نصبا ليعلم ان الفعل لها ثم ينقل الى غيرها ثم يذكر الفاعل نصبا
ليعلم ان الفعل لها يقال وجع زيد رأسه وألم عمرو بطنه وقيل
معناه سفه في نفسه كما في قوله بطرت معيشتها اى في معيشتها
وحذف حرف الجر جائز قال تعالى وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم
اى لاولادكم وقال تعالى ولا تعزموا عقدة النكاح وقال
النكاح وهذا عندي مذهب صالح والقول الجيد عندي ان
معناه الا من جهل نفسه اى لم يفكر فيها قال تعالى وفي انفسكم افلا
تبصرون وقال النبي صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف
ربه وانما يؤتى الناس ما يؤتون بجهلهم انفسهم ونزلت الاية
في مهاجر ابن اخي عبد الله بن سلام وقال لهما انما دين محمد الذي
كنا نعرفها وفي التوراة ان الله من ولد قيدار بن اسماعيل العربي
راكب الجمل اسمه احمد محمد امته عن النار ملعون من ترك شريعته
ومتابع دينه فاسلم سلمة فاسلم واما مهاجر فابى فانزل الله
فيهما هذه الاية وقال ابن عباس رضي الله عنهما الا من سفه
نفسه السفه غلبة الجهل وركوب الهوى وقال الحسن البصري
رحمه الله الا من جهل قدر نفسه فعبد صنما من دونه قال تعالى
الهم ارجل يمشون بها الاية وقوله تعالى ولقد اصطفيناه في الدنيا
اى اخترناه بالاسلام والنبوة ويقال بالشفاعة والخلة
وقيل بالعلم والامامة وقيل بالكلمات وبناء الكعبة وقوله تعالى
وانه في الاخرة لمن الصالحين اى اجيب دعوته والحقني بالصالحين
اى الانبياء الماضين قال تعالى ومن ذريته داود وسليمان وايوب

وكان لعبد الله ابنا اخ سلمة ومهاجر فدعاهما الى الاسلام [illegible]

لا يقول كلٌّ من الصالحين أي مع آبائه المرسلين في الجنة وقيل أي
من الباقين على الصلاح في الدنيا حتى يكون كذلك في العقبى فكم من
صالح في أول حاله ذهب صلاحه في مآله وكان في الآخرة لعذابه ونكاله
كبلعام وبرصيصا وقارون وثعلبة **وقوله تعالى** إذ قال له
ربه أسلم. وقيل ولقد اصطفيناه إذ قال ثم قوله قال معاينة
بعد قوله اصطفيناه وهو اخبار عن نفسه وهذا أوسع في الكلام
وقوله تعالى أسلم. أي اثبت على إسلامك وقيل أي استسلم لما
يجري عليك وقيل أي أخلص نسكك من قوله ورجلا سلما
لرجل وقال الإمام أبو منصور رحمه الله ويحتمل أن يكون وحيا
أوحي إليه أن قل كذا فقال به وكان هذا تسليما للنفس والقلب
ويحتمل أن يكون هذا أمرا بابتداء الإسلام أول ما عقل وهو
في قوله عز وجل فلما جن عليه الليل رأى كوكبا الآيات وقوله
إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والأرض هو جواب قوله أسلم وقالوا على هذا يكون إلهاما
لا وحيا ظاهرا وقوله قال أسلمت لرب العالمين امتثل ما أمر به
واستقام على ما قال فسلم القلب والنفس والولد والمال ولما
قال له جبريل هل لك من حاجة قال أما إليك فلا فقال له
ألا تسأل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فإن قالوا لما قيل لإبراهيم
أسلم قال أسلمت ولما قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه لا إله إلا الله
لم يقل علمت قلنا قد قال ذلك فقد روي أنه قال أنا أعلمكم
بالله وأخشاكم لله وكان هذا الأمر له في القرآن ثم لم ينزل بعده
كان ليذكر فيه لخبره أما قلنا إنه ذكر فقال كذا في جواب آخر
أنه قال في آية أخرى آمن الرسول وهو العلم بأنه لا إله إلا هو
فقد

قال أسلمت لرب العالمين أي اذكر يا محمد إذ قال له ربه أسلم

فقد أخبر عنه أنه قد علم كما أمر به وآخر أن إبراهيم لما قال أسلمت
اقترن به التلوين ونبينا عليه السلام تحرز عما هو في صيغة الدعوى فحفظ
ولقي والخبر أن إبراهيم عليه السلام أمر بما يجري مجرى الأفعال فإن
الاستسلام هو المراد ونبينا عليه السلام أمر بالعلم ولا قيام للإسلام
حقيقة وما يليقها بعد العلم قصة **وقوله تعالى** ووصى بها إبراهيم بنيه
ويعقوب الوصية الدعوة إلى الطاعة والوصاة كذلك والإيصاء به
والوصاية مصدر الوصي والفعل أوصى أيضا ووصى توصية وتواصى
القوم بكذا أي استوصيت فلانا أي سألته ذلك وقوله ذلكم وصاكم
به أي أمركم وقوله يوصيكم الله أي يفرض وقوله بها قال الزجاج
أي بالملة وقيل بالكلمة وهي قوله أسلمت لرب العالمين قال والأول
أصح لأنها مذكورة والثاني منه مدلول عليها وقوله بنيه أي
أولاده الذكور الأربعة إسمعيل وإسحق ومدين ومداين وبنيه حذف
حذف نون جمعه للإضافة ولذا في قوله يا بني فاجتمع ياء الجمع وياء الإضافة
فأدغمتا وفتحت الأخيرة لأنها حركة ضرورية صير إليها لاجتماع الساكنين
فاختير الفتح الذي هو أخف الحركات وقوله ويعقوب عطف على إبراهيم
أي أوصى يعقوب أيضا بنيه الاثني عشر بذلك وقرئ في الشاذ
ويعقوب بالنصب أي أوصى إبراهيم بنيه وحافده يعقوب فقد أدرك
جده وأدخلهم جميعا في وصيته وقال ابن عباس رضي الله عنهما سمي
يعقوب لأنه مع أخيه عيص كانا توأمين فخرج عند الولادة عيص أولا
ويعقوب آخرا بعقب عيص بعد عيص وقيل سمي به لكثرة عقبه وهم كل
بني إسرائيل فإنهم أولاده **وقوله تعالى** يا بني إن الله اصطفى لكم الدين
أن مقدرة ها هنا كأنه قال أوصى أن يا بني وجاز الحذف لأن الوصية
قول وفي القول يجيء حكاية وسائر الوعد والرسالة والإبلاغ والإنذار

يوصي

يجوز فيها الوجهان والفاء فيها قال تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة ولم يقل إن لهم مغفرة لأن العدة قول
وقال تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله وقال تعالى
انا ارسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك وقال تعالى وآخر دعواهم
أن الحمد لله ففي كل هذا يجوز اثباتها لاعتبار اللفظ ويجوز حذفها
لتقدير القول وفي قوله أن كان ذا مال وبنين لا يجوز حذفها
لانه ليس فيه معنى القول وفي صريح القول فانه لا يجوز
إيرادها يقول قلت له زيد في الدار ولا يجوز قلت له إن
زيد في الدار قال تعالى والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا
أنفسكم لا يجوز في مثله أن اخرجوا أنفسكم لأن القول مضمر
وأنشد النحاة إني سأبدي لك فيما أبدي لي شجنان شجن
بنجد وشجن لي ببلاد السند لأن الابتداء قول وقوله إن الله
اصطفى لكم الدين أي اختار لكم الدين والألف واللام ليس
للاستغراق بل للتعريف المعهود وله ثلاثة أوجه أحدها
انه أريد به الإسلام إن الدين عند الله الإسلام وهو الدين
المطلق المرضي المشروع المأمور به والثاني أنه بدل الإضافة
وهو مضاف إليهم أي اختار لكم دينكم الذي تدينون به وهو دين
الإسلام أيضا والثالث أنه مضاف إلى الله أي اختار لكم دينه وهو
دين الإسلام أيضا وقوله تعالى فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون أي دوموا
على الإسلام حتى إذا أدرككم الموت وجدكم مسلمين وقيل أي لا تموتوا
إلا منقادين مفوضين الأمر إلى الله وقال الفضيل بن عياض
أي لا تموتن إلا وأنتم محسنون بربكم الظن قال النبي صلى الله عليه
وسلم لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله فإن قوما أساءوا بربهم
الظن

وكذا الاذان والدعوى وما يجري مجراها يجوز فيه ان والفاء وهاجو

الظن فهلكوا قال تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم
من الخاسرين وقوله تعالى أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت
أي كنتم حضورا وأم إذا لم يتقدمه ألف الاستفهام كان بمنزلة مجرد
ألف الاستفهام وهو استفهام بمعنى الاستنكار والشهداء جمع شهيد
وهو الحاضر وهذا خطاب لأهل الكتاب المدعين أن دينهم دين إبراهيم
يقول ما كنتم حضورا تعلمون ما جرى هناك فلا تتعلقوا بما لم تشهدوه
ولا تدعوا أولاده إلى اليهودية والنصرانية فإنه كان على دين الإسلام
وبه أوصى أولاده وقال الزجاج أم في الابتداء بمنزلة بل وهو
خطاب لليهود لأنهم والمراد سلفهم أي بل شهد آباؤكم يعقوب حين
أوصى بالإسلام دون ما قلتم وقوله إذ حضر يعقوب الموت أي
حضره الموت يعقوب أي قرب خروجه من الدنيا وقوله تعالى إذ قال
لبنيه ما تعبدون كرر كلمة إذ والأولى لبيان وقت حضور الموت
والثانية لبيان وقت الإيصاء وقوله لبنيه قيل هم الأسباط وهم
الأولاد الاثنا عشر وقيل أولاده وحوافده وكانوا يومئذ ثمانين
نفسا وقيل مائتين وخمسين وهم بمصر وقوله ما تعبدون من بعدي
أي من تعبدون بعد موتي وهو كقوله تعالى والسماء وما بناها أي ومن
بناها وقوله ولا أنتم عابدون ما أعبد وقيل ما رفع باضمار الهاء العائدة
عليه أي ما تعبدونه أو نصب بإيقاع الفعل عليه بلا إضمار الهاء
وقوله تعالى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق
أي أجابه أولاده قالوا نعبد الله الذي تعبده أنت وتلتجئ إليه وقوله
تعالى وإله آبائك أي وهو الله الذي كان يعبده آباؤك الأنبياء
وقوله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق هو بدل عن قوله آبائك وإبراهيم
كان جدا له والجد أب قال الله تعالى كما أخرج أبويكم من الجنة

واسماعيل واسحاق بدل من قولك عليه السلام كان عمًا له والعم
عند العرب يسمى ابا ولهذا قيل له الاب قال النبي صلى الله عليه وسلم في
حق العباس هذا بقية آبائي وقال ايضا ردوا علي ابي فاني اخشى
ان تفعل به قريش ما فعلت بعروة بن مسعود الثقفي واسحاق
عليه السلام كان والدا له وقدم اسماعيل على اسحاق مع ان اسماعيل
عم واسحاق اب حقيقة لان اسماعيل كان اكبر سنا منه وقرأ
يحيى بن يعمر واله ابيك وله وجهان احدهما انه قصد الابوة
على ابراهيم وميز اسماعيل لانه عم لا اب والثاني انه جمع اب
على السلامة يقال اب وابون واخ واخون وفي النصب وال
ابين واخين قال الشاعر فانك مجهول الابين محبتي وقال اخر
وكان لنا فزارة عم سوء وكنت له كشر بني الاخينا وقوله تعالى
الها واحدا بدل من قوله عز وعلا الهك والاول معرفة
والثاني نكرة وهو جائز كقوله تعالى لنسفعا بالناصية ناصية
كاذبة خاطئة وقيل هو على القطع لانه بعد تمام الكلام والاول
معرفة والثاني نكرة وقيل فيه اضمار نعبد ثانيا فقد قالوا
نعبد الهك فصار كانهم قالوا نعبد الها واحدا وفائدة التكرار
مع الصفة وهي الواحد نفي الوهم عن جاهل يظن انهم لما قالوا
الهك واله ابائك تكرر الاله مرتين وبينهما واو انها عاده
الهين فقطع الوهم باعادته مع صفة الواحد وقوله تعالى
ونحن له مسلمون اي منقادون بالطاعة ثابتون على العبادة
مخلصون في القول والعمل والنية والواو للحال ويصح
للحال الذي ذكره بعد موته ويصلح للحال التي تكلموا
فيها اي نعبد بعدك معبودك ونحن الحال على ذلك وانما

اجابوه

بلغ نفع الله به

اجابوه بهذه الكلمات التي تضمن الثبات على الدين الحق ومدح ابائه
بكونهم على ذلك فانهم متبعون لهم ثابتون على دينهم لكونوا بارين
الهم سادين اياه بقبول ما وصيهم وقال الكلبي لما دخل يعقوب
مصر ورأى اهلها يعبدون الاوثان والنيران جمعهم حين حضرته
الوفاة وخاف عليهم صنيع اهل مصر فسالهم عن ذلك فاجابوه
لما اجابوه وطابت نفسه وقال عطاء ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى
يخيره بين الموت والحياة فلما خير يعقوب قال انظرني حتى اسال
ولدي واوصيهم فانظره فجمع الاسباط واولادهم وقال ذلك
وقالوا له ذلك ثم قبضه الله تعالى وهم على هذا الدين وقوله
تعالى تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسالون
عما كانوا يعملون اي اولئك المذكورون ابراهيم واولاده امة اي
جماعة قد خلت اي مضت وخلا عنها انكشها وقوله لها ما كسبت ما
مع الفعل مصدر اي لها كسبها وقوله ولكم ما كسبتم اي ولكم كسبكم
اي هم يحاسبون يوم القيامة باعمالهم ويجازون عليها لا تواخذون
انتم باعمالهم ولا هم يواخذون باعمالكم وقوله تعالى ولا تسالون
عما كانوا يعملون وهو كقوله قل لا تسالون عما اجرمنا الاية
وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى والكسب ما يقع بقدرة
حادثة والاختراع ما يقع بقدرة قديمة فلا يوصف الله تعالى
بالكسب ولا العبد بالاختراع وفحة ايضا هذه الاية الاولى
انهم كانوا مسلمين وقال في هذه انهم قد مضوا ولو كانوا مخطئين
للحق فليس بدينكم لم ينفعكم لانهم يجازون باعمالهم وانتم تجازون
باعمالكم فاتبعوا الحق انتم وصدقوا محمدا فانه يدعوا الى الحق واتركوا
تقليد المبطلين ومعنى اخر انهم مضوا على دينهم الذي شرع الله لهم

والآن عليكم اتباع الدين الذي شرعه الله والدين لله يشرع منه ما يشاء
وينقل عما يشاء إلى ما يشاء. قوله تعالى (وقالوا كونوا هودا أو نصارى
تهتدوا) أي قالت اليهود للمسلمين تهودوا تصيبوا الهدى وقالت النصارى
للمسلمين تنصروا تصيبوا الهدى ولم يرد اجتماع الفريقين على دعواهم
جميعا إلى الملتين جميعا وقد ذكرنا وجه ذلك في قوله تعالى وقالوا
لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى. وقال ابن عباس
رضي الله عنهما إن عبد الله بن صوريا الأعور لعنه الله قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ما الهدى إلا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد
وقالت النصارى مثل ذلك فنزلت الآية. وقال ابن عباس
رضي الله عنهما أيضا إن يهود أهل المدينة كعب بن الأشرف ومالك
بن الصيف ووهب بن يهوذا وسائر اليهود لعنهم الله. وفي حديث مقاتل
منهم كعب بن أسد وأبو ياسر بن أخطب وغازور وأشمويل وحيش
ونصارى نجران السيد والعاقب ومن معهما خاصموا النبي صلى الله عليه وسلم
وقالوا كونوا على ديننا وزعمت كل فرقة أن نبيها أفضل الأنبياء وكتابها
أفضل الكتب ودينها أفضل الأديان فكذبهم الله تعالى فأنزل هذه
الآية. قوله تعالى (قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين)
أي قل يا محمد لا نكون كما قلتم بل نتبع ملة إبراهيم فعلى هذا ينتصب ملة
لأنه بمعنى عليه فإن قوله كونوا هودا أو نصارى في معنى اتبعوا
اليهودية والنصرانية وبل رد لذلك وإثبات لما خالفه. وقيل
معناه بل نكون لأن المذكور قبله كونوا ثم نصب ملة على هذا الطريق
من وجهين أحدهما بل نكون على ملة إبراهيم فهو منصوب بنزع الخافض
والثاني معناه بل نكون أهل ملة إبراهيم وأضمر فيه الأهل كما في قوله تعالى
واسأل القرية وقرئ في الشاذ بل ملة إبراهيم بالرفع أي ملتنا ملة إبراهيم

وقوله

ملة ابراهيم

وقوله حنيفا هو نعت إبراهيم ونصب على القطع لأن الأول معرفة
وهذا نكرة أو هو على الحال أي نتبعه في حال كونه حنيفا والحنيف فيه
أقاويل كثيرة قال ابن دريد هو العادل من دين والعرب كانت
تسمي به العادل عن اليهودية والنصرانية والحنف الميل والأحنف
الذي في صدر قدميه ميل والحنيف المائل عن الدين الباطل إلى الخالص
الدين الحق وقيل الحنيف المستقيم والأحنف سمي به تفاؤلا بالاستقامة
كما يقال للأعمى البصير وللمهلكة مفازة وللديغ سليم. وقيل ذلك قولا
وقال الأزهري الحنيف المقبل على الدين الحق والحنف إقبال إحدى
القدمين على الأخرى. وقال أبو عبيد الحنيف عند العرب من كان على
دين إبراهيم عليه السلام. وقال ذو الرمة إذا حول الظل العشي رأيته
حنيفا وفي قرن الضحى يتنصر يصف الحرباء باستقباله الكعبة عشيا وتوجهه
إلى المشرق غدوة. وقيل الحنيف عند العرب من اختتن وحج البيت
وفي الإسلام صار اسما للمسلم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال
في كل موضع ذكر الحنيف مع المسلم فهو الحاج قال تعالى ولكن كان حنيفا
مسلما وفي كل موضع ذكر وحده فهو المسلم قال تعالى حنفاء لله. وقوله
وما كان من المشركين أي لم يكن كذلك قطع دعوى المخالفين وأن كل فريق
من أهل الضلال كانوا يدعون أن دينه دينهم فأكذبهم في ذلك. قوله
تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل
وإسحاق ويعقوب والأسباط) هو ترتيب أن الإقرار شرط. وقوله
آمنا بالله أي صدقنا بألوهية الله تعالى ووحدانيته وبجميع ما جاء من عنده
وفيه اشتراط التصديق بالقلب وهذا تعليم للمؤمنين جواب أهل الكتاب
حين قالوا كونوا هودا أو نصارى وقوله وما أنزل إلينا وما أنزل على نبينا
من القرآن والإنزال إليه إنزال إلى أمته لأنهم المنزل بلزوم الحكم وقوله

الى دين حق

وما انزل الى ابراهيم اى من الصحف وفق له واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهم اولاده وحوافده اي وبما انزل الى هؤلاء والاسباط في قول ابن عباس رضي الله عنهما اولاد يعقوب واحدهم سبط وهو ليس اسما للولد الواحد ولكن السبط كالطايفة والفرقة فالاسباط في اولاد اسحق كالقبايل في اولاد اسمعيل وهما جماعة من اب واحد ماخوذ من السبط وهي شجرة واحدة لها اغصان كثيرة وفي الحديث الحسن سبط من الاسباط اى امة من الامم في الخير وفي الحديث الحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم اى قطعتان منه واولاد يعقوب سموا اسباطا وهم اثنا عشر لانه ولد لكل ابن منهم امة من الناس وهم اثنا عشر ابنا يوسف وابن يامين وقيل بنيامين وروبيل ويهودا وشمعون ولاوي ودان وقهاث ونسجر ونفتالن وجاد واشر ويقال زبالون مكان قهاث ويشاخر مكان مشجر ويقال مكان نفتالن وجاد مكان جادو الله اعلم بالصحيح من الرواية ثم ظاهر القرآن يدل على انهم انبيا لذكر الانزال عليهم وقد اختلف فيه وقوله تعالى

وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد

اي امنا بما اعطي موسى من التورية والمعجزات وقوله تعالى وما اوتي النبيون من ربهم اى وبما اعطي داود من الزبور وساير الانبيا من الدلالات وقوله لا نفرق بين احد منهم ولعله اختصار اى بين احد منهم وآخر او وغيره اي في الايمان نؤمن ببعض ونكفر ببعض كاليهود والنصارى وقيل اى لا نقول انهم متفرقون في اصل الدين بل نقول اصل دين الكل واحد وهو اى التوحيد والطاعة وان اختلفت شرايعهم قال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية وقوله تعالى ونحن له مسلمون اي مخلصون مطيعون منقادون ثم ذكر في

هذه

هذه الانبيا النبيين ولذلك في قوله تعالى ليس البر الى قوله والنبيين وقال في قوله كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وكذا في قوله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله فاستدل به بعضهم انه لا فرق بين الانبياء والرسل وقيل بينهما فرق وقال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وقال الامام ابو منصور رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لا تقولوا بمثل ما آمنتم به فان الله تعالى ليس له مثل ولكن اقرؤوا فان آمنوا بالذي آمنتم به اى بما آمنتم به ولذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال ويحتمل ان يكون معناه فان آمنوا بلسانهم بمثل ما آمنتم به بلسانكم بالكتب والرسل جميعا فقد اهتدوا وقال ويحتمل اى بلسان اى غير لسانهم فقد اهتدوا وقالوا لا يصح عن ابن عباس رضي الله عنهما ما حكي عنه فانه خلاف القراءة المجمع عليها الا ان يحمل على انه اراد به لا تتأولوه على ان يجعلوا لله مثلا فانه شرك وتأولوه على ما يصح في اللغة ولكن من غير تمثيل وقيل معنى بمثل ما آمنتم به ما مع الفعل مصدر وتقديره فان آمنوا مثل ايمانكم والباء زائدة كما في قوله تعالى وكفى بالله وقوله يشرب بها اى يشربها وقيل الباء بمعنى على اى على مثل ايمانكم وهو كقولك كتبت بمثل ما كتب فلان وعلى مثل ما كتب فلان وقيل معناه فان آمنوا بايمان مثل ايمانكم وقيل معناه بمثل ما آمنتم به وكلمة مثل زائدة كما في قوله تعالى ليس كمثله شيء وهو كما يقال لا يقال لمثلي هذا اى لي ولك فقد اهتدوا اى اصابوا الصواب لطا السوية في به يهديهم ربهم الى الجنة كما قال يهديهم ربهم بايمانهم وقال في حق الكفار لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم وقوله تعالى

وان تولوا فانما هم في شقاق اي اعرضوا وتوصل بعض تعالى تولى

ولا يهديهم

إليه فهو بمعنى الإقبال عليه قال تعالى ثم تولى إلى الظل وقوله
أي يحبه ولينا قال تعالى لا تتولوا قوما غضب الله عليهم وقوله وهو
يتولى الصالحين أي يلي حفظهم وكفايتهم بنفسه وقوله نوله ما تولى أي
نكله إلى ما اختاره لنفسه ومعنى قوله وإن تولوا أي أعرضوا عن
الإيمان بما آمنتم به وقوله فإنما هم في شقاق أي في خلاف وعداوة
وقد شاقه يشاقه مشاقة وشقاقا فصار هو في شق أي جانب
وذلك في شق وقوله شاقوا الله أي خالفوه وقال تعالى وإن
خفتم شقاق بينهما أي خلاف ما بينهما وقوله تعالى ولا يجرمنكم شقاقي
أي عداوتي وقيل هو مشتق من المشقة وإذا خالفه أو عاداه فقد
طلب مشقته وقوله تعالى فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم أي
لا تحزن يا محمد بخلافهم وعداوتهم فسوف يكفيك الله شرهم وقوله
وهو السميع العليم أي يسمع مقالات الموحدين فيهم فيثيبهم ومقالات
الكفار فيعاقبهم والعليم باعتقاد الفريقين فيجري الكل على اعتقادهم
ويحتمل السميع دعاءك العليم بحاجتك فيجيبك وقوله فسيكفيكهم
الله كلمة ينتظم بتسعة أشياء فالجواب لقوله تعالى فإن تولوا والسين
سوف على اختصار والياء الحادثة للاستقبال وعقد الكفاية
وكاف خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو مفعول سيكفي وها
الغائبين وميم الجمع وينصرف إلى أهل الكتاب ومحلها نصب لأنه مفعول
ثاني ليكفي وقوله تعالى صبغة الله أي قولوا نتبع صبغة الله وذكر فيه
وجوه وهذا أحسنها فقد قيل هو على الإغراء وقيل معناه أي الزموا
صبغة الله أو اتبعوا لكن تضعف تلك الأقاويل بآخر هذه الآية ونحن
له عابدون ويعلم به أن أول الآية محمول على ما قلنا وهو كما تقدم من
ملة إبراهيم وصبغة الله دين الله وله أسماء كثيرة عددناها عند تفسير

قول

قوله أولئك على هدى من ربهم وإنما سمي صبغة لما أنه للمسلمين
بدل من صبغ النصارى أولادهم في ماء المعمودية لأنهم كانوا يفعلون
ذلك بالمولود في اليوم السابع من ولادته ويقولون صبغناه بالنصرانية
أو طهرناه بهذا الماء فذكر صبغة الله على مقابلة ذلك وهذا معنى
ما قاله الفراء وقال قتادة اليهود تصبغ أبناءها يهودا والنصارى
تصبغ أبناءها نصارى أي يلقنونهم دينهم فيشربون ذلك في قلوبهم
كما يشرب الصبغ في الثوب وعن عمر أنه كتب في عهد نصارى بني تغلب
أن لا يصبغوا أولادهم ولكن يتركونهم حتى يبلغوا ويختاروا لأنفسهم
ما شاؤوا أي لا يلقنوهم دينهم فقال الله تعالى صبغة الله أي تلقينهم
يوم الميثاق ألست بربكم قالوا بلى وقال ابن الأنباري لم يخاطب الله
العرب بهذا إلا وهي تعرفه وكانوا يقولون فلان يصبغ فلانا في
الشر إذا أدخله فيه وألزمه إياه كما يلزم الثوب الصبغ أنشدنا
ثعلب دع الشر وانزل بالنجاة تحرزا إذا أنت لم يصبغك في الشر صابغ
ولكن إذا ما الشر أدنى قناعه عليك فجرد دفع ما أنت دافع وصبغ
يصبغ بفتح الباء في المستقبل وضمها وكسرها ثلاث لغات وقوله تعالى
ومن أحسن من الله صبغة استفهام في معنى الجحد أي لا أحد أحسن دينا
وتلقينا من الله وقوله تعالى ونحن له عابدون أي باتباعنا ملة إبراهيم وصبغة
الله والعابد العامل بحق العبودية في مرضات الله عز وعلا وقوله
تعالى قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم
ونحن له مخلصون الألف ألف الاستفهام وهو للتوبيخ والاستنكار
هاهنا ومعناه عند ابن عباس رضي الله عنهما لم تجادلوننا وعند مجاهد
لم تخاصموننا والمحاجة مفاعلة بين اثنين في إيراد الحجة على ما يدعي وقال
ابن عباس رضي الله عنهما قالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه

ونحن اولى بالله منكم نزلت هذه الآية وقوله تعالى وهو ربنا وربكم
فاستوى بيننا نحن وانتم في عبوديته وقوله تعالى ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم
اى فلا يجزى احد الا بعمله ولا افضل لمن قصر عمله وقوله تعالى ونحن له
مخلصون اي الاعتقاد والعمل لا انتم فكيف تكونون افضل منا واولى
منا وقال الكلبي وغيره اى فاستوينا نحن وانتم فى عبوديته وان
اليهود والنصارى لعنهم الله خاصموا اهل الاسلام فى الدين فقالوا
نحن اهل الكتاب الاول والعلم القديم ونحن ابناء الله واحباؤه ولسنا
من العرب من عبدة الاوثان نحن اولى بالحق والفضل وبان
يكون الرسول منا وليس الحق من عندنا فنزلت الآية قل يا محمد
اتجادلوننا فى دين الله تعالى والله عز وجل رب الكل غنى عن
الخلق لا ينفعه طاعة مطيع ولا يضره عصيان عاص ولا نؤاخذ
نحن باعمال غيرنا من سلف المشركين ونحن الان من المخلصين وقوله
تعالى ام يقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط
كانوا هودا او نصارى قرأ ابن كثير ونافع ويزيد وابو عمرو وعاصم
فى رواية ابى بكر وحماد والمفضل بالياء على الغائبة وقرأ الباقون
بالتاء على المخاطبة بناء على قوله اتحاجوننا فى الله ام يقولون ان هؤلاء
الانبياء كانوا على دينكم فبأى الحجتين تتعلقون بالتوحيد ونحن الموحدون
دونكم ام باتباع دين الانبياء ونحن المتبعون دونكم ومن قرأ بالياء
على الاعراض عن الخطاب لهم كما كان منهم كما يقبل
العالم على من بحضرته اذا ارتكب من يجادله جهالة فيقول قد دنا
الحجة عليه ام يقولون هو باطل بابطال النظر المؤدى الى المعرفة
وقوله تعالى قل أأنتم اعلم ام الله اى قل يا محمد اتجادلوننا فى دين الله ام
يقولون ان هؤلاء الانبياء كانوا على ملتكم وليس كذلك وما كانوا الا مسلمين
على الدين

الدين الذى نحن عليه كذا اخبر ربنا فانتم اعلم بذا ام هو اى الله اى فالله
تعالى اعلم به منكم وقد علم منهم خلاف ما تقولون وقوله تعالى ومن اظلم
ممن كتم شهادة عنده من الله قيل اى ولا احد اظلم منكم معاشر
اهل الكتاب استفهام بمعنى الجحد وكذا ما قبله أانتم اعلم يقول
لا احد اظلم منكم اذ كتمتم من الله شهادة عندكم وانتم شهدتم بان
هؤلاء الانبياء لم يكونوا هودا ولا نصارى وان محمدا نبى وهو على
دينهم قد علمتم هذا ووجدتموه فى كتابكم فعلى هذا القول قوله من الله
يتعلق بالكتمان يقال كتمته الشهادة وكتمت منه الشهادة اى
لم اقمها عنده تأكيدا قال ومن اظلم ممن عنده شهادة فلم
يقمها عند الله جل جلاله وبين عباده بل كتمها واخفاها فظلم بذلك
نفسه وقيل معناه ومن اظلم ممن كتم شهادة جاءته من الله فجحدها
واخفاها قوله من الله على هذا يتعلق بالشهادة اى الشهادة من الله
وقال الحسن هذا قول المؤمنين لاهل الكتاب ومن اظلم منا اى ان
تابعناكم على ما تقولون بعد ان حصلت عندنا شهادة من الله عليكم بالكذب
فى قولكم ان هؤلاء الانبياء كانوا هودا او نصارى وقوله تعالى
وما الله بغافل عما تعملون من كتمان الشهادة بصدق محمد والبشارة
به وقال الامام ابو منصور رحمه الله هذا على الوعيد اى لا
تحسبوا انه غافل عما تعملون ويجوز ان يكون معناه لم يغيبهم على
غفلة مما تعملون بل على علم بما يعملون خلقهم ليعلم انه ليس له
فى شىء من عمل الخلق حاجة لم يخلقهم على رجاء النفع له بل خلقهم
وهو يعلم انهم يعصونه فان قالوا قوله أانتم اعلم ام الله نفى
عنهم واثبات الشهادة عندهم اثبات علم لهم اذ الشهادة لا تكون
الا بعلم قلنا كانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ولما كتموا ذلك انتحلوا الجهالة

لقوة نفع العلم، واثبات الشهادة عندهم اثبات علم لهم، إذ الشهادة
لا تكون إلا بعلم، فلما كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ولما كتموا ذلك
ألحقوا بالجهال **وقوله تعالى** تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
ولا تسألون عما كانوا يعملون التكرير للتأكيد والتقرير وقيل هذه
محاجة في غير ذلك الزمان، وغير ذلك المكان، وقيل الأولى
ترجع إلى أسلافهم، أي تلك الأسلاف، وهذه في إبراهيم ومن معه، ووجهه
أنها مع فضلها وشرفها إذا لم ينفعها عند الله إلا ما كسبت بأنفسها فأنتم
أحرى أن لا ينفعكم عند الله ما كسبوه ولا ينتفعون إلا بما تكتسبونه
فلا تتكلوا على أفعالهم **وقوله تعالى** سيقول السفهاء من الناس أي الجهال
الضعفاء العقول قال ابن عباس والبراء بن عازب رضي الله عنهم
هم اليهود وقال الحسن هم مشركو العرب لما حول رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى الكعبة من بيت المقدس، قالوا يا محمد رغبت عن قبلة
آبائك ثم رجعت إليها أيضا والله لترجعن إلى دينهم وقال السدي
هم المنافقون قالوا ذلك استهزاء بالإسلام **وقوله تعالى** ما ولاهم عن
قبلتهم التي كانوا عليها ما كلمة استفهام بمعنى الإنكار، وقوله
ولاهم أي صرفهم، يقال تولى عن كذا أي انصرف عنه، وولاه
غيره أي صرفه، وقوله عن قبلتهم أي جهتهم التي تستقبلونها
في الصلاة وأراد بها بيت المقدس، وقوله التي كانوا عليها أي على التوجه
واتصالها بما قبلها أنه قال، ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه
نفسه، وهم اليهود والنصارى سماهم سفهاء وذكر بعدها آيات فيما قالوا
ثم أخبر أن هؤلاء السفهاء يقولون هذا واختلف في قوله سيقول أنه هذا إخبار
عنهم قبل أن يقولوا أو بعد ما قالوا فأكثرهم على أنه لما حولت القبلة إلى
الكعبة قالت اليهود ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية، ثم قوله سيقول
وإن

وإن كان هذا لمحض الاستقبال، ولكن معناه سيواصل اليهود هذا
القول ويدومون عليه ظنا منهم والقول مما تكرر تجوز الإخبار
عنه بهذه الصيغة فيما وجد وفيما يوجد تكرارا. وقال ابن عباس
رضي الله عنهما لما حولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة جاء كعب
بن الأشرف، ورفاعة بن قيس، وفردة بن عمرو، ونافع بن أبي نافع
والحجاج بن عمرو، وكنانة بن أبي الحقيق، وجماعة، وقالوا يا محمد ما ولاك
عن قبلتك التي كنت عليها كن على قبلة بيت المقدس نتبعك ونصدقك
وأرادوا فتنة النبي صلى الله عليه وسلم فسماهم الله سفهاء لأنهم كانوا
تركوا قبلة إبراهيم، والكعبة بناؤه وقبلته، ومع ذلك رغبوا عنها
وقال الإمام أبو منصور رحمه الله كان وعد الله نبيه عليه السلام
أنه يحوله إلى الكعبة، فأخبره بما يقوله اليهود إذا حولت وكان
هذا قبل أن تحول، وقبل أن يقولوا لما سيأتي ألا ترى إلى قوله قد نرى
تقلب وجهك في السماء، ولو لم يكن له وعد بذلك لكان تقلب وجهه
إلى السماء خيانة منه وتحكما عليه وليس لأحد على الله ذلك، فدل على
الوعد، قال ثم فيه إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم حيث كان الخبر
على ما أخبر وكان كذلك فدل أنه علم ذلك بالله، قال ثم إن اليهود
قالوا ذلك لأنهم لا يرون نسخ الشرائع والأحكام ويقولون هذا
بالبداء والرجوع وذلك فعل من جهل عواقب الأمور كالذي يبني بناء
ثم ينقضه، وهذا جهل من اليهود والنسخ عندنا هو بيان منتهى الحكم
إلى وقت وليس فيه بداء ولا نقض لما مضى بل تجديد حكم في وقت بعد
انقضاء حكم **وقوله تعالى** قل لله المشرق والمغرب، أي قل يا محمد هذه الأمكنة
والنواحي كلها لله، يأمر عباده أن يتوجهوا إلى أي جهة شاء شرقا أو غربا
فالطاعة له في الائتمار بأمره لا في عين التوجه نحو المشرق أو المغرب

لهوى هووه او لتمني تمنوه لأن اليهود لعنهم الله جعلوا قبلتهم المغرب
اتباعا لهواهم. وكذا النصارى اتخذوا المشرق قبلة بهوى انفسهم
والمسلمون اتبعوا الأمر في ذلك. وقوله تعالى يهدي من يشاء
إلى صراط مستقيم أي يرشد من يشاء إلى قبلة الحق. وهي الكعبة
التي أمروا بها فيتوجهون الى حيث أمروا لا إلى حيث يهوون. وقيل أي
إلى اي الجهات وليهم فتوجهوا إليها فهم على هدى واستقامه
لأنهم بأمره توجهوا إليها. وقالوا لما كانوا بمكة أمروا ان يتوجهوا
إلى بيت المقدس لتميز وايمن المشركين. ولما انتقل رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وكانت اليهود بها يتوجهون
نحو بيت المقدس نقلوا إلى الكعبة لتميز وامنهم كما مر. وابن اوليك
وروى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه
وسلم كانت قبلته نحو بيت المقدس فصلى إليها مع اصحابه بعد
تقدمه المدينة نحوا من سبعة عشر شهرا. وكذا قال البراء
ابن عازب. وقال قتادة ستة عشر شهرا ثم وجهه الله إلى
الكعبة. فقالت اليهود لعنهم الله ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا
عليها لشدة اشتياق الرجل إلى مولده. فقال الله عز وعلا قل
لله المشرق والمغرب الآية. وكانوا يقولون الارض المقدسة
مواطن الانبياء. ولها شرف فيه فاخبر ان المواطن كلها لله تعرف
منها ما يشاء في كل زمان على ما علم من مصالح عباده فيه. وقال
مقاتل بن سليمان كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بمكة ركعتين
بالغداة وركعتين بالعشي. فلما عرج به الى السما امر بالصلوات الخمس
فصارت الركعتان للمسافر وللمقيم اربع ركعات. فلما هاجر النبي صلى الله
عليه وسلم إلى المدينة وذلك لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول
وامر

وأمر أن يصلي نحو بيت المقدس لئلا تكذبه اليهود لأن نعته في
التورية انه صاحب قبلتين وكانت الكعبة احب القبلتين الى النبي
صلى الله عليه وسلم. فقال لجبريل عليه السلام وددت ان ربي
صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها فقال جبريل انما انا عبد لا املك
شيئا فسأل ربك ذلك. فصعد جبريل عليه السلام إلى السماء وجعل
النبي صلى الله عليه وسلم يديم النظر إلى السماء فأنزل الله
تعالى في رجب عند الظهر قبل قتال بدر بشهرين. قد نرى تقلب
وجهك في السماء الآية. وقال مقاتل بن حيان اول ما نسخ من
القرآن امر القبلة. وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
رضي الله عنهم. كانوا يصلون بمكة الى الكعبة سنتين فلما هاجر
امر ان يصلي نحو بيت المقدس فقالت اليهود يزعم محمد انه
نبي وما نراه احدث في نبوته شيئا اليس يصلي إلى قبلتنا و
يستن بسنتنا. فإن كانت هذه نبوة فنحن أقدم وأوفر نصيبا
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. وشق عليه وزاده
الله شوقا إلى قبلة الكعبة. فأتاه جبريل. فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم وددت ان الله يصرفني من قبلة اليهود الى غيرها
فاني ابغضهم وابغض موافقتهم. فقال جبريل عليه السلام ليس
لي من الأمر شيء. وانما انا عبد مثلك. فخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى الصحرا نحو احد يصلي. ها هنا ركعتين ويدعوا
الله تعالى ان يخيره في ذلك. فلم يزل لذلك يديم النظر
إلى السماء حتى دخل ناحية أحد. فأنزل الله تعالى في رجب بعد
زوال الشمس قد نرى تقلب وجهك في السماء الآية. فنسخت
هذه الآية ما كان قبلها من قبلة بيت المقدس. وصارت

الكعبة قبلة المسلمين إلى نحو الصور. وقال الإمام أبو منصور
رحمه الله قوله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. رد على المعتزلة
لانه اخبر أن يهدي من يشاء فدل أن اهتدى العبد بهدايته
وعندهم ليس كذلك بل قد يشاء هدى العبد فلا يهتدي ودل
أن مشيئة الهداية ليست للكل وعندهم هدايته بيان وذلك
للجميع. وذلك أن السنة سنها الخاص فإن الصلاة إلى بيت المقدس
كانت بالسنة إذ لا ذكر له في الكتاب ثم نسخ ذلك بالكتاب. وعند
الشافعي رحمه الله لا تنسخ السنة بالكتاب إلا بعد عمل الرسول
به فيقتضيه نسخ السنة بالسنة وهذا قبيح أن لا يكون للكتاب من
القوة ما ينسخ سنته لولا عمله وقوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة
وسطا أي وكما هديناكم إلى صراط مستقيم جعلناكم أمة
وسطا وهذا وجه النظم ووجه آخر كما جعلنا قبلتكم خير القبلتين
في الدنيا فكذلك جعلناكم خير الأمم في العقبى. ووجه آخر
أن عابكم السفهاء بما قالوا في الآية الأولى فإن الله تعالى يحكم
في هذه الآية. وقوله وسطا. روى أبو سعيد الخدري رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الأمة الوسط
العدل أي الخيار المتوسط في الدين. وهو بين الغلو والتقصير
فإنهم لم يغلوا غلو النصارى حيث وصفوا المسيح. وهو عبد
بالألوهية وبأنه ولد وبأنه ثالث ثلاثة. ولم يقصروا تقصير
اليهود حيث قتلوا الأنبياء ووصفوا مريم بالزنا وعيسى بأنه
ولد الزنا. وقيل سموا وسطا لأنهم كالمتوسط بين الخصمين يعدل
ولا يميل وكالوسط بين شيئين متساويين. وقيل سموا وسطا
لأن قبلة النصارى إلى المشرق وقبلة اليهود إلى المغرب والكعبة
في الوسط

في الوسط وهي سرة الدنيا. وقال أبو عبيدة الوسط الخيار. قال تعالى
قال أوسطهم أي خيرهم وأفضلهم. وقال أحمد بن فارس الوسط
بالفتح من كل شيء أعدله وضربت وسط رأسه بفتح السين وجلست
وسط القوم بالسكون وهو أوسطهم حسبا إذا كان في واسطة
قومه وواسطة القلادة أفضلها وقوله تعالى لتكونوا شهداء
على الناس أي للأنبياء وعلى بمعنى اللام كما في قوله وما ذبح على النصب
والناس هم الأنبياء ههنا كما في قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت
للناس. أي ذكرت للأنبياء. وقيل كلمة على حقيقتها ههنا والناس
هم الكفار ههنا وهم أمم الأنبياء. والذين لم يؤمنوا وتقديره
لتكونوا شهداء على الكفار للأنبياء يوم القيامة. قال الله تعالى
فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين. فيقول الكفار
ما جاءنا من بشير ولا نذير. ويقول الأنبياء قد بلغنا وإذا أنكر
الأمم احتاج الأنبياء إلى إثبات ذلك فيأتون محمدا عليه السلام
بالتماس كل رسول منهم طائفة من أمته يشهد له على أمته وإذا
شهد وقال الكفار كيف تشهدون ولم تكونوا في زماننا فيقولون
أخبرنا الله تعالى به في كتاب نبينا كذبت قوم نوح المرسلين وكذا في
سائر القصص وقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا أي لكم كما في
قوله على الناس ومعناه مزكيا معدلا وقال القفال للمفسرين فيها
ثلاثة أقوال أحدها أنها تكون منهم على قوم نوح خاصة والثاني
أنها تكون على كفار أمة هذه الدعوة فيهم دعوة نبينا محمد عليه
السلام والثالث أنها تكون منهم على جميع الأمم. وقيل معناه لتشهد
كل فريق منكم على من حدث في عصرهم ومن بعدهم بالشرايع
التي تلزمهم. ويكون الرسول شهيدا عليكم. أي مبلغا إليكم شاهدا
عليكم عن الله تعالى بما يؤدي إليكم من شرايع دينه. وتكونوا أنتم

شهداء على الناس لله وللرسول بما اداه الرسول صلى الله عليه وسلم عنه وقال
الامام ابو منصور رحمه الله جعل الله هذه الامة عدولا والعدل
هو المستحق للشهادة وقبولها وفيه دلالة على حجة الاجماع حيث
اذا اجمعوا على شيء وشهدوا به لزم قبوله بما شهدوا والشهادة
فيه امر من عند الله وتبع لهم ذلك **قوله تعالى** وما جعلنا القبلة التي
كنت عليها قبلة ومعناه جعلنا مصيرنا منقضيا منسوخا ثابتا والقبلة التي
كان عليها هي بيت المقدس وفيه اضمار آخر في آخره اي لنعلم
من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه اذ حولناك عنها الى
الكعبة وقيل جعلنا في معنى نصبنا وشرعنا كما في قوله ما جعل
الله من بحيرة اي ما شرع فلا يقتضي الاضمار وقيل الاضمار
في اوله وما جعلنا تغيير القبلة التي كنت عليها او صرفك عنها
او تحويلها كما في قوله وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة اي
وما جعلنا ذكر الرؤيا اي خبرك عن الرؤيا او لا فتنة في
نفس الرؤيا وقيل وما جعلنا اي وما صيرنا وهو كقوله تعالى
فجعلهم كعصف ماكول والجعل في القرآن يجيء على قريب من
عشرين وجها ذكرناها عند تفسير قوله الذي جعل لكم الارض
فراشا وقوله تعالى التي كنت عليها اي على اعتقادها مستقبلا
لها يقال كان فلان على دين كذا او على قول كذا **قوله تعالى**
الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه اي لنميز اهل
الشرك من اهل اليقين وقال الامام ابو منصور رحمه الله
معناه الا لنعلم كائنا ما علمناه قبل كونه انه سيكون لان الله
تعالى يعلم الاشياء قبل كونها انها ستكون وبعد الكون
يعلمها كائنة وبعد ما مضى يعلم انها كانت وقبل الكون لا يقول
يعلمها كائنة لانه يكون جهلا قال ولا يوصف الله تعالى بالعلم
في الخلق

في الخلق على غير الحال التي الخلق عليها لانا وصفناه اياه بالعلم على
غير الحال التي الخلق عليها يؤدي الى وصفه بالجهل لانه لا يجوز ان
يقال يعلم من الساكن في حال السكون حركة اي من المتحرك في حالة
الحركة سكونا او يعلم من الجالس قياما اي من القائم جلوسا
لانه وصف بعلم ما ليس وهو محال قال وكذلك علم بذكر على حدوث
المعلوم بذكر الوقت المحدث لئلا يتوهم بذكره قدم المعلوم
في الازل فيقال فيما لم يكن بعد انه وفيما هو كائن انه عالم به
ويقال فيما مضى قد علم واذا وصفنا الله تعالى بما هو حقيقة بلا ذكر
الخلق مع ذلك نصفه بالذي نصفه به في الازل لتعاليه عن التغير
والزوال وعن الانتقال من حال الى حال ولا قوة الا بالله وقيل
معناه ليعلم رسولي والمؤمنون والعرب تضيف فعل الاتباع الى المتبوع
وهو كقولهم رجم رسول الله ماعزا وقتل ابو بكر الصديق اهل
الردة وفتح عمر السواد وحكي عن بعض العرب اني اجوع في غير بطني
واعرى في غير ظهري يعني جوع عيالي وعريهم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ليعلم اي لنرى وقال الفراء الحقيقة في العلم راجعة
الى المخاطبين وهذا كعاقل وجاهل يجتمعان فيقول الجاهل الحطب
يحرق النار ويقول العاقل بل النار تحرق الحطب وسنجمع بينهما
لنعلم ايهما يحرق صاحبه ومعناه لنعلم انت ايها الجاهل فلذا هذا
معناه لتعلموا انتم وقيل العلم صلة ومعناه ليكون اتباع المتبعين وانقلاب
المنقلبين كقول الشاعر لاعرفنك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني
زادي المعنى لا الفينك بعد موتي وهو كقولك ما علم الله هذا مني اي
ما كان مني ولو كان لعلم الله وقيل معناه الا لنعاملكم معاملة
من يمتحن لنعلم ثم هذا اللام وان دخلت في العلم فهي داخلة في الاتباع

لعلم

العراق

معنى لأن الابتلاء لكي يقع الفعل فيعلمه الله لا للعلم وتقديره الا
ليتبع البعض الرسول وينقلب البعض فيعلم الله ذلك وهو كقوله ولنبلونكم
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين اي حتى تجاهدوا وتصبروا
فيعلم ذلك وهو كقولك لاسمعن كلامك النهي عن السماع ظاهرا
وحقيقته نهي الكلام اي لا تتكلم فاسمع كلامك وقوله تعالى من يتبع
الرسول اي في امر القبلة ممن ينقلب على عقبيه اي ينصرف يقال
قلبه اي صرفه فانقلب اي انصرف والعقب مؤخر القدم وقال
الاصمعي العقب ما اصاب الارض من مؤخر الرجل الى موضع الشراك
وقوله ينقلب على عقبيه مجاز عن الارتداد وهو الرجوع عن الدين
الحق وقوله تعالى وان كانت لكبيرة له ثلاثة وجوه احدها ان ان
للنفي كما في قوله تعالى ان الكافرون الا في غرور واللام في
لكبيرة بمعنى الا كما في قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا اي ما كان
وعد ربنا الا مفعولا والثاني ان ان للتحقيق يقول لقيت فلانا
وان كرهت لقاءه اي مع كراهتي للقائه وتقدير الاية مع انها كبيرة
الا على المهتدين وقوله كانت كناية عن القبلة وهي المذكورة في
الاية وقيل كناية عن مصدر مؤنث مدلول عليه غير مصرح
به وهو التحويلة او التولية والكبيرة الثقيلة وقد مر شرحها
في قوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقوله تعالى الا على الذين
هدى الله اي على الذين وفقهم الله لاتباع امره والانقياد لحكمه
ومخالفة طبعه لموافقة شرعه وما كان الله ليضيع ايمانكم قال
السدي لما توجه النبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام
اختلف الناس فيها فكانوا اصنافا قال المنافقون ما بالهم
كانوا على قبلة زمانا ثم تركوها وقالت اليهود اشتاق محمد
الى

بلده ومولده وقال المشركون تحير في دينه وقال المسلمون ليتنا
نعلم حال اخواننا الذين ماتوا وهم يصلون نحو بيت المقدس فنزلت
الآيات وروي ان حيي بن اخطب واصحابه قالوا للمسلمين اخبرونا
عن صلاتكم نحو بيت المقدس اكانت هدى ام ضلالة فان كانت هدى
فقد تحولتم عنها وان كانت ضلالة فقد دنتم الله وتقربتم اليه
بها وان من مات منكم عليها لقد مات على الضلالة فقال المسلمون
انما الهدى ما امر الله به والضلالة ما نهى عنه قالوا فما شهادتكم
على من مات منكم على قبلتنا وكان مات قبل ان تحول القبلة اسعد
بن زرارة من بني النجار والبراء بن معرور من بني سلمة وكانا
من النقباء ومات رجال فانطلق عشائرهم فقالوا للنبي صلى الله
عليه وسلم توفي اخواننا وهم يصلون الى القبلة الاولى وقد صرفك
الله الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا فانزل الله تعالى وما كان الله
ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس سمى الصلاة ايمانا لان
وجوبها على اهل الايمان وقبولها من اهل الايمان وقيل كان اليهود
يجعلون الصلاة ايمانا فخاطبهم بما سموها كما قال فراغ الى الهتهم
والاصنام ليست بآلهة كما كانت كذلك على زعمهم فسماها
بما سموها اي على زعمهم كما قال فتبارك الله احسن الخالقين ولا
خالق الا الله لكن كانوا يعتقدون كل صانع خالقا فخوطبوا على ما تعارفوا
وقال الامام ابو منصور قال بعض المفسرين ان قوما صلوا الى
بيت المقدس وماتوا على ذلك فلما حولت القبلة قالوا اضاعت صلاتهم
اشفاقا عليهم لكن هذا بعيد لا يحتمل لان الذي اعتقد الاسلام من الصحابة
رضي الله عنهم وعرف موقع امر الله وامر رسوله لا يجوز ان يخطر ببالهم هذا
حتى يسألوا عن ذلك بل كانوا اعلم بالله من ان يجد عدو الله فيهم ذلك لانهم

أطاعوا الله تعالى فيما أمرهم وثبتوا على التصديق لكن إن كان ثم سؤال
فهو من اليهود الذين لا يرون النسخ أو قوم من الكفرة أرادوا رسول الله
وأفرطوا في خلافه ومعاداته ثم أرادوا الإسلام فظنوا أن ما سبق
منهم يمنع قبول الإسلام فأنزل الله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم
لما كان منكم في حال الكفر يدل عليه آخر الآية إن الله بالناس لرؤوف
رحيم يتجاوز عمن تاب أو قوم علموا أن الاختلاف في الدين وظنوا
أن نسخ الأحكام يوجب اختلافا في الدين فبين أن الإيمان لا يقع
على اعتقاد الصلاة إلى جهة دون جهة بل يقع على الانقياد كالإيمان من
الصحابة الذين ماتوا كان على اعتقاد الانقياد ومن هؤلاء لذلك فلا
تفرق ولا اختلاف ويحتمل أن يكون معناه وما كان الله ليضيع
إيمانكم بالصلاة إلى بيت المقدس فإنه كان بالأمر **وقوله تعالى** إن الله
بالناس لرؤوف رحيم الرؤوف على وزن الفعول والرحيم على وزن
الفعيل هو المبالغ في الرحمة والرأفة المصدر والرأفة [illegible]
والرحيم قد فسرناه في التسمية فالرحيم أعم والرؤوف أبلغ ولذلك
جمع بينهما لإثبات المعنيين جميعا وبدأ بالأبلغ وختم بالأعم ومعناه
ها هنا أنه برأفته ورحمته نقلهم عن ذلك إلى هذا وهو أصلح
لهم ولم يضيع عملهم ولم يوجب إعادته عليهم بعد النسخ ثم وصف
رسوله بقوله بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال في صفة نفسه إن
الله بالناس لرؤوف رحيم وهو يعم الكفار والمؤمنين وذلك
في حق الكافر فإنه يرزقه ويمهله وإذا أتاه يقبله ورأفة محمد
عليه السلام ورحمته على المؤمنين خصوصا كانت من الله تعالى
قال فبما رحمة من الله لنت لهم الآية ويقول لنبيه عليه السلام قل
لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم - أي الكفار
يستعجلون

والرؤوف على وزن الفعول

يستعجلون العذاب ولو كان ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأهلكم
كلا إنه رأف ولا أرحم من رب العالمين هو أرحم الراحمين وأكرم
الأكرمين ثم قال وما كان الله ليضيع إيمانكم في جواب الذين
سألوا عن حال صلاتهم إلى بيت المقدس ظاهر وعلى قول من
قال هو جواب عن صلاة الذين صلوا إلى بيت المقدس وماتوا
ليكون معناه ليضيع إيمان سلفكم كما قلنا في قوله وإذ قتلتم نفسا
فادارأتم فيها وإن كان هذا جواب الكل فوجهه أنه خطاب
الحاضرين والغائبين والغالب فيه من استعمال العرب هو الإجرا
على المخاطبة يقولون كنت أنت وفلان الغائب فعلنا ذلك
وقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء قد قدمنا قصته
وقد كلمة تأكيد ولقد أبلغ منه والتقلب التصرف ومعناه نرى
إدامة نظرك إلى السماء انتظارا لتحويل القبلة إلى الكعبة وكان
تمني ذلك لمخالفة اليهود لعنهم الله لأنهم كانوا يقولون إنه يخالفنا في
ملتنا ويتوجه إلى قبلتنا ولأن الكعبة كانت قبلة إبراهيم ولأنه
كان يرجوا أن يكون ذلك سببا لإسلام العرب **وقوله تعالى**
فلنولينك اللام في أوله والنون المشددة في آخره للقسم وهو
للتأكيد أي لنوجهنك **وقوله تعالى** قبلة مفعول ثان **وقوله تعالى**
ترضاها أي تحبها للمعاني الثلاثة التي قدمناها وقيل ترضاها
لأنها كانت قبلة الأنبياء من قبل وليس معناه أنك كنت لا ترضى
غيرها وهذا جائز في الكلام يقول الرجل لآخر أعطيك
شيئا ترضاه وإن لم يظهر منه الكراهة في غير ذلك والرد وقيل
أي لا تسخطها وتسلم لأمر الله فيها لا تفعل كما فعلت العرب الذين
أسلموا ثم ارتدوا حين حولت القبلة فأنت ترضاها وترضى

الجهة يوجهك إليها لأنك تعلم أن الله تعالى لا يسعد ذلك إلا
لعلمه بأن صلاحك وصلاح أمتك فيه ودلت الآية على عظم قدر
نبينا عليه السلام عند الله حيث جعل الكعبة قبلة له على
موافقة محبته ورضاه وهذا أخبار وي عن عائشة رضي الله
عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم حين نزل قوله ترجي
من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء يا محمد أما أن ربك
ليسارع لك في رضاك وقد مر عن الإمام أبي منصور رضي الله
عنه ورحمه أنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقلب الوجه
في السما لما سبق له من الوعد بتحويل القبلة قال ويقال
في تفسير الحسن البصري أنه كان حبب إليه الصلاة حتى كان
لا يصبر عنها وقد نهي عن الصلاة إلى بيت المقدس ولم يؤمر
بعد بالتوجه إلى غيرها وكان يقلب وجهه إلى السماء رجاء
أن يؤمر بالتوجه إلى غيرها وقوله تعالى فول وجهك شطر
المسجد الحرام أي وجه وجهك نحو الكعبة إذا أردت الصلاة
وحقيقته تول له فول وجهك أي اجعل وجهك مما يليه وشطر
الشيء نحوه والمسجد الحرام قيل هو على ظاهره والمسجد الحرام
هو المسجد الكبير الذي فيه الكعبة وقالوا إن عين الكعبة يصعب
استقبالها لصغرها وقيل هو الحرم كله والصحيح أنه الكعبة فهي
القبلة في جميع الأحاديث لذلك ثم صرف إلى الكعبة وكان يحب
أن يوجه إلى الكعبة حول إلى الكعبة وكان يحب أن يوجه إليها
فقال عند ذلك ألا إن القبلة حولت إلى الكعبة فلنولينك
أي نحولنك إلى الكعبة وقوله تعالى وحيثما كنتم فولوا وجوهكم
شطره هذا أمر الجميع إلى مثل ذلك بعدما أمر به نبيه عليه السلام

على الخصوص

الخصوص وفيه إضمار أي وفي أي موضع كنتم من الأرض وأردتم
الصلاة فولوا وجوهكم نحوه وقوله تعالى وإن الذين أوتوا الكتاب
ليعلمون أنه الحق من ربهم أنك نبي وأنك لا تأتي إلا بالحق وقيل أي
في كتبهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم ومبعثه ومهاجره وتحويله
إلى الكعبة فكانوا يعلمون أن الله سيحوله إليها وأنه الحق من ربهم
وقوله ليعلمون أنه يرجع الكناية إلى التحويل الذي دل عليه قوله
فلنولينك أو تقديره ليعلمون أن ما نوليكم وما نفعله من تحويلك
إلى الكعبة هو الحق وقوله تعالى وما الله بغافل عما يعملون قرا
الأعمش بالمخاطبة وهي قراءة ابن عباس وحمزة والكسائي وسهل
ويعقوب وهو وعد للمؤمنين بالثواب على القبول والأداء
وقرأ الباقون بياء المغايبة وهو وعيد للكافرين بالعقاب
على الجحود والإباء وقوله تعالى ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل
آية ما تبعوا قبلتك ولئن لام قسم دخلت على إن التي هي للشرط
ولذلك أجيب بما هو جواب القسم وهي خمسة أحدها ما قال والنجم
إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى والثاني إن المشددة قال
تعالى لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون والثالث اللام المفتوحة
قال تعالى فوربك لنحشرنهم والرابع إن الخفيفة قال الله تعالى
تالله إن كنا لفي ضلال مبين والخامس لا قال تعالى الم ذلك الكتاب
لا ريب فيه وقوله ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ولو
جئت رؤساء اليهود والنصارى بكل معجزة طلبوها منك على تصديقك
في دعوى رسالتك ما تبعوا قبلتك أي ما صلوا إليها ولم يؤمنوا بك
وله وجهان أحدهما أن جميعهم لا يؤمنون وهو قول الحسن إنا نجوز أن
يؤمن بعضهم وقيل هو لقوم بأعيانهم علم الله تعالى ذلك منهم على

وجه العباد وقوله تعالى وما أنت بتابع قبلتهم أي ولست أنت يا محمد لتستقبل
بيت المقدس في صلاتك بعد ما صرفتك عنه وقوله تعالى وما بعضهم
بتابع قبلة بعض أي لا يصلي اليهود إلى قبلة النصارى ولا النصارى
إلى قبلة اليهود ثم قوله وما أنت بتابع قبلتهم هذا الكلام له ثلاثة
أوجه أحدها أنه حسم أطماع أهل الكتاب فيما نعم الرسول عليه السلام
إذ كانوا طمعوا في رجوعه إلى الصلاة إلى بيت المقدس والثاني أنه قابل
قولهم ما تبعوا قبلتك بقوله وما أنت بتابع قبلتهم وهي من أقسام البلاغة
يقولون ما هم بتاركي العناد للحق وما أنت بتارك الاعتراف به والثالث
أن ليس محكاة استصلاحهم باتباع قبلتهم لاختلاف وجهتهم وتباين كلمتهم
فبين أنه كان غير ممكن محالا وقوله تعالى ولئن اتبعت أهواءهم
جمع هوى وهو الإرادة والمحبة ولم يقل هواهم على الوحدان
لاختلاف إرادة المخالفين أي ولئن وافقتهم في القبلة مداراة لهم
وحرصا على إيمانهم وقوله تعالى من بعد ما جاءك من العلم أي
بيان القبلة وقوله تعالى إنك إذا هو بيان الوقت أي حينئذ تفعل
ذلك وقوله تعالى لمن الظالمين أي الضارين نفسك وقيل أي
واضعين الفعل غير موضعه وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم والمراد غيره ويجوز أن يكون له وإن كان معصوما لما مر
أن العصمة لا ترفع النهي وقال الإمام أبو منصور رحمه الله وما
أنت بتابع قبلتهم فيه الوعد لهم بالعصمة في المستقبل ويحتمل أن
معناه وما لك تابعهم في القبلة وهذا التأويل كأنه أقرب لما خرج
آخر الآية على الوعيد وفي الآية إثبات رسالته لأنه أخبره بالأخبار
عن أنبائهم له في قومه ما غابهم وكان كما قال ولا يوصل إلى مثله
إلا بوحي من الله عز وعلا وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه

كما يعرفون

يعرفون أبناءهم قال ابن عباس رضي الله عنهما الكناية ترجع إلى
أمر القبلة وهو قول مقاتل وقتادة أي يعرفون أنه حق وأنه
من عند الله وقيل الكناية راجعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم
أي يعرفونه بالرسالة والنبوة كما يعرفون أولادهم بالنسب
والبنوة وقيل هو مدح من آمن من أهل الكتاب كعبد الله بن
سلام وأصحابه وقد روي أن عمر رضي الله عنه قال لابن سلام
إن الله تعالى وصفكم بأنكم تعرفون رسول الله كما تعرفون أبناءكم
فقال نعم وزيادة إني لأعرف أنه رسول الله بما ذكره في
التوراة والإنجيل ولا أدري ما أحدث النساء بعدي فقال
عمر رضي الله عنه وفقك الله يا ابن سلام وأن الله تعالى مدح
هؤلاء الذين اعترفوا وذم الذين عندوا وجحدوا وكذلك قوله
جل جلاله وإن فريقا منهم ليكتمون الحق قال مجاهد رحمه الله
أي صفة محمد وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل
وقال الربيع أي يكتمون أمر القبلة وقوله تعالى وإن فريقا منهم
ليكتمون الحق أي أن محمدا رسول الله وأن الكعبة قبلة الله وقيل أي
وهم يعلمون أنهم يكتمون الحق وقيل أي يعلمون ماذا يجب عليهم
من العقوبة لمن كتم الحق وقال الإمام القشيري رحمه الله جحدهم
مستكنات الحسد وسوء الاختيار على مكابرة ما علموه بالاضطرار
وكذلك المغلوب في ظلمات نفسه يلقي جلباب الحياء فلا ينجع فيه ملام
ولا يردعه عن انهماكه كلام وقوله تعالى الحق من ربك أي هذا هو الصدق
من ربك فهو خبر مبتدأ محذوف على هذا القول وقيل الحق مبتدأ
وخبره من ربك وقيل من ربك متعلق في صدر الكلام والحق خبره
وقيل معناه القبلة هي الكعبة وأن الله حق نقلكم إليها لعلمه بصلاحكم

وقوله تعالى فلا تكونن من الممترين أي الشاكين والمرية الشك والمماراة
المجادلة وقال ابن عرفة قوله افتمارونه اي اتجادلونه جدل
الشاكين وقوله فبأي آلاء ربك تتمارى اي تشك وقوله افتمارونه
اي تجحدونه وقوله فلا تمار فيهم اي فلا تجادل واصل المراء
الجدال لاستخراج ما عند الخصم ومعنى الآية فلا تكونن من
الشاكين في انه حق وانه من عند الله قيل اي ولا تشك في هذا
ولا تتبع ما يدعونك اليه فانه ليس بحق وليس من عند الله قيل
اي ولا تشك ان هذا الفريق معاندون يكتمون الحق وقالوا بعد ما
طلعت شمس اليقين فلا تركنن الى ظلمات التخمين ثم اذا صرف
معنى قوله يعرفونه الى امر القبلة كانت هذه الآيات الثلاث
على سنن واحد واذا صرف الى النبي صلى الله عليه وسلم فهو معاتبة
والتي قبلها ولئن اتبعت مخاطبة والتي بعدها الحق من ربك مخاطبة
متوسط الثانية على المعاتبة يكون على الانتقال من هذه الى
تلك ومن تلك الى هذه وذلك في القرآن كثير حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم وسقاهم ربهم ان هذا كان لكم جزاء وقوله تعالى ولكل
وجهة هو موليها اي ولكل قوم قبلة تتوجه اليها وقوله
هو موليها يجوز ان يكون هو راجعا الى قوله ولكل ولفظه واحد
وان كان معناه الجمع فيجوز ان تكون الكناية الراجعة اليه على التوحيد
للفظه ومعنى موليها اي جاعل اليها وجهه ويجوز ان يكون هو
اسم الله تعالى اي الله موجهه اليها عباده والتولية متعدية وعلى
الاول يجعل الوجه مضمرا اي كل موجه اليها وجهه وقوله
تعالى فاستبقوا الخيرات اي تسارعوا اليها واصل السبق التقدم
والاستباق من الاثنين ومن الجمع كالتسابق وكذا التبادر والابتدار
والتنافر

والتنافس والاقتراب وقوله تعالى اينما تكونوا هي كلمة شرط
ولذلك جزمت وعلامة الجزم سقوط النون وقوله تعالى
يأت بكم الله جميعا جزم يأت لانه جزاء الشرط اي في اي موضع
كنتم احضركم الله المحشر وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير
اي قادر وفي تفسير الحنفية التأويلات قيل هذا اتمام الكلام الاول
وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولكل منكم وجهة
اي قبلة يستقبلها فاصحابها لا يفارقونها فلا سبيل الى اجتماع
جميعكم على قبلة واحدة فالزموا معاشر المسلمين قبلتكم فانكم
على خيرات من ذلك في الدنيا والآخرة واينما كنتم من جهات
الارض يجمعكم الله يوم القيامة ويفصل بين المحق والمبطل والمطيع
والعاصي فاثابكم وعاقب مخالفكم انه على كل شيء قدير من الجمع
والاحضار والمجازات قدير وقال ابن كيسان لما قال السفهاء
ما ولاهم عن قبلتهم انزل الله تعالى قوله ولكل وجهة اي لكل
من اليهود والنصارى والمشركين قبلة هو موجههم اليها فان كان
الله وجههم اليها فانت فيما ينقلك اليه من قبلة الى قبلة بمنزلتهم
فما معنى قولهم لك ما ولاهم عن قبلتهم فسارعوا الى ما دعاكم اليه
فانه خير لكم وقيل اي بيت المقدس والكعبة كل واحد منهما جهة
والله مولي عباده الى هذا والى هذا على كل من الفلاح فاستبقوا الى
الانقياد لامر الله تعالى في الحالين ففيه خيرات لكم ولا يلتفتوا الى طعن
هؤلاء فانهم يريدون ان يصدوكم عنها فاستبقوا اليها ولا تغلبوا
عليها والله يجمعكم واياهم يوم القيامة فيفصل بينكم وقيل اي لكل اهل
ناحية منكم ايها المؤمنون ناحية يتوجه منها الى الكعبة من كان على
يمينها او يسارها او قدامها او خلفها وكلهم يستقبلونها بامر الله والله

وجههم انها لا تخفى على اصحاب أهل الآفاق وسائرهم في ذلك وهو حشرهم
وتجزيهم. وقيل في قوله تعالى فاستبقوا الخيرات أي فبادروا إليها
قبل الموت في أي موضع متم حشرتم وجوزيتم. وقال بعض
أهل الحقيقة معناه لكل قوم اشتغلوا بغيرنا عنا واقبلوا على
غيرنا فكونوا معاشر العارفين لنا. واشتغلوا بنا عن غيرنا
فإن مرجعكم إلينا فانشدوا إذا اشتغل الناس هون عنك بشغلهم
جعلت اشتغالي فيك يا منتهى شغلي وقوله تعالى ومن حيث خرجت
فول وجهك شطر المسجد الحرام. أي ومن أي موضع خرجت
وأينما كنت في أقطار الأرض فاستقبل الكعبة بصلاتك. وقوله
تعالى وإنه للحق من ربك أي تحويل القبلة إلى الكعبة حق
وهو من الله تعالى وقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون.
قرأ أبو عمرو بيا المغايبة ردا إلى قوله يعرفونه وقرأ
الباقون بتا المخاطبة ردا على قوله اينما تكونوا وقوله تعالى ومن
حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم
فولوا وجوهكم شطره. فإن قالوا لم كرر الأمر باستقبال
الكعبة. وقال أولا فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك
شطر المسجد الحرام. وقال ثانيا وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم.
وقال ثالثا ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام
وإنه للحق من ربك. وقال رابعا ومن حيث خرجت فول وجهك
شطر المسجد الحرام. وقال خامسا وحيثما كنتم فولوا وجوهكم
شطره قلنا لهذه اجوبة. احدها ان التكرار بمعنى التاكيد
والتقريب. والجواب الثاني انه نسخ نقل عن اليهود. وصعب
عليهم الانتقال فكرر الأمر به كما كرر الأمر بالصلاة والزكاة

لما

أنهما كانتا تشقان عليهم. فإن الصلاة نهاية الخضوع والزكاة
بذل المحبوب فكررهما وفي النفوس قررهما وهذا الله
والجواب الثالث ان لكل واحد منها لفايدة أخرى فإن الأول
كان حين كان النبي صلى الله عليه وسلم. يصلي في مسجد المدينة
إلى بيت المقدس نحو ردا الشيخ. وأمر بالتوجه إلى الكعبة
فقيل له ول وجهك شطر المسجد الحرام. إذا صليت في مسجدك
وكان هذا امرا على الخصوص ثم عمم الأمر. فقال لعامة
المؤمنين وحيثما كنتم. أي في سائر المساجد ومواضع الصلوات
من البيوت. وغيرها فولوا وجوهكم شطره وهذا للمقيمين
بالمدينة. ثم قال ومن حيث خرجت يا محمد في الاسفار فيه
آية في الاسفار مثله في الامصار. ثم قال ومن حيث خرجت
من سائر البلاد ثم عمم المؤمنين فقال وحيثما كنتم. بعد ما خص
به النبي صلى الله عليه وسلم. والجواب الرابع أن الأول مع الثاني
وهو امر النبي صلى الله عليه وسلم. على الخصوص وامر المؤمنين
على العموم على الدوام. على ذلك في كل الأزمنة والجواب الخامس
ان كل امر ذكر ليقرن به امر آخر وذاك من باب البلاغة
كقولك زيد عالم زيد جميل المعاشرة زيد اهل للمودة
تحابه. قال الزهري هذه القبلة قائمها قبلة حي لا قبلة هوى
وهو قوله تعالى وإنه للحق من ربك الزهري هذه القبلة فإن
في لزومك إياها استطاع بحج العالمين وهو قوله تعالى لئلا يكون
للناس عليكم حجة. أي موضع احتجاج وقوله تعالى إلا الذين ظلموا
منهم أي إلا ان يحتج عليكم ظالم بما ليس بحجة وكشف هذا الكلام.
ان اليهود لعنهم الله قالوا او كان محاليفنا في ديننا ويتبع قبلتنا وقالوا

فادرى محمد اين يتوجه لصلاته حتى هديناه وتعد صرف القبلة
قالوا اشتاق الرجل الى مولده وبلد ابائه وقالوا ما ولاهم
عن قبلتهم التي كانوا عليها وقال المشركون لعنهم الله رجع محمد
الى قبلتنا وسيرجع الى ديننا فابطل الله تعالى قول اليهود
بدعوتهم انا هديناه الى القبلة حيث صرفه الى قبلة ابيه
ابرهيم واعلمهم انه هو الذي هداه لها دونهم ورد قولهم
ما ولاهم بقوله قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى
صراط مستقيم اي الاماكن كلها لله تعالى لا حرمة لها لاعيانها
ولله جل جلاله ان يأمر عباده فلم يبق لليهود خصومة ولا شبهة
لانهم قالوا يصلي الى قبلتنا في هذه الحالة كابروا فان قالوا ان
المشرق والمغرب ليسا لله كذبوا فان قالوا للامكنة بنفسها حرمة
من غير ان يجعلها الله تعالى لها احالوا وقولهم اشتاق الرجل
الى بلده حكم منهم باطل بل انقاد لامر الله تعالى وسلم لحكم الله
وهذا منهم دعوى لا برهان عليه وهو ظلم والمحتج بمثله ظالم
وقول المشركين انه قد رجع الى قبلتنا فيرجع الى ملتنا هذا
تمني منهم وليس للانسان ما تمنى وقيل لهم لم يرجع الى
قبلتكم بل استقبلها بامر الله تعالى الذي بعثه الى خلقه فاطاعه
فيما امره به حتى هجر اهله وقرابته وبلده لا تبعا من صابه
وهذا اوضح ما قيل فيه واقواه واعلاه وقيل الاستثناء منقطع
هاهنا ومعناه لكن كما في قوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع
الظن وقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ومعنى هذه الاية
على هذا القول لكن الذين ظلموا منهم يتعلقون بالشبهة في موضع
الحجة وقيل اردنا بالحجة المحاجة اي المجادلة لكم وتقديره لئلا يكون

للناس

يكون للناس اي لليهود عليكم حجة اي محاجة الا الظالمين منهم
فانهم يحاجونكم بالباطل وعلى هذا القول يكون الاستثناء متصلا
وقال ابو عبيدة الا بمعنى ولا كما في قوله وما كان لمؤمن ان يقتل
مؤمنا الا خطأ اي ولا خطأ قال الشاعر فما بالمدينة دار
غير واحدة دار الخليفة الا دار مروان اي ودار مروان
وعلى هذا يكون معنى والذين ظلموا وقال قطرب معناه
الا على الذين ظلموا فهو عطف على قوله عليكم اي لا يكون لاحد
حجة عليكم الا على الظالمين وقال ابو معاذ النحوي الا هاهنا
ليس بلا استثناء ولكنه حرف سبق ومعناه والذين ظلموا منهم
فلا تخشوهم واخشوني اي لا تخافوهم في التوجه الى الكعبة
وخافوني في تركها وقال ابن كيسان فلا تخشوا الناس في
تظاهرهم عليكم في المحاربة والمحاجة فاني اظهركم عليهم
بالحجة وقيل فلا تخشوهم فيما خاصموكم فانهم لن يضروكم
في دينكم فاطيعوني واخشوني ولا تعصوني فانكم ان خالفتموني
استحققتم عذابي وقوله تعالى ولاتم نعمتي عليكم قيل الواو
زائدة كما في قوله فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة
الجب واوحينا اليه اي اخشوني لاتم نعمتي عليكم وهي
نعم الدنيا والاخرة وقيل هو الختم على الاسلام وقيل
اي ولاتم نعمتي عليكم هديتكم الى هذا وهو مضمر فيه وقيل
هو عطف على قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة ولاتم نعمتي
بنقلكم من شريعة الى شريعة غيرها على ما فيه من صلاحكم
حتى تتم لكم مصالحكم وقد حقق ذلك وتممه حتى قال
اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي وقوله تعالى ولعلكم

تهتدون أي ولتهتدوا إلى شرائع ديني والحجة في الأصل هي البينة
الواضحة مأخوذ من محجة الطريق وقيل هي من الغلبة يقال
لج فحج أي غلب وقيل هي التي وجب الرجوع إليها على ما بها من حج
البيت وهو الرجوع إليه ولذلك سمي مثابة أي مراجعا وقوله
تعالى كما أرسلنا فيكم رسولا منكم قيل هو متصل بما قبله
وعليه وقع التشبيه وهو قوله تعالى ولأتم نعمتي عليكم أي
النعمة عليكم في أمر القبلة كالنعمة في إرسال محمد فيكم وهو أحد
قولي الزجاج والفراء وقيل معناه كما أجيبت دعوة إبراهيم
ربنا وابعث فيهم رسولا الآية فبعثت محمدا كذلك أجيبت دعوته
مع تلك الدعوة ومن ذريتنا أمة مسلمة لك فشرعت لهم
الشرائع الحنيفية السمحة إتماما للنعمة وقال الحسن وابن أبي
نجيح ومجاهد وهو أحد قولي الفراء واختيار الزجاج هذا متصل
بما بعده قال كما أرسلنا فيكم رسولا من أنفسكم يعلمكم وهو
قوله فاذكروني بعد الجهل وتطهيركم وتوفيقكم على معالم
الدين وهي نعم توجب الشكر فاشكروا لي بذكر نعمتي وأنا
مع ذلك أذكركم فقوله اذكروني يكون له جوابان متقدم
ومتأخر فجعل ذكرهم شكرا لهم للنعم الماضية وإيجابا لذكر الله
تعالى لهم بنعم مستأنفة وقوله كما أرسلنا فيكم رسولا منكم
يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة وقد مر في
في قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم على الاستقصاء
والاستقصاء وقوله تعالى ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون أي من أقاصيص
الأمم الخالية وأخبار القرون الماضية والأنباء عما يكون في الأزمنة
الجائية وغير ذلك من علوم الديانة العالية وقوله تعالى فاذكروني
اذكركم

اذكركم قد مر الكلام فيه من حيث اللغة وقال محمد بن علي الترمذي
ذكر الله على وجوه الأول ذكره بالتوحيد والثاني ذكره بالأمر والنهي
والثالث ذكره عند كل نعمة في الدين والدنيا والرابع ذكره بالمنة والخامس
ذكره بالتدبير والسادس ذكره بالمحبة والسابع ذكره بالتوكل والثامن
ذكره بالشوق إليه والتاسع ذكره بالاتصال والعاشر ذكره بالملاقاة
على الدوام وكل ذاكر على حسب ذكره يرجع إليه ثمرة ذكره ومن ذلك
التوجه يذكر ربه وقال ابن عباس رضي الله عنه وقال ابن عباس
رضي الله عنهما في قوله ولذكر الله أكبر أي ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم
إياه وفي قوله فاذكروني أذكركم لأهل المعرفة عبارات لطيفة قال
الضاداي فاذكروني بالتوبة أذكركم بغفران الحوبة وقيل فاذكروني
بالطاعة أذكركم بالرحمة وقيل فاذكروني بالدعاء أذكركم بالإجابة فاذكروني
بالسؤال أذكركم بالكرم فاذكروني بالمعذرة أذكركم بالمغفرة اذكروني
بالإرادة أذكركم بالإرادة فاذكروني بالإخلاص أذكركم بالخلاص وبالـ
فاذكروني بالتذلل أذكركم بالتفضل فاذكروني بشهود طلوبكم
أذكركم بتحقيق مطلوبكم فاذكروني من حيث الخدمة أذكركم بالإيجاب
على بساط القرب به بإكمال النعمة فاذكروني بتصفية السر أذكركم بتوفية
البر فاذكروني في حال حياتكم أذكركم بعد وفاتكم فاذكروني في شهودكم
أذكركم في لحودكم فاذكروني في دنياكم أذكركم في عقباكم فاذكروني
بقطع العلائق أذكركم بوصل الحقائق واشكروا لي على عظيم منتي عليكم
حيث قلت لكم فاذكروني أذكركم بذكري ذكركم في أولا إذ ذكري
السابق لم يكن ذكركم اللاحق وقيل فاذكروني في الرخاء أذكركم
في البلاء فاذكروني بالمجاهدات أذكركم بالمشاهدات وقوله تعالى
واشكروا لي ولا تكفرون الشكر إظهار النعمة بالاعتراف بها أو بعمل هو

هو الاعتراف في القيام بحقها والكفران أن يستر نعمة المنعم بالجحود أو بعمل
هو كالجحود في مخالفة المنعم • ويقال شكرته وشكرت له كما يقال نصحته
ونصحت له • وقال الشاعر هم جمعوا بؤسى ونعمى عليكم فهلا شكرت
القوم إذ لم تقاتل ولا تكفرون حذفت الياء من آخره ليستوي الفواصل
فهو كقول الشاعر ومن شانئ كاسف باله إذا ما انتسبت له أنكرن
وقوله تعالى فاذكروني أذكركم أمر بالقول واشكروا لي أمر بالعمل قال
تعالى اعملوا آل داود شكرا • وقال الإمام أبو منصور رحمه الله أي
وجهوا شكر نعمتي إلي ولا تشكروا غيري وتحملوا وجوه العبادة إلي
ولا تشكروا غيري وتحملوا وجهوا العبادة إلي ولا تعبدوا غيري •
وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ختم الآية
التي قبلها بالأمر بالشكر وبدأ هذه الآية بالأمر بالصبر • وهما جامعان
جميع خصال الإيمان • ووجه آخر أنه ذكر إلا الذين ظلموا منهم وهم
الأعداء • وقال فلا تخشوهم واخشوني ثم أمر في هذا بمحاربتهم وبردهم
وهو الاستعانة بالصبر والصلاة على مجاهدة الأعداء • وقوله واستعينوا
بالصبر والصلاة قد أوتينا الكلام فيه في أول قصة بني إسرائيل
ومعناه استعينوا بهما على الجهاد في سبيل الله مع أعداء الله • وقيل استعينوا
بهذا النوع من الطاعة على غيره من الطاعات • وقال الكلبي ومقاتل
والربيع بن أنس استعينوا على طلب الآخرة وتمحيص الذنوب بالصبر على
أداء الفرائض والصلوات الخمس • وقيل استعينوا بالصبر منكم وبالصلاة مني
وعنا بقوله • أولئك عليهم صلوات من ربهم على أداء الفرائض وتحمل
المكاره أي انظروا في حسن هذا الاسم لكم وحسن هذا الجزاء مني ليسهل
عليكم الأداء والرضا وقوله تعالى إن الله مع الصابرين أي بمعونتهم
ونصرتهم • وقيل أي يظهر دينهم على سائر الأديان لأن من كان الله
معه

معه فهو الغالب وهو أشرف رتبة وأجل وعد قال الله تعالى لموسى
وهارون أي معكما • وقال لبني إسرائيل إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم
الزكاة الآية • وقال موسى كلا إن معي ربي • وقال نبينا عليه السلام في الغار
إن الله معنا • وقال الله تعالى إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
وقال تعالى وإن الله مع المؤمنين وقوله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى إليكم
السلام • وقال تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات فيه إضمار أي
هم أموات وقوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون أي بل هم أحياء والعدل نقض
النسبة الحوالة وسبيل الله هو الجهاد لأنه طريق إلى ثواب الله ورحمته
وقوله تعالى ولكن لا تشعرون أي لا تعلمون حقيقة حياتهم بعد موتهم
وقال القشيري رحمه الله لئن فنيت في الله أشباحهم لقد بقيت أرواحهم
بالله أرواحهم ومن كان فناؤه في الله كان بقاؤه بالله هم في ظلال الأنس بسطهم
جماله مرة ويستغرقهم جلاله أخرى • قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت
في قتلى بدر وهم أربعة عشر من المسلمين • وقال الضحاك نزلت في الذين
قتلوا عند بئر معونة • وذلك أن المنافقين قالوا مات فلان ومات فلان
فنزلت • وقيل إن العرب كانت تعد الموتى من انقطع ذكره إذا لم يبق له
أحد يذكره فأخبر الله تعالى أنهم مذكورون في ملإ الملائكة • وقال
الحسن إن أرواح المؤمنين تعرض على الجنان وأرواح الكفار تعرض على النيران
ويكون لأرواح الشهداء أفضل لذة لا يكون لغيرهم • وقال جعفر الصادق رضي
الله عنه الشهداء قتلوا في ذات الله واستوجبوا الثواب عند الله فهم أحياء
مرزوقون شهداء فرحون • والذين قتلوا أهواءهم بما قاسوا من قطع هذه
العقبات صاروا بالهوى قتلى فاستوجبوا على الله لحياة قلوبهم • وجعلهم
شهداء مرزوقين فوائده ولطائفه فرحين مستبشرين بتقديس
عروقهم وسلب تحركاتهم • وانفتحت قلوبهم • ووقعوا بين يدي مليكهم

سيهدين

هم احرار خدام وطوبى لهم هم اولياء الله واحباؤه وروى ابو هريرة رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الشهداء عند الله على منابر من نور
في ظل عرش الله يوم لا ظل الا ظله على كثيب من مسك لا يدرون ما يصنع
الناس فيقول بعضهم لبعض الا نذهب الى الناس فننظر فيبعثون فيقول
لهم الرب تعالى الم اف لكم فيقولون بلى لو صنعت بنا واحدة قال وما
هي قالوا لو رددتنا الى الدنيا حتى نقتل ويكتب لنا بنية وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على المؤمنين ما تخلفت خلف سرية الا
وانا فيها ولوددت اني اقتل ثم احيا ثم استشهد ثم احيا ثلاث
مرات وقيل معنى قوله بل احياء لا ينقطع ثواب اعمالهم لانهم
قتلوا لنصرة دين الله فما دام الدين ظاهرا في الدنيا واحد يقاتل
في سبيل الله فلهم ثواب ذلك تشواهده السنة وقوله تعالى ولنبلونكم
اي ولنمتحننكم وهو لام قسم والابتلاء من الله لاظهار ما علم وقوله تعالى
بشيء من الخوف اي خوف الاعداء وانتظامها بما قبلها ان الصبر والاستعانة
به والصلاة على احتمال هذه المكاره وقوله تعالى والجوع اي وشيء
من الجوع وهو القحط والسنة ولم يقل باشياء وان ذكر بعده ثلاثا
معدودة وكره لانه اضمره ثانيا وثالثا اكتفاء بحرف العطف المقتضي لاعادة
المذكور اولا وقوله تعالى ونقص من الاموال اي وشيء من ذلك بالسرقة
والاغارة واخذ السلطان والهلاك وقوله تعالى والانفس اي بالقتل
والموت وقوله تعالى والثمرات اي وذهاب ثمرات الكروم والاشجار
بالبرد والسموم والريح والجراد وغيرها من الافات وقوله تعالى
وبشر الصابرين اي المتحملين هذه المكاره وقيل الجهاد والجوع هو صوم
رمضان ونقص الاموال هو ايتاء الزكاة والحقوق المالية والانفس بذل
الارواح لذات الله والثمرات هو دفع العشر وقيل هو صرف ثمرات
الاعضا

الاعضاء وهي الاسباب الى عبادة الله جل جلاله والابتلاء بها هو التعبد بهذه
الانواع وبشر الصابرين اي الذين يصبرون على اداء التابعين على ما اصابها وقيل
الخوف هو خشية القلب من الله تعالى والجوع عليه شوق العبد الى لقاء الله
تعالى ونقص من الاموال هو التجرد عن غير الله تعالى في محبة الله والانفس
هو تسليم الانفس الى الله والثمرات هو بذل الاولاد فمرضاة الله تعالى
فالولد ثمرة الفؤاد وبه ورد الحديث وبشر الصابرين على هذه
الحالات الصادقين في هذه المقامات وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يقول لملائكته اقبضتم قرة عين عبدي وثمرة قلبه فيقول
نعم يا رب فيقول الله تعالى ما صنع قالوا صبر واحتسب فيقول الله تعالى
ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وقال بعض اهل المعرفة مطالبات
الغيب اما ان تكون بالمال او بالنفس او بالاقارب او بالقلب او بالروح فمن
اجاب الى المال فله النجاة ومن جاد بالنفس فله الدرجات ومن
صبر على فقد الاقارب فله الخلف والقربات ومن لم يدخر عنه الروح
فله دوام المواصلات وفي التيسير ان ما ذكر في هذه الاية اصاب
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الخطاب لهم اما الخوف ففي وقعة
الاحزاب قال تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر
الاية واما الجوع فكان القحط كله سبع سنين حتى اكلوا العظام وكان
الواحد من الصحابة يخر على وجهه من الجوع وكان عليه السلام يشد الحجر
على بطنه وتمر على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهر والشهران
وما طعامهم الا الاسودان التمر والماء واما نقص الاموال فالانفاق في
الخيرات وانقطاعهم عن معايشهم بسبب الجهاد وقيل هو هلاك المواشي
واما نقص الانفس فبالشهادة والجراح والموت وذهاب الاخوان والاقارب
واما نقص الثمرات فالجدب وترك الضياع على الضياع للجهاد وبانقطاعها على

الحمد بالفقد او قوله تعالى الذين اذا اصابتهم مصيبة قيل هو نعت الصابرين
لا صرابه النصب وقيل هو ابتدا وخبره اوليك وتم الصابرين تام وعليه
وقف وهو اكثر فايدة وابلغ في الكرامة وهو البشارة بنفس الصبر وهو
صفة مدح تامة وقوله تعالى اصابتهم مصيبة اي نالتهم بلية والاصابة
ضد الاخطا قال النبي صلى الله عليه وسلم واعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطيك
وما اخطاك لم يكن ليصيبك والمصيبة اسم لكل حادثة مكروهة من نقصان
وقوام ونحو ذلك وقوله تعالى قالوا انا لله وانا اليه راجعون وهي كلمة تسليم
ومعنى انا لله انفسنا لله وهو يتصرف في ملكه فلا اعتراض عليه اذا كانت
المصيبة بذهاب انفسنا لم يكن لنا ان نجزع فكيف وهي في اموالنا او احبابنا
او نحن عبيد الله والعبد وما في يده لمولاه فان شا بقاه في ايدينا وان
شا استرده منا فلا نجزع باخذ ما هو ملكه بل نصبر فان عشنا فعليه
رزقنا وان متنا فاليه مردنا وعنده ثوابنا وهذا معنى قوله وانا
اليه راجعون وقيل اي انا لله عبيدا احيا وامواتا وانا اليه راجعون
ان رضينا بقضايه استوجبنا ثوابه وان لم نرض بقضايه استوجبنا
عقابه وقيل معناه نحن عبيد الله وفي قبضة الله يمضي فينا قضاه احببنا
او كرهنا وقال ابو بكر الوراق انا لله اقرار منا له بالملك وانا اليه
راجعون اقرار على انفسنا بالهلك قال محمد بن علي الترمذي اي ما اعطانا
ربنا كان فضلا منه ولا يليق بكرمه الرجوع في عطاياه وانما اخذه
ليكون ذخيرة لي عنده وليظهر سري للملايكة ليعلموا كيف ثقتي به وتفويضي
اليه وحسن ظني به ثم من العباد من ذكر الرجوع اليه لان في لقايه
عوضا من الدارين ليتسلى عن كل ما فاته بما يامل من لقايه ومنهم
من ذكر الرجوع اليه لانه علم انه انفصل من عنده يوم الميثاق
والرجوع يكون الى من كان عنده مرة فانما نرجع اليه بالعبودية
التي

التي اخذ الميثاق علينا بها ومنهم من ذكر الرجوع اليه للتوكل لان وجود
العبد بالله ووله الى الله وقوله تعالى اوليك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة الصلوات جمع صلاة وهي الرحمة والتكرير للتاكيد والتقرير وقيل
الصلوات هي الرحمة في الدنيا والرحمة هي تكميلها لهم في الاخرة وقيل
الصلوات البركات وقيل الاثنية وقيل المباهات بهم الملايكة والرحمة
قيل هي المغفرة وقيل هي الجنة وقوله تعالى واوليك هم المهتدون ثم قيل
معناه الموفقون للاسترجاع وقيل اي اهتدوا الى الرضا والتسليم
وقيل اي الثابتون على الاسلام وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه نعم
العدلان ونعمت العلاوة العدلان الصلوات والرحمة والعلاوة واوليك
هم المهتدون وقال مقاتل بن حيان في قوله تعالى ومن يومن بالله
يهد قلبه قال الاسترجاع وقال عكرمة طفي سراج النبي صلى الله
عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون قيل يا رسول الله امصيبة
هي قال نعم كل شي يوذي المومن فهي له مصيبة وقال سعيد بن
جبير اعطى الله هذه الامة في المصيبة ما لم تعطه يعقوب النبي صلى الله
عليه وسلم فانه قال في فقد يوسف يا اسفى على يوسف
ولم يكن له استرجاع وقال الامام ابو منصور رحمه الله قد وجد
من كلامه ما يحقق هذا المعنى وهو قوله تعالى فصبر جميل وقوله
انما اشكو بثي وحزني الى الله على انه كان اخبر انه لم يهلك وقال وعد الله
الذين خضعوا لحكمه ورضوا بقضايه بثلاث خصال اجلها صلواته
عليهم وصلواته تحتمل ثناه على الملايكة بعظيم ما عندهم لهم وتحتمل
ثناه وذكره للجبابرة عباده بقوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله
اموات وما يشبهها من الاي وتحتمل النعمة او الرحمة يلقيها في قلوب
عباده حتى يحبوهم او خلفه يخطيهم في الدنيا ثم شهد لهم بالهداية وذلك

وذلك يحتمل ان يكونوا الهندو الد بنيه ولا علم في المصيبة من التسليم لله تعالى ويحتمل الا هتدا الطريق الجنة على ما بينه في كتابه من الوعد للشهداء

وقوله تعالى إن الصفا والمروة من شعائر الله اتصالها بما قبلها ان الخوف المذكور في تلك الاية خوف الاعداء والابتلاء بالجهاد وهذه الاية في بيان معالم الحج فهو جمع بين الجهاد والحج ولان في تلك الاية نقصان النفس والمال في الجهاد وفي الحج ايضا شق الانفس وانفاق الاموال وقيل أي كرههم المصائب وفيها اجر عظيم للصابرين وكرههم السعي بين الصفا والمروة لمكان اساف ونائلة وفيه اجر عظيم للساعين والصفا الحجر الصلب الاملس الذي لا يخالطه طين ولا تراب ولا رمل مأخوذ من الصفوة وهي الخلوص والمروة هي الحجر اللين وقيل الحجر الابيض الذي يبرق وقيل سمي الصفا لانه جلس عليه آدم صفي الله وسميت المروة لانها جلست عليها امرأته حوى

وقوله تعالى من شعائر الله جمع شعيرة والشعائر اعلام المتعبدات من موقف او مسعى او منحر والشعيرة العلم والاشعار الاعلام والشاعرة المعالم والمشعر المعلم

وقوله تعالى فمن حج البيت اي قصده محرما باعمال مخصوصة واصله القصد وجمعه حجج سمي بالتراب وقيل الحج الحلق يقال احج شواضع شجتك اي احلق وسمي الحج بهذا الاسم لان ختامه بالحلق وقيل اصل الحج الحالة الاختلاف الى النبي وحج البيت كذلك وقال الشاعر سب الزبرقان المزعفرا وقيل هو تكرار القصد

وقوله تعالى او اعتمر اي زار البيت محرما باعمال مخصوصة واصله من عمارة بيت الله بالعبادة

وقوله تعالى فلا جناح عليه ان يطوف بهما اي لا اثم عليه وهو من الجنوح اي الميل وحصوله بالميل عن الخير الى الشر والطوف الدور والتطوف تكلفه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كان في المسعى بين الصفا والمروة

والمروة سبعون وثنا فقال المسلمون يا رسول الله ان هذه الارجاس انجاس لا نجاس في مسعانا ونحن نتأثم منها فانزل الله تعالى فلا جناح عليه ان يطوف بهما أي لا اثم عليه ان يسعى بينهما اي لا اثم عليه ان يسعى بينهما ويطوف واصله يتطوف اذ غمت التا في الطا كما في قوله يذكر ويصعد ويصدعون وقال فعلوا ذلك ما شاء الله حتى امر الله عز وعلا نبيه فقال والرجز فاهجر فأمر بها فنحيت عن المسعى ولذلك فعل بالاوثان التي كانت حول البيت وقال الشعبي رحمه الله كان لاهل الجاهلية صنمان يقال لاحدهما اساف وللاخر نائله وكان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان المشركون اذا سعوا بينهما مسحوهما فلما جا الاسلام قال المسلمون كان المشركون يطوفون بينهما من اجل الصنمين وليسا من شعائر الله فانزل الله تعالى هذه الاية وقال محمد بن اسحاق كان على الصفا صنم على صورة رجل يقال له اساف وعلى المروة صنم على صورة امرأة يقال لها نائله وحكي عن اهل الكتاب انهم زعموا انهما زنيا في الكعبة فمسخا حجرين وقيل ان المسلمين لما وصلوا الى الكعبة قال المشركون عادوا الى قبلتنا فيعودون الى ملتنا ولما طافوا بين الصفا والمروة قالوا اتبعوا ديننا فامتنع المسلمون عن الطواف بهما لذلك فعرفهم الله انه ليس باتباع دينهم ولكنهما من شعائر الله ثم اختلف العلما رحمهم الله في السعي بين الصفا والمروة قال مجاهد وعطا هو غير فرض ولا واجب وتركه لا يوجب شيئا لان الله تعالى قال فلا جناح عليه ان يطوف بهما وهذا يستعمل في المباح دون الواجب ولانه قال ومن تطوع خيرا والتطوع التبرع وقال الحسن وهو قول الشافعي رحمه الله هو فرض لا يتم الحج ولا العمرة

إلا بحج لأنه قال من شعائر الله ولقول النبي صلى الله عليه وسلم إن
الله كتب عليكم السعي فاسعوا فأما قوله فلا جناح عليه أن يطوف
بهما فهو لما بينا أنهم كانوا يتحرجون عن ذلك لما فيه من التشبه
بالكفار فنفى الجناح عنهم من ذلك الوجه وأما قوله ومن تطوع
خيرا فليس هو لأصل السعي على ما تبين في تفسير هذه الكلمة من بعد
وقال أبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله وهو قول سفيان الثوري
وعامة أهل العلم إنه واجب ومن تركه غير مفسد ويجبر بالدم لأنه
نسك قد يؤتى به بعد طواف الزيارة فلا يكون ركنا كرمي
الجمار وطواف الصدر وهذا لأنه يحل بعد طواف الزيارة كل شيء
وليس بعد التحلل ركن وقوله تعالى ومن تطوع خيرا أي تبرع بعد
الحج والعمرة بحجة أخرى أو عمرة غير الأولى وقيل أي تبرع بشيء
من الخيرات والطاعات في الدين وقيل أي زاد في الطواف
بعد قدر الواجب وهو قول الكلبي ومقاتل وجماعة وقوله
تعالى فإن الله شاكر أي قابل يسير العمل من المتطوع عليم
بجاهه وقيل عليم بنيته بهذا الطواف أنه ليس كطواف
أهل الشرك وقوله تعالى إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات
والهدى واتصالها بما قبلها أنه قال ولأتم نعمتي عليكم
بإكمال شرائع الدين لتهتدوا فاشكروا لي واصبروا واعلى محبتي
وأتموا شرائع ديني لتهتدوا فاشكروا ولا تكتموا فإن من كتم
نعمته لعني وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في رؤساء
اليهود كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد ومالك بن الضيف
وغيرهم كانوا يتمنون أن يكون النبي عليه السلام منهم فلما بعث
النبي عليه السلام من غيرهم خافوا أن تذهب مأكلتهم من السفلة
فغيروا

فغيروا إلى صفة النبي صلى الله عليه وسلم فغيروها من كتابهم ثم
أخرجوها إليهم وقالوا هذا نعت النبي الذي يبعث في آخر الزمان
وهو لا يشبه نعت النبي الذي بمكة فلما نظرت السفلة إلى ما غيروا
من الصفة وإلى محمد وصفته جحدوا والأحمر وحدوا مخالفا فقال
الله جل جلاله إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى
أي يغيرون التوراة والهدى من صفة محمد وآية الرجم وتحويل
القبلة والحلال والحرام من بعد ما بيناه أي أوضحناه للناس أي
لبني إسرائيل في الكتاب أي في التوراة أولئك يلعنهم الله أي
أهل هذه الصفة عليهم لعنة الله ولعنة الخلائق قال ابن عباس
رضي الله عنهما وذلك إذا وضع الكافر في قبره وسئل من ربك
ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدري فيقول له منكر ونكير
لا دريت فهكذا كنت في الدنيا ثم يضرب ضربة يسمعها كل شيء
إلا الثقلين فلا يسمع شيء صوته إلا لعنه فذلك قوله ويلعنهم
اللاعنون هم البهائم والهوام تلعن عصاة بني آدم تقول
حبس عنا المطر بخطاياهم وقال ابن مسعود رضي الله عنه إذا
تلاعن اثنان رجع اللعن على المستحق منهما فإن لم يستحقه أحدهما
رجع على اليهود الذين كتموا ما أنزل الله واللعن من الله الطرد والإبعاد
عن الرحمة على الإطلاق في حق الكفار وعن الرحمة والكرامة والمنزلة
التي يستحقها المطيع إذا كان في حق العصاة والهدى البينات التي
من تمسك بها اهتدى وقوله تعالى من بعد ما بيناه للناس الهاء
ترجع إلى قوله ما أنزلنا ويجوز أن ترجع إلى قوله والهدى وإنما
أعاد قوله من بعد ما بيناه مع قوله أنزلنا من البينات لأن الأول
بيانات منه له على الرسول والثاني بيان أنه بين ذلك لهم وقال [illegible]

الاية نزلت في كل من كان عنده علم فكتمه وهو مروي عن عثمان
وابن عمر وابي هريرة رضي الله عنهم قال عثمان حين توضأ بمشهد
من الناس لاحدثنكم حديثا ولولا اية في كتاب الله ما حدثتكم وذكر
هذه الاية وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من توضأ فاحسن الوضوء ثم صلى صلاة غفر له ما بينها وبين الصلاة
الاخرى وروي ان نجدة الحروري كتب الى ابن عمر رضي الله عنهما
يسأله هل قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل بعد اليد
في السرقة فقال لولا هذه الاية وتلا قوله ان الذين يكتمون ما انزلنا
من البينات ما كتبت اليه ثم كتب اليه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قطع الرجل بعد اليد وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال ان
الناس يقولون اكثر ابو هريرة والله لولا ايتان في كتاب الله ما حدثت
حديثا وتلا هاتين الايتين ان الذين يكتمون ما انزلنا الى قوله وانا
التواب الرحيم فهو لا جعلوا الاية عامة ويجوز ان يكون نزولها
خاصا ثم ينسحب حكمه على العموم في كل من دخل تحته ثم اللعن الطرد
وابعاده ولعن اللاعنين دعاؤهم باللعن وهو كقوله ان الله وملائكته
يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فصلاة
الله عليه هي رحمته وقال القفال يجوز ان يكون معنى يتبرأ الله
منهم ويتبرأ منهم الملائكة والمؤمنون فهم اللاعنون وقوله تعالى الا
الذين تابوا اي من الكتمان وندموا على ذلك وقوله تعالى واصلحوا
اي اصلحوا بالتمسك بالحق والعمل به ما افسدوه وقيل واصلحوا احوال
انفسهم بالتقرب الى الله تعالى بصالح الاعمال وقيل فيما بينهم وبين الله
تعالى بالاخلاص والصدق وقوله تعالى وبينوا اي اظهروا ما كتموه من الحق
للناس وقيل وبينوا حقيقة التوبة بالاصلاح والدوام على الحق والعلم به
والاخلاص

والاخلاص لله تعالى فيه وقوله تعالى فاولئك اتوب عليهم اي اقبل توبتهم
وقوله تعالى وانا التواب الرحيم اي اقبل التوبة ولا اعاجل بالعقوبة
وقوله تعالى ان الذين كفروا اي جحدوا نبوة محمد وقوله تعالى وماتوا وهم كفار
اي اصروا عليه حتى ماتوا على ذلك وقوله تعالى وهم كفار حال وقوله تعالى اولئك عليهم
لعنة الله اي طردهم الله وبعدهم عن رحمته وتبرأ منهم وقوله تعالى والملائكة
والناس اجمعين اي ودعا عليهم الملائكة وكل الناس باللعن وتبرءوا منهم وقيل الناس
هم المؤمنون لانهم هم الناس في الحقيقة لانتفاعهم بالانسانية فاما الكفار
فهم كالانعام او اضل سبيلا وقيل معناه كل الناس مؤمنهم وكافرهم
وذلك يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وقال تعالى
كلما دخلت امة لعنت اختها وقيل معناه ان لعن جميع الناس يرجع عليهم اذ
هم ظالمون وكل الناس يقولون لعن الله الظالمين وقوله تعالى خالدين فيها
اي في اللعنة لانهم اذا خلدوا في النار خلدوا في الابعاد عن رحمة الله وقيل
معناه خالدين فيها اي في النار لان اللعنة توجب تعذيبهم فيها فكنيت
النار منه لكونها مقتضى ذكر اللعنة وقيل ان الخلود في النار مما كثر تردده
في القران فصلحت الكناية عنها مع انقطاع المكني عنها كما قال تعالى
ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها تكني عن الارض وقال
تعالى انا انزلناه تكني عن القران في اول السورة وقوله تعالى لا يخفف عنهم
العذاب لانه لا ينقطع ولا ينقص منه شيء بل قيل فيهم زدناهم عذابا
فوق العذاب وقوله تعالى ولا هم ينظرون يمهلون للاعتذار قال تعالى
هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقيل اي لا يجابون الى
قولهم اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل وقيل لا يؤجلون ليستريحوا
وقيل لا يؤخر عذابهم من وقت الى وقت وقوله تعالى والهكم اله واحد
انتظامه بما قبله انه لما اوعد الكفار بالنار ثم ذكر التوحيد وذلك التوحيد

وبه الامن من ذلك الى عبده وقال والهكم اله واحد اى معبودكم ومنجاكم
رب واحد في ذاته فلا يجوز عليه الانقسام والتجزء وواحد في صفاته فلا
نظير له ولا شبيه وواحد في افعاله فلا شريك له ولا ظهير وواحد في
استحقاق القدم فلا شيء قبله ولا شيء بعده في الازل وواحد في استحقاق
الالهية والعبادة فلا معبود الا هو وقوله تعالى لا اله الا هو اي بهذا
فاعرفوه وذا ايما فاعبدوه ولا ترجوا غيره ولا تخافوا سواه ولا تعبدوا الا
اياه وقوله تعالى ان في خلق السموات والارض روى ابو الاحوص عن سعيد
بن مسروق عن ابي الضحى قال لما نزلت هذه الآية وقوله تعالى الرحمن
الرحيم اي المنعم على خلقه بادرار رزقه واسباغ فضله فهو مفزع
كل مضطر وغياث كل قانع ومعتر والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن
الرحيم تعجب المشركون وقالوا اله واحد كيف يسعنا ويكفينا فان كان
صادقا فليأتنا بآية فانزل الله تعالى ان في خلق السموات والارض اى في تخليقهما
وقوله تعالى واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر الفلك
السفينة والفلك السفن ايضا ويذكر ويؤنث قال تعالى في الفلك المشحون
وقال تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وهذا يدل الجمع وقال
ههنا والفلك التي تجري في البحر وهي تانيث وقوله تعالى تجري في البحر وهو
ثقيل كثيف والماء خفيف لطيف وتقبل وتدبر بريح واحدة وقوله تعالى
بما ينفع الناس اى بمصالحهم في التجارات وغيرها وقوله تعالى وما انزل الله من
السماء من ماء اي وفي ما انزل وقوله من ماء اي مطر وقوله تعالى
فاحيا به الارض بعد موتها اى نضر ما نبات الارض بعد ذهابه في زروعها وثمار
اوراقها وقوله تعالى وبث فيها من كل دابة اي فرق في الارض من كل
حيوان يدب على وجه الارض وقوله تعالى وتصريف الرياح اى في تقليب
الرياح شمالا وجنوبا ودبورا وصبا ورحمة وعذابا وحارة وباردة

وقال

حـ
اى الذى يفزع من السؤال والابتهال

[illegible]

وباردة وقال وكيع الجراح لولا الريح والذباب لانتنت الدنيا وقال عكرمة
بن عباس لا تخرج من السحاب قطرة حتى تعمل في السحاب هذه الرياح الاربع
فالصبا تهيجه والجنوب تدره والدبور تلقحه والشمال تعقده واصول
الرياح هذه الاربع فالشمال من ناحية الشام والجنوب تقابلها والصبا
هي القبول من المشرق والدبور تقابلها وكل ريح جاءت بين مهبي ريحين
تسمى نكباء لانها نكبت عن مهاب هذه الاربع وقال عبد الله بن عمرو
بن العاص الرياح ثمان اربع رحمة واربع عذاب فالتي رحمة الناشرات والمبشرات
والمرسلات والذاريات والعذاب الصرصر والعقيم وهما في البر والعاصف
والقاصف وهما في البحر وقوله تعالى والسحاب المسخر بين السماء والارض
لآيات لقوم يعقلون السحاب الغيم سمي به لانسحابه في الهواء اي انجراره
والمسخر المذلل وتسخير السحاب هو جعله منقادا جاريا على ما اجراه
الله عليه وقوله تعالى لآيات لقوم يعقلون اى في هذه الاشياء علامات واضحات
على ربوبية الله تعالى ووحدانيته وكمال قدرته للعقلاء ونصب
آيات بان واللام للتاكيد ووجه الدلالة فيها ما قال الشيخ الامام ابو بكر
محمد بن علي القفال الشاشي فاحسن واوضح فقال اخبر الله تعالى ان من آياته
خلق السموات وما ذكر بعدها وان يتدبر ويتفكر في هذه الاشياء فراى
السموات على عجيب هيآتها سقفا مرفوعا فوق الناس بلا عمد والنجوم
الطوالع في مطالعها الغوارب في مغاربها تتعاقب في الطلوع والغروب
منها سيارات تقطع السموات على مقدار لا تختلف ومنها ثوابت لا تزول
يستدل بها على اوقات الامطار ويهتدى بها في ظلم البراري والبحار وقد علق
بها من امر العالم ما علق وفيها الشمس التي بها يتيسر الناس لمعاشهم والقمر
الذي هو آية الليل وقد علق بهما من امور العالم ما علق من نضج الثمار وظهور
النبات ونمو الحيوانات وما يفقد بعلمه الخواص من علم الملة والرجحة والبحرانات

نبهامح

في الأمراض وهيجان الدما وسكونها وغير ذلك مما قد امتحن حتى علمت صحته
ومن آياته وحدانيته خلق الأرض التي جعلها قرار الخليقة ومهاد العباده
حتى اتخذوا منها الاكنان والبيوت ووضع عليها جبالها معا اودعها من
انواع الجواهر والذهب والفضة وغير ذلك واشق منها عيونا مختلفة
من الماء وغيره وانبت على الجبال منها والأرضين من الاشجار وانواع
النبات والانوار والأزهار والثمار المختلفة الطعوم والأرايح والأدوية
وصنوف الأغذية على منابع مختلفة مع اتحاد اراضيها ومياهها ومغارسها
ومن آياته اختلاف الليل والنهار على انتظام واحد جعل احدهما سكنا والآخر
معاشا ثم جعل يأخذ هذا من هذا وهذا من هذا وقد يستويان في حال من
الأحوال على مقدار واحد بهما تعرف الأوقات والآجال في المعاملات
ومواقيت الصلوات ومن آياته السفن الجارية في البحار بما ينتفع به الناس
في تجاراتهم تجري على وجه الماء سفينة كالجبل الشامخ بل كالمدينة المبنية
فيها من الاثقال من الأموال وصنوف المال والاحوال مع ما فيها من الركاب
ما لا يوقف على قدره تساق بشراع وتجري بها ريح لينة ربما تقطع المسافة
الطويلة التي يقطع مثلها في البر في ايام في ليلة واحدة ومن آياته ما انزل الله
من السماء من ماء فانبت به انواع النبات والانوار والأشجار والرياض
المونقة والجنان النزهة بعد ان كانت ميتة في غاية الوحشة واليبوسة
ومن آياته ما بث الله تعالى فيها من انواع الدواب في كل زوج يدب
ويتحرك فمنهم الناس الذين هداهم الله للتدبيرات العجيبة والصنائع
البديعة والعلوم الدينية والدنيوية وجعل منهم الانبياء والحكماء والملوك
والسياسة وركب فيهم العقول التي اهتدوا بها الى ادراك الغائب الى
الشاهد بالاستنباط والى دقائق العلوم كالطب والحساب والنجوم
وعلوم الرياضات والديانات وسخر لهم الحيوانات والوحوش وغيرها

لهم الدواب

الليل

وقد يستويان في بعض الاحوال

وتزجيه اي تسوقها

بهم الدواب ومما بث فيها اصناف الحيوانات من البهائم والحشرات
تتفاوت الطباع مختلفة المساكن والاصوات متباينة المنافع والمضار
وجعل في كل منها نوعا من المنافع والمرافق ومن آياته تصريف الرياح في
الجهات المختلفة مع اتحادها في الجنس قبولا ودبورا وشمالا وجنوبا
ونكباء ومنها عقيم ومنها لواقح ومنها عذاب ومنها رحمة ومنها حار ومنها
بارد الى غير ذلك من صنوف الرياح بها يسير السحاب وتزجي الفلك
في البحر وتصل الروح ونسيم الحياة الى الابدان وبها ينصر قوم وبها
يهلك قوم وبها يعاش قوم وبها تصرع قوم ومن آياته السحاب
المسخر وهو المدلى بين السماء والأرض ثم تجمع وتجتمع وتنبسط كالجبال
السائرة منها الرعود والبروق والصواعق مع تراكمها بحور المياه
مطر مرة وثلج اخرى وتجيء بالبرد تارة وبالسيل الذي يستلب الاشيا
ويقلع الصخور ويهدم القصور وبهذه الاحجار الثقال مع خفته
ولينه وانبساطه تحيى به الأرض وتخرج به النبات والأقوات وتطيب
به الهوا ويزول به الوبا وتستغني به عن الانهار والعيون في كثير من البقاع
ويجري ما العيون والانهار فمن تدبر ذلك بعقله وقف عليها على عجائب
لا تنقضي يدله جميع ذلك على فاطر قاهر قادر عالم حكيم خبير ليس
كمثله شيء وهو السميع البصير كما يدل في جميع ذلك من آثار الصنعة
ودلائل الحدوث من الاجتماع والافتراق والحركة والسكون واختصاص
كل منها بمقدار وصورة وحد ونهاية وجهة مخصوصة ووقت مخصوص
وتقدم بعضها على بعض وتأخر بعضها عن بعض وجواز الزيادة والنقصان
عليها والأحوال المختلفة التي تعتورها كل ذلك دليل على استحالة
انفكاكها عن الاوصاف المتضادة والأحوال المتعاقبة عليها وتعاقبها
دليل حدوثها وما كان محلا للحوادث استحال خلوها عنها واذا استحال

خلوها عنها استحالة سبقها لها لأن في السبق الخلو، وما لم يسبق الحوادث
فهو حادث لاستحالة ذلك حده وشهادتها على محدث أحدثها ومنشئ أنشأها لأن
استحالة تحدثها وشهادتها بنفسها كاستحالة من يدعي في بناء مبني أن ترابه
صار بنفسه لبنا منضودا ثم صار بنفسه جدارا مبنيا ثم صار عليه
سقفا مرفوعا وكاستحالة من يدعي في ثوب منسوج أن القطن بنفسه
صار غزلا مغزولا ثم صار بنفسه ثوبا منسوجا إذ لا فرق
بين ما يرى من السماء بما عليها من أنواع الزينة وبين ما يرى من
ديباج منسوج فلا يكاد يشك فيه عاقل أنه إنما صار كذلك بناسج
نسجه وبصانع صنعه، فالسماء أعجب تأليفا وأعجب ترتيبا وأبدع تركيبا
وكذلك ما يشاهد من الإنسان، وسائر الحيوانات أن من تألف أجزائه
وانضمام أعضائه، وقيام بعضه ببعض، وحاجة بعضه في الثبات والبقاء إلى
بعض كل ذلك دليل على أنه مربوب مصنوع محتاج إلى ممسك يمسكه
وإذا تأملت ما جعل في البدن من مجاري الفضول في أعالي البدن وأسافله
علمت أنه مدبر مصنوع كبيت بني وجعل له منافذ ومخارج ومداخل ثم
إذا تأملت أنه عروق وعصب ولحم ودم وعظام علمت أنه مرتب مؤلف
أحسن ترتيب وأنه ليس شيء منه ثابتا باقيا بنفسه بل بمثبت يثبته
ومبق يبقيه وممسك يمسكه ثم إذا أصغيت إلى ما يصفه الخاصة من
تركيب الأعضاء ومنافع كل جزء منها على ما وصفه أصحاب التشريح في كتبهم
رأيت ما يحار في أعاجيبه العقول ووقفت على بدائع لا يهتدى لوصفها
الألباب وعلمت أن ذلك تفرد به رب العالمين، ثم إتقانها بوجودها
تدلك على قدرة صانعها وأن قدرته على الكمال، ثم يدلك تقدم بعضها
على بعض مع جواز أن تكون متأخرة وتأخر بعضها عن بعض في الوجود مع جواز
أن تكون متقدمة واختصاص كل من الجنس بحال مخصوص، ووقت مخصوص ومحل
مخصوص وقدر مخصوص مع جواز خلافه على إرادة مريد خصها بها ثم يدلك
اتقانها

صانعها
عالم

اتقانها وانتظامها وإحكامها على علم صانعها لاستحالة وجود أفعال متقنة
محكمة منظومة من غير عالم بها كاستحالة وجود كتابة منظومة من غير
عالم بالكتابة ثم يدلك جملة ذلك على حياة صانعها لاستحالة قيام القدرة
والإرادة والعلم بمن لا يوصف بالحياة، ثم يدلك انتظام أمور
العالم على أنه واحد لا شريك له إذ لو كان معه غيره لاضطربت الأمور
واختلف التدبير، قال تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ثم يدلك
ارتباط بعض أجزاء العالم ببعض وحاجة بعضها إلى بعض في البقاء على أن خالقها
واحد وذلك مثل حاجة الإنسان وسائر الحيوانات إلى شيء يمكن فيه
وشيء يتعهد عليه وأنه لا بد من ضياء وظلام وأزمنة وحرارة تنشأ
بها الأشياء والسماء وما فيها متعلق بعضها ببعض ومحتاج بعضها إلى بعض
ولا قوام للإنسان إلا بها والكواكب لا بد منها للاهتداء بها في
البر والبحر ولتعرف مجاريها عدد السنين والحساب والهواء لا بد
منه لأن السماء إذا كانت طبقا للأرض فلا بد من هواء تضطرب فيه الأنفاس
ولا بد من أن تكون ذلك باردا ليصل نسيمه إلى النفوس فتستكن به
ألا ترى أن من منع منه الهواء بالأخذ بفمه و[illegible] لم يلبث أن
يموت والريح تحرك الهواء والحيوان منها ما يستطاب لحومها فيحتاج
إلى لحومها للاغتذاء بها، وللتقوي على الأعمال التي يتم بها أمر
المعاش وما كان منها غير مستطاب اللحم يركب ويحمل عليها الأثقال
وما خرج من هذين فقد ينتفع بشحومها ومرارتها ولحومها في معالجة
المرضى فهذا يدلك على تعلق بعضها ببعض وحاجة بعضها إلى بعض والعالم
كله كالبدن الواحد يمسك بعضه بعضا ويتألف بعضه ببعض ويدلك
ذلك كله على أن له مؤلفا هو ألف الجميع، ويدلك ذلك كله على أنه لا
يشبه شيئا من خلقه بوجه ولا يشبهه شيء لأن حقيقة المتشبهين تشابه

يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر فلو أشبه خلقه بوجه لجاز عليه ما جاز على
خلقه من التغير والزوال والانفصال والاتصال والعجز والموت وسائر
الآفات. تعالى الله عن ذلك وتقدس. وبذلك الاختلاف في الليل والنهار
وذهاب كل واحد منهما على مر العالم وعود كل واحد منهما بعد ذهابه
وإحياء الأرض بعد موتها على البعث بعد الموت. وبذلك ما في الأرض
من أنواع المطاعم والملابس والثمار والأنوار على ما وعد في الجنة ليرغبهم
في نعيمها وما فيها من الحيات والعقارب والحشرات على ما أوعد في النار
ليزجرهم عنها. ثم إن الله تعالى جعل من هذه الدلائل ما تدركه العامة
على تفاوت عقولها ومنها ما يدركه المتوسطون في العلم بتدبيرهم
ومنها ما لا يهتدي إليه إلا المتعمقون في العلم والنظر بأفكارهم وأذهانهم
التي فضلهم الله تعالى بها على غيرهم. فقامت حجة الله تعالى على توحيده
على سائر طبقات الناس ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
وإن الله لسميع عليم. وقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله
أندادا ونظمه بما قبله أنه قال ومع وضوح هذه الأدلة من الناس أقوام
كفار يتخذون الأصنام أشباها لله أي يتخذونها آلهة يعبدونها ومن
للجمع هاهنا بدليل أنه قال في صفتهم يحبونهم من دون الله أي غير الله
والأنداد الآلهة. وقال أبو عبيدة الأنداد الأضداد. وقال صاحب
العين الأنداد ما كان مثل الشيء يضاده أي ينافره ويقابله. والمراد
بالأنداد هاهنا في قول قتادة والربيع ومجاهد وعبد الرحمن بن زيد
وأكثر المفسرين هو آلهتهم من الأوثان. وقال السدي المراد رؤساؤهم
الذين كانوا يطيعونهم طاعة الأرباب. وقال تعالى اتخذوا أحبارهم
ورهبانهم أربابا ويدل عليه قوله بعد هذه الآية إذ تبرأ الذين
اتبعوا من الذين اتبعوا وهذا أظهر. وقوله تعالى يحبونهم كحب الله أي يحبون

الأنداد

الندّ

الأنداد كحبكم لله. وقيل أي كحبهم الله. وقيل أي كما يجب عليهم من محبة الله
والأول قول عكرمة وقتادة ومقاتل. ومعناه يحبون عبادة الأوثان
كما يحب المؤمنون عبادة الله. والثاني قول الزجاج وذلك أن الكفار كانوا يدعون
أنهم إنما يدعون أي يعبدون الأوثان لتقربهم إلى الله زلفى فيدعون محبة
الله ويقرون بربوبيته تبارك وتعالى. وقوله تعالى والذين آمنوا أشد
حبا لله أي أدوم محبة لله من الكفرة لأصنامهم لأن عابد الوثن
يعبده في حالة الرخاء فإذا أصابته البلايا لا يظهره ودعا غيره والمؤمن
إذا مسه الضر فزع إلى ربه وزاد في دعائه ولزوم بابه وطلب
قربه وذلك من كمال حبه. وقال جعفر الصادق محبة المؤمن
مع خوف ورجاء ومحبة الكافر لطبع وهوى فإنه إذا رأى حجرا استحسنه
اعتقده وعبده وحب المؤمن عقلي وحب الكافر نفسي وحب المؤمن
خالص وحب الكافر مشترك وحب المؤمن غيبي وحب الكافر عياني
وحب الكافر بواسطة قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وبعلة قالوا ما
نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ومحبة المؤمن بلا واسطة ولا علة
والكافر يرى صنمه مصنوعه والمؤمن يرى ربه صانعه والكافر
يتبرأ عن الصنم يوم القيامة والمؤمن لا يتبرأ من ربه والمؤمن
يعبد الله وحده والكافر يعبد أصناما فلا يخلص لواحد ومحبتهم
أشد وطريقهم أسد. وقال الإمام أبو منصور رحمه الله محبة المؤمنين
تخرج على الثناء والعبادة والتعظيم والطاعة والرغبة والرهبة إذ علموا
النعم كلها من الله وعلموا أن السلطان والعزة لله ولا أحد ينال شيئا من
ذلك إلا بالله فأوجب ما عنده من النعمة الرغبة وما له من السلطان
الهيبة. وحب الكفرة هو الحب الذي يولده الشهوة أو يستحسنه النظر
وحب الله تعالى من المؤمنين على هذا الوجه فاسد بل حبه في الحقيقة

وتعظيم أموره وحسن صحبته بعده ومعرفة حقوقه ولذلك قال لرسوله قل
إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وهو أن من أحب احد مجد الجلال
والرفعة عظم رسوله وانقاد لما يدعوه اليه وان كان في ذلك هلاكه تعظيما
لأمره فكيف فيما فيه نجاته وفوزه وقال وهب بن منبه قال حكيم
من الحكماء انى لاستحيي من ربي أن اعبده مخافة من النار فأكون كعبد
السوء إن رهب عمل وان لم يرهب لم يعمل وانى لاستحيي من ربي
أن اعبده رجاء ثواب الجنة فأكون كأجير السوء ان أعطي أجره عمل
والا لم يعمل ولكن اعبده لما هو أهله وقال ايضا وانى لستحيي من
حب ربي ما لا يستخرجه حب غيره **وقوله تعالى** ولو يرى الذين ظلموا
اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب قرأ
عامة القراء سوى نافع وابن عامر بالياء المغايبة وتأويله ولو يعلم الآن
الذين ظلموا اى كفروا ان القوة والقدرة لله لا للأصنام وأن الله شديد
العقاب لمن عبدها اذ يرون العذاب يوم القيامة والجواب مضمر
ههنا اى لما اتخذوها الهة ولما عبدوها ولما قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله
وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فالرؤية بمعنى العلم كما في قوله
ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل والظلم هو الشرك والذين
فاعل وان القوة مفعول ومقدمة في المعنى والجواب محذوف في آخره بدلالة
الحال عليه وتقديره لأبدى ما قلنا وحذف جواب لو في القرآن
كثير ولو اى قرآنا لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون وقرأ نافع
وابن عامر ولو ترى بتاء المخاطبة ومعناه ولو ترى أنت يا محمد الذين
ظلموا أي المشركين نصب على انه مفعول اذ يرون العذاب يوم القيامة
والجواب مضمر هاهنا اى لرأيت أمرا عظيما وعلمت ان القوة لله جميعا
وأن الله شديد العذاب أي ليس هو بغافل عما يعمل الظالمون وهو
علي

علي بأنا متوجه الحسنات والسيئات **وقوله تعالى** اذ تبرأ الذين اتبعوا
إلى متصل بقوله وإن الله شديد العقاب اى يرونه حينئذ وقيل اضمر
فيه واذكر إذ تبرأ وتبرأ ماض معناه المستقبل كما في قوله وإذ قال الله
يا عيسى وقالوا إن الله جعل ما يقع في القيامة كالواقع الحاصل لانه واقع لا
لا محالة فذكره بهذه الصيغة تقريبا له وتقريرا في النفوس والذين
اتبعوا هم المتبوعون القادة والكبراء السادة **وقوله تعالى** من الذين
اتبعوا اى من الاتباع الأطواع **وقوله تعالى** ورأوا العذاب أي
النار قبل أن يدخلوها كما قال وبرزت الجحيم لمن يرى ويحتمل
أن يكون المراد دخلوا النار فرأوها كما يقال رأيت السجن وكربه
وقوله تعالى وتقطعت بهم الأسباب أي الوصل والسبب الوصلة
ومعناه قطعتهم والباء للتعدية اى ولما وقعوا في العذاب صارت
الاسباب التي كانوا بها اصلوا ربهم قاطعة بعضهم عن بعض وقال الله
تعالى كلما دخلت أمة لعنت اختها ونظيره قوله تعالى وتقطعت
بهم الاسباب ابه للتعدية وقوله فتفرق بكم عن سبيله اي يفرقكم
وهو قول مجاهد وقتادة والربيع وقال ابن عباس رضى الله عنهما
معناه انقطعت العهود والايمان التي كانت بينهم وقال ابو صالح أي
انقطعت الارحام والاسباب فيما بينهم قال تعالى فلا انساب
بينهم وقال تعالى يوم يفر المرء من أخيه وقال الحسن هي
المعارف وقال مقاتل هي المودات وقال ابو جعفر الرازي
هي المنازل أي تفرقت بهم المنازل اى وقعوا متفرقين والسبب
الطريق قال تعالى فاتبع سببا **وقوله تعالى** وقال الذين اتبعوا
أي الأتباع لو ان لنا كرة لو كلمة تمني والكرة الرجعة إلى الدنيا
اى ليتنا نرجع إلى الدنيا فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا نصب بالجواب

اذ يرون العذاب صح

لبعض عن بعض الى الوصل لا لأنهم ...
... الاحلاف ... ومنازلهم ...

وقوله تعالى كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم اى كما رأوا العذاب
فكذلك يريهم الله ذلك تعقيل اي كما وصف الله احوالهم كذلك يجعل
اعمالهم • وقيل اى كما تقطعت بهم الاسباب فلم ينتفعوا بها فكذلك
تصير اعمالهم حسرات عليهم ولا ينتفعون بها • والحسرة الكمد على الفائت
والتلهف عليه • وقيل هو اشد الندم • وقيل هو الندم القاطع للعي
من قوله ملوما محسورا • وقوله خاسئا وهو حسير ثم قيل في
هذه الاعمال ثلثة تأويلات • قال ابن عباس
رضي الله عنهما اراد به الاعمال التي عملوها من الحسنات بزعمهم
وارادوا بها غير الله من مواساة المحتاجين • واعانة المشركين
وقرى الضيف • والحج والختان مما كانوا يعملون • مع شركهم يرونها
حسرات عليهم يتحسرون حيث اطلقوها بشركهم • وقيل ارادوا
اعمال السيئة التي عملوها في الشرك من القتل • ودفن
البنات واستحلال المحرمات فترونها حسرات عليهم حيث
كانت محصاة محفوظة عليهم يتحسرون على انها هلا عملوا بدلها
حسنات كانت محصاة • وقيل ارادوا بها الاعمال التي كانت
تجب عليهم فلم يعملوها قال تعالى ان تقول نفس يا حسرتا
على ما فرطت في جنب الله • ومعنى اضافتها اليهم وان لم يعملوها
انها تجب عليهم فعملها احتياطا كما يقال هذا عملك الذي يحتاج ان تعمله اليوم
وهو غدا اولك لما احتاج اليه • وقال ان الذين فارقوا دينهم
اى ما يجب ان يكون دينا لهم • وقوله تعالى وما هم بخارجين من
النار اى هم فيها خالدون ابدا وهذا رد لما تمنوه لو ان لنا كرة
وليعود لهم ربنا اخرجنا منها الاية • وقوله تعالى يا ايها الناس
كلوا مما في الارض حلالا طيبا وانتظامه بما قبله ان اعمال
الكفار

الكفار تصير حسرات لانها سيئات والاعمال التي لا تصير حسرات
هي الصالحات وشرط العمل الصالح اكل الحلال الطيب • قال تعالى
كلوا من الطيبات واعملوا صالحا • قال بعضهم نزلت الاية في شأن
بني خزاعة وبني صعصعة • وبني مدلج حرموا على انفسهم • السمن
والاقط نزلت الاية • وقيل نزلت في شأن اهل الكتاب
فانهم كانوا يحرمون البحيرة • والسائبة والوصيلة والحامي وكانوا
يقولون ان الله حرمها علينا • فرد الله تعالى قولهم بقوله ما
جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة الى ان قال • ولكن الذين
كفروا يفترون على الله الكذب • واكثرهم لا يعقلون • وقال هاهنا
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون • وقوله حلالا طيبا فالحلال ما احله الله
والطيب ما يستطاب • وهو ثلاثة انواع المستلذ طبعا والمباح شرعا
والطاهر وضعا • قال تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب ما يستطاب
والطيب
تعالى احل لكم الطيبات • وقال تعالى فتيمموا صعيدا طيبا • وقال
الامام ابو منصور رحمه الله هذا يتوجه وجهين احدهما الاخذ
في كل ما تستطيبه النفس وتستلذه ليكون ارضى واشكر لله بما
انعم عليه • والثاني ارادة الحلال وتكون للايجاب • وقيل
الجمع بين اللفظين لاثبات صفتين فالحلال ما لا خطر فيه والطيب
ما لا اخذ (?) فيه • وقال الحسن البصري رحمه الله الحلال الطيب
ما لا سؤال فيه يوم القيامة • وهو ما لا بد منه • قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى وهب لابن آدم ما لا بد له منه ثوب
يواري عورته وخبز يرد جوعه وبيت يكنه [illegible] فقيل
يا رسول الله وكيف الملح فقال الملح مما كانت به • وقال ابن عباس
رضي الله عنهما الحلال الطيب ما لا تبعة فيه في الدنيا ولا عقوبة

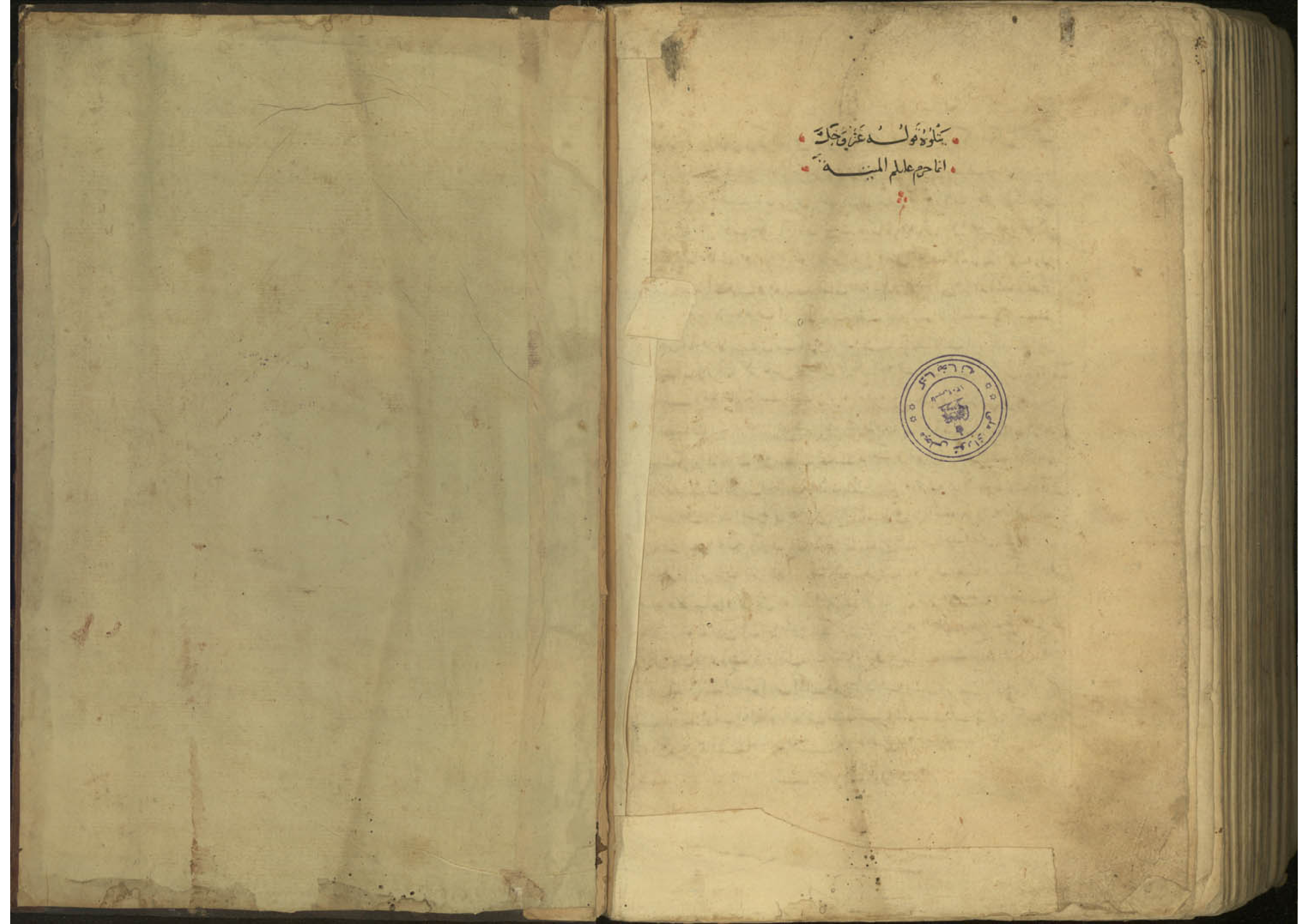
عليه في العقبى • وقيل الحلال ما افتاك المفتي انه مباح والطيب ما
افتاك قلبك انه ليس فيه جناح • وقيل الحلال ما لا تقول العلماء انه
لا يحل والطيب ما لا تقول الحكماء انه لا يجمل • وقوله تعالى ولا تتبعوا
خطوات الشيطان اي اثاره وهي وساوسه • واصل الخطو نقل
القدم قدما والخطوة بالفتح المرة منه وبالضم • بعد ما بين قدمي
الماشي والجمع الخطوات اي لا تمشوا في طريق ابليس الذي يدعوكم
اليه في تحريم هذه الاشياء • وقوله تعالى انه لكم عدو مبين
اي مبغض ظاهر وهو عدو ابويكم • وعدوكم فعدو ربكم
ويسعى في اهلاككم • ويدعوكم الى تحريم ما احل الله من
البحيرة ونحوها واحلال ما حرم الله من الميتة والدم • ونحوها
ثم في هذا اشارة الى انهم كانوا يتبعون الشيطان في ذلك • وذكر
بعد هذه الآيات انهم قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا ولا منافاة
بينهما فانهم كانوا يتبعونه فعل الاباء بتزيين الشيطان • وقد
ذكر الله تعالى في قوله • واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم
الى عذاب السعير • وقوله تعالى انما يامركم بالسوء والفحشاء اي
يامركم الشيطان ويدعوكم الى القبائح والفضائح فالسوء
في الاصل ما تكره والفحشاء ما يستشنع والسوء جلاء الفحش
والفحشاء الفعلاء • من الفحش والفاحشة كذلك واصله مجاوزة
القدر في كل شيء • والكثير الفاحش • والمباشرة الفاحشة من
ذلك فالزنا فاحشة والبخل فاحشة • وكل فعلة قبيحة فاحشة
والاسمان في الآية يتفقان كل ذنب وعيب وكل واحد منهما
متناول كل اثم • وقيل السوء ما خفي من الاثام والفحشاء ما ظهر
منها

منها وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما فيه حد • وقيل السوء
الزنا والفحشاء ساير القبائح وقيل السوء الخطيئة • والفحشاء العمد ومجاوزة
الحد وقيل السوء ما يسوء الفاعل اي يضره • وقيل السوء ما يسوء
عاقبته والفحشاء ما يستقبحه العقل والشرع • وقوله تعالى وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون • اي ويامركم بان تقولوا اي تكذبوا على الله ما لا
تعلمون من الصاحبة والولد وما لا يليق به • ثم الاجتهاد في المشروعات
ليس بقول على الله بغير علم بل هو طلب الحق بدليله بطريقه • فان قيل
كيف يامرنا الشيطان بذلك • ونحن لا نراه ولا نسمع كلامه قلنا
نجد في انفسنا دواعي المعصية بعثه واخبرنا الصادق عن فعله
وقوله تعالى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قال ابن عباس رضي الله
عنهما نزلت في اليهود دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام
فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا • اي وجدنا • كما في قوله تعالى والفيا
سيدها اي وجدا • وقيل نزلت في مشركي العرب لما قيل لهم
لا تتبعوا خطوات الشيطان واتبعوا القرآن في التحريم والتحليل
وقوله تعالى قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا من تحريم البحيرة ونحوها
وقوله تعالى اولو كان اباؤهم الواو حرف عطف دخلت عليها الف
التوبيخ فبقيت مفتوحة وطريقه انه يتضمن ما اذا افتريتم افتتبعونهم
وقال الزجاج معناه اتتبعون اباءهم وان كانوا جهالا • وقوله
تعالى لا يعقلون شيئا من الدين • ولا يهتدون الى الحق اتمتد
يتبعون اباءهم فيه بدلالة الحال عليه • وقوله تعالى ومثل الذين كفروا
فيه مضمر • اي ومثل واعظ الذين كفروا • يعني مثلهم مع الكفار
كمثل الناعق مع الغنم المنعوق بها • يقال نعق الراعي بالغنم
ينعق نعيقا • اذا صاح بها زجرا لها • وقوله كمثل الذي ينعق

بما لا يسمع الا دعاء ونداء والدعاء ما كان لطلب الفعل والنداء ما كان لطلب الجواب ومعنى الآية على جميع الأقاويل فيه مع نظمها بما قبلها ومثل هؤلاء الكفار الذين يقولون بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا في دعائك إياهم كمثل الناعق في دعائه إياها ثم التي لا تفهم كالإبل والبقر والغنم والحذف منها حسن كقولك زيد كالحمار أي في البلادة وعمرو كالأسد أي في الشجاعة لأن المعنى في أحد الشيئين أظهر فيشبه الآخر ليظهر بظهوره وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والربيع وهو اختيار الزجاج والفراء وقيل معناه ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم كمثل الناعق في دعائه من لا يسمع وذلك أن البهائم لا تفهم الكلام وأما في أحوال الأصنام أن تكون كالبهائم فإنها لا تفهم الكلام فإذا كان لا يشكل عليهم أن من دعا البهائم كان جاهلا فمن دعا الحجارة كان بصفة الجهل أولى وقيل أي مثل الكفار في دعائهم آلهتهم كمثل الناعق في دعائه الصدى في الجبل أنه لا يسمع منه إلا دعاء ونداء فإنه إذا قال يا زيد سمع من الصدى يا زيد وليس في ذلك القول شيء إلا أنه يخيل إليه أن مجيبا يجيبه وليس فيه فائدة فكذلك يخيل إلى هؤلاء المشركين أن دعاءهم للأصنام مستجاب وليس لذلك حقيقة ولا فيه فائدة وفي كل واحد من هذه الوجوه حذف واختصار وظاهره مقابلة الكفار وهم المنعوق بهم بالناعق ولم يقل الناعق بالناعق ولا المنعوق به بالمنعوق به وإنما تعلق لذلك لأن التقصي للكلام على ذلك المراد بالتمام فإنه تشبيه اثنين باثنين تشبيه الداعي إلى الإسلام للمدعوين الكفار بالداعي إلى المراد للمدعو من الأنعام فلما أريد الاختصار أبقى من الكلام ما دل على المحذوف فأبقى في الأول ذكر

ذكر المدعو وفي الثاني ذكر الداعي ولو ورد الكلام على ذكر الكل لطال الكلام وقال الفراء وأبو عبيدة هذا من باب القلب وهو كقولهم أدخلت الخف في رجلي والقلنسوة في رأسي وهو كقوله تعالى قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا أي نكلف بكلمته وقد قيل معناه مثلنا ومثل الذين كفروا فاكتفى بذكر أحدهما كما في قوله ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة الآية ولم يذكر الأمة الأخرى وقوله تعالى صم بكم عمي أي هم كذلك وقد مر فهم لا يعقلون أي لا يستعملون عقولهم كما قال لآبائهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا **قوله تعالى** يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم خص المؤمنين بأكل الحلال بعدما عمم الناس به والطيبات الحلال وهو اللذيذات أيضا **قوله تعالى** واشكروا لله أي على ما رزقكم من الطيبات **قوله تعالى** إن كنتم إياه تعبدون أي توحدون يعني إن كنتم مؤمنين بالله فاشكروا لله فإن الإيمان يوجب ذلك وهو من شرائطه وهو مشهور في كلامهم يقول الرجل لصاحبه الذي قد عرف أنه يحبه إن كنت لي محبا فافعل كذا فيدخل حرف الشرط في كلامه حثا له على ما يأمره به وإعلاما له أنه من شرائط المحبة وقيل إن كنتم عازمين على الثبات على الإيمان فاشكروا لله فإن شكركم يحصل عنه وقيل معناه إن كنتم كما في قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين وقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كنتم مؤمنين والصحيح أنه على الشرط في كل هذه الآيات وقد مضى ما بيناه وقيل هذا خطاب لعبد الله بن سلام وأصحابه حيث امتنعوا عن أكل لحوم الإبل فقيل لهم هذا أي إن كنتم إياه تعبدون بترك أكل لحوم الإبل فليست عبادته كذلك بل هي أكل ما أحله والشكر على ما أعطاه تم الجزء الأول [illegible] الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بلغ مقابلة نفع الله به



يتلوه قوله عز وجل

انما حرم عليكم الميتة